ديوان الوقف الشيعي

العتبة العسكرية المقدسة

مركز تراث سامراء

الإمام علي الهادي عليه السلام

عبق النبوة وعماد السلم المجتمعي

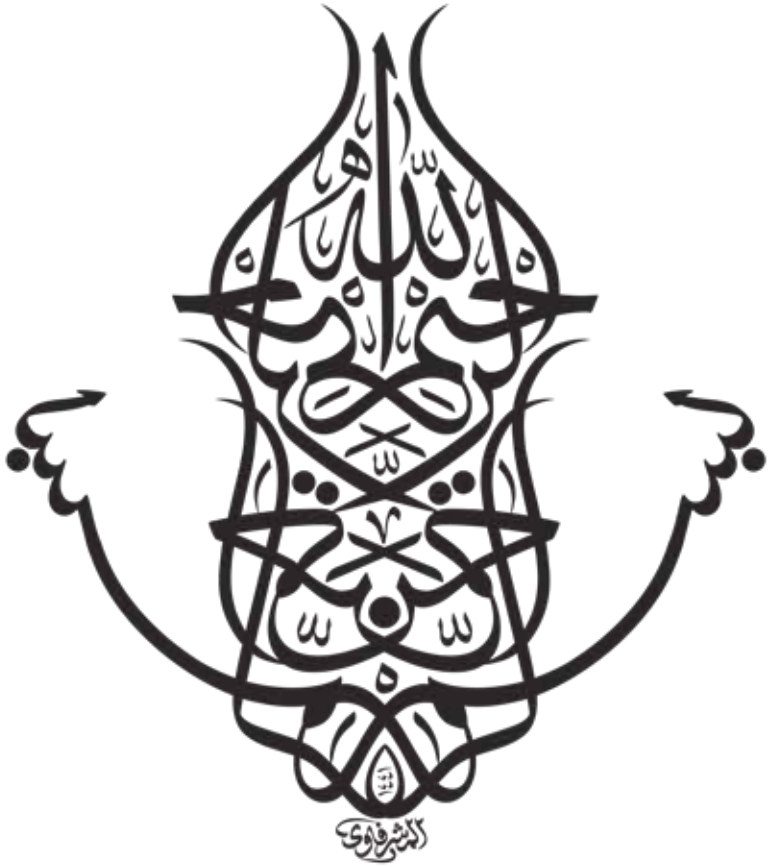
الجزء الأول

إشراف ومراجعة

مركز تراث سامراء

الكتاب: وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عَبَقُ النُبوةِ وعِمادُ السِّلمِ المُجتَمَعِي)/ ج١.
المؤلف: مجموعة باحثين
الناشر: مركز تراث سامراء.
المدقق اللغوي: الشيخ عقيل علي الدراجي
التصميم والإخراج الفني: الحاج مسلم شاكر المطوري
المطبعة:
الطبعة: الأولى.
عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة.
سنة الطباعة: ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م.
رقم الإصدار: ٤٢.
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد لسنة ٢٠٢٠م
ISBN:

جميع الحقوق محفوظة لمركز تراث سامرّاء.


بسم الله الرحمن الرحيم
المشرفاوي

كلمة حجة الإسلام والمسلمين
سماحة السيد محمد صادق الخرسان (دام عزه)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

السلام عليك يا أبا الحسن الهادي ورحمة الله وبركاته

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.

عندما تلقيت دعوة الأعزاء في مركز تراث سامراء التابع للعتبة العسكرية المقدسة، للمشاركة بكلمة في المؤتمر العلمي الأول الذي تقيمه كلية الدراسات القرآنية - جامعة بابل ، بالتعاون مع المركز، تحت عنوان: «الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعماد السِلْم المجتمعي»، اخترتُ المشاركة بما يسلط الضوء على: «منهج الحوار مع الآخر عند الإمام الهادي عليه السلام»؛ وذلك لأهمية التعريف بجهوده عليه السلام في التعاطي مع الآخر، في تلك المرحلة المشتركة مع ظروف مرحلتنا في عراقنا العزيز؛ حيث يوجد الآخر بتنوّعه الفكري، و لا خيار سوى الحوار معه، من أجل احتوائه وإطلاعه على منظومة القِيم التي تلتزمها مدرسةُ الإمامة، التي مثّلها الإمام الهادي عليه السلام في مرحلته وما زال ضوء سيرته ينير طريق الأجيال.

وفي الواقع ليس بالجديد ما يعانيه الفرقاء من أزمة الثقة وتلكؤ الحوار بينهم، وأيضاً ليس بالعسير أنْ تهتدي الأمةُ بسيرة الإمام الهادي عليه السلام الذي وظّف الحدث والزمان والمكان من أجل إدامة الحوار مع الآخر؛ لإيمانه بقدرة الحوار على الإقناع بعد إدارة الكلام بين الأطراف على أساس احترام الآخر وقِيمه، واعتماد

الأسس المشتركة للوصول الى الحقيقة ؛ فينطلق الحوار بلا إثارة للخلاف ، بل يُقبل بالاختلاف لأنه فرصة لمقابلة الفكر بالفكر، وتوضيح الرؤى؛ عملاً بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[1] ؛ولهذا يجب ارتكاز الحوار على أسس عقلية منطقية سليمة، في ظل احترام المبادئ وتفعيل قِيم التسامح؛ حتى يتعايش الأطراف في مساحة المشتركات، و لا يستبدل الحوار بالتصعيد الإعلامي ضد الآخر أو التشنج معه ؛ لما لذلك من إفرازات تطول معها المعاناة بما يؤدي الى التقاطع وأحياناً الى الاقتتال، وما ينجم عن ذلك من تعقيدات اجتماعية وغيرها، الأمر الذي تفاداه الإمام الهادي عليه السلام عندما وظّف الفرص المتاحة أمامه للقيام بما يمكنه - آنذاك - مما يرشّد أفكار الأمة وأفعالها، ويحفظ صلتها بالقيادة؛ فاهتم عليه السلام بالاستدلال على الإمامة عقلاً بفعل ما يعجز عنه غير المعصوم عليه السلام؛ توضيحاً لدور الإمامة الرابط بين الخالق تعالى والمخلوق، حتى يتبع الناسُ الإمامَ عليه السلام ويأخذوا عنه فيهتدوا، وعندها تفشل خطة السلطة في عزل الأمة عن الإمام عليه السلام وإبعاده جسدياً عن الناس؛ لينفصلوا فكرياً عن مصدر تكاملهم، والتي قد اتخذ الإمام الهادي عليه السلام قرارَهُ بإدامة التواصل ـ ولو العابر ـ مع الناس؛ ليعرّفهم بمعالم الدين وقواعد التعايش مع الآخر في الحياة، وهو ما وثّقته المصادر لبعض تلك اللقاءات[2] التي أدارَ الإمام الهادي عليه السلام من خلالها عدة ملفات مهمة تعرِّف الأمة بأصالتها الفكرية وقِيمها الإنسانية، وما أحوجنا اليوم الى اتباع هذا المنهج الرشيد السديد، وفقنا الله تعالى جميعاً لطاعته، أنه ولي التوفيق.

محمد صادق الخرسان

---

(١) سورة سبأ، من الآية ٢٤ .

(٢) للاطلاع على لقاءات الإمام الهادي عليه السلام مع بعض نخب المجتمع باختلاف التوجهات الفكرية، ينظر: مستدرك الوسائل ـ الشيخ حسين النوري ٢/ ٥٧١، ح٧ ، الثاقب في المناقب ـ ابن حمزة الطوسي ٥٣٨، ح ١ ، ٥٥١ ـ ٥٥٥، ح١٢ـ ١٤.

كلمة مركز تراث سامراء في مؤتمر الإمام علي الهادي عليه السلام عبق النبوة وعماد السلم المجتمعي

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين، السلام على الإمامين الهمامين علي بن محمد الهادي عليه السلام والإمام الحسن العسكري عليه السلام، السلام على سامرّاء وعلى وليدها المبارك، الذي بشّرت به السماء قبل مولده، ومحقّق آمال الأنبياء والصلحاء وشهداء كربلاء، سامرّاء العسكريين التي أُريد لها أن تكون من المدن التي سادت ثم بادت، وأدار لها التأريخ ظهره، فلم تذكر في كتب التاريخ ومدوناته وموسوعات مؤرخيه ولمدة تزيد على سبعة قرون إلا شذرات هنا وهناك، يغلب عليها الأسى والأسف لحال تلك المدينة، حتى قال أهلها وساكنوها: (لولا الإمام الهادي عليه السلام لكانت سامرّاء من البوادي)، ولست أدري هل هذا الإهمال لهذه المدينة العريقة كان من قبيل الصدفة؟ أم إنه أمر دبر بليل؛ لإسدال الستار على آخر فصل من فصول الإمامة، الذي كتبته يد السماء في سامرّاء؟ أم إنه القدر الإلهي، فلا بُدَّ أن تغيب سامرّاء بغيبة إمامها المنتظر؟ ولكن الذي يبعث الأمل ويجدّد العزيمة هو وعد الله الصادق ﴿**وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**[1]﴾، ووعد النبي صلى الله عليه وآله بأن الأرض لا بُدَّ أنْ تملأ قسطاً وعدلاً ببركة خليفته المولود في تلك المدينة.

ولقد ألقى الإمام الهادي وأهل بيته عليهم السلام بظلالهم المباركة وشخصياتهم النبوية

---

(١) سورة القصص: ٥.

على مدينة سامرّاء، وجعلوها في مصافّ أعظم مدن الدنيا، وصارت محطّ أنظار العالم ومهوى أفئدة المؤمنين، ومنارة تقصد من شتى بقاع العالم، وبما أن دراسة حياة العظماء لا تنفك عن دراسة بيئتهم ومدنهم ومعاصريهم وأهم مميزات تلك المدن، فإن المدخل لدراسة حياة أئمة سامرّاء لا بُدّ أن يكون في التعرف على أهم مميزات تلك المدينة، وسألخص سريعاً جملةً من تلك المميزات لها:

١- إنها المدينة العراقية التي تشرّفت بولادة خاتم الأوصياء عجل الله فرجه الشريف، كما أنها موطن ومستقر لثلاثة من أئمة الهدى عليهم السلام، ففيها عاش الإمام الهادي والإمام الحسن العسكري عليهما السلام الذي قضى فيها أغلب حياته المباركة، فقد وردها وهو ابن أربع سنين، وأيضاً ولد فيها الإمام الحجة ابن الحسن، وفيها عاش، وغاب، مضافاً إلى كوكبة من أهل بيتهم عليهم السلام، كالسيدة نرجس عليها السلام، والسيدة حكيمة عليها السلام بنت الإمام الجواد عليه السلام، والسيدة أم الإمام الحسن العسكري عليهما السلام، وبقية أولاد الإمام الهادي ومنهم البقية الباقية التي سكنت سامرّاء حتى قال ابن جبير في رحلته: (لم يبق في سامرّاء إلا المشهد الشريف وجُلُّ أهله من الأشراف)، وبسبب هذه المميزات ونسبتها إلى ثلاثة من أئمة الهدى عليهم السلام، ودفن الإمامين العسكريين عليهما السلام، وتشرفها بولادة الإمام المنتظر عجل الله فرجه الشريف، حقَّ لها أنْ تفخر على مدن عريقة ومقدّسة لها موقعها في عالم المجد، كمدينة مشهد والكاظمية المقدّستين.

٢- ومن مميزات سامرّاء أنها حظيت بمحبة أهل البيت عليهم السلام، فقد روى أحمد بن عيسى أنه قال: «إن الإمام قال له: يا أبا موسى: أُخرجت إلى سرّ من رأى كرهاً، ولو أُخرجت عنها أُخرجت كرهاً. قال: قلتُ فلم يا سيدي؟ قال: لطيب هوائها وعذوبة مائها وقلة دائها».

وورد أيضاً عن الإمام الحجة ابن الحسن عجل الله فرجه الشريف ـ كما في الكافي الشريف ـ «أنه خرج من الدار قبل الحادث بعشرة أيام وهو يقول: اللهم إنك تعلم إنها من أحبّ البقاع لولا الطرد».

٣- ما يزيد في فخر هذه المدينة أنها أمان لأهل الجانبين، وذلك ببركة قبورهم الشريفة، فقد ورد عن الإمام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام أنه قال لأبي هاشم الجعفري: « قبري بسرّ من رأىٰ أمان لأهل الجانبين»، وفي رواية المناقب «أمان لأهل الخافقين».

وقد أكدت التجارب ذلك بشكل واضح، فهذه العصابات الإرهابية قد عاثت فساداً ودماراً في الموصل والرمادي وبيجي وتكريت وغيرها من مدن العراق بينما بقيت سامرّاء تنعم بالأمن والأمان، ولم تدخل في دوّامة الإرهاب الأسود وفتنته، علىٰ الرغم من أنه شمل معظم مدن صلاح الدين.

٤- إنَّ سامرّاء كانت سبباً رئيساً من أسباب النصر علىٰ داعش؛ فإنه بعد الفتوىٰ المباركة للمرجعية العليا، كانت سامرّاء خطّ الصدّ الأول، فإليها وفدت المجاميع المؤمنة، ومنها كان المنطلق لتحرير بقيّة المدن المغتصبة، ولاتزال إلىٰ هذه اللحظة محطة تزود روحي ومعنوي ومادي للمجاهدين.

٥- إنّ هوية التشيع والولاء في زمن الغيبة رُسمت معالمها الرئيسة في سامرّاء علىٰ يد الإمامين العسكريين عليهما السلام، فمدة مكوث الإمامين في سامرّاء زادت علىٰ ربع قرن قاما خلالها بدورهما في تمهيد الأمر لزمن الغيبة، وتربية الأصحاب والموالين علىٰ الاستعداد لهذه المحنة الطويلة، وتزويدهم بكل ما يحتاجون إليه من معارف، وتفعيل دور الوكلاء والنوّاب والسفراء. وكان لأصحاب الإمامين العسكريين عليهما السلام دور بارز في نشر المعارف والعلوم الإسلامية.

٦- لقد أبهرت سامرّاء الملأ العلمي بأسره بحوزتها المباركة التي أسسها السيد المجدّد محمد حسن الشيرازي قدس سره ١٢٩١هـ، وساهمت تلك الحوزة بإغناء جميع الحوزات العلمية في الملأ الشيعي؛ فأساطين الفقه والأصول في النجف الأشرف ورواد الحركة العلمية والعصر الذهبي لحوزة النجف كانت ببركة سامرّاء وحوزتها المبدعة، بدءاً من السيد محمد الفشاركي الأصفهاني والسيد محمد كاظم اليزدي وصاحب الكفاية الآخوند الخراساني قدس سرهم، والآغا رضا الهمداني صاحب «مصباح الفقيه» الذي دفن

عند رجلي الإمام الهادي عليه السلام، ومروراً بالعلّامة النائيني قدس سره ـ أستاذ السيد الخوئي قدس سره ـ، والشيخ محمد حسين الأصفهاني، والسيد عبد الهادي الشيرازي، وانتهاءً بالشيخ محمد جواد البلاغي قدس سره الذي قضىٰ حوالي عشر سنوات في سامرّاء، وألّف بعض كتبه هناك، هذا فضلاً عن العلّامة النوري قدس سره الذي ألّف موسوعته الشهيرة مستدرك الوسائل في سامرّاء، وكتب الشيخ آقا بزرك الطهراني كتابه الشهير «الذريعة»، و«الطبقات»[١] فيها.

وأما حوزة كربلاء فإنَّ فخرها وعماد عزّها هو المرجع الديني الكبير الشيخ محمد تقي الشيرازي قدس سره قائد ثورة العشرين، وقد قضىٰ أكثر من أربعين سنة في سامرّاء، تمتد من سنة ١٢٩٢ ـ ١٣٣٥هـ.

وأما مدينة الكاظمية فإنّ من أبرز أسماء علمائها هم: السيد إسماعيل الصدر، والسيد حسن صدر الدين الكاظمي صاحب «تكملة أمل الآمل»، والسيد هبة الدين الشهرستاني، كل هؤلاء ممن درسوا وعاشوا في سامرّاء[٢].

ولقد امتدت بركات العسكريين عليهما السلام لتشمل مدينة قم المقدّسة؛ فإن مؤسس حوزة قم هو الشيخ عبد الكريم الحائري قدس سره، الذي قضىٰ في سامرّاء حوالي عشرين سنة مستفيداً من السيد المجدّد الشيرازي قدس سره. وأعيان تلامذته كالسيد الفشاركي وغيره.

وفي لبنان، فإنَّ السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي قدس سره، صاحب كتاب «النص والاجتهاد» و«المراجعات»، ممن درس وتتلمذ في سامرّاء، وأما الشيخ محمد جواد مغنيه الكاتب الشهير فقد كتب آخر ملزمة من تفسير «الكاشف» في مدرسة السيد المجدّد بسامرّاء[٣].

---

(١) بلغت مؤلفات الشيخ اقا بزرك الطهراني التي ألفها في سامراء حوالي (١٣) مؤلف.

(٢) حتىٰ إن السيد حيدر والد السيد محمد باقر الصدر قدس سره قد ولد في سامرّاء، وكذا السيد هبة الدين الشهرستاني والشيخ محمد علي الكاظمي وغيرهم كثير من أعلام الكاظمية ممن ولدوا في سامرّاء.

(٣) وقد بلغت عدد العناوين المؤلفة في سامراء ما يزيد علىٰ (٣٠٠) عنوان.

هذا بعض ما يسعه المقام لخصوص هذه الفترة، وأما إذا وسعنا الدائرة الزمنية، فإنَّ الشيخ المفيد قدس سره يعتبر من أهل سامرّاء أيضاً نسبة إلى «تل عكبرا»، وهو تل في مدينة «عكبرا» التابعة لسامرّاء، وغيره من الأعلام ينتمون إلى تلك المدينة المباركة، حتى أن الرجالي الشهير النجاشي قد دفن في مطيراباد من أطراف سامراء ولعله كان مهاجراً إلى سامراء ومات هناك. وبعد هذا العرض الموجز أليس من حقنا أن نقول: إنَّ كل ما لدينا من سامرّاء؟ وأنا كلي أمل أننا وضعنا كل ما لدينا في الأيادي الأمينة من حملة الأقلام الشريفة والضمائر الحية ليقفوا مع سامرّاء العسكريين عليهما السلام موقفاً مشرفاً.

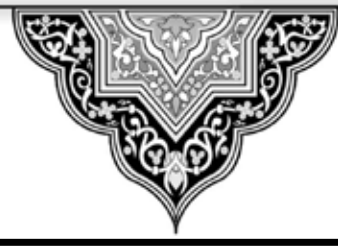
تنويه:

إن بحوث المؤتمر التي جمعت على ثلاثة أجزاء والتي بلغت أربعاً وأربعين بحثاً تعبّر عن رأي أصحابها، وقد جمعت بعنوان (**وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عَبَقُ النُبوةِ وعِمادُ السِّلمِ المُجتَمَعِي**) تعميماً للفائدة.



المحور الأوّل

علوم القرآن والحديث



البحث الأوّل

المضامين والدلالات القرآنية

في الزيارة الجامعة للإمام علي الهادي عليه السلام

أ.د. حسين علي المحنا

جامعة بابل

كلية الدراسات القرآنية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدَّمة:

الحمد لله الذي أنزلَ الكتابَ على محمدٍ عبدهِ ورسولِه ليكونَ للعالمين نذيرًا، وجعله داعيًا إليه وسراجًا منيرًا، وصلّى الله على آله الذين أذهب عنهم الرجسَ وطهَّرهم تطهيرًا.

أما بعد، فقد عَلَّمَ الإمامُ عليه السلام أتباعَه هذه الزيارة، وهي من أصحِّ الروايات سندًا وأعمقها موردًا وأفصحها لفظًا وأبلغها معنًى وأعلاها شأنًا، وهي العلقة الرائعة والوساطة الرفيعة بين العبد وربّه، حيث صدرت من عينٍ صافية، ونبعت من ينابيع الوحي والإلهام، وخرجت من ألسنة نواميس الدين ومعاقل الأنام.

وإذا ما أمعنا النظر في هذا النَّص المبارك نجد أنَّ كتابَ الله تعالى يمثِّلُ رصيدًا اقتباسيًّا عظيم المضمون سامي البيان، فالقرآن الكريم هو النّصُّ الخالد الذي يساير الزمانَ والمكانَ إلى يوم يبعثون، وهو البحر الذي لا ينضبُ ماؤهُ، والشجرةُ المعطاءُ التي لا تيبس، وقد أشار الإمام علي الهادي عليه السلام إلى هذا المضمون ـ من قبل ـ فعن أبي جعفر الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، قال:«أخبرنا جماعةٌ عن أبي المفضّل، قال: حدَّثنا يعقوب ابن السكِّيت النحوي، سألتُ أبا الحسن علي بن محمد ابن الرضا عليه السلام: ما بالُ القرآن لايزدادُ على النشر والدّرس إلّا غضاضةً؟ قال: إنَّ الله تعالى لم يجعله لِزمان دون زمان، ولا لناسٍ دون ناسٍ، فهو في كلِّ زمانٍ جديد، وعند كلِّ قومٍ غضٌّ إلى يوم القيامة»[1].

(١) عيون أخبار الرضا: ٢/ ٩٣؛ الأمالي الشيخ الطوسي: ٥٨٠.

وأجمِل بوصف الإمام زين العابدين عليه السلام (ت٩٥هـ) القرآن في صحيفته السجادية إذ قال في دعائه عند ختم القرآن: «اللهم إنَّكَ أعنتني على ختم كتابك الذي أنزلتَهُ نورًا، وجعلتَهُ مهيمنًا على كلِّ كتابٍ أنزلتَه، وفضَّلتَهُ على كلِّ حديثٍ قصصته، وفرقانًا فَرَقتَ به بين حلالك وحرامك، وقرآنًا أعربت به عن شرائع أحكامك، وكتابًا فصَّلتَهُ لعبادِكَ تفصيلًا، ووحيًا أنزلتَهُ على نبيِّك محمد صلواتك عليه وآله تنزيلًا»[١].

لذلك تنوّعت ـ كما سنرى ـ الأنساق القرآنية في هذه الزيارة إذ سنلمح المضامين والدلالات القرآنية النَّصية، والمضامين والدلالات القرآنية المحوّرة، وبعد قراءة هذه الزيارة قراءةً فاحصةً دقيقةً جاء البحث في مقدمة وتمهيد ومطلبين، ففي التمهيد تحدّثنا عن الزيارة الجامعة وسندها، وجاء المطلب الأول بعنوان المضامين والدلالات القرآنية النَّصيَّة، إذ وقفنا على النصوص القرآنية التي اقتبسها الإمام من كتاب الله (عزَّ وجلَّ) نصًّا حرفيًّا، وجاء الثاني بعنوان: المضامين والدلالات القرآنية المحورة إذ بدا لنا أنَّ الإمامَ قد أفاد من كتاب الله (عزَّ وجلَّ) وفي ضوء فهمه لهذا الكتاب وتدبره له نلمح التوظيف البياني للنصوص القرآنية في ظلِّ إفادته منها بوصفها استدلالاتٍ وأدلةً رائعةَ الحجةِ فائقةَ الدليلِ في هذه المسألة المهمة إذ نرصدُ التوظيف اللغوي والجماليّ في ظلّ كثرَةِ المضامين (الدلالات والمعاني) التي استطاع الإمامُ عليه السلام أن يقتفيها من كتاب الله، وهو أمرٌ مفروغٌ منه بوصفه من أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين ارتشفوا من معين كلامِ الله (جلّ وعلا) الذي يُعَدُّ دستورًا عظيمًا للمسلمين.

وهذا ما ألَمَحَ إليه الإمام الرضا عليه السلام بقوله: «أنّهُ المهيمنُ على الكتب كلِّها، وأنّهُ حقٌّ من فاتحته إلى خاتمته، نؤمن بمحكمه ومتشابهه، وخاصّه وعامّه، ووعده ووعيده، وناسخه ومنسوخه، وقصصه وأخباره، لا يقدر أحدٌ من المخلوقين أن يأتيَ بمثله»[٢].

---

(١) الصحيفة السجادية: ١٧٤ دعاء ٤٢، مصباح المتهجد: ٥١٩.

(٢) عيون أخبار الرضا: ٢/ ١١٢ .

حاول الإمام عليه السلام إرساء معالم ثقافية قرآنية فيما أُثِرَ عنه من تراث عبر التنبيه على مرجعية القرآن الكريم بوصفه الحصانة الأولى في المجتمع، فكان داعيًا إلى استنطاق القرآن حتى يصطبغ المجتمع آنذاك وفيما بعد بالأدب القرآني.

التمهيد:

تعدُّ هذه الزيارة من أهمِّ الزيارات المروية عن الإمام عليه السلام لما فيها من دقة التعبير، وجمال الأسلوب، وعمق المضمون[١]، وهي من أشهر الزيارات وأعلاها شأنًا، وأكثرها ذيوعًا[٢].

إنَّ هذه الزيارة الجامعة اشتهرت حتى استغنت باشتهارها عن ذكر إثباتها وبيان سندها فكانت متلقاة عند الجميع بالقبول من غير معارض فيها، ولا رادّ لها مع ما كانت مشتملة عليه من المعاني الغريبة والأسرار المستصعبة العجيبة والألفاظ البليغة والأمور البديعة والأسرار المنيعة والأحوال الشريفة الرفيعة التي تشهد للعقل السليم بصحة ورودها عن الإمام عليه السلام، وهذه الزيارة رواها الصدوق في (الفقيه) ورواها الشيخ في (التهذيب) عنه، قال محمد بن علي بن الحسين بن بابويه عن علي بن أحمد بن موسى، والحسين بن إبراهيم بن أحمد الكاتب، عن محمد ابن أبي عبد الله الكوفي عن محمد بن إسماعيل البرمكي، قال: حدّثنا موسى بن عبد الله النخعي، قال: قلتُ لعلي بن محمد بن علي بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام: علّمني يا ابن رسول الله قولًا أقوله بليغًا كاملًا إذا زُرتُ واحدًا منكم[٣].

وبعد أن أفردَ الأحسائي لكلِّ راوٍ من رواة هذه الزيارة بالحديث مبينًا أقوال

---

(١) موسوعة المصطفى صلى الله عليه وآله والعترة: ١٢/ ٧٨.

(٢) ينظر: حياة الإمام الهادي عليه السلام: ١٧٠، والسناء في سيرة إمام سامراء: ٢٩١.

(٣) ينظر: شرح الزيارة الجامعة الكبيرة: ١/ ٢٠ .

رجال الحديث، وأصحاب الجرح والتعديل فيه، قال: «بل كلّ ما يحصل للمتقدمين من القرائن تصل إلينا أو بدلها من وجود الكريم الوهاب ولتلقي الفرقة المحقّة لها بالقبول حتّىٰ لا تجد، ولا تسمع منكرًا لها ولا متوقفًا فيها، بل لو أراد البصير الناقد أن يدّعي الإجماع علىٰ صحّتها الكاشف عن قول المعصوم عليه السلام أمكنه ذلك مع ما اشتملت عليه ألفاظها من البلاغة والفصاحة والمعاني والأسرار التي يقطع العارفُ بها أنها كلام المعصوم عليه السلام ولا يصدر مثلها عن غيره»[1].

المطلب الأول: المضامين والدلالات القرآنية المباشرة :

لاجرمَ أنَّ القرآن الكريم يمثّل الطريق الأمثل والسبيل الأسمىٰ لأهل الأرض نحو الفضيلة، لذا وجب علىٰ المسلم (متلقي النَّص) أن يفهَمَ ما في هذا النَّص المعجز من مضامين إلهيّة، وقوانين سماوية، وثوابت عقدية كي يستطيع أداء المطلب الإلهي منه في سبيل الوصول إلىٰ مرحلة التكامل المرجوَّة والنتائج المنشودة له .

وَزَهَرَ الكتابُ العزيز في خطابات آل البيت، وتنوّعت تقنيات الاقتباسات، وتلوّنت وهي تمثِّل أنساقًا وأنماطًا من الأثر القرآني، وعند استقراء موروث الإمام الهادي عليه السلام، فإنا نلحظ كثرة المقتبسات القرآنية التام منها والمجتزء بحسب ما يقتضيه المقام .

ويتجلّىٰ هذا النسق في ظل الاستثمار القرآني النَّصي (المباشر) بمعنىٰ الاستشهاد بالنَّص القرآني مباشرة، وتكاد تمثِّل القرآنية النَّصيّة (المباشرة) النسبة القليلة في هذا النَّص، ويُستعمل هذا النمط في ضوء ذكر الموضوع، أو القضية المراد إيضاحها بنصٍّ قرآنيّ، وهو أسلوب حجاجيّ عظيم الأثر، ووسيلة من وسائل إقناع المتلقي، وإيصال الفكرة إليه .

ونبصرُ الأثر القرآني المباشر في الزيارة الجامعة في قوله عليه السلام: «وعباده المكرمين

---

(١) ينظر: شرح الزيارة الجامعة الكبيرة: ١/ ٢٤، ٢٥.

الذين لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون» [١].

ففي النَّص قرآنية مباشرة مما لا يخفى مع قوله جلَّ شأنُه: ﴿**لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**﴾[٢].

ونلحظُ التّناصَّ القرآنيّ المباشر في قول الإمام عليه السلام: «وأشهدُ أنَّ محمدًا عبده المنتجب أرسله بالهدى ودين الحقِّ ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون» [٣].

فهو استشراف من قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ [٤].

إنَّ ظهور القرآن في خطابات الأئمة عليهم السلام، ونصوصهم الإبداعية، وتغلغله فيها أمرٌ لا يُستثنى منه خطاب من خطاباتهم، فَهُم والقرآن صنوان لا يفترقان كيف لا وهُم عِدلُ القرآن، وهذا ما قرّره الرسولُ الأكرم صلى الله عليه وآله في حديث الثقلين: «إنّي تركتُ فيكم ما إن أخذتُم به فلن تضلّوا بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي» [٥].

إنَّ هذا الأمر ساعدَ المتلقي على فَهم خلفية النَّص المرسَل بوصفِ القرآن مرجعًا عامًّا للمسلمين، وأتاح للإمام عليه السلام أن يشكِّلَ صورةً منه بما يتوافق وتلك الخلفية مع احترازه من تجاوز المتلقي ممّا يحقّق الإبداع، ويسهم في إشراك المتلقي في اتّساع أبعاد النَّص المنتج [٦].

وتظهر القرآنية النَّصيّة بجلاء في قول الإمام عليه السلام: «اَشْهَدُ اَنْ لا إلـهَ اِلاَّ اللهُ

---

(١) مسند الإمام علي الهادي عليه السلام: ٢٤٨.

(٢) الأنبياء:٢٧.

(٣) مسند الإمام علي الهادي عليه السلام: ٢٤٨.

(٤) التوبة:٣٣.

(٥) سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٤/ ٣٥٥.

(٦) ينظر: القرآنيات في علويات الشيخ صالح الكواز الحلي :٢.

وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ كَما شَهِدَ اللهُ لِنَفْسِهِ وَشَهِدَتْ لَهُ مَلائِكَتُهُ وَاُولُو الْعِلْمِ مِنْ خَلْقِهِ، لا اِلـهَ اِلاّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكيمُ، وَاَشْهَدُ اَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ الْمُنْتَجَبُ، وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضىٰ، اَرْسَلَهُ بِالْهُدىٰ وَدينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ»[١].

تبدّىٰ لنا استشهار الإمام لقوله تعالىٰ: ﴿**هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾[٣].

ونرصد القرآنية النَّصيّة في قول الإمام عليه السلام: «آتاكم الله ما لم يؤتِ أحدًا من العالمين»[٤] فقد استشرف الإمام هذا من قوله تعالىٰ: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ**﴾[٥].

يمثِّل النَّص المقدس في موروث آل البيت حضورًا واسعاً، فهو أكثر المنابع استشرافًا واستلهامًا فيه، فاستدعاء النَّص المقدّس في هذه الزيارة جاء من أجل الوصول إلىٰ السلالم العاليات في عملية التفاعل والتواصل لمعرفة الإمام بقدسية هذا النَّص لدىٰ المتلقي واحترامه له بلحاظ أنّه نصٌّ ديني حاز الإعجاب والرفعة والعلو .

ومن الأقتباسات القرآنية المباشرة ما يظهر لنا في قول الإمام عليه السلام: «اَشْهَدُ اَنَّ هذا سابِقٌ لَكُمْ فيما مَضىٰ، وَجارٍ لَكُمْ فيما بَقِيَ، وَاَنَّ اَرْواحَكُمْ وَنُورَكُمْ وَطينَتَكُمْ واحِدَةٌ، طابَتْ وَطَهُرَتْ بَعْضُها مِنْ بَعْض، خَلَقَكُمُ اللهُ اَنْواراً فَجَعَلَكُمْ بِعَرْشِهِ مُحْدِقينَ حَتّىٰ

---

(١) مسند الإمام الهادي عليه السلام: ٢٤٨.

(٢) آل عمران :٦.

(٣) التوبة :٣٣.

(٤) مسند الإمام الهادي :٢٤٨.

(٥) المائدة:٢٠.

مَنَّ عَلَيْنا بِكُمْ، فَجَعَلَكُمْ في بُيُوت اَذِنَ اللهُ اَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فيهَا اسْمُهُ، وَجَعَلَ صلاتنا عَلَيْكُمْ وَما خَصَّنا بِهِ مِنْ وِلايَتِكُمْ طيباً لِخَلْقِنا، وَطَهارَةً لِانْفُسِنا، وَتَزْكِيَةً لَنا، وَكَفّارَةً لِذُنُوبِنا»[1].

فقد وظّف الإمام النَّصَّ القرآني واستثمر قوله تعالى: ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ**﴾[2].

وإنَّ التأكيد على المنظومة الأخلاقية القرآنية العظيمة يؤدي إلى الوصول إلى المبتغى الإلهي، وهو السبيل إلى الحقيقة، وما بذله الإمام من جَهدٍ ارتبط ارتباطًا وثيقًا بالمفاهيم القرآنية الواسعة التي أفضت إلى تكشيف الحقائق وسطوعها أمام الناظرين.

وقد سعى الإمام عليه السلام إلى هذا الاستثمار القرآني الذي يتّسع في مواطن كثيرة في الزيارة الجامعة مما يُنبأ عن أهداف الإمام في إيصال أفكاره وتأكيد منهجه الذي ورثه عن آبائه وجدّه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، ويتجلّى هذا في قوله عليه السلام: «عصمكم من الزلل وآمنكم من الفتن وطهّركم من الدنس وأذهب عنكم الرجس وطهّركم تطهيرًا»[3] استشرافًا بقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[4].

ونبصر الاستثمار القرآني في هذا النص فتتعالى فيه المضامين والدلالات القرآنية ونجد الإمام يؤكد مبتغاه في شدِّ انتباه المتلقي حين يكثّف استعماله لآي الذكر الحكيم من أجل تعزيز فكرةٍ أوتحقيق هدفٍ، ويتواشج نصَّ الباحث مع النصّ القرآني بأسلوب يبهر المتلقي، فنجاح عملية التواصل تقتضي معرفة المخاطب وتعيينه، فهو

---

(١) مسند الإمام علي الهادي عليه السلام: ٢٤٩ .

(٢) النور :٣٦.

(٣) مسند الإمام علي الهادي عليه السلام: ٢٤٨ .

(٤) الأحزاب:٣٣.

يمثّل الساند الثالث لاكتمال الوظيفة التواصلية لخطابٍ ما[١]. ويظهر هذا في قوله عليه السلام: «وَبِمُوالاتِكُمْ تَمَّتِ الْكَلِمَةُ، وَعَظُمَتِ النِّعْمَةُ، وَائْتَلَفَتِ الْفُرْقَةُ، وَبِمُوالاتِكُمْ تُقْبَلُ الطّاعَةُ الْمُفْتَرَضَةُ، وَلَكُمُ الْمَوَدَّةُ الْواجِبَةُ، وَالدَّرَجاتُ الرَّفيعَةُ، وَالْمَقامُ الْمَحْمُودُ، وَالْمَكانُ الْمَعْلُومُ عِنْدَ الله عَزَّوَجَلَّ، وَالْجاهُ الْعَظيمُ، وَالشَّأنُ الْكَبيرُ، وَالشَّفاعَةُ الْمَقْبُولَةُ، رَبَّنا آمَنّا بِما اَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنا مَعَ الشّاهِدينَ، رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ اِذْ هَدَيْتَنا وَهَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً اِنَّكَ اَنْتَ الْوَهّابُ، سُبْحانَ رَبِّنا اِنْ كانَ وَعْدُ رَبِّنا لَمَفْعُولاً، يا وَلِيَّ الله اِنَّ بَيْنى وَبَيْنَ الله عَزَّوَجَلَّ ذُنُوباً لا يَأتى عَلَيْها اِلاّ رِضاكُمْ»[٢].

ومما يُلفت الانتباه أنَّ الإمام وظَّف النَّصَّ القرآني في هذا الموطن بطريقة تنماز عن أسلوبه السابق حيث عزَّزَ النَّصَّ بثلاث آيات بطريقة متتابعة، فقد استثمر قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ**﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ**﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿**وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا**﴾[٥].

ولابدّ من القول: إنَّ الأقتباسات القرآنية في هذا النَّص تنوعت بين آية غير مجتزئة وآية مجتزئة بحسب ما يقتضيه الموقف وما تدعو إليه الحاجة على أنَّ الاستشهاد بالنَّص القرآني يدعو إلى معاينة النَّص للوصول إلى المراد التام وتحقيق الهدف المنشود .

المطلب الثاني: المضامين والدلالات القرآنية المحوّرة :

من الأنماط القرآنية التي وظّفها الإمام عليه السلام في الزيارة الجامعة الاستعمال

---

(١) الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي: ٩١.

(٢) مسند الإمام الهادي عليه السلام: ٢٥٢ .

(٣) آل عمران :٥٣.

(٤) آل عمران :٨.

(٥) الاسراء :١٠٨.

القرآني غير المباشر (المحوّر) وهو استثمار قرآني غير نصّي، فنلحظ المضامين والدلالات القرآنية التي تمكَّن الإمام من اقتناصها من النَّص القرآني، واعتماده كلمات محوريّة وظَّفها توظيفًا ينمُّ عن قدرته البارعة في تطريز خطابه بالكلام الإلهي، ففي حديث الإمام عن آل البيت عليهم السلام، قال: «اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا اَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الْمَلائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ، وَخُزّانَ الْعِلْمِ، وَمُنْتَهَى الْحِلْمِ، وَاُصُولَ الْكَرَمِ، وَقادَةَ الاُمَمِ، وَاَوْلِياءَ النِّعَمِ، وَعَناصِرَ الاَبْرارِ، وَدَعائِمَ الاَخْيارِ، وَساسَةَ الْعِبادِ، وَاَرْكانَ الْبِلادِ، وَاَبْوابَ الاِيمانِ، وَاُمَناءَ الرَّحْمنِ، وَسُلالَةَ النَّبِيّينَ، وَصَفْوَةَ الْمُرْسَلينَ، وَعِتْرَةَ خِيَرَةِ رَبِّ الْعالَمينَ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكاتُهُ»[1] ونلحظ الاستثمار القرآني لقوله تعالى: ﴿**قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا**﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا**﴾[4]. وفي ظل استقراء تراث الإمام علي الهادي عليه السلام نبصر المضامين والدلالات القرآنية تقطر وتفيض، والقرآن الكريم (من جهة الأدب غاية الجمال، ومن جهة الفضيلة غاية الخير، ومن جهة الفلسفة غاية الحق)[5].

وإنَّ للقرآن أسلوبه في تفجير كلّ مستويات اللغة التركيبية واستغلال طاقتها في إقامة علاقات غير متوقعة بين العناصر التي تتشكّل منها الجمل، وتظهر لنا قدرة

---

(١) مسند الإمام علي الهادي عليه السلام: ٢٤٧.

(٢) هود :٧٣.

(٣) مريم:٥٨.

(٤) الأحزاب:٧.

(٥) ينظر: تأريخ القرآن وعلومه: ٢، ومناهج تفسير النَّص القرآني: ٧٠، ٧١ .

الإمام في التصرف بالجملة القرآنية وإعادة صياغتها بحسب مقتضيات الموقف[١]. ويتبدّى لنا هذا في قوله عليه السلام: «اَلسَّلامُ عَلىٰ اَئِمَّةِ الْهُدىٰ، وَمَصابيحِ الدُّجىٰ، وَاَعْلامِ التُّقىٰ، وَذَوِى النُّهىٰ، وَاُولِى الْحِجىٰ، وَكَهْفِ الْوَرىٰ، وَوَرَثَةِ الاَنْبِياءِ، وَالْمُثَلِ الاَعْلىٰ، وَالدَّعْوَةِ الْحُسْنىٰ، وَحُجَجِ اللهِ عَلىٰ اَهْلِ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَالاُولىٰ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ»[٢].

واستشرافًا بقوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ**﴾[٣]. وقوله: ﴿**فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾[٤] وقوله جلَّ شأنُه: ﴿**وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ**﴾[٥].

ويظهر أثرُ القرآن الكريم واضحًا في كلام الإمام، فقد أراد أن يوظِّفَ النَّصَّ القرآنيَّ ليصلَ إلى أعلى درجات البيان ومراقي الوضوح .

إنَّ التأكيدَ على المنظومة الأخلاقية القرآنية العظيمة والمتحدة الأجزاء تؤدي إلى التقدم والانفتاح، والتطور الشامل والمتعدد الأبعاد، وإنَّ مثل هذه الجهود المبذولة بحثًا عن المفاهيم القرآنية الواسعة تكشف الميادين والحقول الخصبة لتحرِّك إنتاج العلم الديني وفاعليته، إذ يصبح الدين والعلم الديني على إثرها منبعًا زلالًا جاريًا متواصلًا باستمرار .

---

(١) ينظر: الأثر القرآني في نهج البلاغة دراسة في الشكل والمضمون: ٨٤، وإعجاز القرآن للباقلاني: ٣٥ـ٣٨.

(٢) ينظر: فلسفة مرجعية القرآن المعرفية في إنتاج المعرفة الدينية: ٥٧، والأثر القرآني في الخطاب الديني عند رضي الدين علي ابن طاوُس الحلي: ٢٨ .

(٣) سورة الأنبياء:٧٣.

(٤) سورة فصلت:١٢.

(٥) سورة الملك:٥.

إنَّ النَّصَّ القرآني ذو أثرٍ مستمرٍّ وفاعل في النصوص والخطابات والمقولات، ولاسيما في مدونات ونصوص أهل البيت عليهم السلام فهو يشكل حضورًا دلاليًّا، ومرتكزًا فاعلًا في مدوناتهم، ويتجلى هذا الأمر بوضوح في قول الإمام علي عليه السلام في النهج: «وَاعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغُشُّ وَالْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ وَالْمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ وَمَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ زِيَادَةٍ فِي هُدًى أَوْ نُقْصَانٍ مِنْ عَمًى. وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ وَلَا لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنًى، فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَائِكُمْ وَاسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لَأْوَائِكُمْ، فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ وَهُوَ الْكُفْرُ وَالنِّفَاقُ وَالْغَيُّ وَالضَّلَالُ. فَاسْأَلُوا اللهَ بِهِ وَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ وَلَا تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ. إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ الْعِبَادُ إِلَى اللهَ تَعَالَى بِمِثْلِهِ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ وَقَائِلٌ مُصَدَّقٌ وَأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُفِّعَ فِيهِ، وَمَنْ مَحَلَ بِهِ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُدِّقَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلًى فِي حَرْثِهِ وَعَاقِبَةِ عَمَلِهِ غَيْرَ حَرَثَةِ الْقُرْآنِ فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِهِ وَأَتْبَاعِهِ وَاسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ وَاسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَاتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ وَاسْتَغِشُّوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ»[1].

إذْ إنَّ القرآن هو المصدر الأول في الزيارة الجامعة، فالإمام اتّصل بالقرآن الكريم منذ صغره وانكبَّ على حفظه وفهمه وتدبر معانيه، ونرصدُ المضامينَ القرآنية في قوله عليه السلام: «السلام على الدعاة إلى الله والأدلاء على مرضات الله والمستقرّين في أمر الله والتّامين في محبة الله والمخلصين في توحيد الله والمظهرين لأمر الله ونهيه وعباده المكرمين الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ورحمة الله وبركاته»[2].

حيث استثمر الإمامُ قولَهُ تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا**﴾[3]، وقوله:

---

(١) نهج البلاغة: ٢/ ٩١، ٩٢.

(٢) مسند الإمام علي الهادي عليه السلام: ٢٥١.

(٣) سورة الإسراء: ٥٧.

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾(١). وقوله: ﴿لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾(٢).

وفي ظل استقراء نصِّ الزيارة الجامعة نلحظ الأثر القرآني في قوله عليه السلام: «وَصَبَرْتُمْ عَلىٰ ما اَصابَكُمْ في جَنْبِهِ، وَاَقَمْتُمُ الصَّلاةَ، وَآتَيْتُمُ الزَّكاةَ، وَاَمَرْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَيْتُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَجاهَدْتُمْ في اللهِ حَقَّ جِهادِهِ حَتّىٰ اَعْلَنْتُمْ دَعْوَتَهُ، وَبَيَّنْتُمْ فَرائِضَهُ، وَاَقَمْتُمْ حُدُودَهُ، وَنَشَرْتُمْ شَرايِعَ اَحْكامِهِ، وَسَنَنْتُمْ سُنَّتَهُ، وَصِرْتُمْ في ذٰلِكَ مِنْهُ اِلَى الرِّضا، وَسَلَّمْتُمْ لَهُ الْقَضاءَ، وَصَدَّقْتُمْ مِنْ رُسُلِهِ مَنْ مَضىٰ»(٣).

فهو استشراف من مواضع عدّة كقوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾(٥)، وقوله: ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(٦)، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾(٧).

ويظهر استثمار الألفاظ القرآنية في هذا النَّص بشكل جلي ففي قوله عليه السلام: «فَكُنّا عِنْدَهُ مُسَلِّمينَ بِفَضْلِكُمْ، وَمَعْرُوفينَ بِتَصْديقِنا اِيّاكُمْ، فَبَلَغَ اللهُ بِكُمْ اَشْرَفَ مَحَلِّ الْمُكَرَّمينَ، وَاَعْلىٰ مَنازِلِ الْمُقَرَّبينَ، وَاَرْفَعَ دَرَجاتِ الْمُرْسَلينَ، حَيْثُ لا يَلْحَقُهُ لاحِقٌ، وَلا يَفُوقُهُ فائِقٌ، وَلا يَسْبِقُهُ سابِقٌ، وَلا يَطْمَعُ في اِدْراكِهِ طامِعٌ، حَتّىٰ لا يَبْقىٰ مَلَكٌ

---

(١) سورة الحجر: ٤٠.

(٢) سورة الأنبياء: ٢٧.

(٣) المصدر نفسه: ٢٤٩.

(٤) سورة الرعد: ٢٤.

(٥) سورة النحل: ١٢٦.

(٦) سورة النساء: ١٦٢.

(٧) سورة العنكبوت: ٦٩.

مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَلا صِدّيقٌ وَلا شَهيدٌ، وَلا عالِمٌ وَلا جاهِلٌ، وَلا دَنِيٌّ وَلا فاضِلٌ، وَلا مُؤْمِنٌ صالِحٌ، وَلا فاجِرٌ طالِحٌ، وَلاجَبّارٌ عَنيدٌ، وَلا شَيْطانٌ مَريدٌ، وَلا خَلْقٌ فيما بَيْنَ ذلِكَ شَهيدٌ اِلاّ عَرَّفَهُمْ جَلالَةَ اَمْرِكُمْ، وَعِظَمَ خَطَرِكُمْ، وَكِبَرَ شَأنِكُمْ وَتَمامَ نُورِكُمْ، وَصِدْقَ مَقاعِدِكُمْ، وَثَباتَ مَقامِكُمْ، وَشَرَفَ مَحَلِّكُمْ وَمَنْزِلَتِكُمْ عِنْدَهُ، وَكَرامَتَكُمْ عَلَيْهِ، وَخاصَّتَكُمْ لَدَيْهِ، وَقُرْبَ مَنْزِلَتِكُمْ مِنْهُ»[1] نبصُر التعالق والتواشج بين النَّص القرآني وهذا النَّص حيث استثمر الإمام قوله تعالى: ﴿**وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ**﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿**وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ**﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ**﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿**فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ**﴾[5].

لقد تمكَّن الإمامُ من تكثيف المضامين والدلالات القرآنية في هذه الزيارة، والتي تظهر بجلاء في قوله: «وبقية الله وخيرته وحزبه وعيبة علمه وحجته وصراطه ونوره وبرهانه ورحمة الله وبركاته» [6]. إذ استثمر قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[7]، وقوله: «**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[8]، وقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا**

(١) مسند الإمام علي الهادي عليه السلام: ٢٤٩، ٢٥٠ .

(٢) سورة هود :٥٩.

(٣) سورة إبراهيم :١٥.

(٤) سورة الحج :٣.

(٥) سورة القمر :٥٥.

(٦) مسند الإمام علي الهادي عليه السلام: ٢٥٢ .

(٧) سورة المجادلة:٢٢.

(٨) سورة الأنعام:١٥٣.

النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾[١]، وقوله: ﴿**رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**﴾[٢].

وكان الإمام علي الهادي عليه السلام شديد التأثر بالقرآن الكريم، فقد عمل على ترسيخ الثقافة القرآنية في أذهان المتلقين، وهذه سمة بارزة في هذا النَّص وفي كلِّ ما تركه لنا من موروث، ومن تأثره بكتاب الله عزَّ وجلَّ قوله: «وَ جَعَلَنِي مِمَّنْ يَقْتَصُّ آثارَكُمْ، وَيَسْلُكُ سَبيلَكُمْ، وَيَهْتَدِي بِهُداكُمْ، وَيُحْشَرُ في زُمْرَتِكُمْ، وَيَكِرُّ في رَجْعَتِكُمْ، وَيُمَلَّكُ في دَوْلَتِكُمْ، وَ يُشَرَّفُ في عافِيَتِكُمْ، وَيُمَكَّنُ في اَيّامِكُمْ، وَتَقِرُّ عَيْنُهُ غَداً بِرُؤْيَتِكُمْ، بِاَبِي اَنْتُمْ وَاُمّي وَنَفْسي وَاَهْلي وَمالي، مَنْ اَرادَ اللهَ بَدَأَ بِكُمْ، وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُمْ، وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ» [٣].

ويبدو في ظلِّ المتقدم أنَّ الإمام قد عايَنَ المضامين والدلالات القرآنية معاينةً دقيقةً فاحصة استشرافًا بقوله تعالى: ﴿**قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا**﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿**وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ**﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿**إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى**﴾[٦].

وتتعالى الدلالات والمضامين القرآنية، وتشرق في هذا النَّص كما هو الحال

---

(١) سورة النساء:١٧٤.

(٢) سورة هود:٧٣.

(٣) مسند الإمام علي الهادي عليه السلام: ٢٥١ .

(٤) سورة الكهف:٦٤.

(٥) سورة الزمر :٧٣.

(٦) سورة طه :٤٠.

في قوله: «كما شهد الله لنفسه وشهدت له ملائكته وأولو العلم من خلقه لا إله إلّا هو العزيز الحكيم»[٧]. إذ استوحى الإمامُ عليه السلام المضامين القرآنية من قوله تعالى: ﴿**شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[٨].

ولا يخفى أنَّ الإمامَ أرادَ أن يقاربَ المجالات التداولية للواقع المَعيش بمعنى أنَّهُ أراد أن يوظِّفَ المتخيَّلَ القرآني في خطابه للوصول إلى أعلى درجات البيان، ومراقي الوضوح، ومن هنا فإنَّ الإمامَ في ظل ذوبانه في كتاب الله حفظًا وتدبرًا وفَهمًا، فقد حشَّدَ في هذا النَّص مضامين ودلالات مرجعها كتاب الله، فَهُم عليهم السلام الشجرة المباركة والعلم الزاهر والبحر الزاخرالذي ليس له آخر، فقد زَهَرَ الكتابُ العزيز في خطاب أئمة أهل البيت عليهم السلام، ويتجلى هذا في قوله عليه السلام: «دعوتم إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة وبذلتم أنفسكم في مرضاته»[٩]، استشرافًا واستيحاءً بقوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾[١٠].

ونرصد المضامين والدلالات الموظفة في قول الإمام عليه السلام: «وصبرتم على ما أصابكم في جنبه وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر وجاهدتم في الله حقَّ جهاده» [١١].

إذ وظَّفَ الإمامُ قولَ الله تعالى: ﴿**وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ**

---

(٧) مسند الإمام علي الهادي عليه السلام: ٢٤٧.

(٨) سورة آل عمران:١٨.

(٩) مسند الإمام علي الهادي عليه السلام: ٢٤٨.

(١٠) سورة النحل:١٢٥.

(١١) مسند الإمام علي الهادي عليه السلام: ٢٤٨.

﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾(١)، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٢)، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾(٣).

ونبصرُ الاستشهارَ القرآني في النمط المحوَّر في قول الإمام عليه السلام: «وفصل الخطاب عندكم وعزائمه فيكم ونوره وبرهانه عندكم وأمره إليكم»(٤). استرفادًا واستشرافًا بقوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾(٥)، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾(٦).

ويظهرُ استشهارُ الألفاظ القرآنية في هذا النَّص بشكلٍ جليّ، ففي قوله عليه السلام: «وبرئتُ إلى الله عزَّ وجل من أعدائكم من الجبت والطاغوت، والشياطين وحزبهم الظالمين لكم والجاحدين لحقِّكم»(٧).

ولقد استوحى الإمامُ هذه الدلالات والمضامين من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾(٨)، وقوله: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾(٩).

---

(١) سورة النحل:١٢٧.

(٢) سورة البقرة:٢٧٧.

(٣) سورة العنكبوت:٦٩.

(٤) مسند الإمام علي الهادي عليه السلام: ٢٤٨.

(٥) سورة سورة ص:٢٠.

(٦) سورة النساء:١٧٤.

(٧) مسند الإمام علي الهادي عليه السلام: ٢٤٨.

(٨) سورة النساء: ٥١.

(٩) سورة المجادلة: ١٩.

ويتجلّى أثرُ القرآن ويُزهرُ في خطابات الإمام الهادي عليه السلام، إذ نجد المفاهيم القرآنية، والدلالات المضمونية القرآنية حاضرةً فيها، فقد استثمر الإمامُ هذا الأثر العظيم، وعَبَّرَ عن هذا التعالق والتواشج بكلام ربِّ العزَّة بقوله: «والغاصبين لإرثكم والشاكّين فيكم والمنحرفين عنكم ومن كلِّ وليجةٍ دونكم وكلّ مطاعٍ سواكم ومن الأئمة الذين يدعون إلى النار» (١).

إذْ استوحى الإمامُ هذه الدلالات من قوله تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ**﴾(٣).

وقد تأثَّرَ البيانيون بالقرآن الكريم، لا سيّما حَمَلَتُهُ وحلفاؤه أهل البيت عليهم السلام، فحفظوه وتدبروا آياته، فَهُم كتاب الله الناطق، ولمّا كان الإمامُ الهادي من تلك الشجرة المباركة، فقد حَذا حَذوَ آبائه وأجداده في التمسك بكتاب الله والعمل به، إذ أثَّرَ في حياته وسلوكه وخطابه، ولو تأمّلنا قولَه عليه السلام: «بكم فتح وبكم يختم وبكم ينزل الغيث وبكم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه وبكم ينفس الهم ويكشف الضر»(٤). لعلمنا أنَّ الإمامَ قد استشرفَ قولَ الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا**﴾(٥)، وقوله: ﴿**فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا**

(١) مسند الإمام علي الهادي عليه السلام: ٢٤٩.

(٢) سورة التوبة:١٦.

(٣) سورة القصص:٤١.

(٤) مسند الإمام علي الهادي عليه السلام: ٢٥٠.

(٥) سورة فاطر:٤١.

وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾[١].

وإنَّ الزيارةَ الجامعة من النِّصوص الإبداعية التي توسّمَ مبدعُها امتدادًا قرآنيًّا في داخل منتجه الذي يتوجّه به نحو الله تعالىٰ، وهو ما يُظهرُ أصالة التّناص القرآني في تراث آل البيت، وكانوا في كلِّ ذلك يعمدون إلىٰ إحداث علائقية مع القرآن بمختلف مستوياته من المفردة إلىٰ التركيب الضام للآية[٢].

ويتجلّىٰ الاستثمارُ القرآني غير المباشر في قوله عليه السلام: «وذَلَّ كلّ شيءٍ لكم وأشرقت الأرضُ بنوركم وفاز الفائزون بولايتكم»[٣]. استشرافًا بقوله تعالىٰ: ﴿**وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾[٤].

لقد أعاد الإمامُ إحداث بنية جديدة، أو نسق بنائي ألفاظه قرآنية في المقام الأول، إذ نجد هذه المضامين والدلالات القرآنية طافيةً علىٰ سطح النَّص، ويتجسَّد هذا في قوله: «أخرجنا من الذِّل وفرَّجَ عنَّا غمراتِ الكروب وأنقذنا بكم من شفا جرف الهلكات» [٥].

وتبدّىٰ لنا أنَّ الإمامَ عليه السلام استدعىٰ في قوله هذا قولَ الله تعالىٰ: ﴿**وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ**﴾[٦]، وقوله:

---

(١) سورة الأنبياء: ٨٤.

(٢) ينظر: القرآنية في دعاء الإمام الحسين عليه السلام في عرفة: ٥.

(٣) مسند الإمام الهادي عليه السلام: ٢٥٠، ٢٥١.

(٤) سورة الزمر: ٦٩.

(٥) مسند الإمام علي الهادي عليه السلام: ٢٥١ .

(٦) سورة الشورىٰ: ٤٥.

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[١].

وتتجلّى الدلالات والمضامين القرآنية في قول الإمام: «بموالاتكم تمت الكلمة وعظمت النعمة وائتلفت الفرقة»[٢]. لقد استوحى الإمام عليه السلام هذا من قول الله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾[٣]، وقوله: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٤]، وقوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٥].

وتظهر لنا المضامين والدلالات القرآنية في قول الإمام عليه السلام: «صيِّروني في حزبكم وأدخلوني في شفاعتكم واذكروني عند ربكم»[٦]. فقد استثمر الإمامُ قولَ الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[٧]، وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾[٨]، وقوله: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾[٩].

---

(١) سورة التوبة: ١٠٩.

(٢) مسند الإمام علي الهادي عليه السلام: ٢٥٢.

(٣) سورة هود: ١١٩.

(٤) سورة النحل: ١٨.

(٥) سورة الأنعام: ١٥٣.

(٦) من لا يحضره الفقيه: ٢/ ٦٠٩.

(٧) سورة المائدة: ٥٦.

(٨) سورة طه: ١٠٩.

(٩) سورة يوسف: ٤٢.

خاتمة البحث ونتائجه :

بعد هذه الرحلة المباركة في رحاب الزيارة الجامعة آن لنا أن نذكر أبرز النتائج التي توصّلنا إليها:

أولاً: تنوعت الأنساق القرآنية بين مضامين ودلالات قرآنية نصّية، ومضامين ودلالات قرآنية موظفة، وهذا التنوّع يدلُّ على ذوبان الإمام في كتاب الله تعالى .

ثانياً: تبدى لنا أن المضامين والدلالات المحوّرة قد شغلت الحيّز الأكبر في الزيارة الجامعة، وهو ملمح أدائي وأسلوبي يُظهِرُ مدى اتصال الإمام بكتاب الله تعالى وتمكنه الباصر منه فهمًا وتدبرًا واستنطاقًا .

ثالثاً: تمكّن الإمامُ من استثمار المعجم القرآني في توظيف الدلالات التي استشرفها في الزيارة الجامعة، ومن المعلوم أنَّ الشاهد القرآني قطعيّ الدلالة في بيان مراد الله تعالى .

رابعًا: إتكأ الإمامُ على المرجعية القرآنية ليوصل أفكاره ويؤكدها لدى المتلقي لأنها تُضفي على النَّص المقبولية فضلًا عن السعة والرحابة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين وصلى الله على محمدٍ وعلى آله الطيبين الطاهرين .

روافد البحث:

ـ الأثر القرآني في الخطاب الديني عند ابن طاوُس الحلي، د. رحيم كريم الشريفي، د. حسين علي الفتلي، مجلة المحقق، المجلد الأول، العدد الثاني، ١٤٣٨ هـ ١٩٩٩م.

ـ الأثر القرآني في نهج البلاغة دراسة في الشكل والمضمون، عباس علي حسين الفحام، العتبة العلوية المقدسة، العراق، النجف الأشرف، ٢٠١٢ م .

ـ إعجاز القرآن للباقلاني أبي بكر محمد بن الطيّب (ت٤٠٣هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط٣، دار المعارف بمصر .

ـ تأريخ القرآن وعلومه، الدكتور سيروان عبد الزهرة الجنابي، ط١، دار الأمير، النجف الأشرف، ١٤٣٧هـ ٢٠١٦م .

ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠ه)، تحقيق: صدقي جميل العطار، منشورات دار الفكر، ١٤١٥هـ .

ـ حياة الإمام الهادي عليه السلام دراسة وتحليل، باقر شريف القرشي (ت١٤٣٢هـ)، تحقيق: مهدي باقر القرشي، ط١، مؤسسة الإمام الحسين لإحياء تراث أهل البيت عليهم السلام، النجف، العراق، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م .

ـ الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، الدكتور مؤيد آل صوينت، ط١، مكتبة الحضارات، بيروت، لبنان، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م.

ـ سعد السعود: ابن طاووس علي بن موسى بن جعفر(ت٦٦٤ هـ)، ط١، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٦٩هـ .

ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر مكتبة المعارف، الرياض، ٢٠٠٠م .

ـ السناء في سيرة إمام سامراء علي بن محمد الهادي عليهما السلام دراسة تحليلية: د. رحيم كريم الشريفي، جامعة بابل / كلية الدراسات القرآنية، ط١، العتبة الحسينية المقدسة، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠١٦م .

ـ شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، دار المفيد، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م .

ـ عيون أخبار الرضا: الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي (ت٣٨١ هـ)، تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان .

ـ فلسفة مرجعية القرآن المعرفية في إنتاج المعرفة الدينية، نجف علي ميرزائي، ترجمة: د. دلال عباس، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، سلسلة الدراسات القرآنية، بيروت، ٢٠٠٨م .

ـ القرآنية في دعاء الإمام الحسين عليه السلام في عرفة، سناء علي حسين الحمداني، مجلة أهل البيت عليهم السلام، العدد ٩ .

ـ القرآنية في علويات الشيخ صالح الكواز الحلي: د. علي كاظم المصلاوي، م. كريمة نوماس المدني، مجلة جامعة أهل البيت، ع٦، ٢٠٠٨ م .

ـ كنز الفوائد: أبو الفتح الكراجكي محمد بن علي (ت٤٤٩هـ)، مكتبة المصطفوي، ط٢، قم ـ إيران .

ـ مسند الإمام الهادي: جمعه ورتّبه: عزيز الله العطاردي، ط٢، دار الصفوة، بيروت ـ لبنان، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م .

ـ مَن لا يحضره الفقيه، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ)، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م .

ـ مناهج تفسير النَّص القرآني، الدكتور سيروان عبد الزهرة الجنابي، ط١، دار الأمير، النجف الأشرف، ١٤٣٧هـ ـ ٢٠١٦م .

ـ موسوعة المصطفى صلى الله عليه وآله والعترة (الهادي علي عليه السلام)، حسين الشاكري (ت١٤٣٠هـ)، مطبعة سُتارة، قم، ايران، ١٤١٩هـ .

ـ نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي، ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية: الدكتور صبحي الصالح، منشورات دار الهجرة .



البحث الثاني

الإمام علي الهادي عليه السلام

في تفسير الآلوسي

أ.م.د. حمزة حسين عبيد

الجامعة العراقية

كلية التربية للبنات



بسم الله الرحمن الرحيم

روىٰ الإمام مسلم من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قام رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا بِمَاءٍ يُدْعَىٰ خُمًّا، بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ :أَمَّا بَعْدُ أَلاَ أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَىٰ وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ. فَحَثَّ عَلَىٰ كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ ثُمَّ قَالَ: وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي[1].

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلىٰ أهل بيته الأطهار الطيبين ومن اهتدىٰ بهديهم إلىٰ يوم الدين.

وأمَّا بعدُ، فليس جديداً إستنادُ العلماء في كتبهم ومؤلّفاتهم ورجوعهم إلىٰ آل بيت النبوة فهم حجج الإله علىٰ البرايا، ووصية الله بحفظ المودة لهم، ووصية رسول الله في التمسك بهم مع كتاب الله تعالىٰ.

و إذا علمنا أنّ العلّامة شهابَ الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (ت:١٢٧٠هـ) مفتي بغداد وإمام أهل السنة في عصره يرجع في تفسيره إلىٰ الأئمة الأطهار، تبين لنا حينئذٍ اتفاق الأمة علىٰ إمامة آل البيت النبوي ووجوب الرجوع إليهم في طلب العلم، وتبين لنا تجرّد العلماء الأولين وطلبهم للحق وأخذهم به.

لذا فقد بحثنا في تفسير الآلوسي ووجدناه يرجع إلىٰ الشجرة المباركة الطيبة

---

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه: ٧/ ١٢٢، رقم الحديث: ٦٣٧٨.

التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، ألا وهي شجرة آل بيت رسول الله صلّى الله على جدهم وعليهم، فقد ذكر رحمه الله في تفسيره أمير المؤمنين علياً عليه السلام خمساً وعشرين مرة راوياً عنه ومستدلاً به، وذكر الإمام الحسن عليه السلام اثنتي عشرة مرة، وذكر الإمام الحسين عليه السلام إحدى عشرة مرة رواية واستدلالاً، والإمام علي بن الحسين عليه السلام ثلاثاً وعشرين مرة، والإمام الباقر عليه السلام ستاً وأربعين مرة، والإمام جعفر الصادق عليه السلام اثنتين وأربعين مرة، والإمام موسى الكاظم مرتين، والإمام علياً الرضا عليه السلام خمس مرات، والإمام محمد التقي الجواد عليه السلام ثلاث مرات، وذكر الإمام علياً النقي الهادي عليه السلام مرتين، وذكر الإمام الحسن العسكري والمهدي عليهما السلام مرة واحدة لكل منهما، كل ذلك يروي عنهم ويستدل ويحتج مع جميل التعظيم والاحترام لهم .

وقد جاء بحثنا مشتملاً على ثلاثة مباحث تسبقها مقدمة وتتبعها خاتمة. وهي:

المبحث الأول: التعريف بالإمام علي الهادي عليه السلام.

المبحث الثاني: التعريف بالآلوسي.

المبحث الثالث: المواضع التي ذكر فيها الآلوسي الإمام الهادي ومفادها.

ومما استنتجناه من ذلك عظمة فقه الإمام علي الهادي عليه السلام، وولاء العلماء المخلصين على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم لآل البيت الكرام عليهم السلام. ومنهم العلّامة الآلوسي رحمه الله.

المبحث الأول

التعريف بالإمام عليٍّ الهاديّ عليه السلام

قال ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب[١] :

هو النقي بن التقي بن الصابر بن الوفي بن الصادق بن السيد بن السجاد بن الشهيد حيدر بن عبد مناف.

اسمه علي، وكنيته أبو الحسن لا غيرها.

وألقابه: النجيب، المرتضىٰ، الهادي، النقي، العالم، الفقيه، الأمين، المؤتمن، الطيب، المتوكل، العسكري. ويقال له: أبو الحسن الثالث، والفقيه العسكري. وكان أطيب الناس بهجة، وأصدقهم لهجة، وأملحهم من قريب، وأكملهم من بعيد، إذا صمت علته هيبة الوقار، وإذا تكلّم سماه البهاء، وهو من بيت الرسالة والإمامة، ومقر الوصية والخلافة، شعبة من دوحة النبوة منتضاة، مرتضاة وثمرة من شجرة الرسالة مجتناة مجتباة. ولد بصرياء من المدينة للنصف من ذي الحجة سنة اثنتي عشرة ومائتين.

وقال ابن عيّاش يوم الثلاثاء الخامس من رجب سنة أربع عشرة، وقبض بسرّ من رأىٰ الثالث من رجب سنة أربع وخمسين ومائتين.

وقيل: يوم الاثنين لثلاث ليال بقين من جمادىٰ الآخرة نصف النهار.

وليس عنده إلا ابنه أبو محمد، وله يومئذٍ أربعون سنة. وقيل واحدة وأربعون وسبعة أشهر.

وأمه: أم ولد يقال لها سمانة المغربية. ويقال: إن أمه المعروفة بالسيدة أم الفضل، فأقام مع أبيه ست سنين وخمسة أشهر، وبعده مدة إمامته ثلاثاً وثلاثين سنة، ويقال:

---

(١) الشجرة المباركة في الأنساب الطالبية: ص:٢٢، مناقب ابن شهر آشوب٤٣٢ـ٤٣٤.

وتسعة أشهر.

ومدة مقامه بسرّ من رأىٰ عشرون سنة وتوفي فيها، وقبره في داره. وكان في سني إمامته بقية ملك المعتصم، ثم الواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز؛ وآخر ملك المعتمد استشهد مسموماً. وقال ابن بابويه: وسمّه المعتمد[1].

وأولاده: الحسن الإمام، والحسين، ومحمد، وجعفر الكذاب، وابنته علية.

أولاد الإمام الهادي عليه السلام

أما أبو الحسن علي النقي (فله من الأبناء ستة: أبو محمد الحسن العسكري الإمام)، وأبو عبد الله جعفر الذي لقَّبوه بـ(الكذاب)، لا لطعن في نسبه، بل لأنه طعن في إمامة صاحب الزمان، والحسين مات قبل أبيه بسرّ من رأىٰ، وموسىٰ، ومحمد هو أكبر أولاده، وعلي، واتفقوا علىٰ أن المعقب من أولاده ابنان: الحسن العسكري الإمام وجعفر.

وله من البنات ثلاثة: عائشة، وفاطمة، وبريهة، وزوج بريهة محمد بن موسىٰ ابن محمد التقي)[2].

سعة علومه عليه السلام

وقد اتّسعت شهرته، وصار القريب والبعيد يرجعون إليه في أمور دينهم، ويستعينون به علىٰ ما يعترضهم من مشاكل في أمور دنياهم.

وقد أحضر الإمام إلىٰ مجلس المتوكل، وكان يجلس إلىٰ مائدةٍ وفي يده كأس من الشراب، فأجلسه إلىٰ جانبه وقدّم له الكأس التي في يده، لكنّه طلب إعفاءه فأعفاه، غير أنّه طلب أن ينشده شعراً يستحسنه، فاعتذر ثانيةً، لكنّه ألحّ عليه ولم يقبل له

---

(١) ابن شهر آشوب، المناقب: ٣/ ٥٠٥ وما بعدها.

(٢) الشجرة المباركة في الأنساب الطالبية: ص٢١.

عذراً، فأنشده:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم ... غلب الرجال فما أغنتهم القلل
واستنزلوا بعد عزٍّ عن معاقلهم ... فأودعوا حفراً يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما قبروا ... أين الأسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت منعّمةً ... من دونها تضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم ... تلك الوجوه عليها الدّود يقتتِلُ
قد طال ما أكلوا دهراً وما شربوا ... فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا
وطالما عمروا دوراً لتحضنهم ... ففارقوا الدّور والأهلين وانتقلوا
وطالما كنزوا الأموال وادّخروا ... فخلّفوها على الأعداء وارتحلوا
أضحت منازلهم قفراً معطّلةً ... وساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا

فبكى المتوكل حتى بلّ الثرى، وبكى من حوله، وأمر برفع الشراب وأمر له بأربعة آلاف دينار، وتحلل منه وردّه إلى منزله مكرّماً[1].

ويصف الإمام في هذه الأبيات مظاهر القوّة والعظمة لدى الحكّام، ويصف قصورهم وحياتهم المترفة، ثم يصور زوال كلّ هذه النعم ونهاية أصحابها إلى القبور، تعدو عليهم الدّيدان فتأكل وجوههم وأعضاءهم، بعد أن كانوا يأكلون الناس وأموالهم. وواضح أنّ الإمام عليه السلام يرمي إلى عظة المتوكّل ونصحه، وردعه عن مجونه وآثامه.

وقد انصرف الإمام الهادي عليه السلام إلى خدمة الإسلام الحنيف، عن طريق الدفاع عن أصوله ونشر فروعه، فناظر المشكّكين وتصدّى للمحرّفين المنحرفين، بالإجابة عن أسئلتهم بالأسلوب الهادئ الرّصين، المدعوم بالحجّة والمنطق، وكانت الرّسائل

(١) البداية والنهاية:ابن كثير: ١١/ ٢٠.

تصله من مختلف أنحاء العالم الإسلاميّ، ويتلقّى الأموال الشرعيّة فيصرفها في وجوهها وعلى المصالح الإسلامية العامّة.

ومن مواقفه المشهودة، موقفه من الغلوّ والغلاة، والذي اتّسم بالصّلابة والصراحة، وقد شهّر بهم وعدَّهم من المنحرفين.

قال لشخص أفرط في الثّناء عليه ما معناه: إنّ كثرة التّملّق تثير الظنّ والريبة، فإذا أحببت أخاك فلا تتملّقه، بل أحسن إليه عملاً ونيّةً.

ومن أقواله عليه السلام: «من أطاع الخالق لم يبال بسخط المخلوقين». . و«من كان على بيّنة من ربّه هانت عليه مصائب الدنيا». . و«من جمع لك ودّه ورأيه فاجمع له طاعتك»، و«من هانت عليه نفسه فلا تأمن شرّه»، و«من رضي عن نفسه كثر السّاخطون عليه».

وقال عليه السلام: «المصيبة للصابر واحدة، وللجازع اثنتان». (الجازع: نقيض الصابر). وقال أيضاً: «الجهل والبخل أذمّ الأخلاق، والطمع سجيّة سيئة. والهزء فكاهة السّفهاء وصناعة الجهّال».

وقال عليه السلام لشخص وقد أكثر من إفراط الثناء عليه: «أقبل على ما شأنك فإن كثرة الملق يهجم على الظنة، وإذا حللت من أخيك في محل الثقة فاعدل عن الملق إلى حسن النية». وقال عليه السلام: «المقادير تريك ما لم يخطر ببالك». وقال عليه السلام: «الناس في الدنيا بالأموال، وفي الآخرة بالأعمال». وقال عليه السلام: «المراء يفسد الصداقة القديمة، ويحلل العقدة والوثيقة، وأقل ما فيه أن يكون فيه المغالبة، والمغالبة أس أسباب القطيعة». وقال عليه السلام: «العتاب مفتاح الثقال، والعتاب خير من الحقد». وقال يحيى بن عبد الحميد: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول لرجل ذم إليه ولداً له فقال: «العقوق ثكل من لم يثكل». وقال عليه السلام: «الهزل فكاهة السفهاء، وصناعة الجهال». وقال عليه السلام في بعض مواعظه: «السهر ألذ للمنام، والجوع يزيد في طيب الطعام».[1] (يريد به الحث

(١) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ٧٥/ ٣٦٩ .

على قيام الليل وصيام النهار).

استشهاده عليه السلام:

ذكرنا أنّ الإمام الهادي عليه السلام أقام في المدينة مع أبيه الإمام الجواد في بداية حياته، وحين بلغ السادسة من العمر توفّي أبوه، وبقي في المدينة حتى بلغ العشرين من عمره، وكان ذلك في أيّام المعتصم العباسيّ، وأنّ المتوكّل استقدمه إلى سامراء، وبقي فيها طيلة حكمه حتى قتل المتوكّل بيد ابنه، وخلّفه من بعده المنتصر والمستعين بالله والمعتزّ، ويبدو من تاريخ حياته عليه السلام، أنّ السنين السبع التي قضاها في أيّام الحكّام الثلاثة المذكورين، كانت مدةً هادئةً، لم يشهد فيها من الوشايات والمضايقات ما شهده أيّام المتوكل، وقد اكتفى الحكّام الثلاثة بفرض الإقامة الجبريّة عليه في سامرّاء، والدليل على ذلك هو بقاؤه فيها[1]، كما حدث للمستعين بالله، حيث عزلوه وعيّنوا مكانه المعتزّ بعد أن كان معتقلاً.

وفي عهد المعتزّ توفّي الإمام الهادي عليه السلام، متأثّراً بالسمّ الذي يقال إنَّ المعتزّ دسّه له في طعامه، وكالعادة أصدر القضاة وكبار رجالات القصر شهاداتهم بأنّ الإمام عليه السلام مات ميتةً طبيعيّةً. وعند انتشار خبر وفاته اجتمع في داره نفر كبير من الهاشميّين والعباسيّين، كما حرص رجال المعتزّ أنفسهم على حضور مأتمه والسّير في جنازته. وقد صلّى على جثمانه الطاهر ابنه أبو محمد الحسن العسكري عليهما السلام، ودفن في بيته في سامراء سنة ٢٥٤ للهجرة[2].

وجوب مودة آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله:

إنَّ الأصل في وجوب مودةِ آلِ بيتِ النَّبيِّ المصطفى صلى الله عليه وآله هو قولُهُ تَعالَى: **﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا**

(١) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٥٠٥.

(٢) المصدر نفسه.

إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[١]، وللمُفسرِّينَ في معنىٰ الآيةِ أربعةُ أقوالٍ:

الأول: إنَّ القُربىٰ بمعنىٰ القَرَابةِ، والمعنىٰ: لا أسألُكُم عليه أجراً إلَّا أَن تَوَدُّوني لأَجْلِ القرابةِ التي بَيني وبَينَكُم؛ ولم يكن فيهم بطنٌ إلّا وبَينهم وبينَ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله قرابة[٢]، وَالْخِطَابُ لِقُرَيْشٍ خَاصَّةً، قَالَهُ ابن عباس -رضي الله عنهما-، وعكرمة[٣]، وَمُجَاهِدٌ[٤]، وأبو مالك[٥]، والشعبي[٦].

والثاني: إنَّ القُربىٰ بمعنىٰ الأَقارِبِ، أو ذَوي القُربىٰ، والمعنىٰ: إلّا أَن تَوَدُّوا أَقارِبِي وتَحفَظُونِي فيهم، كَمَا أَمَرَ بِإِعْظَامِهِمْ ذَوِي الْقُرْبَىٰ، والمقصدُ علىٰ هذا وصيةٌ بأَهلِ

---

(١) سورة الشورىٰ: الآية: ٢٣

(٢) تفسير القرطبي(الجامع لأحكام القرآن): (١٦/ ٢١).

(٣) أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله، مولىٰ عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أصله من البربر من أهل المغرب، كان لحصين بن الحر العنبري رضي الله عنه، فوهبه لابن عباس رضي الله عنه، حين ولي البصرة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، واجتهد ابن عباس في تعليمه القرآن والسنن، وسمّاه بأسماء العرب، وهو أحد فقهاء مكة وتابعيها، روي أن ابن عباس قال له: انطلق فأفت الناس. وتوفي عكرمة سنة(١٠٧هـ)، وعمره ثمانون. وفيات الأعيان: ابن خلكان: (٣/ ٢٦٥- ٢٦٦).

(٤) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج، مولىٰ السائب بن أبي السائب المخزومي، روىٰ عن أبي هريرة وابن عباس وسعد، وعنه قتادة وابن عون وسيف بن سليمان، وحديثه عن عائشة في البخاري ومسلم، وابن معين يقول: لم يسمعها، مات ١٠٤هـ، إمام في القراءة والتفسير حجة. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة:الذهبي: (٢/ ٢٤٠).

(٥) غزوان أبو مالك الغفاري، روىٰ عن بن عباس والبراء، وروىٰ عنه السدي وحصين، ثقةٌ، قاله بن معين .ينظر الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة: (٢/ ١١٦).

(٦) أبو عمرو عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار، وذو كبار من ملوك اليمن، الشعبي، وهو من حمير وعداده في همدان، وهو كوفي تابعي جليل القدر وافر العلم، وهو من أكابر علماء التابعين، ويقال إنه أدرك خمسمائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وروي عنه أنه قال: ولدت سنة جلولاء (وهي سنة١٩هـ)، وتوفي بالكوفة سنة(١٠٤هـ). وفيات الأعيان: (٣/ ١٢).

البيتِ المُكرَّمينَ[١]، وهذا قول سيِّدِنا الإمامِ عليِّ بن الحُسَين[٢]، وبه قال عمرُو ابنُ شَعيبٍ[٣]، وإليه ذهبَ السَّدِّيُّ[٤].

والثالثُ: إنَّ القُربىٰ قرابةُ النَّاسِ بعضِهِم من بعضٍ، والمعنىٰ: أن تَوَدُّوا أقاربَكم، والمقصودُ علىٰ هذا الوصيةُ بصِلَةِ الأَرحامِ[٥].

والرابعُ: إنَّ القربىٰ التقرُّبُ إلىٰ الله، والمعنىٰ: إلّا أن تتقرَّبُوا إلىٰ الله بِطاعتِهِ[٦]، وهو قولُ الحَسَنُ البصري رضي الله عنه[٧]،

---

(١) تفسير القرطبي: (١٦/ ٢١).

(٢) هو أبو الحسن، عليُّ بنُ الحسينِ بنِ عليِّ بن أبي طالبٍ، رضي الله عنهم أجمعين، المعروف بزينِ العابدينَ، وليسَ للحسين عليه السلام عقبٌ إلّا مِنهُ، وهو أحد الأئمَّة ومن سادات التابعين، قال الزهري: (ما رأيتُ قرشياً أفضل منه)، وأمه سلافة بنت يزدجرد آخر ملوك فارس، وكان أهل المدينة يكرهون اتخاذ أمهات الأولاد حتىٰ نشأ فيهم علي بن الحسين رضي الله عنه، والقاسم بن محمد بن أبي بكر رضي الله عنه، وسالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، ففاقوا أهل المدينة فقهاً وورعاً، فرغب الناس في السراري، وكان زين العابدين كثير البِرِّ بأُمِّهِ، حتىٰ قيل له: إنك أبرُّ النَّاسِ بأمِّكَ، ولسنا نراكَ تأكلُ معها في صَحفَةٍ؟، فقال: (أخاف أن تسبقَ يدي إلىٰ ما سبقتْ إليه عَينُها فأكونَ قد عقَقتُها)، وفضائله أكثر من أن تعد. ينظر: وفيات الأعيان: (٣/ ٢٦٦- ٢٦٧).

(٣) عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال القطان: ثقة، توفي بالطائف سنة:(ت١١٨هـ)، وقال البخاري رحمه الله: (رأيت عامة أصحابنا يحتجون به): الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة: (٢/ ٧٩).

(٤) إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكوفي روىٰ عن ابن عباس وأنس -رضي الله عنهم- وطائفة، وروىٰ عنه زائدة وإسرائيل وأبو بكر بن عياش وخلق، وهو كوفي ثقة، روىٰ عنه سفيان وشعبة وزائدة عالم بتفسير القرآن راوية له، وهو حسن الحديث، توفي سنة ١٢٧ هـ. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة: (١/ ٢٤٧)، . الثقات للعجلي: (١/ ٢٢٧).

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل: ابن جزي: (١٩٤٧)

(٦) تفسير القرطبي: (١٦/ ٢٢).

(٧) الحسن البصري: هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، كان من سادات التابعين وكبرائهم، وجمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة، أبوه مولىٰ زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه،

وَقَتَادَةُ رضي الله عنه[١].

والراجحُ في المُرادِ هُنا بالقربىٰ: قرابةُ الرسول صلى الله عليه وآله، أي: لا أسألُكُم أجراً إلّا أن تَوَدُّوا قَرابَتِي وأهلَ بَيتِي، كما أَمَرَ بإِعظامِهِم ذوي القُربىٰ والظاهر: العموم في كل حَسَنَةٍ، ولا شكَّ أنَّ مودَة قربىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله مرادةٌ قصداً أولياً؛ لِذِكرِهَا عَقِيبَهَا، ومعنىٰ زيادةُ حُسنِهَا: مضاعفةُ ثَوابِهَا، (إِنَّ اَللهَ غَفُورٌ): لمن أَذنَبَ، (شَكُورٌ): لمن أطاعَ الله)[٢].

وقد روىٰ سعيد بن جبير رضي الله عنه[٣]، عن ابن عباس رضي الله عنه، أَنَّه قال: (لَمَّا أنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾، قالوا: يا رسول الله، مَن

وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله، وربما غابت في حاجة فيبكي فتعطيه أم سلمة رضي الله عنها ثديها تعلله به إلى أن تجيء أمه، فدرَّ عليه ثديها فشربه، فيرون أن تلك الحكمة والفصاحة من بركة ذلك، ومولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمدينة، وتوفي بالبصرة مستهل رجب سنة عشر ومئة رضي الله عنه، وكانت جنازته مشهودة، وأغمي علىٰ الحسن عند موته، ثم أفاق فقال: (لقد نبهتموني من جنات وعيون ومقام كريم). وفيات الأعيان:(٢/ ٦٩-٧٢).

(١) هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن عزيز بن عمرو بن ربيعة بن عمرو بن الحارث ابن سدوس، وكانت ولادته سنة(٦٠هـ)، وتوفي سنة (١١٧هـ) بواسط، السدوسي بفتح السين وضم الدال وسكون الواو وبعدها سين ثانية، هذه النسبة إلى سدوس بن شيبان، وهي قبيلة كبيرة كثيرة العلماء، البصري الأكمه، كان تابعياً وعالماً كبيراً ولم يكن أحد في زمانه أعلم منه بخبر أو نسب أو شعر، وكان قتادة أجمع الناس. ينظر وفيات الأعيان: (٤/ ٨٥).

(٢) تفسير النيسابوري: (٦/ ٧٤).

(٣) هو سعيد بن جبير بن هشام، مولىٰ بني والبة، بن الحارث من بني أسد بن خزيمة، يروي عن ابن عمر وابن عباس وجماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ورضي الله عنهم، روىٰ عنه عمرو بن دينار وأيوب والناس، كنيته أبو عبد الله ، وكان فقيهاً عابداً ورعاً فاضلاً، وكان يبكىٰ بالليل حتىٰ عمش، وكان قد ختم القرآن فيما بين المغرب والعشاء في رمضان وهو من كراماته، قتله الحجاج بن يوسف سنة(٩٥هـ) وهو ابن تسع وأربعين سنة، ثم مات الحجاج بعده بأيام، .الثقات لابن حبان: (٤/ ٢٧٦).

هؤلاء الذينَ نَوَدُّهم؟، قال: عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَابْنَاهُمَا رَضِي اللهُ عَنْهُمْ)[1].

وعَنْ زَيْدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ـ رضي الله عنهم ـ قَالَ: «شَكَوْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ حَسَدَ النَّاسِ إِيَّايَ، فَقَالَ: أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ رَابِعَ أَرْبَعَةٍ: أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَنَا وَأَنْتَ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ، وَأَزْوَاجُنَا عَنْ أَيْمَانِنَا، وَعَنْ شَمَائِلِنَا، وَذَرَارِيُّنَا خَلْفَ أَزْوَاجِنَا، وَشِيعَتُنَا مِنْ وَرَائِنَا»[2].

وإنّ محبّتنا واحترامنا لأهل البيت عليهم السلام، واتّخاذنا إيّاهم قدوةً ومثالاً، إنّما ترجع إلى سيرتهم ومواقفهم العظيمة، وما عرف عنهم من صلاح وتقوى وإيمان لم يكن لغيرهم من العالمين، وكانوا بالحقّ فروعاً طيّبةً من شجرة طيّبة مباركةٍ، طهّرها ربّ العالمين بقوله في محكم كتابه: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾. وصدق الله العظيم.

---

(١) رواه الطبراني المعجم الكبير للطبراني (١١/ ٤٤٤)، وقال الهيثمي: (وفيه جماعة ضعفاء وقد وثقوا). مجمع الزوائد: (٩/ ٢٦٦).

(٢) رواه الإمام أحمد: ٢/ ٦٢٤، رقم الحديث(١٠٦٨)، وابن الأعرابي في معجمه: ١/ ٣٠٠، رقم الحديث:٥٧٥)، واستدل به الإمام القرطبي في تفسيره: (١٦/ ٢٢).

المبحث الثاني

التعريف بالآلوسي

هو الآلُوسي الكَبير (١٢١٧ - ١٢٧٠ هـ = ١٨٠٢ - ١٨٥٤ م) محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسّر، محدّث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها.

وترجم له ابنه خير الدين بقوله: مفتي مدينة السلام، مولانا ووالدنا وأستاذنا أبو الثناء شهاب الدين السيد محمود أفندي الشافعي، مفتي الحنفية ببغداد، الشهير بالآلوسي، وابن العلّامة ولي الله تعالى بلا نزاع السيد عبدالله أفندي[1].

وقال صاحب «حديقة الورود»: هو أستاذنا ومقتدانا إنسان عين الزمان، بل عين إنسان نوع الإنسان وسرّ الليالي المضمر في خاطر الدهر بل نذرها الذي وفت به لهذا العصر، كشاف رموز الحقائق وغواص بحر الدقائق شيخ علماء العراق بل بدر الآفاق، علّامة الفضلاء وسند النبلاء وحيد الدهر بالاتفاق كريم الذات بديع الأخلاق خاتمة المفسرين وسعد المحققين وفخر علماء المسلمين والواصل إلى رتبة الاجتهاد الذي شرّق وغرّب ذكره في البلاد، أخذ العلوم عن علماء محققين وأجلّاء مدققين، وقد ألّف ودرّس وهو دون العشرين، وكان حسن المنظر والمحاضرة والمفاكهة فصيح اللسان ورعاً تقياً عفيفاً فريداً في وعظه وجودة خطه وقوة حافظته حتى إنه قال: ما استودعت ذهني شيئاً فخانني، وقد ولد يوم الجمعة منتصف شعبان ١٢١٧هـ وتوفي سنة ١٢٧٠هـ، ضحوة يوم السبت الخامس والعشرين من ذي القعدة الحرام:

حور الجنان به حفت مؤرخة جنات روح المعاني قبر محمود

---

(١) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين: ١/ ٥٢.

ولهُ مؤلّفات عديدة منها: تفسيره «روح المعاني» عشرة مجلدات ضخام، وهو تفسير ليس له نظير، وله شرح «درة الغواص» و«حاشية شرح القطر» و«الأجوبة العراقية عن الأسئلة الإيرانية» وكتاب «الفيض الوارد» و«حواش على حواشي عبد الحكيم» وكتاب «الطراز المذهب» وكتاب «النفحات القدسية» وشرح «البرهان» و«نشوة الشمول» و«نشوة المدام» و«نزهة الألباب وغرائب الاغتراب» وشرح العينية، وحواشي مير في الآداب، والأجوبة اللاهورية وكتاب «الاستعارة» والمقامات وغير ذلك[1].

وقال في «أريج الند والعود»: إن شيخنا قد ألفت في ترجمته رسائل مفصلة، وبينت أحواله وسيرته في مجلات مطولة. وقد كان نادرة الأوان وممدوحاً بكل لسان، حصّل العلوم النقلية والعقلية فتفرّد بها، ودرس العربية والبيان والحديث والتفسير ووقف على غامضه فيه تفسيره الشهير، والكلام والرياضي الأصلين وقصدته العلماء من الأقطار البعيدة، ونزلت في داره وحضروا عنه وأفتى خمس عشرة سنة بسيرة مرضية وانقادت له الخواص والعوام وهابته الأمراء الفخام وبَعُدَ وصيته في سائر بلاد الإسلام ولم يسمع بمثله في كافة الأقاليم منذ سنين عديدة مع تقوى وصلاح وديانة قوية، وسخاء وكرم وصدقات خفية وقد صنّف ودرّس وانتفع به خلْق كثير وله التصنيفات الحسنة في علوم شتى والنثر العجيب الذي لم يسبق إلى حسن أسلوبه والاستحضار الكامل والفكر الواصل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والذب عن السنة وكان لا يمل من التدريس والتأليف وكان ذا حافظة غريبة وفطنة عجيبة وقد انتهت إليه الرياسة في بغداد وأخذت عنه علماؤها الأمجاد وصار أستاذ الكل في الكل والمعول عليه في العقد والحل[2].

وقد كان مجتهداً، تقلّد الإفتاء ببلده سنة ١٢٤٨ هـ وعزل، فانقطع للعلم. ثم

(١) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين: ١/ ٥٣.

(٢) المصدر نفسه.

سافر (سنة ١٢٦٢ هـ إلى الموصل، فالآستانة، ومرَّ بماردين وسيواس، فغاب ٢١ شهراً، وأكرمه السلطان عبد المجيد. وعاد إلى بغداد يدون رحلاته ويكمل ما كان قد بدأ به من مصنفاته، فاستمر إلى أن توفي.

من كتبه (روح المعاني – ط) في التفسير، تسعة مجلدات كبيرة، و(نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول – ط) رحلته إلى الآستانة، و(نشوة المدام في العود إلى دار السلام – خ) و(غرائب الاغتراب – ط) ضمنه تراجم الذين لقيهم، وأبحاثاً ومناظرات، و(دقائق التفسير – خ) و(الخريدة الغيبية – ط) شرح به قصيدة لعبد الباقي الموصلي، و(كشف الطرة عن الغرة – ط) شرح به درة الغواص للحريري، و(مقامات – ط) في التصوف والأخلاق، عارض بها مقامات الزمخشريّ، و(الأجوبة العراقية عن الأسئلة الإيرانية – ط) و(حاشية على شرح القطر – ط) في النحو، و(الرسالة اللاهورية – ط) .

ونسبة الأسرة الآلوسية إلى جزيرة (آلوس) في وسط نهر الفرات، على خمس مراحل من بغداد فرّ إليها جد هذه الأسرة من وجه هولاكو التتري عندما دهم بغداد فنسب إليها[١]، والحسيني نسبة إلى الإمام الحسين عليه السلام وكامل نسبه: محمود شهاب الدين أبو الثناء بن عبد الله بن محمود بن درويش بن عاشور بن محمد بن ناصر الدين ابن حسين بن علي بن حسين بن كمال الدين بن شمس الدين بن محمد بن شمس الدين بن حارس بن شمس الدين بن شهاب الدين بن أبي القاسم بن أمير بن محمد ابن بيدار بن عيسى بن أحمد بن موسى بن أحمد بن محمد بن أحمد الأعرج بن موسى المبرقع بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب زوج فاطمة الزهراء بنت رسول الله محمد بن عبد الله صلوات الله عليهم اجمعين[٢]..

(١) الأعلام للزركلي: ٧/ ١٧٦.

(٢) تاريخ القرن الثالث عشر: ١٤٥٣ الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

وينتهي نسبه الشريف من جهة الأب إلى سيدنا الحسين، ومن جهة الأم (في حلية البشر) إلى سيدنا الحسن، بواسطة الشيخ الرباني والهيكل الصمداني، سيدي عبد القادر الجيلاني قدس سره.

وقد كان رحمه الله خاتمة المفسرين ونخبة المحدثين، أخذ العلم عن فحول العلماء، ومنهم والده العلّامة، ومنهم الشيخ علي السويدي، ومنهم الشيخ خالد النقشبندي، والشيخ علي الموصلي، وغيرهم من السادة والأفاضل القادة، كان رضي الله عنه أحد أفراد الدنيا يقول الحق ولا يحيد عن الصدق، متمسكاً بالسنن متجنباً عن الفتن، حتى جاء مجدداً وللدين الحنفي مسدداً، وكان جلُّ ميله لخدمة كتاب الله، وحديث جده رسول الله صلى الله عليه وسلم[1].

(١) نزهة البشر تاريخ القرن الثالث عشر: ص١٤٥٣.

المبحث الثالث

المواضع التي ذكر فيها الآلوسي الإمام الهادي عليه السلام:

١- (وروي أن المتوكل اشتكى شكاية شديدة فنذر أن يتصدق- إن شفاه الله تعالى- بمال كثير فلما شفي سأل العلماء عن حدِّ الكثير فاختلفت أقوالهم فأشير إليه أن يسأل أبا الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى الكاظم رضي الله تعالى عنهم وقد كان حبسه في داره فأمر أن يكتب إليه فكتب رضي الله تعالى عنه يتصدق بثمانين درهما ثم سألوه عن العلة فقرأ هذه الآية وقال: عددنا تلك المواطن فبلغت ثمانين[١].

وهي في مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: وكالآتي[٢]:

وقال أبو عبد الله الزيادي: لما سم المتوكل نذر لله إن يرزقه الله العافية أن يتصدق بمال كثير، فلما عوفي اختلف العلماء في المال الكثير، فقال له الحسن حاجبه: إن أتيتك يا أمير المؤمنين بالصواب فما لي عندك؟ قال: عشرة آلاف درهم وإلا ضربتك مائة مقرعة، قال: قد رضيت، فأتى أبا الحسن عليه السلام فسأله عن ذلك فقال: قل له يتصدق بثمانين درهماً، فأخبر المتوكل فسأله ما العلة؟ فأتاه فسأله قال: إنَّ الله تعالى قال لنبيه ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ فعددنا مواطن رسول الله فبلغت ثمانين موطناً، فرجع إليه فأخبره ففرح فأعطاه عشرة آلاف درهم.

٢- وفي مجمع البيان روى العياشي بإسناده قال: التقى موسى بن محمد بن علي ابن موسى ويحيى بن أكثم فسأله عن مسائل منها: هل كان سليمان محتاجاً إلى علم آصف؟ فلم يجب حتى سأل أخاه علي بن محمد فقال: اكتب له: لم يعجز سليمان عن معرفة ما عرف آصف، لكنه عليه السلام أحب أن يعرف أمته من الجن والإنس أنه الحجة من بعده، وذلك من علم سليمان أودعه آصف بأمر الله، ففهمه الله تعالى ذلك؛ لئلا

---

(١) تفسير الآلوسي، روح المعاني: ٥/ ٢٦٦.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ٣/ ٥٠٧.

يختلف في إمامته كما فهم سليمان في حياة داود لتعرف إمامته من بعده لتأكيد الحجة على الخلق[١].

دلالة الروايتين:

الرواية الأولى تدل على:

١-سعة علم الإمام الهادي عليه السلام.

٢-حفظه المتقن للقرآن الكريم.

٣-سرعة البديهة واستحضار الايات القرآنية.

٣-اعتماده في الفتوى على النص القرآني.

٤-اعتماد الآلوسي رحمه الله لأقوال الإمام عليه السلام كحجة في الفقه والتفسير.

الرواية الثانية: وتدل على:

١-فهمه الروحي لمراد الأنبياء السابقين عليهم السلام

٢-حسن دفاعه عن عصمة الأنبياء عليهم السلام وكمالاتهم.

٣-تأكيده على وجوب الوصاية وأنَّ مبدأ الوصي مستمر في حياة النبيين ومن بعدهم وهي عبارة عن وراثة علم النبيين وبركاتهم. وإن لم يكن الوارث خليفة للدولة، فقد كان الإمام الهادي عليه السلام وارثاً ولم يكن خليفة ولم ينقص ذلك من جلالته وإمامته.

٤-اعتماد الآلوسي لتفسير الإمام كحجة.

---

(١) تفسير الآلوسي، روح المعاني: ١٠/ ١٩٩.

الخاتمة والنتائج

١- إنَّ علوم آل البيت عليهم السلام مستقاة من مشكاة النبوة.

٢-إنَّ العلماء المنصفين على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم يرجعون إلى علوم الآل فهم أقرب إلى علوم النبوة.

٣-إنَّ الإمام الهادي عليه السلام كان ذا علم زاخر وفهم وافر لأحكام الدين ونصوص القرآن الكريم.

٤- إنَّ الأمة اليوم بحاجة إلى الاقتداء الجاد بعلوم آل البيت عليهم السلام والتأسي بسيرتهم العطرة.

مصادر البحث ومراجعه:

١. القرآن الكريم

٢. الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ، دار العلم للملايين - أيار / مايو ٢٠٠٢م.

٣. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار - ج ٥٢ تأليف: العلّامة محمد باقر المجلسي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت لبنان الطبعة: الثالثة المصححة ١٩٨٣ م / ١٤٠٣ هـ.

٤. البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، : دار الفكر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م

٥. التسهيل لعلوم التنزيل: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ـ بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦هـ.

٦. الثقات: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي: دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٣٩٥ ـ ١٩٧٥، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد.

٧. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ـ القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٨. جلاء العينين في محاكمة الأحمدين: نعمان بن محمود بن عبد الله، أبو البركات خير الدين، الآلوسي (المتوفى: ١٣١٧هـ قدم له: علي السيد)عام النشر: ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م.

٩. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٣٣٥هـ)، حققه ونسقه وعلّق عليه حفيده: محمد بهجة البيطار – من أعضاء مجمع اللغة العربية، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م.

١٠. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ .

١١. صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل بيروت + دار الآفاق الجديدة ـ بيروت.

١٢. غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ، المحقق: الشيخ زكريا عميرات دار الكتب العلميه – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ.)

١٣. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ، المحقق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب)، دار القبلة للثقافة الإسلامية – مؤسسة علوم القرآن، جدة الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢.

١٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مؤسسة قرطبة ـ القاهرة، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها.

١٥. معجم ابن الأعرابي أبو سعيد بن الأعرابي أحمد بن محمد بن زياد بن بشر ابن درهم البصري الصوفي (المتوفى: ٣٤٠هـ)، تحقيق وتخريج: عبد المحسن ابن إبراهيم بن أحمد الحسيني، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م.

١٦. المعجم الأوسط: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة، ١٤١٥هـ .

١٧. المعجم الكبير:سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي ابن عبد المجيد السلفي، ، مكتبة العلوم والحكم ـ الموصل، ط٢، ١٤٠٤ ـ ١٩٨٣م.

١٨. معرفة الثقات: أحمد بن عبد الله بن صالح أبو الحسن العجلي الكوفي: مكتبة الدار ـ المدينة المنورة الطبعة الأولى، ١٤٠٥ ـ ، ١٩٨٥، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي.

١٩. مفاتيح الغيب ـ ترقيم الشاملة موافق للمطبوع: الإمام العالم العلّامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠ م.

٢٠. مناقب آل أبي طالب :أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب السروي المازندراني، دار الأضواء، ط٢، ١٩٩١م ـ ١٤١٢هـ .

٢١. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، دار صادر ـ بيروت.



البحث الثالث

البعد القرآني

في كلمات الإمام الهادي عليه السلام

أ.م.د. خولة مهدي شاكر الجراح

كلية الفقه/ جامعة الكوفة



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين محمد وآله الطيبين الطاهرين.

القرآن هو المصدر الأول للإسلام، وأقدس كتاب لدى المسلمين، وخاتم الكتب السماوية، وبه تثبت نبوة رسول الله محمد صلى الله عليه وآله، وبه تقوم الحجة على الناس جميعاً إلى يوم القيامة بالتزام الإسلام ديناً، لأنه معجزة في كل وجه من وجوهه، وحال من أحواله، بداية ما نزل منه كآخر ما انتهى إليه، ووسطه كطرفيه نسيج فريد ونسق واحد، ومستوى شاهق. فهو كما عبّر عنه الإمام الرضا عليه السلام: «إنه المهيمن على الكتب كلها، وأنه حق من فاتحته إلى خاتمته، نؤمن بمحكمه ومتشابهه، وخاصه وعامه، ووعده ووعيده، وناسخه ومنسوخه، وقصصه وأخباره، لا يقدر أحد من المخلوقين أن يأتي بمثله»[1].

وإنَّ القرآن الكريم كان له عند أهل بيت النبوة بدءاً من الإمام علي عليه السلام ومروراً بفاطمة الزهراء عليها السلام ثم الحسن والحسين عليهما السلام والأئمة التسعة من ولد الحسين عليهم السلام مكانة أكبر ومنزلة أسمى فاقت ما لهذا الكتاب العظيم من المكانة والمنزلة عند غيرهم من المسلمين، فهذا أمير المؤمنين علي عليه السلام يقول في شأن القرآن موجهاً أنظار المسلمين إلى أهمية هذا الكتاب الإلهي المقدس: «الله الله أيها الناس فيما استحفظكم من كتاب»[2] وقال أيضاً: «عليكم بكتاب الله فإنه الحبل المتين، والنور المبين، والشفاء

(١) الصدوق، عيون أخبار الرضا: ٢/ ١١٢.

(٢) نهج البلاغة: ٢/ ١٤٩.

النافع والري الناقع، والعصمة للمستمسك، والنجاة للمتعلّق، لا يُعوج فيقام، ولا يزيغ فيستعتب»[١].

وها هو الإمام الهادي عليه السلام يركز في العديد من فقرات حديثه على ضرورة الرجوع إلى القرآن الكريم، ففي حديثه في مسألة إبطال الجبر والتفويض- في الرسالة الذهبية التي بعثها لأهل الأهواز رداً على فكرة (الجبر) التي تبنتها الأشاعرة، والتفويض الذي قال به المعتزلة، حيث كشفت فقرات الرسالة عن مدى الاختلاف الخطر الناشىء بين المسلمين بسبب هذه المسائل- يؤكد الإمام عليه السلام على ضرورة الرجوع إلى القرآن الكريم بقوله: «.. وقد أجمعت الأمة قاطبة، لا اختلاف بينهم: أن القرآن حق لا ريب فيه عند جميع أهل الفرق، وفي حال اجتماعهم مقرون بتصديق الكتاب وتحقيقه، مصيبون، مهتدون، وذلك بقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تجتمع أمتي على ضلالة» فأخبر أن جميع ما اجتمعت عليه الأمة كلّها حق، هذا إذا لم يخالف بعضها بعضاً. والقرآن حقّ لا اختلاف بينهم في تنزيله وتصديقه، فإذا شهد القرآن بتصديق خبر وتحقيقه، وأنكر الخبر طائفة من الأمة لزمهم الإقرار به ضرورة حين اجتمعت في الأصل على تصديق الكتاب، فإذا جحدت وأنكرت لزمها الخروج من الملة»[٢].

وقد جاء تركيز الإمام عليه السلام على ضرورة الرجوع إلى القرآن الكريم- الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه- فيما اختلفت فيه الأمة من نزعات فكرية، وعقائد مذهبية، فما وافق منها الكتاب فهو حقّ لا ريب فيه، وما خالفه فهو زخرف وباطل، ومن دان به فهو خارج عن ربقة الإسلام.

هنالك لقطات فنية في كلمات الإمام عليه السلام الأخرى اشتملت على قبسات لامعة من أضواء القرآن الكريم، وهي متعددة الروافد، سوف يوجز البحث بعضاً منها:

---

(١) المصدر نفسه: ٢/ ٤٩؛ هادي النجفي، موسوعة أحاديث أهل البيت: ١/ ٣٣٧ .

(٢) ابن شعبة، تحف العقول: ٤٥٨، ٤٧٥.

أولاً: إجابات الإمام عليه السلام على مسائل يحيى بن أكثم

من أبرز كلمات الإمام الهادي عليه السلام ذات البعد القرآني ما جاء في إجاباته لقاضي القضاة يحيى بن أكثم في مسائله التي وجهها للإمام وأعدّها لامتحانه، فما كان من الإمام إلا أن نهد للإجابة وأمر ابن السكيت أن يكتب أجوبته مع علمه أن الغرض وراء ذلك سياسي محض قصد به التعنت لا الإفادة[1]، حيث كتب الإمام:

«بسم الله الرحمن الرحيم

وأنت، فألهمك الله الرشد، أتاني كتابك فامتحنتنا به من تعنتك لتجد إلى الطعن سبيلاً إن قصرنا فيها، والله يكافيك على نيتك، وقد شرحنا مسائلك فاصغِ إليها سمعك وذلل لها فهمك، وأشغل بها قلبك، فقد لزمتك الحجة والسلام»[2].

وهنا نجد الإمام قد أدرك السرَّ من وراء هذه المسائل فوصف ابن أكثم بالتعنت، وبين هدفه منها لغرض الطعن ومع ذلك فهو يجيب فيها بما يفحمه ويدعه باهتاً.

وفيما يأتي عرضُ ما جاء في هذه المسائل من بعد قرآني:

١- يقول الإمام عليه السلام: «سألت عن قوله عزَّ وجلَّ: ﴿**قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ...**﴾»[3].

حيث قال الإمام علي الهادي: فهو آصف بن برخيا ولم يعجز سليمان عليه السلام عن معرفة ما عرف آصف، لكنه صلوات الله عليه أحبّ أن يعرّف أمته من الجن والإنس أنه الحجة من بعده، وذلك من علم سليمان أودعه عند آصف بأمر الله، ففهّمه ذلك لئلا يُختلف عليه في إمامته ودلالته، كما فهّم سليمان في حياة داود لتعرف نبوته وإمامته

---

(١) محمد حسين علي الصغير، موسوعة أهل البيت الحضارية - الإمام علي الهادي عليه السلام: ٢١٧.

(٢) ابن شعبة، تحف العقول: ٤٧٧- ٤٨١، ابن شهر آشوب، المناقب: ٣/ ٤٤٣.

(٣) سورة النمل: ٤٠.

من بعده، لتأكد الحجة على الخلق)[١].

وفي إجابة الإمام الهادي هذه دلالة إيحائية تشير إلى إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، إذ أن آصف عنده بعض علم الكتاب بدلالة (من) في قوله تعالى: ﴿**قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ**﴾ أما أمير المؤمنين الإمام علي فعنده علم الكتاب كله، فكما أراد سليمان أن لا يُختلف على آصف في إمامته ووصايته، فكذلك الرسول الأعظم فيما عهد به إلى أمير المؤمنين عليه السلام أراد أن لا يختلف عليه في إمامته ووصايته[٢].

٢- سأل ابن أكثم عن قوله تعالى: ﴿**وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا**﴾[٣]

فأجاب الإمام الهادي عليه السلام: (إن سجود يعقوب عليه السلام وولده كان طاعة لله ومحبة ليوسف، كما أن السجود من الملائكة لآدم عليه السلام لم يكن لآدم، وإنما كان ذلك طاعة لله ومحبة منهم لآدم عليه السلام، فسجود يعقوب وولده ويوسف معهم كان شكراً لله باجتماع شملهم، ألم تره يقول في شكره ذلك الوقت: ﴿**رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ**﴾[٤]»[٥].

٣- سأل يحيى بن أكثم عن قوله تعالى:﴿**فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ..**﴾[٦].

وقال الإمام علي الهادي بعد ذكر الآية: «فإنَّ المخاطب به رسول الله، ولم يكن في شك مما أنزلنا إليه ولكن قالت الجهلة: كيف لم يبعث الله نبياً من الملائكة، إذا لم

---

(١) ابن شعبة/ تحف العقول/ ٤٧٧- ٤٨١، ابن شهر آشوب/ المناقب/ ٣/ ٤٤٣.

(٢) محمد حسين علي الصغير، موسوعة أهل البيت الحضارية - الإمام علي الهادي عليه السلام: ٢١٧.

(٣) سورة يوسف: ١٠٠.

(٤) سورة يوسف: ١٠١.

(٥) ابن شعبة/ تحف العقول/ ٤٧٧- ٤٨١، ابن شهر آشوب/ المناقب/ ٣/ ٤٤٣.

(٦) سورة يونس: ٩٤ .

يفرّق بين نبيه وبيننا في الاستغناء عن المآكل والمشارب والمشي في الأسواق؟

فأوحى الله إلى نبيه ﴿فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ﴾ بمحضر الجهلة: هل بعث الله رسولا قبلك إلا هو يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟ ولك بهم أسوة، وإنما قال: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ﴾، ولم يكن في شك، ولكن للمنفعة، كما قال: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[1].

ولو قال (عليكم) لم يجيبوا إلى المباهلة، وقد عَلِمَ الله أن نبيه يؤدي عنه رسالته وما هو من الكاذبين، فكذلك عرف النبي أنه صادق فيما يقول، ولكن أحب أن ينصف من نفسه»[2].

٤- وسأل يحيى بن أكثم عن قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ..﴾[3].

فأجاب الإمام علي الهادي عليه السلام بعد ذكر الآية بقوله :

«فهو كذلك، لو أن أشجار الدنيا أقلام، والبحر يمده سبعة أبحر، وانفجرت الأرض عيوناً، لنفدت قبل أن تنفد كلمات الله...»[4].

والأبحر هي: عين الكبريت، وعين اليمن، وعين برهوت، وعين الطبرية، وحمة ماسيدان تدعى لسان، وحمة أفريقية تدعى سيلان، وعين باحوران[5].

---

(١) سورة آل عمران: ٦١ .

(٢) ابن شعبة/ تحف العقول/ ٤٧٧- ٤٨١، ابن شهر آشوب/ المناقب/ ٣/ ٤٤٣.

(٣) سورة لقمان: ٢٧ .

(٤) ابن شعبة/ تحف العقول/ ٤٧٧- ٤٨١، ابن شهر آشوب/ المناقب/ ٣/ ٤٤٣.

(٥) ظ: باقر شريف القرشي/ موسوعة سيرة أهل البيت/ ٣٣/ ٢٩٨.

٥- وسأل يحيى بن أكثم عن قوله تعالى: ﴿**وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ..**﴾[١] فاشتهت نفس آدم أكل البر، فأكل واطعم وفيها ما تشتهي الأنفس فكيف عوقب؟ فأجاب الإمام علي الهادي عليه السلام: «وأما الجنة فان فيها من المآكل والمشارب والملاهي ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، وأباح ذلك كله لآدم والشجرة التي نهى الله عنها ادم وزوجته أن يأكلا منها شجرة الحسد، عهد إليهما أن لا ينظرا إلى ما فضل الله على خلائقه بعين الحسد ﴿**فنَسِي ولَم نَجِد لَه عَزماً**﴾[٢]»[٣].

٦- وسأل يحيى بن أكثم عن قوله تعالى: ﴿**أو يُزوجهم ذُكراناً وإناثاً**﴾[٤].

يزوج الله عباده الذكران، وقد عوقب قوم فعلوا ذلك؟

فأجاب الإمام عليه السلام بعد ذكر الآية: «أي يولد له ذكور، ويولد له إناث، يقال لكل اثنين مقرنين زوجان، ولكل واحد منهما زوج. ومعاذ الله أن يكون عنى الجليل ما لبّست به على نفسك تطلب الرخص لارتكاب المآثم ﴿**وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا**﴾[٥]»[٦].

وفي الإجابة تعريض مهذّب بيحيى بن أكثم كما لا يخفى.

---

(١) سورة الزخرف: ٧١.

(٢) سورة طه: ١١٥.

(٣) ابن شعبة/ تحف العقول/ ٤٧٧- ٤٨١، ابن شهر آشوب/ المناقب/ ٣/ ٤٤٣.

(٤) سورة الشورى: ٥٠.

(٥) سورة الفرقان: ٦٨- ٦٩.

(٦) ابن شعبة/ تحف العقول/ ٤٧٧- ٤٨١، ابن شهر آشوب/ المناقب/ ٣/ ٤٤٣.

ثانياً: استنباط الأحكام الشرعية من القرآن الكريم

قد يفيد الإمام الهادي عليه السلام من القرآن الكريم حكماً شرعياً أشكل على بعض الفقهاء علمه، واستعصى على بعض العلماء حكمه، وفيما يأتي يعرض الباحث لبعض من ذلك:

١- عن العياشي بإسناده عن حمدويه عن محمد بن عيسى قال سمعته يقول: كتب إليه (يعني الإمام الهادي) إبراهيم بن عنبسة. إن رأى سيدي ومولاي أن يخبرني عن قوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ...**﴾[١] في الميسر، جعلت فداك.

فكتب عليه السلام: «كل ما قومر به فهو الميسر، وكل مسكر حرام»[٢].

٢- كما أفاد الإمام من قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ**﴾[٣] أحد مصاديق الشيء الكثير.

فعن أبي عبد الله الزيادي: لما سمَّ المتوكل نذر لله إن رزقه الله العافية أن يتصدق بمال كثير، فلما عوفي اختلف الفقهاء في المال الكثير، فقال له الحسن حاجبه: إن أتيتك يا أمير المؤمنين بالصواب فما لي عندك؟ قال عشرة ألاف درهم وإلا ضربتك مائة مقرعة، قال:قد رضيت، فأتى أبا الحسن عليه السلام فسأله عن ذلك فقال: قل له يتصدق بثمانين درهماً.

فأخبر المتوكل، فسأله: ما العلة؟ فأتاه، فسأله، فقال: «إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وآله: ﴿**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ**﴾ فعددنا مواطن رسول الله صلى الله عليه وآله، فبلغت ثمانين موطناً، فرجع إليه فأخبره، ففرح. وأعطاه عشرة آلاف درهم»[٤].

---

(١) سورة البقرة: ٢١٩.

(٢) العياشي، تفسير العياشي: ١/ ١٠٦.

(٣) سورة التوبة: ٢٥.

(٤) الكليني/ الكافي/ ٧/ ٤٦٣.

٣- كذلك الحال في استيحاء الإمام عليه السلام مدرك الحكم الشرعي، فقد استفتاه المتوكل برجل نصراني فجر بامرأة مسلمة وأراد أن يُقيم عليه الحدّ فأسلم، فأفتىٰ الإمام: يضرب حتىٰ يموت.

فأنكر يحيىٰ بن أكثم ذلك وقال: قد هدم إيمانه شركه وفعله. وطلبوا من المتوكل أن يكتب للإمام ويطلب منه مدرك الحكم[١]، فأجاب عليه السلام بعد البسملة:

﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾[٢])[٣]

فقد أبان الإمام من خلال القرآن أن إسلام الرجل قد أعلن في اللحظات الأخيرة خوفاً من الحدِّ الشرعي، وهو لا يقبل منه لأنه غير صادر عن حالة طبيعية.

٤- وعن أحمد بن محمد قال: قال أبو الحسن (يعني الإمام الهادي) في قول الله عزَّ وجلّ: **﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾**.

قال: «طواف الفريضة طواف النساء»[٤].

٥- في جواز كنية الكتابي:

فقد نادىٰ المتوكل أحد أصحابه وكان نصرانياً، يا أبا نوح، فأنكر عليه بعض من حضره أن يكنىٰ الكتابيون فاستفتىٰ الفقهاء فاختلفوا، فبعث إلىٰ الإمام الهادي يسأله فوقّع الإمام: **﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾**[٥].

---

(١) ظ: القرشي/ موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام: ٣٣/ ١٠٦.

(٢) سورة غافر: ٨٤- ٨٥.

(٣) الحر العاملي/ وسائل الشيعة/ ١٨/ ٣٣١.

(٤) الكليني/ الكافي/ ٤/ ٥١٢.

(٥) سورة المسد: ١.

فعلم المتوكل أنه يحلُّ ذلك؛ لأن الله قد كنّى الكافر[١].

٦- سأل أيوب بن نوح الإمام أبا الحسن الثالث عليه السلام فقال له: إن أهل العراق يقولون: إن الجاموس مسخ، ومعنى ذلك أنه لا يجوز أكله. فردّ عليه الإمام قائلاً: «أوما سمعت قول الله عزَّ وجلّ ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾[٢]»[٣].

٧- روى الحسن بن علي بن شعبة بسنده عن أبي الحسن الثالث عليه السلام، قال- في حديث له- «وأما الرجل الذي اعترف باللواط، فإنه لم يقم عليه البينة، وإنما تطوع بالإقرار على نفسه، وإذا كان للإمام الذي من الله أن يعاقب عن الله كان له أن يمن عن الله، أما سمعت قول الله: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٤].

وقد دلت هذه الرواية بوضوح على أن الإمام الشرعي المنصوب من قبل الله تعالى له أن يعفو عمن أقرَّ على نفسه باقتراف جريمة اللواط، كما أن له أن يعاقب على ذلك، ويختص العفو بهذه الصورة، أما من قامت عليه البينة بذلك فليس للإمام أن يعفو عنه[٥].

---

(١) محمد حسن آل ياسين/ الإمام علي بن محمد الهادي/ ٦٥.

(٢) سورة الأنعام: ١٤٤.

(٣) العياشي/ تفسير العياشي/ ١/ ٣٨٠، المجلسي/ بحار الأنوار/ ٦٢/ ١٨٠

(٤) سورة ص: ٣٩.

(٥) القرشي/ موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام: ٣٣/ ١٠٦.

ثالثاً: ما رواه عن آبائه في تفسير القرآن الكريم

لقد روىٰ الإمام الهادي عليه السلام الكثير من الروايات عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام في مجالات متعددة، بعضها جاء في التفسير، منها:

١- قال الإمام الهادي عليه السلام: «قال الصادق عليه السلام في قوله تعالىٰ على لسان يعقوب عليه السلام: **(فصبرٌ جميل)**[١] أي بلا شكوىٰ»[٢] ولعل القرينة الدالة على ذلك هو وصف الصبر بالجميل.

٢- قال الإمام الهادي عليه السلام: «قال الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿**تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ**﴾[٣]، قال: كانوا لا ينامون حتىٰ يُصلّوا العَتَمَةَ»[٤].

٣- قال الإمام الهادي عليه السلام: «قال الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿**فلنحيينَّه حياةً طيبةً**﴾[٥]، قال: المراد بها القنوع»[٦].

٤- روىٰ الإمام الهادي عليه السلام عن جده الإمام موسىٰ الكاظم عليه السلام أنه قال: «إن الله خلق الخلق فعلم ما هم إليه صائرون، فأمرهم ونهاهم، فما أمرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى الأخذ به، وما نهاهم عنه من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى تركه، وما جبر الله أحداً من خلقه على معصيته، بل اختبرهم بالبلوىٰ كما قال الله تعالىٰ: ﴿**لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلً**﴾[٧]»[٨].

---

(١) سورة يوسف: ١٨.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار: ١٢/ ٢٦٧.

(٣) سورة السجدة: ١٦.

(٤) الطوسي/ الأمالي/ ٢٩٤، المجلسي/ بحار الأنوار/ ٧٣/ ١٨٤.

(٥) سورة النحل: ٩٧.

(٦) الطوسي/ الأمالي/ ٢٧٥، المجلسي/ بحار الأنوار/ ٦٨/ ٣٤٥.

(٧) سورة هود: ٧.

(٨) الطبرسي/ الاحتجاج/ ٢/ ١٥٨، المجلسي/ بحار الأنوار/ ٥/ ٢٦.

رابعاً: القرآن الكريم في أدعية الإمام الهادي عليه السلام.

إن أدعية أهل البيت عليهم السلام تمثل روعة التراث الإسلامي وأصالته، ومن خصائصها:

أ- إنها وضعت قواعد السلوك، وأصول الأخلاق، وما تزدهر به الشخصية من القوىٰ الروحية الواعية.

ب- إنها تشتمل علىٰ وثائق سياسية خطيرة، فهي تمثل مدىٰ الاضطهاد الذي مني به العالم الإسلامي في تلك العصور من قبل الحكام الأمويين والعباسيين الذين لم يألوا جهداً في ظلم الناس وإرغامهم علىٰ ما يكرهون.

ج- إنها تمثل انقطاع الأئمة إلىٰ الله والتجاءهم إليه، وإنهم قد آمنوا به بمشاعرهم وعواطفهم وقلوبهم.

وسوف يعرض الباحث إلىٰ بعض أدعية الإمام الهادي عليه السلام التي احتوت علىٰ آي من الذكر الحكيم:

١ - دعاؤه عند الشدائد

من أدعيته هذا الدعاء الشريف، وكان يدعو به إذا ألّمت به حادثة أو حلّ به خطب، أو أراد قضاء حاجة مهمة له[١] يقول فيه: «..اللهم دللت عبادك علىٰ نفسك فقلت تباركت وتعاليت **﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾**[٢]، وقلت: **﴿يا عِبَادِيَ الذينَ أَسرَفُوا على أَنفسِهم لا تَقنِطوا من رَحمَةِ الله إنَّ اللهَ يَغفِرُ الذنوبَ جَميعًا إنَّه هو الغَفور**

(١) الطوسي، مصباح المتهجد: ٣٤٥.

(٢) سورة البقرة: ١٨٦.

الرحيم﴾[١]، وقلت: **﴿ولَقَد نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعمَ المُجِيبُون﴾**[٢]، أجل يا ربّ، نعم المدعو أنت، ونعم الرب، ونعم المجيب. وقلت: **﴿قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾**[٣]»[٤].

٢- دعاؤه في الاحتجاب

جاء فيه: **﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا * وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾**[٥] و**﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾**[٦].

عليك يا مولاي توكلي وأنت حسبي وأملي **﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾**[٧])[٨].

٣- دعاؤه عليه السلام لدفع النحوس والمخاوف

جاء فيه: «فصلِّ اللهم على محمد وآل محمد، وأعذني اللهم بهم من شر كل ما أتقيه، يا عظيم حجزت الأعادي عني ببديع السماوات والأرض، إنا **﴿جَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾**»[٩][١٠].

---

(١) سورة الزمر: ٥٣.

(٢) سورة الصافات: ٧٥.

(٣) سورة الإسراء: ١١٠.

(٤) الطوسي/ مصباح المتهجد/ ٣٤٣- ٣٤٧.

(٥) سورة الإسراء: ٤٥- ٤٦.

(٦) سورة النحل: ٩٨-٩٩.

(٧) سورة الطلاق: ٣.

(٨) المجلسي/ بحار الأنوار/ ٩١/ ٣٧٧.

(٩) سورة يس: ٩.

(١٠) الطوسي/ مصباح المتهجد/ ٩٢.

خامساً: الاقتباس القرآني في كلمات الإمام الهادي عليه السلام

الاقتباس لغة: الشعلة، يُقال: خُذ لي قبساً من نار.(١) وقال ابن فارس في مقاييس اللغة: (القاف والباء والسين أصل صحيح يدل على صفة من صفات النار، ثم يستعار من ذلك القبس: شعلة النار)(٢) كما ورد في قوله تعالى: ﴿**إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى**﴾(٣).

أما الاقتباس اصطلاحاً: هو أن يُضمَّن الكلام (شعراً كان أم نثراً) شيئاً من القرآن الكريم أو الحديث الشريف(٤). وقد عرّفه الرازي(ت٦٠٦هـ):(هو أن يضمن الكلمة من القرآن الكريم أو آية منه في الكلام تزييناً لنظامه وتفخيماً لشأنه)(٥)، وقد وسع العلّامة الحلبي (ت٧٢٥هـ) ذلك ليشمل الحديث الشريف، فيقول:(هو أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث ولا ينبه عليه للعلم به)(٦)، وقد حصر بعض العلماء الاقتباس على القرآن الكريم وحده(٧).

وفيما يأتي بعضاً من المواضع التي اقتبس فيها الإمام من القرآن الكريم:

١ - حديثه في الردِّ على من قال بالتجسيم

أ- روى حمزة بن محمد، قال:(كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام أسأله عن الجسم

---

(١) ظ: العين: الفراهيدي: ١/ ٣٨٣ .

(٢) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس: ٥/ ٣٩ .

(٣) سورة طه، الآية: ١٠.

(٤) ظ: الإيضاح في علوم البلاغة: القزويني: ١/ ٣٨١.

(٥) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: الرازي: ١٤٧.

(٦) حسن التوسل إلى صناعة الترسل: محمود الحلبي: ٣٢٣ .

(٧) أنوار الربيع في أنواع البديع: ابن معصوم المدني: ٢/ ٢١٢ .

والصورة، فكتب عليه السلام: سبحان من ليس كمثله شيء، لا جسم ولا صورة)[١].

ب- روى إبراهيم بن محمد الهمداني، قال: (كتبت إلى الرجل ـ يعني أبا الحسن عليه السلام ـ إن من قبلنا من مواليك قد اختلفوا في التوحيد، فمنهم من يقول: جسم، ومنهم من يقول: صورة.

فكتب عليه السلام بخطه: سبحان من لا يُحدّ ولا يوصف، ليس كمثله شيء، وهو السميع العليم»[٢].

إن الله تعالى يستحيل أن ينعت بالحدِّ الذي تتكون منه حقائق الأشياء الممكنة، كما يستحيل أن يوصف بالأوصاف المستلزمة لتعدد الصفة والموصوف، فإن صفاته تعالى عين ذاته حسبما حققه المتكلّمون[٣].

نجد الإمام عليه السلام اقتبس كلامه من الآية الحادية عشرة في سورة الشورى

٢- حديثه في استحالة وصفه تعالى

أدلى الإمام أبو الحسن الهادي عليه السلام في حديث له مع الفتح بن يزيد الجرجاني أعرب فيه عن استحالة وصف الخالق الحكيم بصفة تحيط بكنهه وحقيقته، وقد جاء فيه:

«إن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه، وأنى يوصف الخالق الذي تعجز الحواس أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحدّه، والأبصار عن الإحاطة به، جلّ عمّا يصفه الواصفون، وتعالى عما ينعته الناعتون، نأى في قربه، وقرب في نأيه، فهو في نأيه قريب، وفي قربه بعيد، كيّف الكيف فلا يقال كيف، وأيّن الأين فلا يقال:

---

(١) الصدوق/ التوحيد/ ٩٧ .

(٢) الصدوق/ التوحيد/ ١٠٠ .

(٣) القرشي/ موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام: ٣٣/ ١١٢.

أين، إذ هو منقطع الكيفية والأينية، وهو الواحد الأحد الصمد لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، فجلَّ جلاله».

وهنا الإمام عليه السلام اقتبس من قوله تعالى في سورة الإخلاص.

كذلك يشير الإمام عليه السلام إلى استحالة وصف النبي صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام فيقول: «أم كيف يوصف بكنه محمد صلى الله عليه وآله، وقد قرنه الجليل باسمه، وشركه في عطائه، وأوجب لمن أطاعه جزاء طاعته إذ يقول: ﴿**وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ**﴾»[1].

وقال يحكي قول من ترك طاعته، وهو يعذبه بين أطباق نيرانها وسرابيل قطرانها: ﴿**يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا**﴾[2].

أم كيف يوصف بكنه من قرن الجليل طاعتهم - يعني بهم أئمة أهل البيت - بطاعة رسوله حيث قال: ﴿**أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ**﴾[3].

وقال: ﴿**وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ**﴾[4].

وقال: ﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا**﴾[5].

وقال: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾[6].

يا فتح، كما لا يوصف الجليل جلَّ جلاله والرسول والخليل وولدا البتول،

---

(١) سورة التوبة: ٧٤ .

(٢) سورة الأحزاب: ٦٦.

(٣) سورة النساء: ٥٩ .

(٤) سورة النساء: ٨٣ .

(٥) سورة النساء: ٥٨ .

(٦) سورة النحل: ٤٣ .

فكذلك لا يوصف المؤمن المسلم لأمرنا»[١].

وعرض هذا الحديث إلى الاستحالة في وصف الله بصفة تحكي واقعه وتلم بذاته، فذلك أمر ممتنع، وكذلك بالنسبة إلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأوصيائه الأئمة المعصومين، بل حتى المؤمن المسلّم لأمر أهل البيت، فإن الإوصاف تقصر عن أن تلم بنزعاته الشريفة وصفاته الفاضلة.

٣- الزيارة الجامعة

أُثرت عن الإمام الهادي عليه السلام مجموعة من الزيارات الرائعة زار بها آباءه الأئمة الطاهرين عليهم السلام وهي مليئة بالاحتجاج على أحقية أهل البيت عليهم السلام بالخلافة الإسلامية، كما احتوت على وثائق مهمة من مآثرهم وفضائلهم ومناقبهم، ومن هذه الزيارات الزيارة الجامعة، حيث جاء فيها:

«... السلام على الدعاة إلى الله، والأدلاء على مرضاة الله، والمستقرين في أمر الله، والتامين في محبة الله، والمخلصين في توحيد الله، والمظهرين لأمر الله ونهيه، وعباده المكرمين الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، ورحمة الله وبركاته)[٢].

لقد اقتبس الإمام عليه السلام قوله من قوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**﴾[٣].

كذلك قوله عليه السلام: (أشهد أن لا أله إلا الله وحده لا شريك له، كما شهد الله لنفسه وشهدت له ملائكته وأولو العلم من خلقه، لا إله إلا هو العزيز الحكيم)[٤].

وهنا اقتبس الإمام عليه السلام قوله من قوله تعالى: ﴿**شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ**

(١) الإربلي/ كشف الغمة/ ٢/ ٢٨٦- ٢٨٧.

(٢) الصدوق/ من لا يحضره الفقيه/ ٢/ ٦٠٩ ، الطوسي/ تهذيب الأحكام/ ٦/ ٩٥.

(٣) سورة الأنبياء: ٢٦- ٢٧.

(٤) الصدوق/ من لا يحضره الفقيه/ ٢/ ٦٠٩ ، الطوسي/ تهذيب الأحكام/ ٦/ ٩٥.

﴿وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[١].

وقوله: (وأشهد أن محمداً عبده المنتجب، ورسوله المرتضىٰ، وأرسله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره علىٰ الدين كله ولو كره المشركون)[٢].

هنا اقتبس الإمام كلامه من قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[٣].

نتيجة البحث

١- أكد الإمام عليه السلام علىٰ ضرورة الرجوع إلىٰ القرآن والتمسك به لأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

٢- يبدو مما تقدم استظهار الإمام لكتاب الله تعالىٰ وجعله نصب عينيه في تفسيره دلالياً بما يقطع التخاصم والنزاع سيما وإن إجابات الإمام غير قابلة للرد أو الجدل لأنها طبقت المفصل.

٣- تعددت المجالات التي يتضح فيها البعد القرآني لدىٰ الإمام الهادي عليه السلام، حيث نجده في: إجاباته علىٰ المسائل، واستنباطه للأحكام، ومسائله الكلامية، وأدعيته، وزياراته.

---

(١) سورة آل عمران: ١٨.

(٢) الصدوق/ من لا يحضره الفقيه/ ٢/ ٦٠٩، الطوسي/ تهذيب الأحكام/ ٦/ ٩٥.

(٣) سورة التوبة: ٣٣.

مصادر البحث

خير ما نبتدئ به القرآن الكريم

١- الإربلي/ علي بن عيسى بن أبي الفتح(٦٩٣هـ)

كشف الغمة في معرفة الأئمة/ مطبعة النجف/ النجف الأشرف/ ١٣٥٨ه.

٢- باقر شريف القرشي

موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام/ الإمام علي الهادي عليه السلام/ تحقيق: مهدي باقر القرشي/ مطبعة نكارش/ ١٤٣٠هـ

٣- الحر العاملي/ محمد بن الحسن(١١٠٤هـ)

وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة/ دار إحياء التراث/ بيروت.

٤- ذبيح الله المحلاتي

مآثر الكبراء في تاريخ سامراء/ المطبعة الحيدرية/ النجف الأشرف.

٥- الرازي/ فخر الدين(٦٠٦هـ)

نهاية الإيجاز في دلالة الإعجاز/ / تحقيق: إبراهيم السامرائي ومحمد بركات حمدي/ دار الفكر للنشر والطباعة/ عمان/ ١٩٨٥م

٦- ابن شعبة/ الحسن بن علي الحرّاني الحلبي(من علماء القرن الرابع)

تحف العقول عن آل الرسول/ تحقيق: محمد صادق بحر العلوم/ المطبعة الحيدرية/ النجف الأشرف/ ١٣٨٤هـ.

٧- شهاب الدين محمود الحلبي

حسن التوسل إلى صناعة الترسل/ تحقيق: أكرم عثمان يوسف/ دار الحرية/ بغداد/ ١٩٨٧م

٨- ابن شهر آشوب/ رشيد الدين(٥٨٨هـ)

مناقب آل أبي طالب/ المطبعة الحيدرية/ النجف الأشرف/ ١٣٧٥هـ.

٩- الصدوق/ محمد بن علي بن الحسين(٣٨١هـ)

التوحيد/ المطبعة الحيدرية/ النجف الأشرف/ ١٣٨٣هـ.

١٠-الصدوق/ سابق

عيون أخبار الرضا/ دار العلم/ قم/ ١٣٧٧هـ.

١١- الصدوق/ سابق

من لا يحضره الفقيه/ تحقيق السيد حسن الموسوي الخرساني/ مطبعة النجف/ النجف الأشرف/ ١٣٧٧هـ.

١٢- الطبرسي/ أحمد بن علي بن أبي طالب(٥٨٨هـ)

الاحتجاج/ دار النعمان/ النجف الأشرف/ ١٣٨٦هـ.

١٣- الطوسي/ أبو جعفر محمد بن الحسن(٦٤٠هـ)

الأمالي/ طبعة النجف الأشرف.

١٤- الطوسي/ سابق

تهذيب الأحكام/ تحقيق السيد حسن الموسوي الخرساني/ دار الكتب الإسلامية/ النجف الأشرف/ ١٣٧٧هـ.

١٥- الطوسي/ سابق

مصباح المتهجد/ منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/ ١٤١١هـ.

١٦- علي صدر الدين ابن معصوم المدني

أنوار الربيع في أنواع البديع/ / ط١ -النعمان/ النجف الأشرف/ ١٩٦٨م/ تحقيق: شاكر هادي شكر

١٧- العياشي/ أبو النضر محمد بن مسعود(٣٢٠هـ)

تفسير العياشي/ تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي/ المكتبة العلمية الإسلامية/ قم/ ١٣٧١هـ.

١٨- ابن فارس/ بن زكريا

معجم مقاييس اللغة/ تحقيق: عبد السلام هارون/ ط١/ دار إحياء الكتب

العربية/ القاهرة/ ١٣٦٦هـ.

١٩- الفراهيدي/ الخليل بن أحمد

العين/ تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي/ ط٢/ مؤسسة دار الهجرة/ ١٤١٠هـ

٢٠- القزويني/ جلال الدين

الإيضاح في علوم البلاغة/ / شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي/ ط٥- منشورات دار الكتاب اللبناني- بيروت/ ١٩٨٠م

٢١- الكليني/ أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق(٣٢٩هـ)

الكافي/ تحقيق: علي أكبر الغفاري/ المطبعة الإسلامية/ طهران/ ١٣٨٨هـ.

٢٢- المجلسي/ محمد باقر(١١١١هـ)

بحار الأنوار/ دار الكتب الإسلامية/ طهران/ ١٣٨٦هـ.

٢٣- محمد حسن آل ياسين(١٤٢٧هـ)

الإمام علي بن محمد الهادي/ المطبعة العربية/ بيروت/ ٢٠٠١م.

٢٤- محمد حسين علي الصغير(معاصر)

موسوعة أهل البيت الحضارية/ الإمام علي الهادي عليه السلام/ مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر/ ١٤٢٩هـ.

٢٥- محمد عبده

شرح نهج البلاغة/ دار النهضة- بيروت

٢٦- هادي النجفي

موسوعة أحاديث أهل البيت/ ط١ ، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٣هـ.



البحث الرابـع

التوظيف القرآني

في رسالة الإمام الهادي عليه السلام

في الردِّ على أهل الجبر والتفويض

ـ دراسة نسقية ـ

أ.م. د. زينب علي عبيد أ.م.د. أمين عبيد جيجان

جامعة بابل

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية



الملخص:

إنَّ رسالة الإمام الهادي عليه السلام تحيل القارئ إلى كشف الدلالات النسقية التي تتموضع في بنية الرسالة وما تحويه من توظيف للنص القرآني لإثارة النشاط الفكري على المستوى اللفظي والمعنوي، لأن العرب لم يعرفوا خطاباً أكثر إعجازاً في دلالته شكلاً ومضموناً من القرآن الكريم؛ لذا آثر البحث الكشف عن القرآنية في نص رسالة الإمام علي الهادي عليه السلام بوصفه سليل النبوة وعاشر أئمة الشيعة الاثني عشرية، فالقيمة الأساسية للنص ماثلة في حضور الابداع الخطابي للإمام بوصفه عماداً من أعمدة السلم المجتمعي ومدى الأثر الذي كونتهُ الرسالة في تحقيق التوافق الفكري ونبذ الخلاف والعداوة الناجمة عن الاختلاف؛ لذا انقسم البحث إلى ثلاثة مباحث:

الأول: الذاكرة النسقية للنص من خلال التعريف بالذاكرة النسقية التي انتجت الخطاب .

الثاني: التوظيف القرآني بين النسق اللفظي والمعنوي.

الثالث: التوظيف القرآني والصياغات النسقية بين الشكل والموضوع وخاتمة البحث.

الكلمات المفتاحية: القرآن – النسق – النص.

أ.م. د. زينب علي عبيد
أ.م. د. أمين عبيد جيجان

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين وصلّى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغرّ المنتجبين.

تيمناً بقول الله تبارك وتعالى: ﴿**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا**﴾[١]، وأداءً لأجر الرسالة وهي مودة قربى رسول الله صلى الله عليه وآله، وطمعاً بحسنة وعد بها الله تعالى وأطمعُ في أنْ يزيد سبحانه فيها حسناً. كان هذا البحث طاعة لله ومودة لرسوله وآله الأطهار عليهم السلام ولأن اختصاصنا هو اللغة العربية وآدابها جاء هذا البحث في كلام الإمام علي الهادي عليه السلام. و قول أهل البيت عليهم السلام هو أفضل الكلام وانفعه فهم لهم الزعامة في البلاغة كما يقول الإمام علي عليه السلام «وإنّا لأمراء الكلام فينا تنشبت عروقه وعلينا تهدلت غصونه »[٢]

وكلامهم عليهم السلام منار هدى وسبل نجاة، ومشكلة الذين ابتعدوا عن منهاج أهل البيت عليهم السلام أنهم لم يطلعوا على كلامهم وكانوا بمعزل عنه ولا سبب في ذلك إلا مشكلات السياسة والزعامة، ولو اطّلع الناس على كلام أهل البيت عليهم السلام لاتبعوهم كما يقول الإمام الرضا عليه السلام: «فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا»[٣]

وقد اخترنا رسالة للإمام علي الهادي عليه السلام في قضية عقدية مهمة طالما اختلفت فيه فرق المسلمين وهي مسألة الجبر والتفويض، ولعلم المختلفين بعلم الإمام عليه السلام؛ إذ إن قوله هو القول الفصل فيما يتنازع فيه المسلمون؛ لأنه إمام الأمة المعصوم في

---

(١) سورة الشورى: ٢٣.

(٢) نهج البلاغة: للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: شرح الشيخ محمد عبده، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م: ٢ / ٤٧٨.

(٣) عيون أخبار الرضا: ١/ ٢٧٥.

زمانه وإليه الملجأ والمهرع. فكانت الرسالة في الردِّ على الفريقين فريق القول بالجبر وفريق القول بالتفويض؛ إذ كان كلاهما على خطأ لأن ما ذهب إليه أهل التفويض فحواه أن الله سبحانه خلق الخلْق وتركهم يفعلون ما يشاؤون وكأنه سلب السلطان عليهم، وسبق إلى ذلك القول اليهود فردَّ الله سبحانه عليهم قولهم بقوله تعالى: **﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾**(١).

أمّا قول أهل الجبر في أن الله أجبر عباده على كل شيء وليس لهم خيار حتى في المعاصي فهو سبحانه أجبرهم عليها ثم يعاقبهم بما أجبرهم عليه، وذلك ظلم واضح لا يفعله الإنسان العادل فكيف يمكن أنْ يفعله الله مع عباده وحاشا لله أن يكون ظالماً لعباده وهو الذي يقول في محكم كتابه: **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾**(٢).

وكان هذا البحث يرصد أثر القرآن الكريم في فكر الإمام علي الهادي عليه السلام واقتضت طبيعة البحث أن يقسم إلى ثلاثة مباحث: الأول كان عن الذاكرة النسقية للنص رسالة الإمام عليه السلام والثاني في التوظيف القرآني بين النسق اللفظي والمعنوي، والثالث التوظيف القرآني والصياغات النسقية بين الشكل والموضوع، وقفينا البحث بخاتمة للنتائج.

نسأل الله سبحانه أن يجعل هذا العمل طاعة له سبحانه، ومودة قربى لآل بيت نبيه صلّى الله عليه وعليهم أجمعين ونستغفر الله مما أردنا الإحسان فيه وخالفنا إلى غيره والله ولي التوفيق والحمد لله رب العالمين.

---

(١) سورة المائدة: ٦٤.

(٢) سورة فصلت: ٤٦.

المبحث الأول

الذاكرة النسقية للنص الرسالة

لا شك في أن هناك ارتباطاً بين النص من حيث هو نص والمخزون الذهني الذي يشتغل عليه، فالذاكرة النسقية تفرض على النص سلطة مكونة من شفرات ثقافية تفتح المجال نحو النظر النقدي إلى آفاق أوسع وأعمق من مجرد النظر إلى جمالية النص، لذا فإن فحص النص بوصفه خطاباً[١]، يؤسس الوعي لنقد الخطابات الثقافية وفحص تحولاتها النسقية وهذا لا يتم إلا بفحص الأنساق الذهنية للخطاب[٢] وبوصف الرسالة منتجاً خطابياً لا بدَّ من التعريف بالذاكرة النسقية التي انتجته كي يتسنى لنا قراءته والتنقيب في حفريات الأنساق المضمرة التي وجّهت النص[٣] والمؤسسة الثقافية التي ساهمت في خلق حالة من التشكل العقلي والذوقي وهذا ما يملي على البحث التعريف بمنتِج النص وهو بمثابة ذاكرة النص أو الذاكرة النسقية له.

فاسمه ونسبه هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، أمه اسمها سمانة ويقال لها سمانة المغربية. وهو عليه السلام عاشر أئمة الشيعة الاثني عشرية والثاني عشر من المعصومين

---

(١) ينظر:علم النص ـ مدخل متداخل الاختصاصات تون أ فان دايك تر: د.سعيد حسن بحيري دار القاهرة القاهرة مصر ط٢ ٢٠٠٥: ١٤-١٥. وينظر الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة د.عبدالله إبراهيم الدار العربية للعلوم بيروت لبنان ط١ ٢٠١٠: ١٣٢ .

(٢) ينظر: لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة د. عبدالفتاح أحمد يوسف منشورات الاختلاف الجزائر ط١ ٢٠١٠: ١٤٤ .

(٣) ينظر: الخطاب اللساني العربي هندسة التواصل الإضماري من التجويد إلى التوليد مستويات البنية الاضمارية وإشكالاتها الأساسية بن عيسى عسو ازابيط عالم الكتب الحديثة أربد الأردن ط١، ٢٠١٢: ٢ / ١٩-٢٤.

الأربعة عشر. ولد في صريا قرية في نواحي المدينة المنورة في منتصف ذي الحجة سنة ٢١٢ هـ[١].

و يمكن تقسيم مراحل عمر الإمام الهادي إلى مرحلتين هما:

الأولى مع والده الإمام محمد الجواد عليه السلام التي لا تتجاوز ثماني سنوات، وهي في المدينة المنورة، والثانية التي تحمل فيها أعباء جمة فقد تولّى منصب الإمامة واستمرت هذه المرحلة قرابة ثلاثين سنة. [٢]

وعانى الإمام عليه السلام من المواجهة السياسية والعزلة التي كانت قد فرضتها السلطة العباسية على هذا الإمام حيث أحكمت الرقابة عليه في عاصمتها سامراء[٣]. وقد تدرجت سياسة الخلفاء العباسيين في مواقفهم تجاه آل البيت عليهم السلام بعد أن ادركوا موقعهم الديني والاجتماعي المتمثل بإجماع أغلب المسلمين على حبهم ونصرتهم حيث يردد كل من يعرفهم عن قرب قوله تعالى: ﴿**اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾[٤]، في حين أنهم لا ينازعون أحداً في الحصول على منصب سياسي بل إنهم أصحاب مبدأ وعقيدة ومهمتهم المحافظة على معدن الرسالة المحمدية، ولم تكن تهمهم الدنيا حيث يقول الإمام علي عليه السلام: «وإن دنياكم عندي لأهون عليَّ من ورقة في فم جرادة تقضمها»[٥] وتنوّعت أساليب السلطة العباسية بين الرقابة الشديدة على أهل البيت التي وصلت إلى تزويج المأمون ابنته للإمام الجواد عليه السلام كي يحكم الرقابة عليه من طريق ابنته أم الفضل في حين استدعى المعتصم الإمام الجواد عليه السلام من مدينة جده

---

(١) ينظر: أعلام الهداية الإمام علي بن محمد الهادي لجنة التأليف المجمع العلمي العالمي لأهل البيت قم إيران ط١ ١٤٣٢: ١٢ / ٤٠.

(٢) ينظر: أعلام الهداية الإمام علي بن محمد الهادي: ١٢ / ١٨.

(٣) المصدر نفسه: ١٢ / ١٢٤.

(٤) سورة الأنعام: ١٢٤.

(٥) نهج البلاغة: ٢/ ٤٦٩.

رسول الله صلى الله عليه وآله وقضىٰ عليه بالسم.[١]

وقد كانت لسياسة المتوكل وأسلافه الأثر البالغ علىٰ الإمام الهادي فقد استدعاه وأحكم الرقابة عليه مدة تزيد علىٰ العشرين عاماً.[٢] وقد كان لسياسة المتوكل هذه وأسلافه الأثر البالغ في انفصال بعض أجزاء الدولة العباسية واستقلالها كدويلات بعيداً عن السلطة المركزية. فقد انتهج المتوكل سياسة العنف تجاه العلويين وتجلّىٰ ذلك بوضوح في أمره بهدم قبر الإمام الحسين بن علي عليه السلام ومنع الناس من زيارته[٣].

وعند فحص أسباب العداء هذه نجدها تعود إلىٰ تفرّد أهل البيت عليهم السلام بالنص عليهم في كتاب الله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُم**﴾[٤]، وكان لسلطتهم الروحية والعلمية تأثيرها علىٰ قلوب المسلمين أسباب أسهمت في خلق روح العداء تجاه آل بيت النبوة. فقد كان للإمام الهادي نفوذ في عمق البلاط بحيث نجد أم المتوكل تبعث بصّرة للإمام عليه السلام بعد التوسل به لتوصيف دواء لداء المتوكل وهو كاشف عن إيمانها بمكانة هذا الإمام عند الله تعالىٰ[٥] أما وفاته عليه السلام فقد كانت «في رجب سنة أربع وخمسين ومائتين، ودفن في داره بسرّ من رأىٰ، وخلّف من الولد أبا محمد الحسن ابنه وهو الإمام بعده والحسين ومحمد وجعفر وابنته عائشة وكان مقامه في سر من رأىٰ إلىٰ أن قبض لعشر سنين

---

(١) ينظر: التاريخ الإسلامي العام – الجاهلية – الدولة العربية – الدولة العباسية، علي إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، ط٣، ٢٠١٠: ٤٠٨ .

(٢) ينظر: أعلام الهداية – الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام: ١٢ / ١٢٦ .

(٣) ينظر: تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك – ويليه – الصلة – التكملة – المنتخب، محمد بن جرير الطبري أبو جعفر، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٢، ١٣٨٧ – ١٩٦٧: ٩ / ١٨٥. وينظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد بن محمد بن الأثير الجوزي، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د. ط، ٢٠١٦: ٦ / ١٨ .

(٤) سورة النساء: ٥٩.

(٥) أعلام الهداية – الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام: ١٢ / ١٢٤ .

وأشهر، وتوفي وسنّه يومئذٍ على ما قدّمناه إحدىٰ وأربعين سنة»[١] وكان ذلك في آخر ملك المعتمد فقد استشهد مسموماً ويقال: إن المعتمد هو من قتله[٢].

ما مرَّ عرضه من سيرة وأحداث خاصة بشخصية الإمام الهادي عليه السلام وهو ما نسميه بالذاكرة النسقية للنص الرسالة وهي ذاكرة ستؤسس لما سنأتي إليه فيما بعد.

(١) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الشيخ محمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٣، د.ت: ٥٠ / ١٠٣ .

(٢) ينظر: مناقب آل طالب، أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب السروي المازندراني، تحقيق: يوسف البقاعي، دار الأضواء، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١٢ - ١٩٩١: ٤ / ٤٣٣ .

المبحث الثاني

التوظيف القرآني بين النسق اللفظي والمعنوي

إن القدرة والتأثير التي تروم إليه رسالة الإمام علي الهادي عليه السلام تحقيقها إنما تجترح سياقات وطروحات فاعلة تتجلّى في توظيف الخطاب القرآني بوصفه عنصراً مركزياً ذا قدرة على التأثير بالآخر. والتأكيد على مفاهيم قرآنية حاولت القراءة النسقية تشخيصها.

إن القيمة الأساسية للنص ماثلة في حضور الابداع الخطابي للإمام الهادي عليه السلام في النشاط الفكري واللفظي على مستويي الشكل والمضمون.

ومما لا شك فيه أن العرب لم يعرفوا خطاباً أكثر إعجازاً في دلالاته اللفظية والمعنوية وبلاغته من القرآن الكريم.[1] وقد أثّر تأثيراً كبيراً على الرسول وآل بيته الأطهار عليهم السلام صار يظهر في نصوصهم وفيما ينشئون خطباً أو رسائل بوصف النص أداة خصبة في ظاهره ومضمره النسقي فهو يقتضي إجراءات في المنظومة النصية كرسالة موجهة إلى مجموعتين مختلفتين في موضوع معين؛ لذا آثر البحث التنقيب عن الأثر القرآني في رسالة الإمام الهادي عليه السلام والكشف عن الأنساق المضمرة التي حاول النص اخفاءها خلف الظاهر اللفظي والمعنوي.

تتجه رسالة الإمام الهادي عليه السلام بشكل أساس إلى تحويل مسار السلطة الدلالية من سلطة الدال إلى المدلول، من خلال تحليل الهوامش والاستطرادات داخل النص بوصفها صياغات تسهم في الكشف عن ماورائية اللغة والتراكيب.

لذا يطالع البحث عتبة العنوان «رسالته عليه السلام في الرد على أهل الجبر والتفويض

---

(١) ينظر: الاستشراف في النص – دراسة نقدية في استشراف المستقبل، عبدالرحمن العكيمي، الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٠: ٢١ .

وإثبات العدل والمنزلة بين المنزلتين»[١]، في عتبة العنوان هناك لفظان هما الردّ والإثبات بينهما علاقة نصوصية تتموضع في بنىٰ وأنساق تحيل إلىٰ مدلولات أعمق من اللفظ الظاهر. فعملية الردّ إنما هي سلطة نصية ذات منزلة فاعلة للمتلقي لأن في الردّ قوة تضعف من قدرة الآخر النسقي لذا فقد قرنها عليه السلام بلفظة الإثبات أي إن هذا الردّ فيه ممارسة لدور الفاعل والمفعول في البنية الدلالية للنص لمحاولة إيصال المعنىٰ إلىٰ المتلقي وهذا لا يتم دون إثبات، ولما كان هناك ارتباط بين النص من حيث هو نص والمخزون الذهني الذي تشتغل عليه الذاكرة النسقية فإنها تفرض علىٰ النص سلطة [٢] فسلطة الردّ متأتية من سلطة الإمامة[٣] وهي شكل من أشكال الوهج القرآني ولأن له (وصايا نفيسة في أمور الدين والحث علىٰ فعل الخير، والأمر بالتقوىٰ، والدعوة إلىٰ مكارم الأخلاق ... وحث المسلمين عليها من مختصات أهل البيت عليهم السلام، فلم يحفظ التاريخ للصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من العلماء ما حفظ للأئمة عليهم السلام من الوصايا)[٤] فالردّ الموجّه من المرسِل إلىٰ المرسَل إليه تثير لدىٰ الآخر تفسيرات نسقية كي تؤثر علىٰ مستويات الاستقبال لديه والتي توجّه النص لمعرفة الأبعاد النسقية التي تتحكم به فالنص إنما هو حادثة ثقافية وليس أدباً فحسب؛ لذا فعملية إحكام قبضة النص بلفظة الردّ إنما هو إحكام الاطراف المتنازعة من كتبة العنوان. وهذا الردّ

---

(١) تحف العقول عن آل الرسول ويليه كتاب التمحيص، الشيخ أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني، مطبعة الفجر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣٥ هـ ٢٠١٤ م: ٢٩٤ .

(٢) من زاوية وظيفته الكلامية، ينظر: بنية العقل العربي – دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، د. محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط ١٠، ٢٠١٠: ٣٠

(٣) ينظر: عقائد الشيعة الاثني عشرية وأثر الجدل في نشأتها وتطورها حتىٰ القرن السابع من الهجرة، عبدالله جنوف، دار الطليعة، بيروت، ، ٢٠١٣: ١٥ وينظر: الشيعة، هاينس هالم، تر:محمود كبيو، الوراق للنشر، بيروت، لبنان نط١، ٢٠١١.

(٤) أئمتنا – سيرة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، علي محمد علي دخيل، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٦: ٢٢٠ .

محكوم بالإثبات أي ناتج عن علم ودراية وقدرة وهي أيضاً شكل من أشكال القوة النسقية التي تعطي للردّ مقومات السلطة ليكون السؤال الثقافي: ما العلاقة الثقافية بين سلطتي الردّ والإمام ؟

وهل هناك أنساق قرآنية في النص وبالنص أسست للسلوك الموجه إلى الآخر؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات لا بدَّ من الدخول إلى النص. فعتبة العنوان تحيلنا إلى نص الرسالة التي يبدؤها «من علي بن محمد، سلام عليكم وعلى من اتبع الهدى ورحمة الله وبركاته، فإنه وردَ عليَّ كتابكم وفهمت ما ذكرتكم من اختلافكم في دينكم وخوضكم في القدر ومقالة من يقول منكم بالجبر ومن يقول بالتفويض، وتفرقكم في ذلك وتقاطعكم، وما ظهر من العداوة بينكم، ثم سألتموني عنه وبيانه لكم وفهمت ذلك كله»[1] الواضح أن مقدمة الرسالة كنسق هو المتداول والمتعارف عليه من التعريف بالمرسِل، والسلام هو بداية ومحور لما سيأتي من مفردات كي تمارس لفظة السلام هي الأخرى سلطة نسقية على النص من خلال سحب البساط من أي لفظة أخرى تحاول ممارسة السلطة ليعطف بعد ذلك، «وعلى من اتبع الهدى» وهي مستوحاة من قوله تعالى: ﴿**قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ**﴾[2] فإن (عليكم) الأولى من كلام الإمام عليه السلام إنما هي عامة وشاملة لمن اتبع الهدى ولغيره فالضمير (كم) هو للمخاطبين وهو بدوره يوسع النسيج المفاهيمي الذي يوجهه النص لحمل دلالات متغايرة، وعملية الاتساع هذه بدورها تقدم المعنى بصورته اللانهائية لتصبح الجملة الثقافية:

السلام ← **المسلم** / **غير المسلم**

(١) تحف العقول عن آل الرسول ويليه كتاب التمحيص: ٢٩٤ .

(٢) سورة طه: ٤٧.

والهدىٰ هو القرآن الكريم قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[١]

ليدخل بعد ذلك في مشكل الرسالة ألا وهو الاختلاف، إن معطيات هذا الاختلاف كلفظ أورده الإمام الهادي عليه السلام إنما هو معنىٰ مؤجل دلّ علىٰ غيره في النظام الدلالي اللغوي في النص نفسه فالاختلاف في الدين قاد إلىٰ الخوض في القدر وهذا بدوره يقود إلىٰ لفظة: تفرّقكم وتقاطعكم وإظهار العداوة بينكم. فقد عاد الضمير (كم) النسقية التي اختزلت كل الفروقات التي شكّلها المناخ الفكري المحيط بمعطيات الآخر المختلف ومحاولة تأكيدها من خلال تكثيفها في النص بشكل متلاحق. مما يدفع المتلقي للعيش داخل النص للقيام بتصيّد موضوعية المعنىٰ الغائبة لإحداث تعادلات مهمة تساهم في كشف الدلالة التي لم يتركها النص تنفذ منه وإنما فاجأ المتلقي بالانتقال من (كم) التلقي إلىٰ (كم) المرسِل في قوله: «ثم سألتموني عنه وبيانه لكم»، فلفظة لكم تشير إلىٰ تصرّف دلالي حاول الإمام عليه السلام توجيهه إلىٰ الآخر المختلف والمتفرق والمتقاطع والعدائي بجمعهم بمركز واحد المتمثلة بـ(لكم) المقدَمة من الإمام بوصفه سلطة، فحاول التصرّف بالدوال اللفظية ليوصل الآخر إلىٰ تخوم المعنىٰ من خلال تراكيب يحرّكها النص كيفما يشاء.

وبعد هذه المهادنة النصية يحاول القيام باستجلاب النموذج المتعالي الذي يصلح أن يوجه المتخالفين ألا وهو النظر في القرآن الكريم، بعد قوله: «اعلموا رحمكم الله أنا نظرنا في الآثار وكثرة ما جاءت به الأخبار فوجدناها عند جميع من ينتحل الإسلام ممن يعقل عن الله عزَّ وجلَّ لا تخلو من معنيين: إما حقّ فيتّبع وإما باطل فيجتنب»[٢] فأحكم قبضة النص بمدخل إعلموا ونتيجتها الحق / الباطل فما كان من الله فهو الحق وما كان من سواه فهو الباطل واستوحىٰ الإمام عليه السلام ذلك من قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ

(١) سورة الإسراء: ٩.

(٢) تحف العقول: ٢٩٤.

الْعَلِيُّ الْكَبِيرِ﴾[١]. وهي ثنائية مختلفة السياقات المنطقية التي جمعها نص الإمام عليه السلام في تموضعات سياقية واحدة، فالعلم وإدراكه يوجب الاتفاق ونفي الخلاف المعلن في بداية النص؛ لأنه إما حقّ فيتّبع أو باطل فيجتنب ولا وجود لخيار ثالث بينهما .

و مما لا شك فيه أن للتراكيب مركزاً لإعطاء أهمية لحركة الدوال ؛لأن المركز هو الجزء الحاسم من التركيب، وهو النقطة التي لا يمكننا الاستغناء عنها أو استبدالها. فالمركز هنا هو القرآن الكريم الذي وصفه الإمام بأنه حق لا ريب فيه مشيراً بقوله إلى الآية: ﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ**﴾[٢]. والمركز هنا إنما يساهم في حركة الدلالة والمعنى، فالقرآن هو النقطة التي يجتمع حولها المختلفون – المتفرّقون – المتقاطعون – المتعادون بالرغم من انبثاق معنى مختلف إلا أن المركز القرآن بوصفه العنصر المشع للدلالة قادر على أن يجمع المتفرقين رغم اختلاف المعنى؛ لأن القرآن من الله الواحد فلا اختلاف فيه، يقول تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ الله لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾[٣]، وقد مارس هذا المركز سياسته في تنشيط حركة الدلالة وترتيب الأنساق بقوله: «فأخبر أن جميع ما اجتمعت عليه الأمة كلها حق»[٤] فالإمام علي الهادي عليه السلام يتذكر ويذكر بقوله تعالى: ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِبِإِذْنِ الله ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرِ**﴾[٥]. وهذا نسق رئيس لا خلاف فيه لأنه مشروط بـ «هذا إذا لم يخالف بعضها بعضاً»[٦] فلا مجال للخلاف على المركز القرآن؛ لأنه «حق لا اختلاف

---

(١) سورة لقمان: ٣٠.

(٢) سورة البقرة: ٢.

(٣) سورة النساء: ٨٢.

(٤) تحف العقول: ٢٩٤.

(٥) سورة فاطر: ٣٢.

(٦) تحف العقول: ٢٩٤ .

بينهم في تنزيله وتصديقه، فإذا شهد القرآن بتصديق خبر وتحقيقه وأنكر الخبر طائفة من الأمة لزمهم الإقرار به ضرورة حين اجتمعت في الاصل على تصديق الكتاب»[١].

والإمام هنا يتيح فرصة لخلق بدائل مستمرة في أنظمة مختلفة حول مسألة إجماع الأمة كلها على حق، وهذا الحق هو القرآن الكريم؛ لأنه المرجع والمآل لكل الأطراف المختلفة لأنها تجتمع على تصديق هذا الكتاب الذي فيه حلٌّ لكل شيء مما يشكل على المسلمين ويختلفون فيه إذ يقول تعالى: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ**﴾[٢].

وقد أخرج الإمام من هذه المنظومة الجاحد والمنكر؛ لأنه معاند للحقيقة كما قال تعالى: ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**﴾[٣]، لأن الجاحد المنكر يخلق بؤرة للتمركز فيها محاولًا ممارسة تسلطه ونفوذه في اختلاس بعض المعنى وإنتاج معاني جديدة لذا فقد أطلق حكماً عليه بقوله:«لزمها الخروج من الملة»[٤] وهو بذلك يضع المتلقي أمام جدلية فعل السلطة والتسلط. السلطة المتمثلة بالإمام الذي يعود بدوره إلى المركز القرآن الكريم ليمارس سياسته في منع الخلاف والتشتت في غياهب اللفظ. فبالرغم من الخوض في ألفاظ القدر والتفويض كدالّ قد يولّد بنية متناقضة لفظياً لذاتها ولغيرها إلا أن المعنى القرآني متسم بالاستقرار والتنظيم والمستوعب لاستثمار أفعال التراكم المعرفي الناتجة من التأثّر والتأثير بمراكز دلالية لنصوص مختلفة ليصبح النسق اللفظي والمعنوي لنص الرسالة كما في المخطط الآتي:

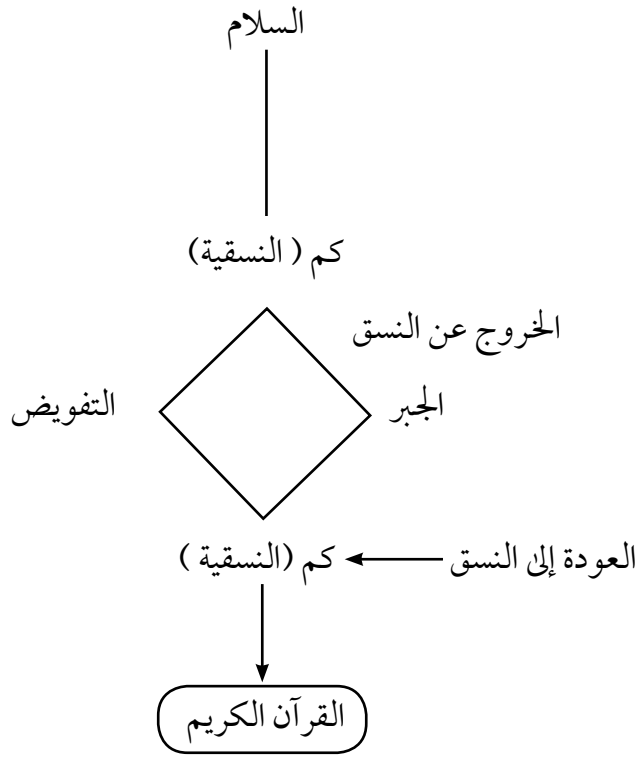
فالجملة الثقافية نسقياً هي أن الاختلاف المعرفي أهل الجبر - أهل التفويض

(١) تحف العقول: ٢٩٤ .

(٢) سورة النحل: ٨٩.

(٣) سورة النمل: ١٤.

(٤) تحف العقول: ٢٩٤ .



لا يتعارض مع اجتماع الدلالة حول مركزية القرآن الكريم، خاصة وأن السلام له الأسبقية النصية ليشكل بؤرة بحضور (كم) النسقية التي انتصرت على التفرقة والتقاطع والعداوة؛ لذا فإن عملية الرجوع إلى المركز كان لا بدَّ لها من سلطة تشريعية نصية تمثلت بلفظةالردّ التي شكلت عتبة لا بدَّ من الاعتراف بها قبلياً.

المبحث الثالث

التوظيف القرآني والصياغات النسقية

بين الشكل والموضوع

إنَّ عملية إعادة قراءة النص تقتضي عدم الاطمئنان إلى معان ثابتة ومحددة قبليا، والاحتفاء بالسيرورة اللامنتهية للدلالة، لتتموضع البنى الشكلية في أنساق تحيل إلى مدلولات لا نهائية كمدلول موضوعي لا يمكن اختزاله للتوجه إلى بنية النص وتراكيبه بشكل مستمر نقطة الأصل.

فبعد الإحكام النصي اللفظي والمعنوي فيما سبق يتجه النص لتشكيل نقاط تحدث تشعباً دلالياً وتفرّعاً إيحائياً لما تحمله من موروث ديني لإحالة المراكز إلى المركز الأوحد مرة أخرى، رغم البدائل المتاحة بقوله: « فأول خبر يعرف تحقيقه من الكتاب وتصديقه والتماس شهادته عليه خبر ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله ووجد بموافقة الكتاب وتصديقه لا تخالفه أقاويلهم»[1] ويتجه النص لنقد الاختلاف الديني الذي نتج عنه العداء والقطيعة إلى التمحور حول فكرتين هما الإتيان بخبر محقق عن الرسول صلّى الله عليه وآله بإجماع الكتاب على صحة صدقه إذ لا خلاف ولا قطيعة ولا عداوة. وهذه هي الفكرة الأولى الصياغة النسقية الموضوعية.

أما الأخرى فتمثل بقوله صلى الله عليه وآله: «إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ـ أهل بيتي ـ لن تضلوا ما تمسكتم بهما وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»[2] فقد آثر النص إلى تقويض المراكز الدلالية وبؤر المعاني التي تشكلت حولها ليعرضها وبسرعة على كتاب الله سبحانه بقوله:« فلما وجدنا شواهد هذا الحديث في كتاب الله نصاً مثل قوله عزَّ وجلَّ: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ**

(١) تحف العقول: ٢٩٥ .

(٢) المصدر نفسه.

وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[١].

فقد أنتج النص نظاماً محكماً من التفكير. فالصياغة الموضوعية احيلت إلى صياغة شكلية موضوعية لتتحدد بمبدأين هما: الله سبحانه ورسول الله وآل بيته الأطهار عليهم السلام؛ ليشكّل النص القرآني المركز والبؤرة التي تدور حولها كل الآراء والاختلافات المفاهيمية .

ومما لا شك فيه أن النص يستكشف الأبعاد السياسية لإقصاء المركز الديني وتحويل الدلالة إلى التمركز السياسي فالمركز متمثل بـ القرآن الكريم، قال تعالى: **﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾**[٢] وعصر الإمام الهادي عليه السلام امتاز بالصراع السياسي على الحكم خاصة عهد المتوكل الذي يوصف بانه عصر نفوذ الأتراك ٢٣٢ – ٣٣٤ هـ واعتبره البعض بدء عصر انحلال الدولة العباسية[٣]؛ لذا فإن المراهنة على غياب المركز والتوجه إلى التمركز سياسياً والموالاة للأتراك[٤] ومن غير العرب قال تعالى: **﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾**[٥] وهو تشكلٌ من تشكلات النسق الثقافي للعصر العباسي.

فقد وضع النص المتلقي أمام ثنائية الحضور والغياب حضور المركز القرآن الكريم المتمثل بالتصريح بأحقية الله تعالى أولاً ورسوله والمؤمنون ثانيا بالولاية،

---

(١) تحف العقول: ٢٩٥.

(٢) سورة المائدة: ٥٥ ـ ٥٦.

(٣) ينظر: تاريخ الدولة العباسية، د. محمد سهيل طقوش، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط٧، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م: ١٥٦ – ١٥٧ .

(٤) ينظر تاريخ الدولة العباسية، د. نبيلة حسن محمد، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، مصر، ١٩٩٣: ١٨.

(٥) سورة البقرة: ٩.

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهُذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾(١) وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾(٢) ومنظومة الحضور هذه أكدها النص يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعليّ مولاه»، وحين تعمل منظومة الحضور لا بد لها من وجود النقيض وهو الغياب وقد أسس النص لهذا الغياب المفترض في سلسلة العلامات اللانهائية المتمثلة بالمؤسسة السياسية التي تحاول زعزعة هذا الحضور وتقويضه من طريق ممارسة سياسة العنف تجاه العلويين وشيعة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله فضلاً عن أهل البيت أنفسهم المتمثلة بالإمام الهادي عليه السلام والقيام بإشخاصه عليه السلام من قبل المتوكل من المدينة إلى سامراء(٣) كشكل من أشكال المتاهة التي تأزم الآخر؛ لأن الإمام الهادي عليه السلام هو سليل دوحة النبوة وثمرة شجرة الإمامة التي هي فرع النبوة والذي عبّرت عنه الآية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(٤) فالإمام هو حجة الله سبحانه على خلقه. وعملية الإقصاء هذه التي حاولت السلطة السياسية توجيهها إنما شكلت قراءة مزدوجة للنص؛ لأنه حامل لمعان كثيرة لتضع المعطيات على أساس خصوصية النص بوصفه نصاً يمارس سلطة دينية تشريعية وعلى أساس خصوصية القارئ الذي توجه له الرسالة. ولا شك أن الفضاء الزمكاني يسهم بشكل فاعل في تشكيل معنى آخر جديد منطلق من حيثيات أنظمة المجتمع وأنظمة النص على حدٍّ سواء لبناء وظائف دلالية تتوزع بين النص وقارئه، فالنص ينهض بمهمة نشر الدوال، وينهض الثاني القارئ بمهمة تلمس الاختلافات الناتجة من

---

(١) سورة آل عمران: ٦٨ .

(٢) سورة المائدة: ٥٦.

(٣) ينظر: أعلام الهداية: ١٢ / ١٨ .

(٤) سورة الأنفال: ٧٥ .

تعدد المعاني النصية ومتاهة مدلولاتها. فتشكيلة النص النسقية تحدث إثارة لدى المتلقي فتوصله إلى تخوم المعنى ثم تسحبه إلى مداليل لا نهائية. ومركزية النص تنتج مركزاً يشع توهجاً وهو النص القرآني الذي يحيل القارئ إلى التحرر من فكرة التمركز حول الفروض والنظريات الأخر التي لا شك في أن تكون لها مرجعيات سياسية واجتماعية ونقدها ومحاولة الاجتماع حول المركز الذي يعكس بدوره صفة الحضور التي تتقاطع مع الاختلاف الديني والتفرقة الفكرية فهو سبيل للوحدة النصية والمجتمعية للتخلّي عن كل المراكز الأخرى. وبذلك فهو يلزم الآخر المتناقض بضرورة التسليم للنص القرآني ليقول: «فلما شهد الكتاب بتصديق الخبر وهذه الشواهد الأخر لزم على الأمة الإقرار بها ضرورة إذ كانت هذه الأخبار شواهدها من القرآن ناطقة ووافقت القرآن والقرآن وافقها»[١] وعند تجاوز الغشاء الشكلي السابق والنفاذ إلى العالم الموضوعي للنص نجده يتجلّى بقوله تعالى: ﴿**قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هُذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ**﴾[٢] فالنص يحاول جاهداً توظيف المنهج القرآني واستخدام نتائجه ومعطياته .

فالنسق القرآني الذي سيطر على النص منذ اللحظة الأولى بدأ يشخص العيوب النسقية لدى الآخر بالوقوف على معدلات نصوصية لا تتقبل الاختلاف والمغايرة فيها «ثم وردت حقائق الأخبار من رسول الله صلى الله عليه وآله عن الصادقين عليهم السلام ونقلها قوم ثقات معروفون فصار الاقتداء بهذه الأخبار فرضاً واجباً على كل مؤمن ومؤمنة لا يتعداه إلا أهل العناد»[٣] مشيراً إلى قوله تعالى: ﴿**بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ**﴾[٤].

---

(١) تحف العقول: ٢٩٥ .

(٢) سورة الأنعام: ١٩.

(٣) تحف العقول: ٢٩٥ .

(٤) سورة العنكبوت: ٤٩.

ليعود المركز القرآن الكريم يمارس السلطة الثقافية ذات القوة التأثيرية؛ لأن الجملة النسقية في قوله: «من رسول الله صلى الله عليه وآله عن الصادقين عليهم السلام»[١] إنما هي علامة ثقافية معبرة عن دلالتين نسقيتين إحداهما ظاهرة يعلنها النص وهو صدق الأخبار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله إذ كانت ممن عرفوا بصدقهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله الذي صدّقه القرآن بقوله: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾[٢]، والثانية هو إجراء عملية استدعاء للمعنى النسقي واستخراجه من المضمر فلفظة (الصادقين) إنما هي النواة النسقية التي تحيل إلى لفظة الكاذبين وغير الصادقين وضرورة التحرّي النسقي قبل تصديق الخبر. إذ إن الدلالات النسقية التي تحتل الخطاب الأدائي لهذا النص هي ثلاث دلالات:

الأولى: الاجتماع على كلمة القرآن بوصفه سلطة تشريعية .

الثانية: ضرورة الاعتراف بأن الإمام الهادي عليه السلام هو صورة من صور السلطة بوصفه أحد الأئمة الاثني عشر .

الثالثة: أن تعددية الآخر الفكري والمذهبي لا تبيح لهم الغاء أو إقصاء السلطة الإلهية المتمثلة بالقرآن الكريم .

على الرغم من أن موضوع الجبر والتفويض[٣] التي كانت من مسائل الخلاف في عصر الإمام، حاول عليه السلام أن يخرجها من حدود الشكل اللفظي لإعادة انتاجها في مصنع الإنسان المضمون وهذا هو تشخيص دقيق لفعل النسق بالشخصية السلوكية والثقافية. وهو تمرير الآخر بسياقات نصوصية توصله إلى التسليم المطلق من خلال

(١) تحف العقول: ٢٩٥.

(٢) سورة النجم: ٣ ـ ٤.

(٣) ينظر: دراسة حول الجبر والتفويض والقضاء والقدر، السيد مرتضى العسكري، بيروت، د.ط، د.ت: ٥ - ٦، وينظر: الملل والنحل، للإمام أبي الفتح محمد الشهرستاني، صححه: أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٢: ٧٢ وما بعدها.

اعتماد قيم سماوية تنظم اختلافات الآخر وتفرض عليه سلطة كي تضمن للآخر القدرة على التعايش والاستمرار.

فخلاصة رسالة الإمام علي الهادي عليه السلام في الردّ على الفريقين فريق القول بالجبر وفريق القول بالتفويض إذ كان كلاهما على خطأ لأن ما ذهب إليه أهل التفويض فحواه أن الله سبحانه خلق الخلق وتركهم يفعلون ما يشاؤون وكأنه سلب السلطان عليهم، وسبق إلى ذلك القول اليهود فردَّ الله سبحانه عليهم قولهم بقوله تعالى: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ**﴾[1].

أما قول أهل الجبر في أن الله أجبر عباده على كل شيء وليس لهم خيار حتى في المعاصي فهو سبحانه أجبرهم عليها ثم يعاقبهم بما أجبرهم عليه، وذلك ظلم واضح لا يفعله الإنسان العادل فكيف يمكن أنْ يفعله الله مع عباده وحاشا لله أن يكون ظالماً لعباده وهو الذي يقول في محكم كتابه: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**﴾[2]، وتفنيد الإمام عليه السلام لقولي الفريقين أفضى به للقول بإثبات العدل لله تعالى، وأن الأمر منزلة بين المنزلتين فلا جبر ولا تفويض.

---

(١) سورة المائدة: ٦٤.

(٢) سورة فصلت: ٤٦.

الخاتمة:

تروم رسالة الإمام علي الهادي عليه السلام إلى توظيف القرآن الكريم وفق أنساق معلنة ومضمرة بتوجهات شتى آثر البحث فحصها ورصدها وأهم تشكلات النسق تجسدت عبر النقاط الاتية:

١) لما كان هناك ارتباط بين النص من حيث هو نص والمخزون الذهني الذي يشتغل عليه لأن الذاكرة النسقية تعرض على النص سلطة عبر تحولاتها النسقية؛ لذا كان لا بدَّ من التعريف بالذاكرة النسقية التي انتجت الخطاب كي تصبح عملية قراءة النص موجهة نحو المؤسسة الثقافية التي انتجته.

٢) منتج النص هو عاشر أئمة الشيعة الاثني عشرية والثاني عشر من المعصومين الأربعة عشر. وقد تولّى الإمامة بعد وفاة والده الإمام الجواد عليه السلام لذا كان لا بدَّ للنص (الرسالة) أن تتشكل وفق التوجّه العقلي والذوقي لمنتجه.

٣) وظفت رسالة الإمام علي الهادي عليه السلام القرآن الكريم بين نسقية اللفظ والمعنى من خلال اجتراح سياقات وطروحات فاعلة للتأثير على الآخر المتخالف ـ المتفرّق ـ المتقاطع ـ المعادي .

٤) كي يتسنى للنص التحكم في الآخر كان لا بدَّ من فرض سلطة ألا وهي الردّ التي كانت متأتية من سلطة الإمامة وهي بدورها شكل من أشكال الوهج القرآني المقترن بـالإثبات لمحاولة كسب المعنى من جانب المتلقي.

٥) إنَّ عملية إحكام قبضة النص تتطلّب تحويل مسار السلطة الدلالية سلطة الدال إلى المدلول من خلال تحليل الهوامش والاستطرادات داخل النص بوصفها صياغات تسهم في الكشف عن ما ورائية اللغة والتراكيب.

٦) إنَّ عملية التحكم أفضت إلى استثمار لفظي دلالي فكانت لفظة السلام المعلنة تشكل سلطة نسقية مضافة لتعزيز سلطة الردّ وتثبيتها، وهي عامة شاملة للمخاطبين

ليوسع من دائرة النسيج المفاهيمي كي يحمل النص دلالات مغايرة للآخر المتفرّق.

٧) محاولة استجلاب النموذج المتعالي الذي يصلح أنْ يوجّه إلى كل المتخالفين وهو القرآن الكريم لجعله الحكم النهائي على كل الاختلافات والتعارضات التي انتجها الآخر ومحاولة زعزعة تمركز الآخر عبر مركزية الأصل القرآن الكريم.

٨) ليصبح القرآن الكريم بوصفه مركزاً نقطة يجتمع حولها المختلفون ـ المتفرّقون ـ المتقاطعون ـ المتعادون يمارس سياسته في تنشيط حركة الدلالة وترتيب الأنساق.

٩) أنتج النص نظاماً محكماً من التفكير، فالصياغة الموضوعية أحيلت إلى صياغة شكلية موضوعية محددة بمبدأين هما: الله سبحانه وتعالى ورسول الله وآل بيته الأطهار عليهم السلام. ليشكل النص القرآني البؤرة التي تدور حولها كل الآراء والاختلافات المفاهيمية.

١٠) يستكشف النص الأبعاد السياسية لإقصاء المركز الديني وتحويل الدلالة إلى التمركز السياسي من خلال النزاع السياسي على السلطة.

١١) وضع المتلقي أمام ثنائية الحضور/ الغياب ويتمثل بحضور المركز القرآن الكريم المتمثل بالولاية والغياب المتمثل بالتمركز السياسي في محاولة زعزعة هذا الحضور وتقويضه من خلال ممارسة سياسة العنف ضد آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله.

١٢) للنص ثلاث دلالات نسقية شكلته مخاتلةً ووجهت النسق فيه وهي:

أ-الاجتماع على كلمة القرآن بوصفه سلطة تشريعية.

ب-ضرورة الاعتراف بالإمام الهادي عليه السلام بوصفه صورة من صور السلطة.

ت-إنَّ تعددية الآخر الفكري والمذهبي لا تبيح إقصاء السلطة الإلهية المتمثلة بالقرآن الكريم.

المصادر

القرآن الكريم

١) أئمتنا سيرة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام علي محمد علي دخيل مؤسسة دار الكتاب الإسلامي ط١ ٢٠٠٦ .

٢) الاستشراق في النص دراسة نقدية في استشراف المستقبل عبد الرحمن العتبي الانتشار العربي بيروت لبنان ط١ - ٢٠١٠.

٣) أعلام الهداية الإمام علي بن محمد الهادي لجنة التأليف المجمع العلمي العالمي لأهل البيت قم إيران ط١ ١٤٣٢.

٤) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار الشيخ محمد باقر المجلسي دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ط٣ د. ت

٥) بنية العقل العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية د. محمد عابد الجابري مركز دراسات الوحدة العربية بيروت لبنان ط١٠ - ٢٠١٠.

٦) التاريخ الإسلامي العام الجاهلية الدولة العربية الدولة العباسية علي إبراهيم حسن مكتبة النهضة المصرية مصر ط٣ - ٢٠١٠.

٧) تاريخ الدولة العباسية، د. محمد سهيل طقوش، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط٧، ٢٠٠٩ .

٨) تاريخ الدولة العباسية، د. نبيلة حسن محمد، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، مصر، د.ط، ١٩٩٣.

٩) تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك ويليه الصلة التكملة المنتخب محمد بن جرير الطبري أبو جعفر تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف ط٢ - ١٣٨٧ـ ١٩٦٧.

١٠) تحف العقول عن آل الرسول ويليه كتاب التمحيص الشيخ أبو محمد الحسن ابن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني منشورات الفجر بيروت لبنان ط١ - ٢٠١٤.

١١) الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة د. عبدالله إبراهيم الدار العربية للعلوم بيروت لبنان ط١- ٢٠١٠.

١٢) الخطاب اللساني العربي هندسة التواصل الإضماري من التجريد إلى التوليد مستويات البنية الإضمارية وإشكالاتها الأساسية بن عيسى عسو ازابيط عالم الكتب الحديثة اربد الأردن ط ٢٠١٠.

١٣) دراسة حول الجبر والتفويض والقضاء والقدر السيد مرتضى العسكري بيروت لبنان د.ط د. ت

١٤) الشيعة هانيس هالم تر: محمد كبيو الوراق للنشر بيروت لبنان ط١ - ٢٠١١.

١٥) عقائد الشيعة الاثني عشرية وأثر الجدل في نشأتها وتطورها حتى القرن السابع من الهجرة عبد الله جنوف دار الطليعة بيروت لبنان ط١- ٢٠١٣ .

١٦) علم النص مدخل متداخل الاختصاصات تون أ فان دايك تر: د. سعيد حسن بحيري دار القاهرة القاهرة مصر ط٢ - ٢٠٠٥.

١٧) الكامل في التاريخ علي بن محمد بن محمد بن الأثير الجوزي تحقيق: عمر عبد السلام تدمري دار الكتاب العربي بيروت لبنان د. ط - ٢٠١٦ .

١٨) لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة د. عبد الفتاح أحمد يوسف منشورات الاختلاف الجزائر ط١- ٢٠١٠ .

١٩) مسند الإمام الرضا عليه السلام، تحقيق الشيخ عزيز الله عطاردي، مؤسسة طبع ونشر آستان قدس الرضوي، ربيع الآخر ١٤٠٦ هـ .

٢٠) الملل والنحل الإمام أبي الفتح محمد الشهرستاني صححه: أحمد فهمي محمد دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط٢ - ١٩٩٢.

٢١) مناقب آل أبي طالب أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب السروي المازندراني تحقيق: يوسف البقاعي دار الأضواء بيروت لبنان ط٢ ١٤١٢-١٩٩١.

٢٢) نهج البلاغة: للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، شرح الشيخ محمد عبده، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م .



البحث الخامس

مرويات

الإمام علي الهادي عليه السلام

في التفسير مرتبة حسب السور

أ.م.د علي ناصر مطلك

جامعة ذي قار

كلية العلوم الإسلامية

قسم علوم القرآن



الملخص

يهدف البحث إلى إبراز تراث أهل البيت عليهم السلام في تفسير القرآن الكريم، وهم الثقل الأعظم، فشرع الباحث في جمع مرويات الإمام الهادي عليه السلام وتوثيقها من الكتب التفسيرية والحديثية، وعلّق على بعضها بما اقتضت إليه الحاجة، وبيّن في البحث أن للأئمة (سلام الله عليهم) منهجاً خاصاً في تفسير القرآن الكريم، يفهمه كل من مارس كلماتهم ولاحتْ له تجلياتهم، فكانت مروياته عليه السلام تتمثل بدءاً من إبراز فضل تلاوة القرآن الكريم وفي النهي عن الجدال فيه وأن الجدل فيه بدعة، وفي فضل تلاوته على المريض وأنه شفاء إنْ قرئ بنية البرء، ثم مروياته عليه السلام في تأويل القرآن، وصلّى الله على خير خلقه محمد وعلى آله الطيبين وصحبه المنتجبين.

summary

The research aims to highlight the heritage of the people of the house (peace be upon them) in the interpretation of the Holy Quran، they are the greatest weight، so the researcher proceeded to collect Merawiat Imam Hadi (peace be upon him) and documented from the books of interpretation and modern، and commented on some of them as needed، and in the research that the imams (Peace be upon them) have a special approach in the interpretation of the Koran، understood by everyone who spoke their words and salute his manifestations، was Meruith (peace be upon him) is the first to highlight the recitation of the Koran and the prohibition of controversy and controversy in which heresy، The patient and he healing that read the structure of the innocent، and then Merawi (peace be upon him) in the interpretation of Koran، and pray to God for the good creation of Muhammad and the Taybein and his companions.

التمهيد:

شيء من سيرة الإمام الهادي عليه السلام:

هو الامام أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى عاشر أئمة أهل البيت عليهم السلام، ولد في النصف من ذي الحجة لسنة ٢١٢هـ كما ذكر ذلك الشيخ الكليني[١]، وروي أنه عليه السلام ولد أيضاً في رجب سنة ٢١٤هـ[٢]، ورجح الطبرسي ذلك[٣]، عاش الإمام عليه السلام مع أبيه ست سنين وسبعة أشهر[٤]، أو ست سنين وخمسة أشهر[٥]، وتولّى الإمام عليه السلام الإمامة في سنة ٢٢٠هـ وله ست سنين وشهور[٦]، توفي الإمام الهادي عليه السلام سنة ٢٥٤هـ في أيام الخليفة العباسي المعتزّ عن عمر يناهز الأربعين عاماً، ودفن عليه السلام بسامرّاء[٧].

---

(١) ينظر: الكافي: ١/ ٤٩٧، وينظر البحار للعلّامة للمجلسي: ٥٠/ ١٤.

(٢) ينظر: الهداية الكبرى: ٣٢٣، إحقاق الحق: ١٢/ ٤٤٤، أعيان الشيعة: ٢/ ٣٦.

(٣) ينظر: دلائل الإمامة: ٢١٢.

(٤) ينظر: الهداية الكبرى: ٣١٣.

(٥) ينظر: دلائل الإمامة: ٤٠٩.

(٦) ينظر: إثبات الوصية للمسعودي: ٢٣٠.

(٧) ينظر: مروج الذهب للمسعودي: ٤/ ٨٤، تاريخ بغداد: ١٢/ ٥٦.

المبحث الأول

فضل تلاوة القرآن الكريم عند الإمام الهادي عليه السلام

والنهي عن الجدال فيه

وردت روايات عن الإمام الهادي عليه السلام تشيد بتلاوة القرآن الكريم والتحذير من الجدال فيه، منها:

١- قال الإمام علي الهادي عليه السلام: إنّ القرآن كتاب شامخ مقامه، عميق أثره، مهيمن على كلّ كتاب كان قبله، وعلى زبر الأوّلين، عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا يزداد على النشر والدرس إلّا غضاضة؛ لأنّ الله تعالى لم يجعله لزمان دون زمان، ولا لناس دون ناس، فهو في كلّ زمان جديد، وعند كلّ قوم غضّ إلى يوم القيامة، ولا يقدر أحد أن يأتي بمثله؛ لأنّه هو المعجزة الخالدة للنبيّ صلى الله عليه وآله طول الدهر، ويتحدّى بأعلى صوته منذ سنين متطاولة ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾[1][2].

٢- قال عليّ بن محمّد عليهما السلام:... إعلموا رحمكم الله... قد اجتمعت الأُمّة قاطبة لا اختلاف بينهم أنّ القرآن حقّ لا ريب فيه عند جميع أهل الفرق... والقرآن حقّ لا اختلاف بينهم في تنزيله وتصديقه، فإذا شهد القرآن بتصديق خبر وتحقيقه، وأنكر الخبر طائفة من الأُمّة لزمهم الإقرار به[3].

٣- عن محمّد بن عيسى بن عبيد اليقطينيّ قال: كتب عليّ بن محمّد بن عليّ ابن موسى الرضا: إلى بعض شيعته ببغداد:... نحن نرى أنّ الجدال في القرآن بدعة اشترك فيها السائل والمجيب، فتعاطى السائل ما ليس له، وتكلّف المجيب ما ليس عليه، وليس الخالق إلّا الله وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله لا تجعل له اسماً من

---

(١) البقرة: ٢/ ٢٣.

(٢) ينظر: الأمالي: ٥٨٠، حديث رقم١٢٠٣، والبحار: ٨٩/ ١٥.

(٣) ينظر: تحف العقول: ٤٥٨.

عندك فتكون من الضالّين، جعلنا الله وإيّاك من الذين يخشون ربّهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون[١].

٤- محمّد بن يعقوب الكلينيّ رحمه الله عن أبي عمرو الحذّاء قال:... وكتبت من البصرة على يدي عليّ بن مهزيار إلى أبي الحسن عليه السلام:... فأحببت أن تخبرني يا مولاي كيف أصنع في قراءة إِنَّآ أَنزَلۡنَاهُ أقتصر عليها وحدها في فرائضي وغيرها؟ أم أقرأ معها غيرها؟ أم لها حدّ أعمل به؟ فوقّع عليه السلام وقرأت التوقيع: لا تدعُ من القرآن قصيره وطويله، ويجزؤك من قراءة إِنَّآ أَنزَلۡنَاهُ يومك وليلتك مئة مرّة[٢].

٥- ذكر الطبرسيّ رحمه الله: عن حمران قال: كتبت إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام:... رجل من مواليك به حصر البول، وهو يسألك الدعاء أن يلبسه الله العافية،... فأجاب عليه السلام: كشف الله ضرّك، ... وألحّ عليه بالقرآن، فإنّه يشفي إن شاء الله تعالى[٣].

---

(١) ينظر: الأمالي: ٤٣٨، حديث:٩.

(٢) ينظر: الكافي:٥/ ٣١٦، حديث رقم:٥٠.

(٣) ينظر: مكارم الأخلاق للطبرسي:٣٦٥.

المبحث الثاني

الوارد عن الإمام الهادي عليه السلام

في تفسير القرآن في النصف الأول من القرآن

وردت روايات عدة عن الإمام سلام الله عليه في تفسير القرآن؛ مما يدلل على عظمة اهتمام أهل بيت الرحمة الذين هم عدل القرآن بتفسير القرآن الكريم.

المطلب الأول

الروايات التفسيرية في سور السبع الطوال

سورة البقرة:

١- قوله تعالى: ﴿**بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[١]، فذكر ابن شعبة الحرّاني رحمه الله بسنده عن علّي بن محمّد عليهما السلام: من زعم أنّ الله يدفع عن أهل المعاصي العذاب فقد كذّب الله في وعيده حيث يقول: ﴿**بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[٢].

٢- قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾[٣]، نقل ابن شعبة الحرّاني رحمه الله عن علّي بن محمّد عليهما السلام...: من زعم أنّ

---

(١) سورة البقرة: ٨١.

(٢) ينظر: تحف العقول: ٤٥٨.

(٣) سورة البقرة: ٨٥.

الله يدفع عن أهل المعاصي العذاب... ممّن كذّب وعيد الله، ويلزمه في تكذيبه آيـة من كتاب الله الكفر. وهو ممّن قال الله: ﴿**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾[1].

٣- قوله تعالى: ﴿**مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ**﴾[2]، فقد ذكر الشيخ الطوسّي رحمه الله، بسنده ... شاهويه بن عبد الله الجلّاب، قال:... فلمّا مضى أبو جعفر قلقت لذلك، وبقيت متحيّراً... فكتبت إليه أسأله الدعاء... فرجع الجواب...أردت أن تسأل عن الخلف بعد مضيّ أبي جعفر... ﴿**مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ**﴾[3].

٤- قوله تعالى: ﴿**أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ السَّبِيلِ**﴾[4]، ففي التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكريّ عليه السلام: قال عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى الرضا: أَمْ تُرِيدُونَ بل تريدون يا كفّار قريش واليهود أَن تَسْئَلُواْ رَسُولَكُمْ ما تقترحونه من الآيات التي لا تعلمون، هل فيها صلاحكم أو فسادكم كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ واقترح عليه لمّا قيل له: ﴿**لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ**﴾[5]. وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ بعد جواب الرسول له، إنّ ما سأله لا يصلح اقتراحه على الله، وبعد ما يظهر الله تعالى له ما اقترح إن كان صواباً. ومن يتبدّل الكفر بالإيمان بأن لا يؤمن عند مشاهدة ما يقترح من الآيات، أو لا يؤمن إذا عرف أنّه ليس له أن يقترح، وأنّه يجب

---

(١) سورة البقرة: ٨٥.

(٢) سورة البقرة: ١٠٦.

(٣) ينظر: الغَيبة للشيخ الطوسي:١٢١.

(٤) سورة البقرة: ١٠٨.

(٥) سورة البقرة: ٥٥.

أن يكتفي بما قد أقامه الله تعالىٰ من الدلالات، وأوضحه من الآيات البيّنات، فيتبدّل الكفر بالإيمان بأن يعاند، ولا يلتزم الحجّة القائمة عليه، فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ السَّبِيلِ أخطأ قصد الطرق المؤدّية إلىٰ الجنان، وأخذ في الطرق المؤدّية إلىٰ النيران، قال عليه السلام: قال الله تعالىٰ لليهود: يا أيّها اليهود أَمْ تُرِيدُونَ بل تريدون من بعد ما آتيناكم أَن تَسْأَلُواْ رَسُولَكُمْ[١].

٥- قوله تعالىٰ: ﴿**وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾[٢] ذكر ابن شعبة الحرّانيّ رحمه الله عن عليّ بن محمّد عليهما السلام: أمّا آيات البلوىٰ بمعنىٰ الاختبار، قوله: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾[٣].

٦- قوله تعالىٰ: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْأَيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**﴾[٤]، نقل العيّاشّي رحمه الله بسنده عن محمّد بن عيسىٰ قال: سمعته يقول: كتب إليه إبراهيم بن عنبسة يعني إلىٰ عليّ بن محمّد عليهما السلام...: قول الله: **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ** الآية، فما الميسر جعلت فداك، ؟ فكتب عليه السلام: كلّ ما قومر به فهو الميسر، وكلّ مسكر حرام[٥].

٧- قوله تعالىٰ: ﴿**لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَنِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ**

---

(١) ينظر: التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري عليه السلام ٤٩٦، وينظر:البحار:٩/ ٨٨٣، حديث:١٢، والبحار:١٧/ ٤١٨ حديث٣٧ أيضاً.

(٢) سورة البقرة: ١٢٤.

(٣) ينظر تحف العقول:٤٥٨.

(٤) سورة البقرة: ٢١٩.

(٥) ينظر: تفسير العياشي:١/ ١٠٥.

﴿قُلُوبُكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[١]، فقد ذكر ابن شعبة الحرّانيّ رحمه الله عن عليّ بن محمّد عليهما السلام قد أجاز الله صدق النيّة وإن كان الفعل غير موافق لها، لعلّة مانع يمنع إظهار الفعل في قوله:...﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَنِكُمْ﴾. فدلّ القرآن وأخبار الرسول صلى الله عليه وآله أنّ القلب مالك لجميع الحواسّ يصحّح أفعالها، ولا يبطل ما يصحّح القلب شيء[٢].

٨- قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[٣]، فقد ذكر ابن شعبة الحرّانيّ رحمه الله عن عليّ بن محمّد عليهما السلام: إنّ الله عزَّ وجلَّ قبل عذر الفقراء وأوجب لهم حقّاً في مال الأغنياء بقوله: ﴿لِلْفُقَرَآءِ الَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ الآية، فأمر بإعفائهم ولم يكلّفهم الإعداد لما لا يستطيعون ولا يملكون[٤].

٩-قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[٥]، نقل ابن شعبة الحرّانيّ رحمه الله بسنده عن عليّ بن محمّد عليهما السلام: ففضّل بني آدم بالنطق الذي ليس في غيره من الخلق المدرك بالحواسّ، فمن أجل النطق ملّك الله ابن آدم غيره من الخلق حتّى صار آمراً ناهياً، وغيره مسخّر له ... فمن أجل ذلك دعا الله الإنسان إلى اتّباع أمره وإلى طاعته بتفضيله إيّاه باستواء الخلق، وكمال النطق والمعرفة، بعد أن ملّكهم استطاعة ما كان تعبّدهم به بقوله:...﴿لَا

(١) سورة البقرة: ٢٢٥.

(٢) ينظر: تحف العقول:٤٥٨.

(٣) سورة البقرة: ٢٧٣.

(٤) ينظر: تحف العقول:٤٥٨.

(٥) سورة البقرة: ٢٨٦.

يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[١].

سورة آل عمران:

١-قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[٢]، قال ابن شعبة الحرّانّي رحمه الله: عن عليّ بن محمّد عليهما السلام: وليس كلّما وردت آية مشتبهة، كانت الآية حجّة علىٰ محكم الآيات اللاتي أمرنا بالأخذ بها؛ من ذلك قوله: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ...﴾ الآية[٣].

٢-قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾[٤]، ورد في التفسير المنسوب للإمام العسكريّ عليه السلام: أنّ رجلاً من فقهاء شيعته... فدخل علىٰ عليّ بن محمّد عليهما السلام... وبحضرته خلق كثير من العلويّين، وبني هاشم، فما زال يرفعه حتّىٰ أجلسه في ذلك الدست، وأقبل عليه، فاشتدّ ذلك علىٰ أولئك الأشراف، فأمّا العلويّة فأجلّوه عن العتاب، وأمّا الهاشميّون فقال له شيخهم: يا ابن رسول الله! هكذا تؤثر عامياً علىٰ سادات بني هاشم من الطالبيّين، والعبّاسيّين. فقال عليه السلام إيّاكم وأن تكونوا من الذين قال الله تعالىٰ: فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ

---

(١) ينظر: تحف العقول:٤٥٨.

(٢) سورة آل عمران: ٧.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) سورة آل عمران: ٢٣.

اللهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾[١].

٣-قوله تعالىٰ: ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدَاً بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَءُوفُ بِالْعِبَادِ**﴾[٢]، اسند ابن شعبة الحرّانيّ رحمه الله: عن عليّ بن محمّد عليهما السلام...: أنّ الله عزَّ وجلَّ جازىٰ العباد علىٰ أعمالهم، ويعاقبهم علىٰ أفعالهم بالإستطاعة التي ملّكهم إيّاها، فأمرهم ونهاهم بذلك...، وقال جلّ ذكره: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدَاً بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾.[٣]

٤- قوله تعالىٰ: ﴿**فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾[٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿**ذَلِكَ مِنْ أَنبَآءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ**﴾[٥]، ذكر الشيخ العيّاشيّ رحمه الله عن ابن خرزاد في قوله تعالىٰ: ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ حين أيتمت، أنّ الرواية عن أبي الحسن الهادي عليه السلام من أبويها وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ يا محمّد إِذْ يَخْتَصِمُونَ في مريم عند ولادتها بعيسىٰ يكفلها ويكفل ولدها، قال: فقلت له: أبقاك الله فمن كفّلها؟ فقال: أما تسمع لقوله الآية، وزاد عليّ بن مهزيار في حديثه ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾، قال: قلت: أكان يصيب مريم ما تصيب النساء من الطمث؟ قال عليه السلام: نعم، ما كانت إلّا امرأة من

---

(١) ينظر: التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري عليه السلام: ٣٥١.

(٢) سورة آل عمران: ٣٠.

(٣) ينظر: تحف العقول:٤٥٨.

(٤) سورة آل عمران: ٣٦.

(٥) سورة آل عمران: ٤٤.

النساء.[١]

٥- قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[٢]، ذكر الشيخ المفيد رحمه الله عن موسى بن محمّد بن علّي بن موسى سأله ببغداد في دار الفطن قال: قال موسى: كتب إليّ يحيى بن أكثم يسألني عن عشر مسائل، أو تسع، ... فدخلت على أخي عليه السلام... قال: وما هي؟ قلت: كتب إليّ...: وأخبرني عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾[٣] من المخاطب بالآية، فإن كان المخاطب رسول الله صلوات الله عليه أليس قد شكّ فيما أنزل إليه، وإن كان المخاطب به غيره فعلى غيره إذا أُنزل القرآن؟... قال عليه السلام...: وأمّا قوله: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ فإنّ المخاطب في ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يكن في شكّ ممّا أُنزل إليه، ولكن قالت الجهلة: كيف لم يبعث الله نبيّاً من ملائكته؟ أم كيف لم يفرّق بينه وبين خلقه بالاستغناء عن المأكل، ... وإنّما قال: إن كُنتَ فِى شَكٍّ ولم يكن للنصفة كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ الله عَلَى الْكَذِبِينَ﴾ ولو قال: نبتهل فنجعل لعنة الله عليكم لم يكونا يجوزان للمباهلة، وقد علّم الله أنّ نبيّه مؤدٍّ عنه رسالاته وما هو من الكاذبين، وكذلك عرف النبي أنّه صادق فيما يقول، ولكن أحبّ أن ينصفهم من نفسه[٤].

٦- قوله تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى

(١) ينظر: تفسير العياشي: ١/ ١٧٣، حديث٤٨، أيضاً البرهان:١/ ٢٧٣، حديث١٦.

(٢) سورة آل عمران: ٦١.

(٣) سورة يونس: ٩٤.

(٤) ينظر الاختصاص:٩١.

النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾(١)، ذكر ابن شعبة الحرّانيّ رحمه الله: عن عليّ بن محمّد عليهما السلام...: أوجب الله عزَّ وجلَّ على ذي اليسار الحجّ، والزكاة لما ملّكه من استطاعة ذلك، ولم يوجب على الفقير الزكاة والحجّ؛ قوله: ﴿وَلله عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾(٢).

٧- قوله تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾**(٣) فقد نقل ابن شعبة الحرّانيّ رحمه الله عن عليّ بن محمّد عليهما السلام...: وفي إثبات العجز نفي القدرة والتألّه، وإبطال الأمر والنهي، والثواب والعقاب، ومخالفة الكتاب؛ إذ يقول: ﴿اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(٤).

٨- قوله تعالى: **﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ الله جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أعداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾**(٥)، نقل أبو عمرو الكشّيّ رحمه الله... أحمد بن محمّد بن عيسى قال: نسخة الكتاب مع ابن راشد إلى جماعة الموالي الذين هم ببغداد المقيمين بها، والمدائن، والسواد، وما يليها... **﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ الله جَمِيعًا﴾**(٦)، **﴿وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾**(٧)(٨).

٩- قوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ**

---

(١) سورة آل عمران: ٩٧.

(٢) ينظر: تحف العقول:٤٥٨.

(٣) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٤) ينظر: تحف العقول:٤٥٨.

(٥) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٦) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٧) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٨) ينظر: رجال الكشي:٥١٣.

وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَآ أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْأَخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾(١)، ذكر ابن شعبة الحرّانّي رحمه الله: من عليّ بن محمّد عليهما السلام...:أمّا آيات البلوىٰ بمعنىٰ الاختبار... قوله:ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ(٢).

١٠- قوله تعالىٰ: **﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾**(٣)، نقل ابن شعبة الحرّانّي رحمه الله: عن عليّ بن محمّد عليهما السلام...: فمن فعل فعلاً وكان بدين لم يعقد قلبه علىٰ ذلك لم يقبل الله منه عملاً إلّا بصدق النيّة، ولذلك أخبر عن المنافقين بقوله: **﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾**(٤).

سورة النساء:

١- قوله تعالىٰ: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَلَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾**(٥)، ذكر ابن شعبة الحرّاني رحمه الله: عن عليّ بن محمّد الهادي عليهما السلام...: ومن زعم أنّ الله يدفع عن أهل المعاصي العذاب فقد كذّب الله في وعيده حيث يقول:... **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَلَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾**(٦).

---

(١) سورة آل عمران: ١٥٢.

(٢) ينظر: تحف العقول:٤٥٨.

(٣) سورة آل عمران: ١٦٧.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) سورة النساء: ١٠.

(٦) ينظر: المصدر نفسه.

٢- قوله تعالى: ﴿**وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا**﴾[١]، نقل ابن شعبة الحرّانيّ رحمه الله: عن عليّ بن محمّد عليهما السلام...: وفي إثبات العجز نفي القدرة والتألّه، وإبطال الأمر والنهي، والثواب والعقاب، ومخالفة الكتاب؛ إذ يقول:... ﴿أُعْبُدُواْ اللهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً﴾.[٢]

٣- قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾[٣]، نقل ابن شعبة الحرّانيّ رحمه الله: عن عليّ بن محمّد عليهما السلام...: ومن زعم أنّ الله يدفع عن أهل المعاصي العذاب فقد كذّب الله في وعيده حيث يقول:... ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.[٤]

٤-قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**﴾[٥]، فقد ذكر المسعوديّ رحمه الله بسنده إلى الفتح بن يزيد الجرجانيّ قال: ضمّني وأبا الحسن عليه السلام الطريق... قال لي: يا فتح،... كيف يوصف من قرن الجليل طاعته بطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله حيث يقول: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا

(١) سورة النساء: ٣٦.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) سورة النساء: ٥٦.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) سورة النساء: ٥٩.

الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[١].

٥- قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا أَوْلِيَآءَ الشَّيْطَٰنِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا**﴾[٢]، نقل الحضينيّ رحمه الله بسنده إلى عبيد الله الحسنيّ قال: دخلنا على سيّدنا أبي الحسن عليه السلام بسامرّا... فيقول: إنّه قد أخرج ـ أي: المتوكّل ـ سيفاً مسموماً من الشفرتين، وأمره ـ أي: زُرافة ـ أن يرسل إليّ ... ليقتلني به، ولن يقدر على ذلك... فقال: أنا راكب إليه... .فركب وهو يقول: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[٣].

٦- قوله تعالى: ﴿**إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ والنساء وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً**﴾[٤]، فقد نقل ابن شعبة الحرّانيّ رحمه الله: عن عليّ بن محمّد عليهما السلام...: وأمّا قوله: «تخلية السرب» في قول الصادق عليه السلام: لا جبر ولا تفويض، ولكن منزلة بين المنزلتين، وفي صحّة الخلقة وتخلية السرب...، فهو الذي ليس عليه رقيب يحظر عليه ويمنعه العمل بما أمره الله به، وذلك قوله فيمن استضعف وحظر عليه العمل فلم يجد حيلة ولا يهتدي سبيلاً، كما قال الله تعالى: ﴿**إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ والنساء وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً**﴾؛ فأخبر أنّ المستضعف لم يخلّ سربه وليس عليه من القول شيء إذا كان مطمئنّ القلب بالإيمان.[٥]

٧- قوله تعالى: ﴿**وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ**

---

(١) ينظر: إثبات الوصية ٢٣٥.

(٢) سورة النساء: ٧٦.

(٣) ينظر: الهداية الكبرى:٣٢٢.

(٤) سورة النساء: ٩٨.

(٥) ينظر: تحف العقول:٤٥٨.

عَلَى اللهِ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[١]، نقل ابن شعبة الحرّاني رحمه الله: عن علّي بن محمّد عليهما السلام ...: فمن مات على طلب الحقّ ولم يدرك كما له فهو على خير؛ وذلك قوله: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ الآية؛ وإن كان لم يعمل بكمال شرايعه لعلّة ما لم يمهله في الوقت إلى استتمام أمره[٢].

٨-قوله تعالى: ﴿**رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾[٣]، ابن شعبة الحرّاني رحمه الله: عن علّي بن محمّد عليهما السلام ...: إنّ الله عزَّ وجلَّ لم يخلق الخلق عبثاً، ...فإن قال قائل: فلم يعلم الله ما يكون من العباد حتّى اختبرهم؟

قلنا: بلى، قد علم ما يكون منهم قبل كونه...وإنّما اختبرهم ليعلمهم عدله، ولا يعذّبهم إلّا بحجّة بعد الفعل، وقد أخبر بقوله:... ﴿رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[٤].

سورة المائدة:

١-قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[٥]، فقد نقل أبو عمرو الكشّيّ رحمه الله بسنده... إلى أحمد بن محمّد بن عيسى قال: نسخة الكتاب مع ابن راشد إلى جماعة الموالي الذين هم ببغداد المقيمين بها، والمدائن،

---

(١) سورة النساء: ١٠٠.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) سورة النساء: ١٦٥.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) سورة المائدة: ٢.

والسواد، وما يليها... ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[١].

٢-قوله تعالى: ﴿وأنزلنا إِلَيْكَ الْكِتَبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أهواءهم عَمَّا جاءك مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[٢]، نقل ابن شعبة الحرّانيّ رحمه الله: بسنده إلى عليّ بن محمّد عليهما السلام...: وأمّا آيات البلوى بمعنى الاختبار قوله: ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَكُمْ﴾.[٣]

٣- قوله تعالى:﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ، وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[٤].

نقل ابن شعبة الحرّانيّ رحمه الله عن عليّ بن محمّد عليهما السلام...: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّي مخلّف فيكم الثقلين... وجدنا شواهد هذا الحديث في كتاب الله نصّاً مثل قوله جلَّ وعزَّ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾... وروت العامّة في ذلك أخباراً لأمير المؤمنين عليه السلام أنّه تصدّق بخاتمه وهو راكع فشكر الله ذلك له وأنزل الآية فيه.[٥]

---

(١) ينظر: رجال الكشي:٥١٣.

(٢) سورة المائدة: ٤٨.

(٣) ينظر: تحف العقول:٤٥٨.

(٤) سورة المائدة: ٥٥-٥٦.

(٥) ينظر: المصدر نفسه، وينظر أيضاً تفسير ابن جزي:١/ ٢٣٦، تفسير الرازي:١٢/ ٣٨٣، الدر المنثور:٣/ ١٠٤-١٠٥.

سورة الأنعام:

١- قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شيء قَدِيرٌ﴾[١]، ذكر الحضينيّ رحمه الله:...إلى عبيد الله الحسنيّ قال: دخلنا على سيّدنا أبي الحسن عليه السلام بسامرّا وبين يديه أحمد بن الخصيب، ومحمّد، وإبراهيم الخيّاط، وعيونهم تفيض من الدمع، فأشار إلينا عليه السلام بالجلوس فجلسنا وقال: هل علمتم ما علمه إخوانكم؟ فقلنا: حدّثنا منه يا سيّدنا ذكراً. قال: نعم! هذا الطاغي قال مسمعاً لحفدته وأهل مملكته: تقول شيعتك الرافضة: إنّ لك قدرة والقدرة لا تكون إلّا لله، فهل تستطيع إن أردتُ سوءاً تدفعه؟ فقلت له: وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ[٢].

٢- قوله تعالى: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[٣]، نقل الشيخ الصدوق رحمه الله بسنده إلى الفتح بن يزيد الجرجانّي قال: لقيته أي: أبا الحسن الهادي عليه السلام... قلت: جعلت فداك، قد بقيت مسألة، قال: هات، لله أبوك. قلت: يعلم القديم الشيء الذي لم يكن أن لو كان كيف كان يكون؟ قال: ويحك! إنّ مسائلك لصعبة، أما سمعت الله يقول:...﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾ فقد علم الشيء الذي لم يكن، أن لو كان كيف كان يكون.[٤]

٣- قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ

---

(١) سورة الأنعام: ١٧.

(٢) ينظر: الهداية الكبرى: ٣٢٢.

(٣) سورة الأنعام: ٢٨.

(٤) ينظر: التوحيد: ٦٠ حديث ١٨، وينظر: تحف العقول: ٤٥٨.

فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[١]، ذكر الشيخ الصدوق رحمه الله:بسنده إلى محمّد بن عيسى بن عبيد قال: سألت أبا الحسن عليّ بن محمّد العسكريّ عليهما السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا﴾....فقال عليه السلام: ذلك تعيير الله تبارك وتعالى لمن شبّهه بخلقه، ألا ترى أنّه قال: ﴿وَمَا قَدَرُواْ اللهَ﴾... ومعناه إذ قالوا: إنّ الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويّات بيمينه كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ اللهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شيء﴾.[٢]

٤- قوله تعالى: ﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾[٣] الحضينيّ رحمه الله:...عن سيّدنا أبي الحسن وأبي محمّد عليهما السلام قالا: إنّ الله -جلّ جلاله- إذا أراد أن يخلق الإمام... فإذا أتت أربعة أشهر وهو حمل، كتب على عضده الأيمن: ﴿تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٤].

٥- قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللهُ بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[٥]، العيّاشيّ رحمه الله عن أيّوب بن نوح بن درّاج قال: سألت أبا الحسن الثالث عليه السلام عن الجاموس وأعلمته أنّ أهل العراق يقولون: إنّه مسخ؟ فقال: عليه السلام أو ما سمعت قول الله: ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾.[٦]

---

(١) سورة الأنعام: ٩١.

(٢) ينظر: التوحيد:١٦٠.

(٣) سورة الأنعام: ١١٥.

(٤) ينظر:الهداية الكبرى:٣٥٣.

(٥) سورة الأنعام: ١٤٤.

(٦) ينظر: تفسير العياشي:١/ ٣٨٠.

٦-قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَبٌ أَنزَلْنَهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[١]، أبو عمرو الكشّيّ رحمه الله: بسنده إلى أحمد بن محمّد بن عيسى قال: نسخة الكتاب مع ابن راشد إلى جماعة الموالي الذين هم ببغداد المقيمين بها، والمدائن، والسواد، وما يليها... ﴿وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.[٢]

٧- قوله تعالى: ﴿مَن جاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جاء بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[٣]، ذكر ابن شعبة الحرّانيّ رحمه الله: بسنده إلى عليّ بن محمّد عليهما السلام...: إنّ الله عزَّ وجلَّ جازى العباد على أعمالهم، ويعاقبهم على أفعالهم بالاستطاعة التي ملّكهم إيّاها، فأمرهم ونهاهم بذلك ونطق كتابه: ﴿مَن جاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جاء بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.[٤]

٨- قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٥]، نقل ابن شعبة الحرّانيّ رحمه الله بسنده إلى عليّ بن محمّد عليهما السلام...:وأمّا آيات البلوى بمعنى الاختبار قوله: ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُمْ﴾.[٦]

سورة الأعراف:

١- قوله تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ

(١) سورة الأنعام: ١٥٥.

(٢) ينظر:رجال الكشي:٥١٣.

(٣) سورة الأنعام: ١٦٠.

(٤) ينظر: تحف العقول:٤٥٨.

(٥) سورة الأنعام: ١٦٥.

(٦) ينظر: المصدر نفسه.

هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾[١]، ذكر ابن شعبة الحرّانيّ رحمه الله: عن عليّ بن محمّد عليهما السلام...: فأمّا شواهد القرآن على الاختبار والبلوى بالاستطاعة التي تجمع القول بين القولين [الجبر والتفويض] فكثيرة، ... وقال في الفتن التي معناها الاختبار:...قول موسى: ﴿إِنْ هي إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ أي: اختبارك.[٢]

٢- قوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآياتنا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾**[٣]، نقل ابن شعبة الحرّانيّ رحمه الله بسنده إلى عليّ بن محمّد عليهما السلام فقال...: فأمّا شواهد القرآن على الاختبار والبلوى بالاستطاعة التي تجمع القول بين القولين الجبر والتفويض فكثيرة، ومن ذلك قوله:...﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٤].

سورة التوبة:

١- قوله تعالى: **﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾**[٥]، أسند الشيخ المفيد رحمه الله عن أبي الحسن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى الرضا- صلوات الله عليهم - أنّه سئل عن أفعال العباد، فقيل له: هل هي مخلوقة لله تعالى؟، فقال عليه السلام:لو كان خالقاً لها لما تبرّأ منها، وقد قال سبحانه: ﴿أَنَّ اللهَ بريء مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾.[٦]

---

(١) سورة الأعراف: ١٥٥.

(٢) سورة الأعراف: ١٥٥.

(٣) سورة الأعراف: ١٨٢.

(٤) سورة الأعراف: ١٨٢.

(٥) سورة التوبة: ٣.

(٦) ينظر: تصحيح الاعتقاد:٤٣ .

٢-قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾[١]، فعن الشيخ محمّد بن يعقوب الكلينيّ رحمه الله عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن بعض أصحابه، ذكره قال: لمّا سُمّ المتوكّل نذر: إن عوفي أن يتصدّق بمال كثير...، فصار جعفر بن محمود إلى أبي الحسن عليّ بن محمّد عليهما السلام فسأله عن حدّ المال الكثير؟ فقال عليه السلام: الكثير ثمانون... إنّ الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾.[٢]

٣- قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[٣]، ذكر المسعوديّ رحمه الله بسنده إلى.. الفتح بن يزيد الجرجانيّ قال: ضمّني وأبا الحسن عليه السلام الطريق... فسمعته في بعض الطريق يقول:... إنّ الله... الواحد الأحد جلّ جلاله؛ بل كيف يوصف بكنهه محمّد صلى الله عليه وآله وقد قرن الخليل اسمه باسمه، وأشركه في طاعته، وأوجب لمن أطاعه جزاء طاعته، فقال: ﴿وَمَا نَقَمُواْ إلا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ﴾.[٤]

٤- قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ للَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٥]، ذكر ابن شعبة الحرّانيّ رحمه الله بسنده إلى عليّ بن محمّد عليهما السلام...: وأمّا قوله: الزاد في قول الصادق عليه السلام: لا جبر ولا تفويض، ولكن منزلة بين المنزلتين، وهي صحّة الخلقة،

---

(١) سورة التوبة: ٢.

(٢) ينظر: الكافي: ٧/ ٤٦٣.

(٣) سورة التوبة: ٧٤.

(٤) ينظر: إثبات الوصية: ٢٣٥.

(٥) سورة التوبة: ٩١.

وتخلية السرب، والمهلة في الوقت، والزاد...، فمعناه الجدة والبلغة التي يستعين بها العبد على ما أمره الله به، وذلك قوله: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ الآية، ألا ترى أنّه قبل عذر من لم يجد ما ينفق، وألزم الحجّة كلّ من أمكنته البلغة، والراحلة للحجّ والجهاد وأشباه ذلك[١].

المطلب الثاني

الروايات التفسيرية للإمام عليه السلام في سور المئين

سورة يونس:

١-قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾[٢]، ذكر ابن شعبة الحرّانيّ رحمه الله بسنده إلى عليّ بن محمّد عليهما السلام:... فأمّا الجبر الذي يلزم من دان به الخطأ فهو قول من زعم أنّ الله جلَّ وعزَّ أجبر العباد على المعاصي وعاقبهم عليها؛ ومن قال بهذا القول فقد ظلّم الله في حكمه وكذّبه وردّ عليه... قوله: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾. [٣]

٢-قوله تعالى: ﴿**فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مما أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جاءك الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ**﴾[٤]، ذكر الشيخ المفيد رحمه الله بسنده إلى موسى بن محمّد بن علـيّ بن موسى، سأله ببغداد في دار الفطن قال: قال موسى: كتب إليّ يحيى بن أكثم يسألني عن عشر مسائل، أو تسع، فدخلت على أخي عليه السلام فقلت له:جعلت فداك إنّ ابن أكثم كتب إليّ يسألني عن مسائل... قال عليه السلام: وما هي؟ قلت: كتب إليّ:... وأخبرني عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿**فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مما**

---

(١) ينظر: تحف العقول:٤٥٨.

(٢) سورة يونس: ٤٤.

(٣) سورة يونس: ٤٤.

(٤) سورة يونس: ٩٤.

﴿أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَبَ مِن قَبْلِكَ﴾[١] من المخاطب بالآية؟ فإن كان المخاطب رسول الله صلوات الله عليه أليس قد شكّ فيما أنزل إليه، وإن كان المخاطب به غيره فعلى غيره إذاً أُنزل القرآن؟... قال: عليه السلام...: وأمّا قوله: فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مما أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَبَ مِن قَبْلِكَ فإنّ المخاطب في ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يكن في شكّ ممّا أُنزل إليه، ولكن قالت الجهلة: كيف لم يبعث الله نبيّاً من ملائكته؟ أم كيف لم يفرّق بينه وبين خلقه بالاستغناء عن المأكل، والمشرب، والمشي في الأسواق؟ فأوحى الله إلى نبيّه صلى الله عليه وآله: فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ تفحّص بمحضر كذا من الجهلة، هل بعث الله رسولاً قبلك إلّا وهو يأكل ويشرب، ويمشي في الأسواق، ولك بهم أُسوة، وإنّما قال: إِن كُنتَ فِي شَكٍّ ولم يكن للنصفة كما قال: قُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ الله عَلَى الْكَذِبِينَ ولو قال: نبتهل فنجعل لعنة الله عليكم لم يكونا يجوزان للمباهلة، وقد علم الله أنّ نبيّه مؤدٍّ عنه رسالاته وما هو من الكاذبين، وكذلك عرف النبي أنّه صادق فيما يقول، ولكن أحبّ أن ينصفهم من نفسه.[٢]

سورة هود عليه السلام:

١ - قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[٣]، نقل الحضينيّ رحمه الله بسنده أن سيّدنا أبا الحسن عليه السلام كان يقول لهم: تجنّبوا ابني جعفراً، أما إنّه [منّي مثل حام من نوح... ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أهلي﴾ الآية فقال له الله: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ

(١) سورة يونس: ٩٤.

(٢) ينظر: الاختصاص: ٩١.

(٣) سورة هود: ٤٥-٤٦.

مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾[١].

٢- قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَاثة أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾[٢]، نقل الراونديّ رحمه الله بسنده ... زُرافة قال: أراد المتوكّل أن يمشي عليّ ابن محمّد بن الرضا يوم السلام، ... ففعل ومشى عليه السلام وكان الصيف، فوافى الدهليز وقد عرق، قال: فلقيته فأجلسته في الدهليز، ومسحت وجهه بمنديل وقلت: إنّ ابن عمّك لم يقصدك بهذا دون غيرك فلا تجد عليه في قلبك، فقال عليه السلام: إيه عنك، تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَاثة أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ، قال زُرافة:... فلمّا كانت الليلة الرابعة قتل المتوكّل.[٣]

٣- قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُواْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ الَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾[٤]، نقل البحرانيّ رحمه الله بسنده إلى عليّ بن يقطين بن موسى الأهوازيّ قال: كنت رجلاً أذهب مذاهب المعتزلة، وكان يبلغني من أمر أبي الحسن عليّ بن محمّد عليهما السلام ما أستهزىء به ولا أقبله، فدعتني الحال إلى دخولي بسرّ من رأى... فلمّا كان من الغد ركب الناس في غلائل القصب، بأيديهم المراوح، وركب أبو الحسن صلوات الله عليه على زيّ الشتاء، وعليه لُبّادة وبرنس، وعلى سرجه بخناق طويل، وقد عقد ذنب دابّته، والناس يهزؤن به وهو يقول: ﴿ألا إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.[٥]

---

(١) ينظر: الهداية الكبرى:٣٨١.

(٢) سورة هود: ٦٥.

(٣) ينظر: الخرائج والجرائح للراوندي:١/ ٤٠١، وينظر: عيون المعجزات للحسين بن عبد الوهاب:١٣٥، وأخرج السيد ابن طاووس حديثاً قريباً من ذلك:ينظر: مهج الدعوات:٣١٨.

(٤) سورة هود: ٨١.

(٥) ينظر: مدينة المعاجز:٧/ ٤٩٦.

٤- قوله تعالى: ﴿بَقِيَّتُ اللهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾[١]، ذكر الحضينيّ رحمه الله بسنده عن الحسن بن مسعود، ومحمّد بن الجليل قال: دخلنا على سيّدنا عليّ العسكريّ عليه السلام... فسألناه عن أسعد الأيّام وأنحسها، فقال عليه السلام...: والجمعة ... فهو مهديّكم المنتظر، ثمّ قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿بَقِيَّتُ اللهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾.[٢]

سورة يوسف عليه السلام:

١- قوله تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ، ثُمَّ يأتي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ، ثُمَّ يأتي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾[٣]، ذكر الحسين بن عبد الوهّاب رحمه الله فروي: أنّ رجلاً من أهل المدائن كتب إلى الإمام أبي الحسن العسكري عليه السلام يسأله عمّا بقي من ملك المتوكّل، فكتب عليه السلام: «﴿بسم الله الرحمن الرحيم قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ، ثُمَّ يأتي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ، ثُمَّ يأتي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ فقتل في أوّل خامس عشر».[٤]

٢- قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَاأَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رؤياي مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بي إِذْ أخرجني مِنَ السِّجْنِ وجاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بيني وَبَيْنَ إخوتي إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ رَبِّ قَدْ آتيتني مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ

---

(١) سورة هود: ٨٦.

(٢) ينظر: الهداية الكبرى: ٣٦٣.

(٣) سورة يوسف: ٤٧-٤٩.

(٤) ينظر: عيون المعجزات: ١٣٥.

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ توفني مُسْلِمًا وألحقني بِالصَّلِحِينَ﴾[١]، ذكر الشيخ المفيد رحمه الله بسنده إلى موسى بن محمّد بن عليّ بن موسى، سأله ببغداد في دار الفطن قال: قال موسى: كتب إليّ يحيى بن أكثم يسألني عن عشر مسائل، أو تسع، فدخلت على أخي علي الهادي عليه السلام... قال عليه السلام: وما هي؟ قلت: كتب إليّ:... وأخبرني عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا﴾ أسجد يعقوب وولده ليوسف وهم أنبياء؟...، قال عليه السلام ...: وأمّا سجود يعقوب وولده ليوسف، فإنّ السجود لم يكن ليوسف كما أنّ السجود من الملائكة لآدم لم يكن لآدم، إنّما كان منهم طاعة لله، وتحيّة لآدم، فسجد يعقوب وولده شكراً لله باجتماع شملهم، ألم تر أنّه يقول في شكره في ذلك الوقت: ﴿رَبِّ قَدْ آتيتني مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ ـ إلى آخر الآية[٢].

سورة النحل:

١ – قوله تعالى: **﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دفء وَمَنَفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ، وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ، وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾**[٣]، نقل ابن شعبة الحرّانيّ رحمه الله بسنده إلى عليّ بن محمّد عليهما السلام...: ففضّل بني آدم بالنطق الذي ليس في غيره من الخلق المدرك بالحواسّ، فمن أجل النطق ملّك الله ابن آدم غيره من الخلق حتّى صار آمراً ناهياً، وغيره مسخّر له كما قال الله:... ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دفء وَمَنَفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ، وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ، وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ﴾[٤].

---

(١) سورة يوسف: ١٠٠-١٠١

(٢) ينظر: الاختصاص:٩١.

(٣) سورة النحل: ٥-٧.

(٤) ينظر:تحف العقول:٤٥٨.

٢-قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[١]، ذكر ابن شعبة الحرّانيّ رحمه الله عن عليّ بن محمّد عليهما السلام.: ففضل بني آدم بالنطق الذي ليس في غيره من الخلق المدرك بالحواسّ، فمن أجل النطق ملّك الله ابن آدم غيره من الخلق حتّى صار آمراً ناهياً، وغيره مسخّر له كما قال الله: ﴿... وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾[٢].

٣- قوله تعالى: **ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شفاء لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**[٣]، نقل ابنا بسطام النيسابوريّان رحمهما الله بسندهما: «... حدّثنا أبو جعفر، عن أبي الحسن عليه السلام وسئل عن الحمّى الغبّ الغالبة؟ فقال عليه السلام: يؤخذ العسل والشونيز... قال الله تعالى في العسل: ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شفاء لِّلنَّاسِ﴾[٤]، فهنا الإمام سلام الله عليه جعل للآية الكريمة مصداقاً خارجياً، وهو أنه هناك مريض وهناك دواء، فجعل هذا لذاك.

٤-قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٥]، ذكر ابن شعبة الحرّانيّ رحمه الله: عن عليّ بن محمّد عليهما السلام...: قد أجاز الله صدق النيّة وإن كان الفعل غير موافق لها، لعلّة مانع يمنع إظهار الفعل في قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ...﴾ فدلّ القرآن أنّ القلب مالك لجميع الحواسّ، يصحّح أفعالها، ولا يبطل

---

(١) سورة النحل: ١٤.

(٢) سورة النحل: ١٤.

(٣) سورة النحل: ٦٩.

(٤) ينظر: طب الأئمة: ٥١.

(٥) سورة النحل: ١٠٦.

ما يصحّح القلب شيء.[١]

سورة الإسراء:

١-قوله تعالى: ﴿**مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا**﴾[٢]، نقل ابن شعبة الحرّانيّ رحمه الله: بسنده إلى عليّ بن محمّد عليهما السلام.:إنّ الله عزَّ وجلَّ لم يخلق الخلق عبثاً، ولا أهملهم سدىً، ولا أظهر حكمته لعباً... فإن قال قائل: فلم يعلم الله ما يكون من العباد حتّى اختبرهم؟ قلنا: بلى! قد علم... وإنّما اختبرهم ليعلمهم عدله، ولا يعذّبهم إلّا بحجّة بعد الفعل، وقد أخبر بقوله:.. ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾.[٣]

٢- قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى ءَادَمَ وَحَمَلْنَهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**﴾[٤]، ذكر ابن شعبة الحرّانيّ رحمه الله بسنده عن عليّ بن محمّد عليهما السلام...في قول الله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾، فقد أخبر عزَّ وجلَّ عن تفضيله بني آدم على سائر خلقه من البهائم والسباع، ودوابّ البحر والطير، وكلّ ذي حركة تدركه حواسّ بني آدم بتمييز العقل والنطق.[٥]

٣- قوله تعالى: ﴿**وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السماء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِاللهِ وَالْمَلَائكَةِ قَبِيلًا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ**

---

(١) ينظر:تحف العقول:٤٥٨.

(٢) سورة الإسراء: ١٥.

(٣) سورة الإسراء: ١٥.

(٤) سورة الإسراء: ٧٠.

(٥) ينظر:المصدر نفسه.

تَرْقَى فِي السماء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَبًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾[1]، ففي التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكريّ عليه السلام: فقلت لأبي عليّ بن محمّد عليهما السلام: فهل كان رسول الله صلى الله عليه وآله يناظرهم إذا عانتوه ويحاجّهم؟ قال: عليه السلام بلى، مراراً كثيرة، منها: ما حكى الله من قولهم: ﴿... وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا﴾ ـ إلى قوله ـ كِتَبًا نَّقْرَؤُهُ.[2]

سورة الكهف:

١ - قوله تعالى: **﴿وَوُضِعَ الْكِتَبُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إلا أَحْصَهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾**[3]، فقد ذكر ابن شعبة الحرّانيّ رحمه الله بسنده إلى علّي بن محمّد عليهما السلام، فأمّا الجبر الذي يلزم من دان به الخطأ فهو قول من زعم أنّ الله جلّ وعزّ أجبر العباد على المعاصي وعاقبهم عليها؛ ومن قال بهذا القول فقد ظلّم الله في حكمه وكذّبه وردّ عليه قوله: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.[4]

---

(١) سورة الإسراء: ٩٠.

(٢) ينظر: التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري عليه السلام: ٥٠٠.

(٣) سورة الكهف: ٤٩.

(٤) تقدم تخريج الرواية في هامش ٥٧.

المبحث الثالث

مرويات الإمام عليه السلام في النصف الثاني من القرآن الكريم

المطلب الأول

المتبقي من سور المثاني وسور المئين

سورة طه:

١- قوله تعالى: ﴿**قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ**﴾(١)، نقل ابن شعبة الحرّانيّ رحمه الله: عن عليّ بن محمّد عليهما السلام...: فأمّا شواهد القرآن على الاختبار والبلوى بالاستطاعة التي تجمع القول بين القولين الجبر والتفويض فكثيرة، ... وقال في الفتن التي معناها الاختبار:... في قصّة موسى عليه السلام: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾(٢).

٢- قوله تعالى: ﴿**قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى**﴾(٣)، عن محمّد بن يعقوب الكلينيّ رحمه الله عن الحسين بن محمّد، عن معلّى بن محمّد، عن السيّاريّ، عن عليّ بن عبد الله قال: سأله رجل عن قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾؟ قال عليه السلام: من قال بالأئمّة، واتّبع أمرهم، ولم يجز طاعتهم(٤).

قال المجلسيّ قدس سره: والضمير كأنّه للجواد أو الهادي عليهما السلام.

---

(١) سورة طه: ٨٥.

(٢) ينظر:تحف العقول:٤٥٨.

(٣) سورة طه: ١٢٣.

(٤) ينظر:الكافي:١/ ٤٤١، وينظر أيضاً مرآة العقول:٥/ ١٥، وبصائر الدرجات:٣٤.

٣- قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أنا أَهْلَكْنَهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُواْ رَبَّنَا لولا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَى**﴾[1]، نقل ابن شعبة الحرّاني رحمه الله بسنده إلى عليّ بن محمّد عليهما السلام..أنّ الله عزَّ وجلَّ لم يخلق الخلق عبثاً، ولا أهملهم سدىً، ولا أظهر حكمته لعباً. فإن قال قائل: فلم يعلم الله ما يكون من العباد حتّى اختبرهم؟ قلنا: بلى،.. إنّما اختبرهم ليعلمهم عدله، ولا يعذّبهم إلّا بحجّة بعد الفعل، وقد أخبر بقوله: ﴿وَلَوْ أنا أَهْلَكْنَهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُواْ رَبَّنَا لولا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾[2].

سورة الأنبياء:

١-قوله تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾[3]، ذكر الشيخ الصدوق رحمه الله بسنده إلى الفتح بن يزيد الجرجانّي قال: لقيته ـ أي: أبا الحسن الهادي عليه السلام ـ ... قلت: جعلت فداك، قد بقيت مسألة، قال: هات لله أبوك. قلت: يعلم القديم الشيء الذي لم يكن أن لو كان كيف كان يكون؟ قال: ويحك، إنّ مسائلك لصعبة، أما سمعت الله يقول: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا...﴾ فقد علم الشيء الذي لم يكن، أن لو كان كيف كان يكون[4].

٢-قوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الماء كُلَّ شيء حي أَفَلَا يُؤْمِنُونَ**﴾[5]، ذكر ابنا بسطام النيسابوريّان رحمهما الله: ...حدّثنا إسحاق بن إبراهيم، عن أبي الحسن العسكريّ عليه السلام قال:... شكا إليه بعض إخواننا، ... الوجع الملعون، قال عليه السلام: وما هو؟ قال: وجع الرأس قال: خذ قدحاً من ماء واقرأ عليه: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا

(١) سورة طه: ١٣٤.

(٢) ينظر: تحف العقول: ٤٥٨.

(٣) سورة الأنبياء: ٢٢.

(٤) ينظر: التوحيد للشيخ الصدوق: ٦٠.

(٥) سورة الأنبياء: ٣٠.

وَجَعَلْنَا مِنَ الماء كُلَّ شيء حي أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ ثمّ أشربه[١].

٣- قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾[٢]، ذكر الشيخ الطوسيّ رحمه الله بسنده إلى عليّ بن محمّد الصيمريّ الكاتب قال: تزوّجت ابنة جعفر بن محمود الكاتب...وأبطأ عليّ الولد، فصرت إلى أبي الحسن عليّ بن محمّد بن الرضا عليهما السلام فذكرت ذلك له فتبسّم وقال: اتّخذ خاتماً فصّه فيروزج واكتب عليه: ﴿رَبِّ لَاتَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَرِثِينَ﴾.[٣]

سورة الحج:

١- قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[٤]، نقل ابن شعبة الحرّانيّ رحمه الله عن عليّ بن محمّد عليهما السلام...فأمّا الجبر الذي يلزم من دان به الخطأ فهو قول من زعم أنّ الله جلّ وعزّ أجبر العباد على المعاصي وعاقبهم عليها؛ ومن قال بهذا القول فقد ظلّم الله في حكمه وكذّبه وردّ عليه...قوله: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.[٥]

٢- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[٦]، عن محمّد بن يعقوب الكلينيّ رحمه الله عن عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمّد قال: قال أبو الحسن عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلْيَطَّوَّفُواْ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾، قال عليه السلام: «طواف الفريضة، طواف النساء».[٧]

---

(١) ينظر: طب الأئمة:١٩.

(٢) سورة الأنبياء: ٨٩.

(٣) ينظر: الأمالي للشيخ الصدوق:٤٨.

(٤) سورة الحج: ١٠.

(٥) تقدم تخريج الرواية في هامش ٥٧، وهامش٧٢ .

(٦) سورة الحج: ٢٩.

(٧) ينظر:الكافي:٤/ ٥١٢، وينظر تهذيب الأحكام:٥/ ٢٥٢.

٣- قوله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾[١]، ذكر ابن شعبة الحرّانيّ رحمه الله عن عليّ بن محمّد عليهما السلام...: ففضل بني آدم بالنطق الذي ليس في غيره من الخلق المدرك بالحواسّ، فمن أجل النطق ملّك الله ابن آدم غيره من الخلق حتّى صار آمراً ناهياً، وغيره مسخّر له كما قال الله: ﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾.[٢]

سورة المؤمنون:

١- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَمًا فَكَسَوْنَا الْعِظَمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[٣]، نقل الشيخ الصدوق رحمه الله بسنده إلى الفتح بن يزيد الجرجانيّ قال: «... قلت: جعلت فداك، وغير الخالق الجليل خالق؟ قال: إنّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ فقد أخبر أنّ في عباده خالقين»[٤].

٢-قوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٥]، ذكر الشيخ الصدوق رحمه الله بسنده إلى الفتح بن يزيد الجرجانيّ قال: «لقيته:أي: أبا الحسن الهادي عليه السلام... قلت: جعلت فداك، قد بقيت مسألة. قال: هات لله أبوك. قلت: يعلم القديم الشيء الذي لم يكن، أن لو كان كيف كان يكون؟ قال: ويحك! إنّ مسائلك لصعبة، أما سمعت الله يقول: ﴿...وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ...﴾ فقد علم الشيء الذي لم يكن، أن لو كان

(١) سورة الحج: ٣٧.

(٢) تقدم تخريجه في هامش ٢١ .

(٣) سورة المؤمنون: ١٤.

(٤) ينظر: التوحيد للشيخ الصدوق:٦٠.

(٥) سورة المؤمنون: ٩١.

كيف كان يكون»[١].

٣- قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[٢]، ذكر ابن شعبة الحرّانيّ رحمه الله عن عليّ بن محمّد عليهما السلام...: أنّ الله عزَّ وجلَّ لم يخلق الخلق عبثاً، ولا أهملهم سدىً، ولا أظهر حكمته لعباً وبذلك أخبر في قوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَكُمْ عَبَثًا﴾.[٣]

سورة النور:

١- قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَآئِهِنَّ أَوْ آبَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَى عَوْرَتِ النِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُواْ إِلَى الله جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٤]، ذكر ابن شعبة الحرّانيّ رحمه الله عن عليّ بن محمّد عليهما السلام...: «وقد حظر على البالغ ما لم يحظر على الطفل إذا لم يبلغ الحلم في قوله: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ﴾ الآية، فلم يجعل عليهنّ حرجاً في إبداء الزينة للطفل، وكذلك لا تجري عليه الأحكام»[٥].

٢- قوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ

---

(١) ينظر: المصدر نفسه.

(٢) سورة المؤمنون: ١١٥.

(٣) تقدم تخريجه في هامش٩٣ .

(٤) سورة النور: ٣١.

(٥) ينظر:تحف العقول:٤٥٨.

﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَاللهُ وَسِعٌ عَلِيمٌ﴾[١]، فعن محمّد بن يعقوب الكلينيّ رحمه الله بسنده إلى عبد العظيم بن عبد الله قال: «سمعت أبا الحسن عليه السلام يخطب بهذه الخطبة: الحمد لله العالم بما هو كائن ... وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنكِحُواْ الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾[٢].

٣-قوله تعالى: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يضيء وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِى اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شيء عَلِيمٌ﴾[٣]، الطبرسّي رحمه الله، عن العبّاس بن هلال قال: «سألت أبا الحسن عليّ بن محمّد عليهما السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، فقال عليه السلام: هادي من في السماوات، وهادي من في الأرض»[٤]، وفي مكاتبة الإمام الهادي عليه السلام إلى بعض أصحابه أنه قال في قوله تعالى: ﴿الشجرة المباركة﴾ قال: «هي علي بن أبي طالب عليه السلام»[٥].

٤-قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُواْ مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُواْ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللهِ مُبَارَكَةً

---

(١) سورة النور: ٣٢.

(٢) ينظر: الكافي:٥/ ٣٧٢.

(٣) سورة النور: ٣٥.

(٤) ينظر:الاحتجاج:٢/ ٤٨٧، وينظر:البحار:٤/ ١٥.

(٥) ينظر: مقدمة تفسير البرهان للعياشي:١٧ .

طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيات لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[١]، نقل ابن شعبة الحرّاني رحمه الله عن عليّ بن محمّد عليهما السلام...: فإذا سلب من العبد حاسّة من حواسّه رفع العمل عنه بحاسّته كقوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ﴾ الآية، فقد رفع عن كلّ من كان بهذه الصفة الجهاد، وجميع الأعمال التي لا يقوم بها.[٢]

سورة الفرقان:

١-قوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً يَاوليتى لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً**﴾[٣]، فعن العلاّمة المجلسّي رحمه الله قال: كتاب الاستدراك بإسناده، إنّ المتوكّل قيل له: إنّ أبا الحسن - يعني عليّ بن محمّد بن عليّ الرضا:- يفسّر قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ...﴾ الآيتين، في الأوّل والثاني، قال: فكيف الوجه في أمره؟ قالوا: تجمع له الناس وتسأله بحضرتهم، فإن فسّرها بهذا كفاك الحاضرون أمره، وإن فسّرها بخلاف ذلك افتضح عند أصحابه، قال: فوجّه إلى القضاة وبني هاشم والأولياء، وسئل عليه السلام، فقال عليه السلام: هذان رجلان كنى الله عنهما، ومنّ بالستر عليهما، أ فيحبّ أمير المؤمنين أن يكشف ما ستره الله؟ فقال: لا أُحبّ[٤].

٢-قوله تعالى: ﴿**أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً**﴾[٥]، ذكر الشيخ الطوسّي رحمه الله بسنده إلى عبيد الله بن محمّد بن عبيد ابن ياسين بن محمّد بن عجلان التميميّ العابد قال: سمعت سيّدي أبا الحسن عليّ بن محمّد بن الرضا: بسرّ من رأى، يقول:... والعامّة اسم مشتقّ من العمى، ما رضي

(١) سورة النور: ٦١.

(٢) ينظر:تحف العقول:٤٥٨.

(٣) سورة الفرقان: ٢٧-٢٨.

(٤) ينظر:البحار:٣٠/ ٢٤٦، و٥٠/ ٢١٤.

(٥) سورة الفرقان: ٤٤.

الله لهم أن شبّههم بالأنعام حتّى قال: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾(١).

٣-قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الماء بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾(٢)، ذكر الشيخ محمّد بن يعقوب الكليني رحمه الله بسنده إلى عبد العظيم بن عبد الله قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام، يخطب بهذه الخطبة: الحمد لله العالم بما هو كائن... وقال في محكم كتابه: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الماء بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾(٣).

٤-قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ الله إِلَهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ التي حَـرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾(٤)، نقل الشيخ المفيد رحمه الله بسنده إلى موسى بن محمّد بن علّي بن موسى سأله ببغداد في دار القطن قال: قال موسى: كتب إليّ يحيى بن أكثم يسألني عن عشر مسائل، أو تسع، ... فدخلت على أخي عليه السلام فقلت له: جعلت فداك، إنّ ابن أكثم كتب يسألني عن مسائل أُفتيه فيها فضحك... قال: وما هي؟ قلت: كتب إليّ...:وأخبرني عن قول الله: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا؟ قال:... وأمّا قوله: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا فإنّ الله تبارك وتعالى يزوّج ذكران المطيعين إناثا من الحور، ومعاذ الله أن يكون عنى الجليل ما لبست على نفسك تطلب الرخص لارتكاب المآثم وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا(٥).

سورة الشعراء:

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُواْ اللهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُواْ

---

(١) ينظر الأمالي:٦١٣ .

(٢) سورة الفرقان: ٥٤.

(٣) ينظر:الكافي:٥/ ٣٧٢.

(٤) سورة الفرقان: ٦٨ - ٦٩.

(٥) ينظر: الاختصاص للشيخ المفيد:٩١ .

مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُواْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[١]، نقل الشيخ المفيد رحمه الله بسنده إلى ابن النعيم بن محمّد الطاهريّ قال: مرض المتوكّل من خراج خرج به فأشرف منه على الموت... سعى البطحائيّ بأبي الحسن عليه السلام إلى المتوكّل وقال: ... قال لي سعيد الحاجب: صرت إلى دار أبي الحسن عليه السلام بالليل، ... فقلت له: يا سيّدي، عزّ عليّ دخولي دارك بغير إذنك، ولكنّي مأمور، فقال لي: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُواْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾.[٢]

سورة النمل:

قوله تعالى: ﴿**قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَبِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ**﴾[٣]، نقل الشيخ المفيد رحمه الله بسنده إلى موسى بن محمّد بن عليّ بن موسى، سأله ببغداد في دار القطن قال: قال موسى: كتب إليّ يحيى بن أكثم يسألني عن عشر مسائل، أو تسع، فدخلت على أخي عليه السلام فقلت له: جعلت فداك، إنّ ابن أكثم كتب يسألني عن مسائل أُفتيه فيها فضحك... قال: وما هي؟... قال عليه السلام: وما هي؟ قلت: كتب إليّ: أخبرني عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَبِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ أنبيّ الله كان محتاجاً إلى علم آصف؟ سألت عن قول الله عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَبِ﴾ فهو آصف بن برخيا ولم يعجز سليمان عن معرفة ما عرف، لكنّه أحبّ أن يعرّف أُمّته من الجنّ والإنس أنّه الحجّة من بعده، وذلك من علم سليمان أودعه آصف بأمر الله ففهّمه الله ذلك، لئلّا يختلف في إمامته ودلالته كما فهم سليمان

---

(١) سورة الشعراء: ٢٢٧.

(٢) ينظر: الإرشاد:٣٢٩.

(٣) سورة النمل: ٤٠.

في حياة داود ليعرض إمامته ونبوّته من بعده، لتأكيد الحجّة على الخلق[١].

سورة العنكبوت:

قوله تعالى: ﴿**الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُواْ أَن يَقُولُواْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ**﴾[٢]، نقل ابن شعبة الحرّانيّ رحمه الله بسنده إلى عليّ بن محمّد عليهما السلام...: فأمّا شواهد القرآن على الاختبار والبلوى بالاستطاعة التي تجمع القول بين القولين الجبر والتفويض فكثيرة، ومن ذلك قوله: ﴿... الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُواْ أَن يَقُولُواْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾.[٣]

سورة لقمان:

قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[٤]، ذكر الشيخ المفيد رحمه الله...بسنده إلى موسى بن محمّد بن عليّ بن موسى، سأله ببغداد في دار الفطن قال: قال موسى: كتب إليّ يحيى بن أكثم يسألني عن عشر مسائل، أو تسع، فدخلت على أخي عليه السلام...قال عليه السلام: وما هي؟ قلت: كتب إليّ:... وأخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَتُ اللهِ﴾ ما هذه الأبحر وأين هي؟... .، وأمّا قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَتُ اللهِ﴾ فهو كذلك لو أنّ أشجار الدنيا أقلام، والبحر مداد لـه بعد سبعة مدد البحر، حتّى فجّرت الأرض عيونا فغرق أصحاب الطوفان لنفدت قبل أن تنفد كلمات الله عزَّ وجلَّ وهي عين الكبريت، وعين اليمن، وعين برهوت، وعين الطبريّة، وحمّة ماسبذان، وتدعى المنيّات، وحمّة إفريقيّة، وتدعى بسلان، وعين

---

(١) ينظر: الاختصاص:٩١ .

(٢) سورة العنكبوت: ١-٢.

(٣) ينظر:تحف العقول:٤٥٨.

(٤) سورة لقمان: ٢٧.

باحروان، وبحـر بحـر، ونحن الكلمات التي لا تدرك فضائلنا ولا تستقصىٰ.[١]

سورة الأحزاب:

١- قوله تعالىٰ: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِينًا**﴾[٢]، ذكر ابن شعبة الحرّانيّ رحمه الله عن عليّ بن محمّد عليهما السلام...: فلمّا أدّب الله المؤمنين بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ فلم يجز لهم الاختيار بأهوائهم، ولم يقبل منهم إلّا اتّباع أمره، واجتناب نهيه علىٰ يدي من اصطفاه، فمن أطاعه رشد، ومن عصاه ضلّ وغوىٰ، ولزمته الحجّة بما ملّكه من الاستطاعة لاتّباع أمره واجتناب نهيه، فمن أجل ذلك حرّمه ثوابه وأنزل به عقابه.[٣]

٢- قوله تعالىٰ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْأَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا**﴾[٤]، نقل ابن شعبة الحرّانيّ رحمه الله عن عليّ بن محمّد عليهما السلام...: وذلك أنّ أقاويل آل رسول الله صلى الله عليه وآله متّصلة بقول الله وذلك مثل قوله في محكم كتابه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْأَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾.[٥]

٣- قوله تعالىٰ: ﴿**يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَالَيْتَنَآ أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا**﴾[٦]، نقل المسعوديّ رحمه الله بسنده إلىٰ الفتح بن يزيد الجرجانّي قال: ضمّني وأبا الحسن عليه السلام الطريق ... قال لي: يا فتح،... إنّ الله جلّ جلاله... يوصف بكنهه

---

(١) ينظر: الاختصاص:٩١ .

(٢) سورة الأحزاب: ٣٦.

(٣) ينظر:تحف العقول:٤٥٨.

(٤) سورة الأحزاب: ٥٧.

(٥) ينظر: المصدر نفسه.

(٦) سورة الأحزاب: ٦٦.

محمّد صلى الله عليه وآله... وقال تبارك اسمه يحكي قول من ترك طاعته: ﴿يَالَيْتَنَآ أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾.[١]

سورة فاطر:

١- قوله تعالى: ﴿**أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللهَ عَلِيمُ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾[٢]، ذكر ابن شعبة الحرّانيّ رحمه الله بسنده إلى عليّ بن محمّد عليهما السلام...: فالاختبار من الله بالاستطاعة التي ملّكها عبده، وهو القول بين الجبر والتفويض ... فإن قالوا: ما الحجّة في قول الله: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ وما أشبهها؟ قيل: مجاز هذه الآيات كلّها على معنيين: أمّا أحدهما فإخبار عن قدرته أي إنّه قادر على هداية من يشاء... . والمعنى الآخر أنّ الهداية منه تعريفه.[٣]

٢- قوله تعالى: ﴿**وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وجاءكم النَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ**﴾[٤]، نقل الشيخ الصدوق رحمه الله بسنده إلى الفتح بن يزيد الجرجانّي قال: لقيته أي: أبا الحسن الهادي عليه السلام... قلت: جعلت فداك، قد بقيت مسألة، قال: هات لله أبوك. قلت: يعلم القديم الشيء الذي لم يكن أن لو كان كيف كان يكون؟ قال: ويحك، إنّ مسائلك لصعبة، أما سمعت الله يقول:... وقال: يحكي قول أهل النار: ﴿أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ..﴾ فقد علم الشيء الذي لم يكن، أن لو كان كيف كان يكون.[٥]

---

(١) ينظر: إثبات الوصية:٢٣٥.

(٢) سورة فاطر: ٨.

(٣) ينظر: تحف العقول:٤٥٨.

(٤) سورة فاطر: ٣٧.

(٥) ينظر: التوحيد:٦٠.

سورة ص:

١- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾[١]، ذكر ابن شعبة الحرّانيّ رحمه الله بسنده عن عليّ بن محمّد عليهما السلام...: فأمّا شواهد القرآن على الاختبار والبلوى بالاستطاعة التي تجمع القول بين القولين الجبر والتفويض فكثيرة... وقال في الفتن التي معناها الاختبار: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ الآية.[٢].

٢- قوله تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾[٣]، نقل ابن شهر آشوب رحمه الله بسنده الى صالح بن الحكم بيّاع السابريّ قال: كنت واقفيّاً[٤]، فلمّا أخبرني حاجب المتوكّل بذلك، أقبلت أستهزئ به؛ إذ خرج أبو الحسن عليه السلام فتبسّم في وجهي ...قال عليه السلام: يا صالح، إنّ الله تعالى قال في سليمان: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رخاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾، ونبيّك وأوصياء نبيّك أكرم على الله تعالى من سليمان.[٥]

٣- قوله تعالى: ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾[٦]، الشيخ الصدوق رحمه الله حدّثنا محمّد بن أحمد الشيبانيّ، قال: حدّثنا محمّد بن أبي عبد الله الكوفيّ قال: حدّثنا سهل بن زياد، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسنيّ قال: سمعت أبا الحسن عليّ بن محمّد العسكريّ عليهما السلام يقول: معنى الرجيم أنّه مرجوم باللعن، مطرود من مواضع الخير، لا يذكره مؤمن إلّا لعنه. وأنّ في علم الله السابق أنّه إذا خرج القائم عليه السلام لا

---

(١) سورة ص: ٣٤.

(٢) ينظر:تحف العقول:٤٥٨.

(٣) سورة ص: ٣٦.

(٤) وهم الذين وقفوا على إمامة موسى بن جعفر عليهما السلام وانه الإمام القائم، ولم يأتموا بعده بإمام، ولم يتجاوزوه إلى غيره، ينظر: فرق الشيعة: للنوبختي:١٣١.

(٥) ينظر:المناقب:٤/ ٤٠٧.

(٦) سورة ص: ٧٧.

يبقىٰ مؤمن في زمانه إلّا رجمه بالحجارة كما كان قبل ذلك مرجوماً باللعن.[١]

سورة الزمر:

١-قوله تعالىٰ: ﴿**إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾[٢]، ذكر ابن شعبة الحرّانيّ رحمه الله بسنده عن عليّ بن محمّد عليهما السلام...: وفي إثبات العجز نفي القدرة والتألّه، وإبطال الأمر والنهي، والثواب والعقاب، ومخالفة الكتاب؛ إذ يقول: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَه لَكُمْ﴾[٣].

٢-قوله تعالىٰ: ﴿**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ الَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ الْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الْأَلْبَابِ**﴾[٤]، ورد عن الإمام العسكريّ عليه السلام:... أنّ رجلًا من فقهاء شيعته... دخل علىٰ عليّ بن محمّد عليهما السلام... وبحضرته خلق كثير من العلويّين، و... فما زال يرفعه حتّىٰ أجلسه في ذلك الدست، وأقبل عليه، فاشتدّ ذلك علىٰ أولئك الأشراف، فأمّا العلويّة فأجلّوه عن العتاب، وأمّا الهاشميّون فقال له شيخهم: يا ابن رسول الله، هكذا تؤثر عامياً علىٰ سادات بني هاشم من الطالبيّين، والعبّاسيّين، فقال عليه السلام...: أو ليس قال الله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.[٥]

٣- قوله تعالىٰ: ﴿**وَالَّذِينَ اجْتَنَبُواْ الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُواْ إِلَى اللهِ لَهُمُ**

---

(١) ينظر: معاني الأخبار١٣٩، البحار:٦٠/ ٢٤٢.

(٢) سورة الزمر: ٧.

(٣) ينظر:تحف العقول:٤٥٨.

(٤) سورة الزمر: ٩.

(٥) ينظر: التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري عليه السلام:٣٥١.

الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُوْلَئكَ هُمْ أُوْلُواْ الْأَلْبَابِ﴾(١)، ذكر ابن شعبة الحرّانيّ رحمه الله عن عليّ بن محمّد عليهما السلام...: وقال الله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ أي أحكمه وأشرحه ﴿أُوْلَئكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُوْلَئكَ هُمْ أُوْلُواْ الْأَلْبَابِ﴾.(٢)

٤- قوله تعالى: **﴿وَمَا قَدَرُواْ اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتُ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾**(٣)، نقل الشيخ الصدوق رحمه الله حدّثنا محمّد بن محمّد بن عصام الكلينيّ رضي الله عنه قال: حدّثنا محمّد بن يعقوب الكلينيّ قال: حدّثنا عليّ بن محمّد المعروف بعلّان الكلينيّ قال: حدّثنا محمّد بن عيسى بن عبيد قال: سألت أبا الحسن عليّ بن محمّد العسكريّ عليهما السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتُ بِيَمِينِهِ﴾، فقال عليه السلام: ذلك تعيير الله تبارك وتعالى لمن شبّهه بخلقه، ألا ترى أنّه قال: ﴿وَمَا قَدَرُواْ اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾، ومعناه إذ قالوا: إنّ الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويّات بيمينه كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شيء﴾ (الأنعام: ٦/ ٩١) ثمّ نزّه عزَّ وجلَّ نفسه عن القبضة واليمين، فقال: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(٤).

سورة غافر:

١- قوله تعالى **﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾**(٥)، ذكر ابن شعبة الحرّانيّ رحمه الله بسنده عن عليّ بن محمّد عليهما السلام:... أنّ الله عزَّ

(١) سورة الزمر: ١٧ - ١٨.

(٢) ينظر: تحف العقول: ٤٥٨.

(٣) سورة الزمر: ٦٧.

(٤) ينظر: التوحيد: ١٦٠.

(٥) سورة غافر: ١٧.

وجلَّ جـازىٰ العباد علىٰ أعمالهم، ويعاقبهم علىٰ أفعالهم بالاستطاعة التي ملّكهم إيّاها، فأمرهم ونهاهم بذلك... وقال: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾.(١)

٢- قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جاءكم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾(٢)، ذكر الحضينيّ رحمه الله بسنده إلىٰ يزيد بن الحسين بن موسىٰ قال: أنفذني سيّدي أبو الحسن ورجلين حسنيين من بني عمّه إلىٰ صاحب الدار قال: لست أبيعها... والرجل ليس يبيع داره، فقال: يا هذا، جرىٰ مجرىٰ آل فرعون، فـ ﴿وَإِن يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾.(٣)

٣- قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُواْ ءَامَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا سُنَّتَ اللهِ التي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾(٤)، ذكر محمّد بن يعقوب الكلينيّ رحمه الله بسنده إلىٰ جعفر بن رزق الله قال: قدم إلىٰ المتوكّل رجل نصرانيّ فجر بامرأة مسلمة، ... فأمر المتوكّل بالكتاب إلىٰ أبي الحسن الثالث عليه السلام... فلمّا قرأ الكتاب كتب عليه السلام: يضرب حتّىٰ يموت، فكتب إليه: أنّ فقهاء المسلمين قد أنكروا هذا، وقالوا:... لم ينطق به كتاب... فكتب عليه السلام: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُواْ ءَامَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا سُنَّتَ اللهِ التي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ

---

(١) ينظر: تحف العقول: ٤٥٨.

(٢) سورة غافر: ٢٨.

(٣) ينظر: الهداية الكبرىٰ: ٣١٦.

(٤) سورة غافر: ٨٤ - ٨٥.

الْكَافِرُونَ﴾.[١]

سورة فصلت:

قولـه تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَهُمْ فَاسْتَحَبُّواْ الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[٢]، ذكر ابن شعبة الحرّانّي رحمه الله عن علّي بن محمّد عليهما السلام:... فالاختبار من الله بالاستطاعة التي ملّكها عبده، وهو القول بين الجبر والتفويض،... فإن قالوا: ما الحجّة في قول الله: ﴿يُضِلُّ مَن يشاء وَيَهْدِىٰ مَن يشاء﴾ وما أشبهها؟ قيل: مجاز هذه الآيات كلّها علىٰ معنيين: أمّا أحدهما فإخبار عن قدرته أي: إنّه قادر علىٰ هداية من يشاء وضلال من يشاء... والمعنىٰ الآخر أنّ الهداية منه تعريفه كقوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَهُمْ﴾ أي عرّفناهم ﴿فَاسْتَحَبُّواْ الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾[٣].

سورة الشورى:

قوله تعالىٰ: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يشاء عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾[٤]، نقل الشيخ المفيد رحمه الله بسنده إلىٰ موسىٰ بن محمّد بن عليّ بن موسىٰ، سأله ببغداد في دار القطن قال: قال موسىٰ: كتب إليّ يحيىٰ بن أكثم يسألني عن عشر مسائل، أو تسع، فدخلت علىٰ أخي عليه السلام... قال عليه السلام: وما هي؟ قلت: كتب إليّ:... وأخبرني عن قول الله: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾ فهل زوّج الله عباده الذكران وقد عاقب الله قوما فعلوا ذلك؟... قال عليه السلام:... وأمّا قوله: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾ فإنّ الله تبارك وتعالىٰ يزوّج ذكران المطيعين إناثاً من الحور، ومعاذ الله أن يكون عنىٰ الجليل ما لبست

---

(١) ينظر: الكافي: ٧/ ٢٣٨.

(٢) سورة فصلت: ١٧.

(٣) ينظر: تحف العقول: ٤٥٨.

(٤) سورة الشورىٰ: ٥٠.

علىٰ نفسك تطلب الرخص لارتكاب المآثم وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إن لم يتب.[1]

سورة الزخرف:

قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءَانُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[2]، ففي التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكريّ عليه السلام: فقلت لأبي عليّ بن محمّد عليهما السلام: فهل كان رسول الله صلى الله عليه وآله يناظرهم إذا عانتوه ويحاجّهم؟، قال: عليه السلام بلىٰ، مراراً كثيرة، منها: ما حكىٰ الله من قولهم:... ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[3].

سورة محمد صلى الله عليه وآله

١- قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فداءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يشاء اللهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ الله فَلَن يُضِلَّ أَعْمَلَهُمْ﴾[4]، ذكر ابن شعبة الحرّاني رحمه الله، بسنده عن علّي بن محمّد عليهما السلام...: أمّا آيات البلوىٰ بمعنىٰ الاختبار...، ﴿وَلَوْ يشاء اللهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾... فهي إثبات الاختبار والبلوىٰ.[5]

٢- قوله تعالىٰ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَاْ

---

(١) ينظر: الاختصاص: ٩١.

(٢) سورة الزخرف: ٣١- ٣٢.

(٣) ينظر: التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري عليه السلام: ٥٠٠.

(٤) سورة محمد: ٤.

(٥) ينظر: تحف العقول: ٤٥٨.

أَخْبَارَكُمْ﴾[١]، نقل ابن شعبة الحرّاني رحمه الله بسنده عن عليّ بن محمّد عليهما السلام...:فأمّا شواهد القرآن على الاختبار والبلوى بالاستطاعة التي تجمع القول بين القولين الجبر والتفويض فكثيرة، ومن ذلك قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾. [٢]

سورة الفتح:

١- قوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[٣]، نقل الحسينيّ الإسترآباديّ رحمه الله روي مرفوعاً عن أبي الحسن الثالث عليه السلام أنّه سئل عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾؟ فقال عليه السلام: وأيّ ذنب كان لرسول الله صلى الله عليه وآله، متقدّماً أو متأخّراً، وإنّما حمله الله ذنوب شيعة عليّ عليه السلام، ممّن مضى منهم وبقي، ثمّ غفرها الله له. [٤]

---

(١) سورة محمد: ٣١.

(٢) تقدم تخريجه في هامش ٥١ .

(٣) سورة الفتح: ٢.

(٤) ينظر: تأويل الآيات:٥٧٥، وينظر:البحار:٢٤/ ٢٧٣ .

المطلب الثاني

مرويات الإمام علي الهادي عليه السلام في سور المفصل

سورة الذاريات:

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾[1]، ذكر ابن شعبة الحرّاني رحمه الله، بسنده عن عليّ بن محمّد عليهما السلام، سلام عليكم وعلى من اتّبع الهدى ورحمة الله وبركاته...إعلموا رحمكم الله أنّا نظرنا في الآثار وكثرة ما جاءت به الأخبار... وفي إثبات العجز نفي القدرة والتألّه، وإبطال الأمر والنهي، والثواب والعقاب، ومخالفة الكتاب؛ إذ يقول: ﴿...وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾.[2]

سورة المجادلة:

١- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3]، ذكر ابن شعبة الحرّاني رحمه الله بسنده عن عليّ بن محمّد عليهما السلام...: قولُه في الظهار: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾- إلى قوله-: ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا...﴾ دليلٌ، على أنّ الله تبارك وتعالى لم يكلّف عباده إلّا ما ملّكهم استطاعته بقوّة العمل به ونهاهم عن مثل ذلك.[4]

---

(١) سورة الذاريات: ٥٦ - ٥٧.

(٢) ينظر: تحف العقول: ٤٥٨.

(٣) سورة المجادلة: ٣-٤.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

٢- قوله تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُواْ يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُواْ فَانشُزُواْ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[١]، ففي التفسير المنسوب للإمام العسكريّ عليه السلام...: أنّ رجلاً من فقهاء شيعته... فدخل على عليّ بن محمّد عليهما السلام... وبحضرته خلق[كثير من العلويّين، وبني هاشم، فما زال يرفعه حتّى أجلسه في ذلك الدست، وأقبل عليه، فاشتدّ ذلك على أولئك الأشراف، فأمّا العلويّة فأجلّوه عن العتاب، وأمّا الهاشميّون فقال له شيخهم: يا ابن رسول الله، هكذا تؤثر عامياً على سادات بني هاشم من الطالبيّين، والعبّاسيّين. فقال عليه السلام:... أترضون بكتاب الله عزَّ وجلَّ حكماً؟ قالوا: بلى، قال: أليس الله تعالى يقول: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُواْ يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُواْ فَانشُزُواْ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾.[٢]

سورة الصف:

قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[٣]، ذكر ابن شعبة الحرّانيّ رحمه الله بسنده عن عليّ بن محمّد عليهما السلام...: فمن فعل فعلاً وكان يدين لم يعقد قلبه على ذلك لم يقبل الله منه عملاً إلّا بصدق النيّة، ولذلك...أنزل على نبيّه صلى الله عليه وآله توبيخاً للمؤمنين: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[٤].

سورة التغابن:

قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُواْ اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لأنفُسِكُمْ

---

(١) سورة المجادلة: ١١.

(٢) ينظر: التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري عليه السلام: ٣٥١.

(٣) سورة الصف: ٢.

(٤) ينظر: تحف العقول: ٤٥٨.

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١]، ذكر ابن شعبة الحرّانيّ رحمه الله بسنده عن عليّ بن محمّد عليهما السلام...: ففضّل بني آدم بالنطق الذي ليس في غيره من الخلق المدرك بالحواسّ، فمن أجل النطق ملّك الله ابن آدم غيره من الخلق حتّى صار آمراً ناهياً، وغيره مسخّر له ... فمن أجل ذلك دعا الله الإنسان إلى اتّباع أمره وإلى طاعته بتفضيله إيّاه باستواء الخلق، وكمال النطق والمعرفة، بعد أن ملّكهم استطاعة ما كان تعبّدهم به بقوله: ﴿فَاتَّقُواْ اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ﴾[٢].

سورة الطلاق:

قوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ آتاه اللهُ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ آتاها سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾[٣]، ذكر ابن شعبة الحرّانيّ رحمه الله بسنده عن عليّ بن محمّد عليهما السلام...: ففضّل بني آدم بالنطق الذي ليس في غيره من الخلق المدرك بالحواسّ، فمن أجل النطق ملّك الله ابن آدم غيره من الخلق حتّى صار آمرا ناهيا، وغيره مسخّر له... فمن أجل ذلك دعا الله الإنسان إلى اتّباع أمره وإلى طاعته بتفضيله إيّاه باستواء الخلق، وكمال النطق والمعرفة، بعد أن ملّكهم استطاعة ما كان تعبّدهم به بقوله:... ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ آتَاهَا﴾[٤].

سورة الملك:

قوله تعالى: ﴿الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَوةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾[٥]، نقل ابن شعبة الحرّانيّ رحمه الله بسنده عن عليّ بن محمّد عليهما السلام:...أمّا

---

(١) سورة التغابن: ١٦.

(٢) تقدم تخريجه في هامش ٢١، ٦٥ و٦٦ و٨١.

(٣) سورة الطلاق: ٦٥.

(٤) ينظر: الهوامش السابقة انفسها.

(٥) سورة الملك: ٢.

آيات البلوىٰ بمعنىٰ الاختبار... قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَوةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾.[١]

سورة القلم:

١- قوله تعالىٰ: **﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾**[٢]، ذكر ابن شعبة الحرّانيّ رحمه الله بسنده من عليّ بن محمّد عليهما السلام...: وأمّا آيات البلوىٰ بمعنىٰ الاختبار... قوله: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾.[٣]

٢- قوله تعالىٰ: **﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾**[٤]، ذكر ابن شعبة الحرّانيّ رحمه الله بسنده عن عليّ بن محمّد عليهما السلام:... فأمّا شواهد القرآن علىٰ الاختبار والبلوىٰ بالاستطاعة التي تجمع القول بين القولين الجبر والتفويض فكثيرة، ومن ذلك قوله: ﴿...سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٥].

سورة الإنسان:

قوله تعالىٰ: **وَمَا تشاؤون إلا أَن يشاء اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾**[٦]، نقل الصفّار رحمه الله... أحمد بن محمّد السيّاريّ قال: حدّثني غير واحد من أصحابنا قال: خرج عن أبي الحسن الثالث عليه السلام أنّه قال: إنّ الله جعل قلوب الأئمّة مورداً لإرادته، فإذا شاء الله شيئاً شاؤه، وهو قول الله: ﴿وَمَا تشاؤون إلا أَن يشاء اللهُ﴾[٧]، وقد ورد في فضل

---

(١) ينظر: الهوامش: ١٧، ٣٠، ٤١، ٥٠، ٥١، ٥٢، ١١٨ .

(٢) سورة القلم: ١٨.

(٣) ينظر: تحف العقول: ٤٥٨.

(٤) سورة القلم: ٤٤.

(٥) ينظر: ١٧، ٣٠، ٤١، ٥٠، ٥٢، ٧٣، ٩٦، ١٠٣، ١١٨، ١١٩، ١٢٧.

(٦) سورة الإنسان: ٣٠.

(٧) ينظر: بصائر الدرجات: ٥٣٧ .

سورة الإنسان عن الإمام الهادي عليه السلام ما أورده الشيخ الطوسيّ رحمه الله بسنده عن عليّ بن عمر العطّار قال: دخلت على أبي الحسن العسكريّ عليه السلام... فقال:... من أحبّ أن يقيه الله شرّ يوم الاثنين فليقرأ في أوّل ركعة من صلاة الغداة: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ﴾ ثمّ قرأ أبو الحسن عليه السلام: ﴿فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾.(١)

الانفطار:

قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ**﴾(٢)، نقل ابن شعبة الحرّانيّ رحمه الله بسنده عن عليّ ابن محمّد عليهما السلام...: فقد أخبر عزَّ وجلَّ عن تفضيله بني آدم على سائر خلقه من البهائم والسباع، ودوابّ البحر والطير، وكلّ ذي حركة تدركه حواسّ بني آدم بتمييز العقل والنطق؛ وذلك... قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾.(٣)

سورة التين:

قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**﴾(٤)، ذكر ابن شعبة الحرّانيّ رحمه الله بسنده عن عليّ بن محمّد عليهما السلام: سلام عليكم وعلى من اتّبع الهدى ورحمة الله وبركاته... إعلموا رحمكم الله أنّا نظرنا في الآثار وكثرة ما جاءت به الأخبار... فقد أخبر عزَّ وجلَّ عن تفضيله بني آدم على سائر خلقه من البهائم والسباع، ودوابّ البحر والطير، وكلّ ذي حركة تدركه حواسّ بني آدم بتمييز العقل والنطق؛ وذلك

---

(١) ينظر: الأمالي: ٢٢٤.

(٢) سورة الانفطار: ٦-٨.

(٣) ينظر: تحف العقول: ٤٥٨.

(٤) سورة التين: ٤.

قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[١]

سورة العلق:

قوله تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾[٢]، ففي التفسير المنسوب للإمام العسكريّ عليه السلام: قال عليّ بن محمّد عليهما السلام:... فلمّا استكمل أربعين سنة ونظر الله عزَّ وجلَّ إلى قلبه ـ أي: قلب محمّد صلى الله عليه وآله ـ فوجده أفضل القلوب وأجلّها، وأطوعها وأخشعها وأخضعها، أذن لأبواب السماء ففتحت، ومحمّد صلى الله عليه وآله ينظر إليها، وأذن للملائكة فنزلوا ومحمّد صلى الله عليه وآله ينظر إليهم، وأمر بالرحمة فأُنزلت عليه من لدن ساق العرش إلى رأس محمّد وغمرته، ونظر إلى جبرئيل الروح الأمين المطوّق بالنور طاووس الملائكة هبط إليه وأخذ بضبعه وهزّه، وقال: يا محمّد، إقرأ. قال: وما أقرأ؟ قال: يا محمّد ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ - إلى قوله - ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.[٣]

سورة المسد:

قوله تعالى: ﴿**تَبَّتْ يدا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**﴾[٤]، ذكر العلاّمة المجلسّي رحمه الله قال: نادى المتوكّل يوماً كاتباً نصرانيّاً: أبا نوح، فأنكروا كنى الكتابيّين، فاستفتى فاختلف عليه، فبعث إلى أبي الحسن عليه السلام، فوقّع عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿تَبَّتْ يدا أَبِي لَهَبٍ﴾ فعلم المتوكّل أنّه يحلّ ذلك؛ لأنّ الله قد كنّى الكافر.[٥]

---

(١) ينظر: تحف العقول: ٤٥٨.

(٢) سورة العلق: ١-٥.

(٣) ينظر: التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري عليه السلام: ١٥٦ .

(٤) سورة المسد: ١.

(٥) ينظر: البحار: ١٠/ ٣٩١.

ويمكن ختم المبحث بما ورد عن الإمام الهادي عليه السلام، كما نقل الشيخ الطوسي رحمه الله، بسنده إلى عبد العظيم بن عبد الله الحسني، فقال: سمعت أبا الحسن علي بن محمد العسكري عليهما السلام يقول: معنى الرجيم أنه مرجوم باللعن، مطرود من مواضع الخير، لا يذكره مؤمن إلا لعنه، وأن في علم الله السابق أنه إذا خرج القائم عليه السلام لا يبقى مؤمن في زمانه إلا رجمه بالحجارة، كما كان قبل ذلك مرجوماً باللعن[1].

(١) ينظر: معاني الأخبار: ١٣٩.

الخاتمة:

بعد هذا التطواف في مرويات الإمام الهادي عليه السلام، يمكن استجلاء ما يلي:

١-اتضح في البحث أن الإمام علياً الهادي عليه السلام، قد وردت عنه جملة كبيرة من الأقوال التفسيرية في سور القرآن الكريم.

٢-كان الإمام سلام الله عليه يحثّ المسلمين على تلاوة القرآن الكريم، ويحذّر من المراء والجدل فيه.

٣-ورد عن الإمام عليه السلام روايات تفسيرية عديدة في سور القرآن الكريم، المعبر عنها بالسبع الطوال.

٤-تبين في البحث أن هناك روايات تفسيرية عن الإمام عليه السلام في سور المئين، وهي ما زادت عدد آياتها على المئتين.

٥-تجلّى في البحث أن آثار الإمام الهادي عليه السلام تناولت أيضاً سور المثاني، وهي التي تزيد عدد آياتها على المئة.

٦- امتدت روايات الإمام سلام الله عليه إلى سور المفصل، باختلاف أقسامها من طوال المفصل وأوساطه وقصاره.

هذا، وأبتهل إلى الله العلي القدير أن يشملني بعطفه وأن يغمرني بسعادة الدارين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، وأظلني مع القوم الذين لا يشقى بهم جليسهم، وصلّى الله على خير خلقه محمد وعلى آله الطيبين وصحبه الخيرين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

• إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي الهذلي المسعودي: ت:٣٤٦هـ، مؤسسة أنصاريان، قم المقدسة١٤١٧هـ.

• الاحتجاج: لأبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي من علماء القرن السادس، تحقيق: الشيخ إبراهيم البهادري ـ والشيخ محمد هادي به، بإشراف الشيخ:جعفر السبحاني، ط١انتشارات إسوة التابعة لمنظمة الأوقاف والشؤون الخيرية، إيران ١٤١٣هـ.

• إحقاق الحق وإزهاق الباطل، للقاضي سيد نور الحسيني المرعشي التستري، ت:١٠١٩هـ، مع تعليقات نفيسة بقلم آية الله السيد شهاب الدين النجفي، المطبعة الإسلامية، طهران ١٣٩٣هـ.

• الاختصاص: للشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، الملقب بـالشيخ المفيد، ت:٤١٣هـ، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة ١٤١٣هـ، نشر وتصوير: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد.

• إختيار معرفة الرجال المعروف بـرجال الكشي، لشيخ الطائفة محمد بن الحسن بن علي الطوسي: ت:٤٦٠هـ، تصحيح وتعليق: حسن المصطفوي، ط: جامعة مشهد١٣٤٨هـ-ش.

• أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين: ت:١٣٧١هـ، تحقيق: السيد حسن الأمين، ط١ دار التعارف للمطبوعات، بيروت ١٤٠٦هـ.

• الأمالي: لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ت:٦٤٠هـ، مؤسسة البعثة، ط١دار الثقافة، قم المقدسة، ١٤١٤هـ.

• بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الطاهرة عليهم السلام: للشيخ محمد باقر

ابن محمد تقي المجلسي: ت:١١١٠هـ، نشر وتصوير: مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٤هـ-١٩٨٣م.

• البرهان في تفسير القرآن: للسيد هاشم بن سليمان البحراني ت:١١٠٧هـ تصحيح: محمود بن جعفر الموسوي الزرندي، ط٢، مطبعة اقتاب، طهران، نشر وتصوير: مؤسسة إسماعيليان، قم المقدسة.

• بصائر الدرجات الكبرىٰ في فضائل آل محمد عليهم السلام، للشيخ أبي جعفر محمد ابن الحسن بن فروخ الصفار ت:٢٩٠ هـ، تقديم وتعليق: الحاج ميرزا محسن كوجه باغي ـ مؤسسة الأعلمي ـ طهران١٤٠٤هـ.

• تاريخ بغداد وذيوله: لأبي بكر أحمد بن بكر بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي ت:٤٦٣هـ، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، دراسو وتحقيق:مصطفىٰ عبد القادر عطا، ط١١٤١٧هـ.

• تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة عليهم السلام، للسيد شرف الدين علي الحسيني الاسترآبادي من علماء القرن العاشر، ط٢ مؤسسة النشر الإسلامي-قم المشرّفة ١٤١٧هـ.

• تحف العقول عن آل الرسول عليهم السلام للشيخ أبي محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني، تصحيح وتعليق:علي أكبر الغفاري، ط٢، مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم المقدسة ١٤٠٤هـ.

• التسهيل لعلوم التنزيل أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن جزي الكلبي الغرناطي ت:٧٤١هـ، المحقق: د.عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم ابن أبي الأرقم ـ بيروت، ط١١٤١٦هـ.

• تفسير العياشي، لأبي النضر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي من أعلام الغيبة الصغرىٰ، تحقيق:السيد هاشم رسولي محلاتي، المكتبة العلمية ـ طهران.

• التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة، ط٩، ١١٤٠هـ.

• تهذيب الأحكام، للشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ت:٤٦٠هـ، تحقيق:السيد حسن الخرسان، ط٣، دار الأضواء-بيروت١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.

• التوحيد، للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ت:٣٨١هـ، تصحيح وتعليق: السيد هاشم الحسيني الطهراني ـ مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم المقدسة.

• الخرائج والجرائح: لقطب الدين الراوندي ت:٥٧٣هـ، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة، ط١١٤٠٩هـ.

• الدر المنثور في التفسير المأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، ت:٩١١هـ، الناشر: دار الفكر-بيروت.

• دلائل الإمامة: لأبي جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري من أعلام القرن الخامس، تحقيق ونشر: مؤسسة البعثة ـ قم المقدسة، ط١١٤١٣هـ.

• طب الأئمة عليهم السلام، لعبد الله والحسين ابني بسطام النيسابوريين، تقديم:السيد محمد مهدي الخرسان ـ منشورات المكتبة الحيدرية ـ النجف الاشرف ١٣٨٥هـ.

• عيون المعجزات، للشيخ حسين بن عبد الوهاب، ط٣مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت، ١٤٠٣هـ.

• الغَيبة، للشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ت:٤٦٠هـ، تقديم:آقا بزرك الطهراني، ط٢-مكتبة بصيرتي ـ قم المقدسة -١٣٨٥هـ.

• الفرق للشيخ: أبو محمد الحسن بن موسى النبوختي من أعلام القرن الثالث الهجري، منشورات الرضا عليه السلام، ط١، ١٤٣٣هـ-١٤١٣م.

• الكافي: لثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني رحمه الله ت:٣٢٩هـ، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الأضواء ـ بيروت ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

• مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر عليهم السلام ودلائل الحجج على البشر، للسيد هاشم البحراني ت:١١٠٧هـ، تحقيق:الشيخ عزة الله المولائي، ط١مؤسسة المعارف الإسلامية ـ قم المقدسة ١٤١٣هـ.

• مروج الذهب ومعادن الجوهر أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ت:٣٤٦هـ، أسعد داغر، الناشر: دار الهجرة ـ قم ١٤٠٩هـ.

• معاني الأخبار: للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ت:٣٨١هـ، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم المقدسة ٣٦١هـ.

• مفاتيح الغيب التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، الملقب بـفخر الدين الرازي خطيب الري، ت:٦٠٦هـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

• مكارم الأخلاق:لابي نصر الحسن بن الفضل الطبرسي، تحقيق وتقديم:الشيخ حسين الأعلمي، ط١مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

• المناقب: لموفق بن أحمد بن محمد المكي الخوارزمي ت:٥٦٨هـ تحقيق: الشيخ مالك المحمودي، ط٣، ١٤١٧هـ مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم المقدسة.

• مهج الدعوات ومنهج العبادات، لرضي الدين أبي القاسم علي بن موسى ابن جعفر بن محمد بن طاووس ت:٦٤٤هـ، تقديم وتعليق: الشيخ حسين الأعلمي، ط١مؤسسة الأعلمي للمطبوعات -١٤١٤هـ.

• الهداية الكبرى: لأبي عبد الله الحسين بن حمدان الحضيني ت:٣٥٨هـ، ط٤مؤسسة البلاغ بيروت -١٤١١هـ.



البحث السادس

منهج الإمام علي الهادي عليه السلام

في تفسيره في ضوء مسنده

أ.م.د. ياسر حسين العزاوي

جامعة الفلوجة

كلية العلوم الإسلامية



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ الناس مَلكِ الناس إلهِ الناس، والصلاةُ والسَّلامُ على خير الخلق سيدنا ومولانا مُحَمَّد بن عبد الله سيد الجنّ والناس، وعلى آله الطيبين الطاهرين من الأرجاس والأدناس، وصحبه أولي النهى والباس، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد..

فإنَّ من نعم الله تعالى على العبد أنْ يسير في طريق الحق على هدى ورشاد، ويتمسك بحبلين لا ينفصلان، كتابِ الله تعالى وأهلِ بيت نبيه صلى الله عليه وآله، يعيش في كنفهم حبًّا وعشقًا وتفانيًا، وسيرةً ومنهاجَ حياة، إيمانًا وقولاً وعملاً، مصداقًا لحديث رسول الله صلى الله عليه وآله القائل فيه: «إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ: كِتَابُ الله عزَّ وَجَلَّ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، أَلَا إِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»[1].

من أجل ذلك رغبتُ في أنْ أشارك ببحثي هذا في مؤتمر علمي رصين، يحمل عنوانًا يجمع شتات هذه الأمة، ويقوي صلتها بدينها، ويربط الأواصر يوم تتفرق: (الإمام علي الهادي عليه السلام عبق النبوة وعماد السلم المجتمعي) وقد جاء هذا المؤتمر لإبراز حقائقَ قد تخفى على بعض الناس؛ جهلاً أو عنادًا، أهمها ما يأتي:

١) لا يعرف قدر آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله إلا مؤمن صادق، ولا ينكر حقهم إلا

(١) رواه أحمد في مسنده: ١٧/ ٣٠٨-٣٠٩ برقم ١١٢١١، وهو حديث صحيح بشواهده.

منافق، جاء هذا البحث ليظهر للعالم مكانة عَلَمٍ من أعلامهم، وجبلٍ شامخٍ ووتدٍ من أوتادهم، ألا وهو أبو الحسن علي الهادي عليه السلام .

٢) إظهار مكانة هذا الإمام العلمية؛ إذ قد يتصور بعضٌ أنّ الإمام الهادي لم يكن سوىٰ صالحٍ من صلحاء هذه الأمة، فجاءَ هذا المؤتمر ليزيل هذا التصور الخاطئ.

٣) نبذ الطائفية والتعصب المذهبي، ودفن ما يعلق في أذهان الجهلة من أن آل البيت حِكرٌ علىٰ طائفة معينة أو ثلة من الناس، وهو بهذا الأمر يضيق واسعًا، ويكون كمن يسدُّ نور الشمس بمنخل .. وهذا ما منعه شرعنا الحنيف، وحذّرت منه وزارتنا متمثلة بمعالي وزيرنا أ.د.عبد الرزاق العيسىٰ المحترم.. واتفق عليه رؤساء الجامعات العراقية جميعهم في مقدمتهم، وكما يؤكد لنا ذلك لأكثر من مناسبة رئيس جامعتنا أ.د. محمد الحمداني المحترم.

ثم إنَّ الإمام عليًّا الهادي مِمَّنْ جنىٰ عليه زمانُه، حتىٰ زُويَ عنا إبداعُهُ العلميّ الذي تميز بالتنوِّع، ولو أُنصِفَ لَعُدَّ مدرسة وموسوعة علمية متكاملة، وبحراً خضماً جمع من العلوم والاختصاصات الكثيرة، فمسنده وحده كما وجدتُه قد جمع مع العلوم الشرعية والإسلامية: الأدب، واللُّغة، والاجتماع، والسياسة، والتّربية، والتأريخ، والفكر الإسلامي، وربَّما تُزادُ المجموعة لو شملتْ أقواله.

لقد صحبتُ إمامنا الهادي عليه السلام منذ طفولتي، ثم صحبتُ مسنده قارئًا متعلّمًا، فأفدتُ منه أشياءَ، ولمَّا كان تخصصي في تفسير القرآن الكريم فإني وجدتُ من المناسب أنْ يكونَ بحثي فيما روي عنه من روايات تفسيرية، فعكفتُ علىٰ مسنده، أقرأ وأتمحص وأستخرج الأصول والمنهجية التي سار عليها الإمام عليه السلام.

وخصصْتُ مسنده؛ لأنه يُمثِّل أشهر مؤلّفاته وأبرزها، فجمعت الروايات وبيَّنتُ الأصل الذي اعتمده الإمام في تفسيره أو المنهج الذي سار عليه في تفسيره، من غير تمحيص لسند الرواية؛ إذ تركتُ ذلك في ذمة مَن جمعه، فكان بحثي موسومًا

بـ: منهج الإمام علي الهادي عليه السلام في تفسيره في ضوء مسنده.

وقد جاء هذا البحث على مطلبين: أولهما كان التعريف بالإمام علي الهادي عليه السلام.

والآخر كان عن منهج الإمام فيما ورد عنه من روايات تفسيرية، معتمدًا في ذلك على ما جمعه ورتبه الشيخ عزيز الله العطاردي.

وكان منهجي في البحث ذكر الاتجاهات التي سار عليها الإمام ممثلاً له بما روي عنه من روايات ومبينًا بعض اللطائف إن وجدت؛ خوفًا من الإسهاب والإطالة؛ فلا تفي ورقات البحث بما خرج من صلب النبوة.

المطلب الأول

التعريف بالإمام علي الهادي عليه السلام

أولاً: اسمه ونسبه:

هو السيد الشريف الإمام علي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين سيد الشهداء بن علي الكرار بن أبي طالب رضي الله عنهم وأرضاهم.[١]

أما أمه فقيل إنها أم ولد اسمها سمانة، وقيل: امّ الفضل بنت المأمون[٢].

ثانيًا: كنية الإمام وألقابه:

عرف الإمام بكنية واحدة وألقاب كثيرة عرف بها بين مَن ذكره من أهل العلم، أما كنيته فأبو الحسن، أو: أبو الحسن الثالث.

وأما ألقابه فكثيرة، أشهرها:

١) الهادي.

٢) التقي[٣].

٣) المتوكّل.

٤) النجيب.

٥) المرتضى.

---

(١) ينظر: البداية والنهاية: ١١/ ١٩، تاريخ الخميس: ٢/ ٢٨٧، وفيات الأعيان: ٣/ ٢٧٢، مجمع الآداب: ٤/ ٣٥٢، تاريخ الإسلام: ١٩/ ١٥٣.

(٢) ينظر: تاريخ الخميس: ٢/ ٢٨٧، وفيات الأعيان: ٣/ ٢٧٢.

(٣) ينظر: البداية والنهاية: ١١/ ١٩، تاريخ الخميس: ٢/ ٢٨٧.

٦) النقي.

٧) العالم.

٨) الفقيه.

٩) الأمين.

١٠) المؤتمن.

١١) الطيب.[١]

ثالثًا: ولادته ونشأته:

ولد الإمام علي الهادي عليه السلام في مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الأحد وكان يوم عرفة، وقيل في بداية رجب سنة ٢١٤هـ[٢]، وقيل: سنة ٢١٢هـ أو ٢١٣هـ.[٣]

كَانَ عَابِدًا زَاهِدًا عالمًا.

نقش خاتمه: «الله ربي وهو عصمتي من خلقه»، وقيل: «حفظ العهود من أخلاق المعبود».

سعي به يوماً إلى المتوكل بحجة أن في منزله سلاحاً وكتباً وغيرها، وأوهموه أنه يطلب الحكم لنفسه، فوجّه إليه مجموعة من الحراس ليلاً فهجموا عليه في منزله على غفلة، فوجدوه جالساً وحده في البيت وعليه مدرعة من شعر أو صوف، وعلى رأسه ملحفة وهو مستقبل القبلة يترنم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد، ليس بينه وبين الأرض بساط إلا الرمل والحصى، وحمل إلى المتوكل في جوف الليل، فمثل بين يديه والمتوكل يستعمل الشراب وفي يده كأس، فلما رآه أعظمه وأجلسه إلى جنبه، ولم يكن

(١) ينظر مجمع الآداب: ٤/ ٣٥٢.

(٢) ينظر تاريخ الخميس: ٢/ ٢٨٧.

(٣) ينظر وفيات الأعيان: ٣/ ٢٧٢.

في منزله شيء مما قيل عنه ولا حالة يتعلّق عليه بها، فناوله المتوكل الكأس الذي كان بيده.

فقال: يا أمير المؤمنين، ما خامر لحمي ودمي قط فأعفني منه، فأعفاه وقال: أنشدني شعراً أستحسنه، فقال: إني لقليل الرواية للشعر، قال: لا بدَّ أن تنشدني فأنشده:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم ... غلب الرجال فما أغنتهم القلل
واستنزلوا بعد عزٍ من معاقلهم ... فأودعوا حفراً يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخٌ من بعد ما قبروا ... أين الأسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت منعمةً ... من دونها تضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم ... تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طال ما أكلوا دهراً وما شربوا ... فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

قال: فأشفق من حضر على علي وظن أن بادرة تبدر إليه، فبكى المتوكل بكاءً كثيراً حتى بلّت دموعه لحيته وبكى من حضره، ثم أمر برفع الشراب ثم قال: يا أبا الحسن، أعليك دين قال: نعم أربعة آلاف دينار، فأمر بدفعها إليه وردَّه إلى منزله مكرّماً[1].

ولما كثرت الفتن وانتشرت الإشاعات في حق الإمام عند المتوكل بأن الإمام يسعى للحكم، أحضره المتوكل من المدينة إلى بغداد، ثم إلى سامراء فقدمها، وأقام بها.

وأقرّه بسامراء في منطقة كانت تدعى بالعسكر، لأن المعتصم لما بناها انتقل إليها بعسكره، فقيل لها العسكر، ولهذا قيل لأبي الحسن المذكور «العسكري»؛ لأنه

(١) ينظر: البداية والنهاية: ١١/ ١٩، وفيات الأعيان: ٣/ ٢٧٢، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ١٢/ ٧٤.

منسوب إليها، فأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر.[١]

والمتتبع لسيرة الإمام علي الهادي عليه السلام يبصر بأن الإمام قد استخدم منهجاً تربوياً كاملاً لأجل بناء المجتمع، بناءً صالحًا، ولتحصينه ضد الانحراف والأفكار الشاذة والمنحرفة، وقد قدم أنموذجاً رائعًا للمجتمع الذي كان يمثله آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله.

اعتمد في هذا المنهج في مجال بناء النفس على محورين:

أولهما: بناؤها بتهذيبها وربطها بالخالق تبارك وتعالى وهو ما يعرف اليوم بالتزكية والتصوف.

الثاني: بناؤها من أجل تمكينها على تجاوز المحن والصعاب وهو الجانب التنظيمي.

رابعًا: وفاته:

استشهد الإمام الهادي ومات مسمومًا في خلافة المستنصر في سامرّاء يوم الاثنين لخمس أو أربع بقين من جمادى الآخرة، وقيل: في ثالث رجب، سنة ٢٥٤هـ، وله أربعون سنة على الأشهر، ودفن في داره التي كان يسكنها رحمه الله تعالى[٢]، وصلّى عليه أبو أَحْمَد بن المتوكل.[٣]

(١) ينظر: وفيات الأعيان: ٣/ ٢٧٢، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ١٢/ ٧٤.

(٢) ينظر: تاريخ الخميس: ٢/ ٢٨٧، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ١٢/ ٧٤.

(٣) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ١٢/ ٧٤، تاريخ الإسلام: ١٩/ ١٥٣.

المطلب الثاني

منهج الإمام الهادي عليه السلام فيما ورد عنه من روايات تفسيرية

تعود كلمة المنهج من نهج ينهج، يقال: هذا طريق نَهْج، أي بيّن واضح، والنَّهج هو الطريق المستقيم، يقال: أنهج الطريق، أي: وَضحَ واستبان.

ولكل مفسر اتجاه ومنهج فيما يودّ طرحه يشبه غيره أو يختلف بحسب ثقافته ووجهته وقناعته، وقد يتأثر هذا أو ذاك بمن أخذ عنه، أو بمذهبه الذي يعتقده، والاتجاه هو موقف المفسر ونظره ومقصده الذي يتولاه من عقائد أو آراء، سواء كانت عند تفسير كتاب الله تعالى بطريقة التقليد أو التجديد، باعتماده على المنقول أو المعقول، أو الجمع بينها في إطار معين.

ولأهل البيت وإمامنا علي الهادي عليهم السلام منهج مميز واتجاه معروف لم يخرج بخطوطه العامة عن هدي النبي صلى الله عليه وآله والرعيل الأول ومن تبعهم، أو ما يسير عليه أهل العلم اليوم، يتضح ذلك فيما روي عنه من روايات في تفسير القرآن الكريم، نستطيع القول بأنه موسوعة قد جمعت كثيراً من الاتجاهات والمناهج التفسيرية عند أهل العلم، يعلم ذلك كل من تمعن في كلماته أو مروياته التفسيرية للقرآن الكريم، كيف لا وقد أدرك إمامنا عليه السلام أنَّ هذا القرآن الكريم سيبقى طَرِيّاً لا يَتَغَيَّر.

١. روي أنَّ يعقوب بن السكيت النحوي[1]، قال: سألت أبا الحسن علي بن محمد ابن الرضا عليهما السلام: ما بال القرآن لا يزداد على النشر والدرس إلا غضاضةً؟ قال: إن الله تعالى لم يجعله لزمان دون زمان، ولا لناس دون ناس، فهو في كل زمان جديد، وعند

(١) يعقوب بن السكيت: أبو يوسف النحوي اللغوي، صاحب كتاب «إصلاح المنطق»، وأبوه هُوَ المعروف بالسكيت، كَانَ من أهل الفضل والدين والثقة، وَكَانَ يؤدب الصبيان فِي أول أمره، ثم ترقى إِلَى أن صار يؤدب ولد المتوكل على الله، توفي سنة ٢٤٤هـ، وقيل: سنة ٢٤٦هـ، وقد بلغ ثَمَانياً وخمسين. ينظر المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ١١/ ٣١١.

كل قوم غض إلى يوم القيامة[١].

بعد هذا أشرع في بيان الاتجاهات التفسيرية للإمام علي الهادي عليه السلام.

أولاً: الاستدلال بالقرآن الكريم:

نلحظ في منهج الإمام الهادي عليه السلام استدلاله بالقرآن الكريم، كما نلاحظ ولعه الشديد بذلك، ويتّسم منهجه الاستدلالي بمزج العقل بالنقل، والرأي بالأثر، وهو أول ملاذٍ لطالب الحجج والبرهان، بالاستدلال بالقرآن، وفي أدناه بعض الأمثلة:

٢. فعن أيوب بن نوح بن دراج[٢]، قال: سألت أبا الحسن الثالث عليه السلام عن الجاموس، وأعلمته أن أهل العراق يقولون: إنه مسخ. فقال: أو ما سمعت قول الله: ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾[٣].

أجاب الإمام عليه السلام على هذا السؤال بحكمة وفطنة، وقد اشتمل جوابه على إنكار بعض العادات القبيحة أو الأفكار الخاطئة التي قد تعلق بأذهان بعض الناس، فظن بعض الناس أن الجاموس ممسوخ من بعض المخلوقات، فأجاب بأنه نوع من البقر فاستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾، وقد صرّح بعض أهل التفسير بما قاله الإمام عليه السلام؛ فقالوا: من الإبل الجمل والناقة، ومن البقر هما الجاموس والبقرة[٤].

---

(١) الأمالي للشيخ الطوسي: ٥٧٩.

(٢) أيوب: هو أبو الحسين أيوب بن نوح بن دراج النخعي مولاهم الكوفي، روى عن علي بن موسى وولده أبي جعفر محمد بن علي بن موسى، روى عنه محمد بن علي بن محبوب وأحمد بن محمد بن خالد وسعد بن عبد الله القمي وغيرهم، له روايات كثيرة ومسائل في اللغة وكان مأموناً شديد الورع كثير العبادات وكان أبوه قاضياً بالكوفة. ينظر لسان الميزان: ١/ ٤٩٠ برقم ١٥١١.

(٣) مسند الإمام الهادي: ص١٦٢.

(٤) ينظر: فتح القدير: ٢/ ١٩٥، زهرة التفاسير: ٤/ ٢٠١٤.

٣. روي أن المتوكل اشتكى يومًا من مرض شديد، فنذر لله إن شفاه الله يتصدق بمال كثير، فعوفي من علته، فسأل أصحابه عن ذلك، فأعلموه أن أباه تصدق بثمانمائة ألف ألف درهم، وإن أراه تصدق بخمسة ألف ألف درهم، فاستكثر ذلك. فقال أبو يحيى بن أبي منصور المنجم: لو كتبت إلى ابن عمك - يعني أبا الحسن عليه السلام - فأمر أن يكتب له فيسأله، فكتب إليه، فكتب أبو الحسن عليه السلام: «تصدق بثمانين درهماً»، فقالوا: هذا غلط، سلوه من أين؟ قال: «هذا من كتاب الله، قال الله لرسوله صلى الله عليه وآله: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾[1]، والمواطن التي نصر الله رسوله ثمانون موطنًا، فثمانين درهماً من حله مال كثير».[2]

هكذا يتبين ويظهر نور النبوة، والعلم الرباني، وموهبة آل البيت، كيف استطاع الإمام الاستنباط عن طريق إشارة النص في قوله تعالى: (مواطن كثيرة) بأن المواطن الكثيرة والتي كان عددها ثمانين موطنًا، كوقعة بدر وقريظة والنضير والحديبية، ولهذا استدل الإمام بأن نذر المتوكل يكفيه ثمانون درهمًا.

والمواطن جمع موطن، ومواطن الحرب مقاماتها ومشاهدها ومواقفها، وربما سميت بذلك لما يجب من توطين النفس في الحرب عند لقاء العدو؛ إذ هي ليست موطنًا تسكن، والمواطن الكثيرة تشمل غزوات رسول الله صلى الله عليه وآله الَّتِي خرج فِيهَا بِنَفسِهِ وسراياه وبعوثه التي أرسل فيها طَائِفَة من أَصْحَابه، وقد اختلف في عددها، وذهب كثير من أهل العلم إلى القول بأنها ثمانون موطناً، أعلمهم الله تعالى بأنه هو الذي نصرهم وسينصرهم بها، ومن نصره الله فلا غالب له.[3] قال أبو حيان: «وَوُصِفَتْ بالكثرَةِ لأَنَّ أَئمَّةَ التَّاريخ والعلماء والمغازي نقلوا أَنَّها كانت ثمانينَ مَوطنًا»[4].

---

(١) سورة التوبة، من الآية ٢٥.

(٢) ينظر تاريخ الإسلام: ١٩/ ١٥٣.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٦/ ١٨، مدارك التنزيل: ١/ ٦٧٢، فتح البيان: ٥/ ٢٦٢.

(٤) ينظر تفسير البحر المحيط: ٥/ ٣٩٢.

٤. ومما روي أنه قَدِم إلى المتوكِّل رجل نصراني فَجَرَ بامرأةٍ مسلمةٍ، فأراد أنْ يقيمَ عليهِ الحَدَّ، فأسلم الرجل النصراني، فقال يحيى بن أكثم[١]: الإيمان يمحو ما قبله، وقال بعضهم: يُضرب ثلاثة حدود، فكتب المتوكِّل إلى الإمام الهادي يسأله، فلمَّا قرأ الكتاب، كتب الإمام عليه السلام: «يُضْرَبُ حَتَّى يَمُوتَ»، فأنكر الفقهاء ذلك، فكتب المتوكل إلى الإمام يسأله عن العِلَّة، فكتب الإمام عليه السلام: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ* فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾[٢]، فأمَر به المتوكِّل، فَضُرِبَ حتى مَاتَ.

يظهر لنا جليًا في هذه الرواية ما يمتلكه الإمام عليه السلام من حنكة وفطنة وسرعة بديهة كيف استطاع الإمام أن يجيب عن سؤال فيه ملابسات عقائدية وفقهية، فالرجل قد أسلم، وقد ارتكب ذنب الزنا، فما به إلا ويجيب بنور الله تعالى وإلهامه بأنه لم يزل على كفره، وإنما آمن هروبًا من الحدِّ والقتل، فلما سئل عن العلة أجابهم بأمور خفيت عليهم:

- بأنَّ الرجل لم يؤمن بالله تعالى، بل ما زال كافرًا.
- علة إيمانه أنه لما رأى البأس وأن عليه الحدّ وما يلحقه من عقوبة.
- لا ينفع إيمان الرجل ما لم يكن عن عقيدة وإيمان صحيح.

٥. لما أمر المعتصم أن يحفر بالبطائية بئراً، فحفروا ثلاثمائة قامة، فلم يظهر الماء، فتركه ولم يحفره، فلما ولّي المتوكل أمر أن يحفر ذلك البئر أبداً حتى يبلغ الماء،

---

(١) يحيى بن أكثم: يَحْيَى بنُ أَكْثَمَ بن مُحَمَّدِ بن قَطَنٍ التَّمِيْمِيُّ، قَاضِي القُضَاةِ، الفَقِيْهُ، العَلاَّمَةُ، أَبُو مُحَمَّدٍ التَّمِيْمِيُّ، المَرْوَزِيُّ، ثُمَّ البَغْدَادِيُّ، وُلِدَ فِي خِلاَفَةِ المَهْدِيِّ، وكَانَ مِنْ أَئِمَّةِ الاجْتِهَادِ، وَلَهُ تَصَانِيْفُ، مِنْهَا كِتَابُ التَّنْبِيْهِ، مَاتَ بِالرَّبَذَةِ فِي ذِي الحِجَّةِ سَنَةَ ٢٤٢هـ، وبَلَغَ ثَلاَثاً وَثَمَانِيْنَ سَنَةً. ينظر سير أعلام النبلاء: ١٢/ ٥-١٥.

(٢) سورة غافر: الآيتان: ٨٤ - ٨٥.

فحفروا حتىٰ وضعوا في كل مئة قامة بكرة، حتىٰ انتهوا إلىٰ صخرة، فضربوها بالمعول فانكسرت، فخرج منها ريح باردة، فمات من كان بقربها، فأخبروا المتوكل بذلك، فلم يعلم بذلك ما ذاك، فقالوا: سل ابن الرضا عن ذلك، وهو أبو الحسن علي بن محمد عليه السلام، فكتب إليه يسأله عن ذلك؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: تلك بلاد الأحقاف، وهم قوم عاد الذين أهلكهم الله بالريح الصرصر.[1]

هؤلاء هم آل البيت عليهم السلام، وهذا هو الإمام الهادي عليه السلام وهذا هو عطاء الله تعالىٰ وكرمه له، فهم نور هداية ودليل خير للحائرين، توقف الناس في إدراك سر هذه الحفرة، وسر هذه الريح التي خرجت، فلم يجب أحد، ولم يتعرّف لسرّها إلا من فتح الله عليه، ومَن يكن سوىٰ أبي الحسن عليه السلام فأجاب قائلاً: إنها آثار قوم عاد الذين أهلكهم الله تعالىٰ بريح صرصر عاتية.

وقد استدلّ بالقرآن الكريم مرة علىٰ حقيقة قد تغيب علىٰ بعض الناس، فيجعل للناس قاعدة تربوية تربط قلوب المحبين بالله تعالىٰ وبأوليائه وآل بيت نبيه صلى الله عليه وآله، بأن الله تعالىٰ هو الفعال المطلق لما يريد، وأن إرادة أوليائه لا تخرج عن إرادة الله تعالىٰ؛ إذ ليس لهم حظ في نفوسهم وإنما هم جنود الرحمن تبارك وتعالىٰ، فقال عليه السلام: «إن الله جعل قلوب الأئمة موردًا لإرادته، فإذا شاء الله شيئاً شاؤوه، وهو قول الله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾[2]».[3]

فالأولياء لا يريدون إلا ما أراده الحق تبارك وتعالىٰ، فمرادهم تبع لمراده، وقلوبهم مورد لإرادته، فما ينزل من أنوار وبركات وأمداد فإنه ينزل عليهم أولاً فلا يبقىٰ في قلوبهم مشيئة إلا ما يشاء تعالىٰ ولا هوىٰ إلا تبعًا للمولىٰ عزَّ وجلَّ، فمرادهم

---

(١) مسند الإمام الهادي: ١٧٣-١٧٤.

(٢) سورة التكوير، من الآية ٢٩.

(٣) مسند الإمام الهادي: ص١٧٤.

مراده، ومراده مرادهم.

ثانيًا: تفسير القرآن بالقرآن:

من أحسن طرق التفسير وأولاها بالبحث تفسير القرآن بالقرآن، بل إنها أصح الطرق التي ينبغي للمفسر السير عليها، فإنّ ما جاء مجملاً في بعض المواضع فُسِّرَ في موضع آخر، وما اخْتُصِر في مكان شرح في مكان آخر، وهو ما كان يرجع إليه الإمام علي الهادي عليه السلام في توضيح بعض معاني القرآن، وهو عمل يقوم على التدبر والتعقل، وليس بالأمر الهيّن الذي يدخل في استطاعة كل إنسان، وإنما هو أمر يعرفه أهل النظر ومَن كانت له ملكة في العلم، يتضح هذا الجانب فيما يأتي من الأمثلة:

٦. عن يحيى بن أكثم، أنه سأل موسى بن محمد بن علي بن موسى عليه السلام مسائل، فعرضها على أبي الحسن عليه السلام فكانت إحداها: أخبرني عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾[1]، سجد يعقوب وولده ليوسف وهم أنبياء؟ فأجاب أبو الحسن عليه السلام: أما سجود يعقوب وولده ليوسف، فإنه لم يكن ليوسف، وإنما كان ذلك من يعقوب وولده طاعةً لله وتحيةً ليوسف، كما كان السجود من الملائكة لآدم، ولم يكن لآدم، إنما كان ذلك منهم طاعة لله وتحية لآدم، فسجد يعقوب وولده وسجد يوسف معهم شكرا لله، لاجتماع شملهم، ألم تَرَ أنه يقول في شكره ذلك الوقت: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[2]؟، فنزل جبرئيل فقال له: يا يوسف أخرج يدك، فأخرجها فخرج من بين أصابعه نور. فقال: ما هذا النور يا جبرئيل؟ فقال: هذه النبوة أخرجها الله من صلبك؛ لأنك لم تقم لأبيك، فحط الله نوره ومحا النبوة من صلبه، وجعلها في ولد لاوي أخي يوسف، وذلك لأنهم

---

(١) سورة يوسف، من الآية ١٠٠.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠١.

لما أرادوا قتل يوسف قال: ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾[١] فشكر الله له ذلك، ولما أرادوا أن يرجعوا إلى أبيهم من مصر وقد حبس يوسف أخاه قال: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الحَاكِمِينَ﴾[٢]، فشكر الله له ذلك، فكان أنبياء بني إسرائيل من ولد لاوي، وكان موسى من ولد لاوي، وهو موسى بن عمران بن يهصر بن واهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم. فقال يعقوب لابنه: يا بني أخبرني ما فعل بك إخوتك حين أخرجوك من عندي؟ قال: يا أبت اعفني من ذلك، قال: أخبرني ببعضه؟ فقال: يا أبت إنهم لما أدنوني من الجب قالوا: انزع قميصك، فقلت لهم: يا إخوتي، اتقوا الله ولا تجردوني، فسلّوا عليَّ السكين، وقالوا: لئن لم تنزع لنذبحنك، فنزعت القميص، وألقوني في الجب عرياناً، قال: فشهق يعقوب شهقة وأغمي عليه، فلما أفاق قال: يا بني حدثني، فقال: يا أبت، أسألك بإله إبراهيم وإسحاق ويعقوب إلا أعفيتني، فأعفاه، ولما مات العزيز، وذلك في السنين الجدبة، افتقرت امرأة العزيز واحتاجت، حتى سألت الناس، فقالوا: ما يضرك لو قعدت للعزيز؟ وكان يوسف عليه السلام يسمى العزيز، فقالت: أستحي منه، فلم يزالوا بها حتى قعدت له على الطريق، فأقبل يوسف عليه السلام في موكبه، فقامت إليه، وقالت: سبحان من جعل الملوك بالمعصية عبيداً، وجعل العبيد بالطاعة ملوكاً، فقال لها يوسف عليه السلام: أنت هاتيك؟ فقالت: نعم، وكان اسمها زليخا، فقال لها: هل لك في؟ قالت: دعني بعد ما كبرت أتهزأ بي؟ قال: لا. قالت: نعم. فأمر بها فحولت إلى منزله وكانت هرمة. فقال لها يوسف عليه السلام: ألست فعلت بي كذا وكذا؟ فقالت: يا نبي الله لا تلمني، فإني بليت ببلية لم يُبلَ بها أحد، قال: وما هي؟ قالت: بليت بحبك، ولم يخلق الله لك في الدنيا نظيرًا، وبليت بحسني بأنه لم تكن بمصر امرأة أجمل مني ولا أكثر مالاً مني، نزع عني مالي، وذهب عني جمالي، فقال لها يوسف: فما حاجتك؟

---

(١) سورة يوسف، من الآية ١٠.

(٢) سورة يوسف، من الآية ٨٠.

قالت: تسأل الله أن يردَّ علي شبابي، فسأل الله فردَّ عليها شبابها، فتزوجها وهي بكر، قالوا: إن العزيز الذي كان زوجها أولاً كان عنّينًا.(١)

في هذا النص الكريم استدل الإمام الهادي عليه السلام بالقرآن الكريم على القرآن الكريم، فقد فسّر المقصودَ بسجود نبي الله تعالى يعقوب وأولاده لنبي الله تعالى يوسف عليه السلام أنه كان سجودًا شكلاً لا حقيقةً؛ إذ السجود عبادة، والعبادة لا تكون إلا لله تعالى، وقد كان ليوسف تحية واحترامًا وتقديرًا، وخير دليل على هذا المعنى ما جاء في قوله تعالى: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾(٢)؛ ولو كان السجود عبادة مطلقًا لكان الله قد أمر بالعبادة لغيره، وهذا لا يقول به عاقل، وهذا المعنى قد ذهب إليه جمهور المفسرين، نعم ذهب بعض أهل العلم كقتادة على إنها كانت تحيتهم، فقال: «كانت تحية من قبلكم، كان بها يحيي بعضهم بعضا، فأعطى الله هذه الأمة السلام، تحية أهل الجنة، كرامة من الله تبارك وتعالى عجلها لهم، ونعمة منه»(٣)، وقد يؤيده أنَّ أصل السُّجُود في اللغة: «إدامة النظر في إطراق إِلَى الأَرْض»(٤). والله أعلم.

ثم بيّن الإمام عليه السلام سرّ سجود يعقوب وولده ليوسف؛ بأنه كان شكرًا لله تعالى؛ على نعمة اجتماع الشمل، والتقاء الأسرة بعد فراق طويل.

واستدلّ الإمام على أن السجود كان شكرًا له تعالى، فقال: «ألم تَرَ أنه يقول في شكره ذلك الوقت: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي

(١) مسند الإمام الهادي: ص١٧١-١٧١.

(٢) سورة البقرة، ٣٤.

(٣) جامع البيان، ١٣/ ٣٥٥.

(٤) جمهرة اللغة: ١/ ٤٤٧.

بِالصَّالِحِينَ﴾[1]»[2].

ثم استرسل الإمام عليه السلام في بيان بعض ما حدث لنبي الله تعالى يوسف عليه السلام؛ بصورة الوعظ والإرشاد، مهتماً بما فيه عبرة وتربية وعماد السلم والمحبة في المجتمع.

فها هو ذا يُذكّر ببرِّ الوالدين واحترامهم والأدب في القيام لهم، فيذكر لهم كيف أخرج الله تعالى النبوة من صلب يوسف عليه السلام؛ بسبب عدم قيامه بوجه أبيه، وجعلها في أخيه «لاوي» الذي كان أشدّ أخوة يوسف حنانًا؛ إذ أمر الاخوة بإلقاء يوسف في الجب بدلاً من قتله.

وينتقل الإمام عليه السلام إلى ذكر ما حدث لنبي الله يوسف عليه السلام في محطات رحلته الشاقة، فيبدأ مجيبًا عن تساؤل أبيه: «يا بني أخبرني ما فعل بك إخوتك حين أخرجوك من عندي»، فأجابه بعد إلحاح شديد بما تقشعرّ له الأبدان ولا يتحمله العقل والقلب السليم، فقد بلغوا من القسوة والغلظة أن هددوا أخاهم بالقتل أو خلع قميصه ورميه في الجب.

أما الموقف الآخر الذي يقف عنده الإمام عليه السلام فهو أدب النفس مع الله تعالى، طريق تزكية النفوس وأخذ العبرة والتقرّب إلى الله تعالى، ودوام التوبة إليه عزَّ وجلَّ، فليست العزة في مرتبةٍ أو منصبٍ أو جاهٍ أو حسبٍ أو جمالٍ، إنما العزة هي في طاعة الله عزّوجلّ، فها هي ذي «زليخا» قد كبرت حتى هرمت، فافتقرت بعد الغنى، وذلت بعد العزة التي كانت، وها هو ذا يوسف عليه السلام قد زاد عزًّا إلى عزّه، وكَبُرَ مقامُه وعظمت هيبتُه.. حتى قالت زليخا: «سبحان من جعل الملوك بالمعصية عبيداً، وجعل العبيد بالطاعة ملوكاً».

سُئل أبو الحسن علي عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠١.

(٢) مسند الإمام الهادي: ص١٧١-١٧١.

يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾[١]، فقال: ذلك تعبير الله تبارك وتعالى لمن شبهه بخلقه، ألا ترى أنه قال: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ...﴾ إذ قالوا: ﴿إِنَّ الأرضَ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ إذ قالوا: ﴿مَا أَنزَلَ اللهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾[٢]، ثم نزّه عزَّ وجلَّ نفسه عن القبضة واليمين فقال: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٣][٤].

اتفق أهل التفسير على أن القائل في هذه الآية هو الحق تبارك وتعالى، فإنه يحكي عن حال أهل الشرك بأنهم ما عظّموا الله تعالى حق التعظيم كما يليق به، وما عرفوه حق معرفته بحسبهم لا بحسب الله؛ إذ لو عرفوه بحسبهم ما أضافوا إليه الشريك، ووصفوه بما لا يليق به،[٥] وهذا ما اتفق عليه أئمة التفسير ومنهم الإمام عليه السلام.

لكنهم اختلفوا في قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ فذهب أهل التفسير إلى أنّ الله تعالى نبه المشركين على عظمته وجلالة شأنه على طريقة التخييل، والغرض من هذا التخويف وتصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير، من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين.[٦]

وللإمام الهادي عليه السلام نظرة أخرى، ووجه مختلف؛ إذ ذهب عليه السلام إلى أن القول هنا قول الكافرين الذين شبهوا الحق بالخلق، وجعلوا لله تعالى صفاتٍ تشبه صفاتِ خلقه بأن له يدين ـ تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا ـ.

---

(١) سورة الزمر: من الآية ٦٧.

(٢) سورة الأنعام: من ٩١.

(٣) سورة الزمر: من الآية ٦٧.

(٤) مسند الإمام الهادي: ص ١٧٢.

(٥) ينظر البروسوي، روح البيان: ٨/ ١٣٤.

(٦) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٤/ ١٤٢.

واستدل الإمام على هذا الوجه بآية سورة الأنعام، فقد نصت على أنهم قالوا: ﴿مَا أَنزَلَ اللهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾[١]، ثم أجابهم الحق منزّهاً نفسه عن قولهم بأن له قبضة ويمين كما يصور الكافرون فقال: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

ثالثًا: التفسير باعتماد اللغة العربية:

اللغة العربية أصل من أصول التفسير والعلم والتبحر بها شرط للمفسر؛ إذ هي لغة القرآن الكريم، بها نزل، وبأساليبها وضروبها جاء، والمتمعن بما ورد عن الإمام في تفسيره يجده قد استعمل اللغة العربية حرصًا منه على إبراز المراد من الآية في أجمل أسلوب وأكمل نظم، واختلاف معاني الأسلوب القرآني نتيجة لذلك، فقد كان في الثقافة النحوية إماماً، مثال هذا من تفسيره:

٧. كتب إبراهيم بن عنبسة إلى الإمام علي الهادي عليه السلام: إن رأى سيدي ومولاي أن يخبرني عن قول الله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ...﴾ الآية، فما الميسر جعلتُ فداكَ؟ فكتب: «كل ما قومر به فهو الميسر، وكل مسكر حرام».[٢]

الذي يقرأ النص مترويًا يرى بوضوح أنَّ الإمامَ قد نهج في جوابه اتجاهين: لغوياً وفقهياً، أما اللغوي فقد عرف الميسر بقوله: «كل ما قومر به»، أي: كل ما خودع به عن طريق الكسب المُيَسّر، فأصل القمار من مأخوذ من الخِدَاع؛ يقال: «قامَره بالخِدَاعِ فَقَمَرَهُ»، ويقال: «تَقَمَّرها: طَلَبَ غِرَّتَها وخَدَعها»، ومنه «تَقَمَّر الصَّيَّادُ الظِّباءَ والطَّيْرَ بِاللَّيْلِ إذا صَادَهَا فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ، فَتَقْمَرُ أَبصارُها فتُصاد»[٣].

وقد سمي الميسر لأنه يأتي بطريقة اليسر والسهولة، ولم يسمّ المعسر؛ لأن اللاعب لا يُقبل على الميسر وهو يظن أنه سوف يخسر، فهو يلعب على أمل الكسب؛

---

(١) سورة الأنعام: من ٩١.

(٢) مسند الإمام الهادي: ص١٦٧.

(٣) ينظر: لسان العرب: ٥/ ١١٤ مادة قمر.

لذلك جاء باسم الميسر؛ ليعبر عن حالة اللاعب للقمار.[١]

٨. وعن موسى بن محمد أنه سأل أخاه الإمام علي الهادي عليه السلام عن قول الله: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾، فهل يزوج الله عباده الذكران وقد عاقب قوماً فعلوا ذلك؟ وكان من جواب أبي الحسن: أما قوله: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾ فإن الله تبارك وتعالى يزوج ذكران المطيعين إناثاً من الحور العين، وإناث المطيعات من الإنس من ذكران المطيعين، ومعاذ الله أن يكون الجليل عنى ما لبست على نفسك تطلباً للرخصة لارتكاب المآثم، قال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾[٢]، إن لم يتب.[٣]

ذهب الإمام علي الهادي عليه السلام إلى أن معنى التزويج في الآية هو الجمع بين الذكران والاناث وذلك يكون حقيقة يوم القيامة؛ إذ سيجمع الله تعالى ذكور المؤمنين الطائعين من الإناث المؤمنات الطائعات، وهذا ما يلائم الحقيقة اللغوية العرفية؛ فإن الأصل في التزويج: جمع شيئين مقترنين[٤]، والتزويج جمع صنفين أو نوعين مقترنين ومتفقين، قال ابن منظور: «كُلُّ شَيْئَيْنِ اقْتَرَنَ أَحدهما بِالآخَرِ: فهما زوجانِ».[٥]

رابعاً: استعمال السؤال والجواب عنه «الفنقلة»:

الفنقلة[٦]: من الطرق الحسنة في نفي الشبهة عن الجواب للمفتي أو المدرّس، استعمال السؤال والجواب، فقد يستشكل بعض السائلين جوابًا ما، فيورد ما يمكن

---

(١) تفسير الشعراوي: ٦/ ٣٣٦٩.

(٢) سورة الفرقان، الآية ٦٨-٦٩.

(٣) مسند الإمام الهادي: ص ١٧٢-١٧٣.

(٤) ينظر النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢/ ٣١٧.

(٥) لسان العرب: ٢/ ٢٩٣.

(٦) الفنقلة: كلمة منحوتة من قولهم: فإن قيل كذا.

أن يرد من شبهةٍ، على طريقة: فإن قيل: كذا، فيقال: كذا وكذا، ولاسيما في عصرٍ ابتدع الناسُ فيه أوضاعاً ابتعدوا فيها عن الفطرة وسلامة العقول واستقامةِ اللسان.

وقد نحا الإمام الهادي عليه السلام في تفسيره هذا المنحى، فإنه إذا بدا إشكال في مكان ما أورد هذا الإشكال بقوله: فإن قيل، ثم يجيب عن هذا الإشكال، ليبرز الحجة كما في النص الذي بين أيدينا.

٩. أخبر يحيى بن أكثم أنه كتب يسأل الإمام عن مسائل، فقال: أخبرني عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ مَن المخاطب بالآية؟ فإن كان المخاطب فيها النبي صلى الله عليه وآله ليس قد شك في ما أنزل الله! وإن كان المخاطب به غيره فعلى غيره إذًا أنزل الكتاب؟، قال موسى عليه السلام: فسألت أخي عن ذلك، فقال: فأما قولُهُ: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾[1] فإنَّ المخاطب بذاك رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يك في شك مما أنزل الله، ولكن قالت الجهلة: كيف لم يبعث إلينا نبيًا من الملائكة، إنه لم يفرّق بينه وبين نبيه في الاستغناء في المأكل والمشرب والمشي في الأسواق، فأوحى الله إلى نبيه صلى الله عليه وآله: فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك بمحضر الجهلة، هل بعث الله رسولاً قبلك إلا وهو يأكل الطعام ويشرب ويمشي في الأسواق؟ ولك بهم إسوة، وإنما قال: فإن كنت في شك ولم يكن، ولكن ليتبعهم، كما قال له عليه السلام: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[2]، ولو قال: تعالوا نبتهل فنجعل لعنة الله عليكم، لم يكونوا يجيئون للمباهلة، وقد عرف أن نبيكم مؤد عنه رسالته، وما هو من الكاذبين، وكذلك عرف النبي صلى الله عليه وآله أنه صادق في ما يقول، ولكن أحب أن ينصف من نفسه[3].

---

(١) سورة يونس، من الآية ٩٤.

(٢) سورة آل عمران، من الآية ٦١.

(٣) مسند الإمام الهادي: ص١٦٩-١٧٠.

خامساً: التفسير الإشاري:

يعد هذا النوع من مناهج التفسير عند القدماء والمحدّثين، ويعود أصله إلى فهم المعاني التي قد لا تظهر للوهلة الأولى، وإنَّما تحتاج لتَدَبُّرٍ وتأمُّلٍ لأرباب السلوك والتصوف وأولي العلم الرباني، مع أنهم لا يرون أن المعنى للآية مقصور عليه، بل إن هناك معنى آخر تحتمله الآية بعد المعنى الظاهر الواضح، مع عدم إنكار العمل بالظاهر، ولكن قد تكون إلى جانب الظاهر أسرار الباطن التي لا يطلع عليها إلا أرباب الحقائق.

وقد أَلِفَ أهلُ العلم هذا النوع من التفسير، فخصّصه بعضُهم بمؤلف خاص، وضمّنه آخرون في تفسيرهم، وإمامنا الهادي عليه السلام مع أنه لم يكتب تفسيرًا بيده الشريفة لكنه يُعَدّ من أهل النوع الثاني؛ إذ قد روي عنه روايات في التفسير الإشاري، وسأذكر ما وقفت على رواياته في هذا الصدد:

١٠. عن موسى المبرقع عن أخيه الإمام أبي الحسن عليه السلام، أنه قال: الشجرة التي نهى الله آدم وزوجته أن يأكلا منها شجرة الحسد، عهد إليهما أن لا ينظرا إلى مَن فضل الله عليه وعلى خلائقه بعين الحسد، ولم يجد الله له عزماً.

أخبر الله تعالى عن نبيه آدم عليه السلام أنه حين أسكنه وزوجه حواء عليها السلام الجنة، ويتنعما بها، وقد كان الدخول دخول إكرام وفضل، ونهاهما أن يقربا من تلك الشجرة؛ ليأخذ صورة الممتحن الذي «يُؤمر بشيء ويُنْهَى عن شيء»[1]، ولحكمة يعلمها عزَّ وجلَّ، قال القشيري: «نهاه عن قرب الشجرة بأمره، وألقاه فيما نهاه عنه بقهره، ولبّس عليه ما أخفاه فيه من سرّه»[2]، ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَدًا

(١) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: ١/ ٤٢٦.

(٢) لطائف الإشارات: ١/ ٨١.

حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[١]، وقد اختلف أهل العلم بهذه الشجرة على أقوال:

هي السنبلة التي جعلها الله رزقًا لولده في الدنيا، وهي الحنطة[٢]، وقال آخرون: هي العنب[٣]، وقال آخرون: هي التِّينة.[٤]

وقيل: إنها شجرة العلم؛ لما علما من ظهور عورتهما، ولم يكونا يعلمان قبل ذلك، وهو قوله: ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾، والله تعالى أعلم.

واخبر الإمام الهادي عليه السلام إلى أن الشجرة التي منعا من الاقتراب منها هي الحسد، وهو من أقبح المعاصي والأمراض النفسانية والأخلاق السيئة، قد ابتلي به كثير من الناس، ينشأ من العُجب بالنفس وحب الذات، والحاسد مَن يحب أن تُسلب النعمة مِن غيره، ولا يُحبُّ الخير لأحد، ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[٥].

والصحيح أن هذه الأقوال قد تكون كلها مقبولةٌ صحيحة، لا يقطع بواحدةٍ منها، قال الإمام أبو منصور الماتريدي: «القولُ في ماهيتها لا يجوز إلا من طريق الوحي، ولا وحي في تلاوتها، ولا يجوز القطعُ على شيء من ذلك».[٦]

١١. سأل يحيى بن أكثم الإمامَ أبا الحسن العسكري عليه السلام عن قوله تعالى:

---

(١) سورة البقرة: الآية ٣٥.

(٢) ينظر جامع البيان: ١/ ٥١٦، تأويلات أهل السنة: ١/ ٤٢٦.

(٣) ينظر: جامع البيان: ١/ ٥١٩.

(٤) ينظر: جامع البيان: ١/ ٥٢٠.

(٥) سورة طه: الآية ١١٥.

(٦) ينظر: تأويلات أهل السنة: ١/ ٤٢٦.

﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ﴾[١] ما هي؟، فقال عليه السلام: «هي عين الكبريت، وعين اليمن، وعين البرهوت، وعين الطبرية، وجمة ماسيدان، وجمة إفريقية، وعين باهوران، ونحن الكلمات التي لا تدرك ولا تستقصىٰ»[٢].

وكلمات الله كما ذهب أهل التفسير أنها تقديراته، أو علمه، أو وعده لأهل الثواب، ووعيده لأهل العقاب، وذهب الإمام الهادي عليه السلام إلىٰ أن معنىٰ «كلمات الله» هم آل البيت عليهم السلام، ولعل المراد بعدم نفادها عدم نفاد فضائلهم ومناقبهم وعلومهم. والله أعلم.

سادسًا: النصح والإرشاد:

لمنهج النصح والإرشاد في دين الله تعالىٰ أساليب متنوعة، لها آثارها البالغة، وأنوارها الساطعة علىٰ القلوب بما يلائم الإنسان، وتؤثر مَن كان له قلب، والمرشد البارع هو الذي يستطيع أن يختار طريقته الإرشادية ونصيحته المخلصة، مستمدًا إياها وطاقاته من كتاب الله تعالىٰ وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، ومما لا شك فيه لذوي العقول السليمة أن الأمم لابدَّ لها من موجّهٍ يوجهها ويدلها علىٰ طريق السداد، ولا ريب أن كل مؤمن بل كل إنسان في حاجة شديدة إلىٰ التذكير بحقِّ الله وحق عباده، والترغيب في أداء ذلك، وفي حاجة شديدة إلىٰ النصح والإرشاد والتوجيه الصحيح، وهذا إمامنا الهادي لم يترك هذا السبيل، فقد سار علىٰ ما سار عليه جدُّه صلى الله عليه وآله من تقديم النصح للأمة، وبين أيدينا مثالان يدلان علىٰ ذلك.

١٢. روىٰ الطوسي بإسناده عن الإمام الهادي عليه السلام، أنه سمع رجلاً يقول: اللهم إني أعوذ بك من الفتنة، فقال: أراك تتعوّذ من مالك وولدك، يقول الله تعالىٰ: ﴿أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾، ولكن قل: اللهم إني أعوذ بك من مضلات الفتن.

---

(١) سورة لقمان، من الآية ٢٧.

(٢) الاحتجاج للطبرسي: ٢/ ٢٥٨.

في هذا النص المبارك دليل على أن الاستعاذة من مضلات الفتن شيء مشروع لا حرج فيه، بل هو الأولى والأفضل؛ فاختيار أكمل الألفاظ وأحسنها رغب فيه الشارع الحكيم، فإذا سَلِمَ العبدُ من الفتن المُضلة والشبهات والشهوات حصل له ما به السعادة والفلاحُ والكمالُ، كالهدى بالعلم، والرحمة بالإيمان، ولا يكون ذلك إلا في قلب المؤمن.

ومما لا شك فيه أنه لا يمكن للمسلم أن يتجنب الفتنة بمفهومها الواسع؛ فإنها تخالطنا في كل مكان كالأموال والأولاد، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾، وأي فتنة أشد مما يشغل عن الآخرة، وهذا عام؛ فإن الإنسان مفتون بأولاده، فربما يكون قد عصى الله تعالى بسببهم، أو أكل ما لا يحل لأجلهم، أو وقع في عظائم الأمور وكبائرها.

ومن الفتن ما ذكره الله في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾[1]، وهذا عام في الخلق جميعًا؛ فالله تعالى افتتن بعضًا ببعض، وامتحن الرسل بالمرسل إليهم، وامتحن المرسل إليهم بالرسل، بالطاعة والنصرة والتصديق، وامتحن العلماء بالجهال بالتعليم والنصح والصبر على ذلك، وامتحن الجهالَ بالعلماء بالإطاعة والاهتداء، وامتحن الملوك بالرعية والرعية بالملوك، وامتحن الأغنياء بالفقراء، والفقراء بالأغنياء، وامتحن الرجل بامرأته، والمرأة بزوجها، وهكذا، وهذا ما نتعوّذ منه البتة، وإنما التعوّذ مما فيه ضلال أو ضرر ديني أو دنيوي.

١٣. عن أحمد بن هلال قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن التوبة النصوح ما هي؟ فكتب عليه السلام: أن يكون الباطن كالظاهر، وأفضل من ذلك.

جعل الله تعالى التوبة ملاذًا آمنًا وحصنًا يدخله المذنبُ المعترف، مؤملًا ربه، نادمًا على تقصيره وفعله، غير مصرٍّ على ذنبه، يحتمي بالاستغفار، يُتبعُ السيئةَ الحسنة،

---

(١) سورة الفرقان: من الآية ٢٠.

ليُكفِّر اللهُ عنه سيئاته، ويرفع من درجاته، تلك هي التوبة الصادقة التي تمحو السيئات مهما عظمت، قال تعالى: ﴿**قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ**﴾[1]، وقال: قل يا عبادي.

بل إنّ مَن ظنَّ أنَّ ذنبه لا يتسع له عفو ربه فقد أساء الظن بربه ومولاه، فعلى العبد أن يتجه بعزم صادق وتوبة نصوح، مجتهد في الصالحات تدخل الطمأنينة إلى قلبه، وتنفتح أمامه أبواب الأمل في الله، وتستعيد الثقة بنفسه، فيستقيم على الطريقة، ويستتر بستر الله تعالى.

ومن أجل هذا وضح الإمام الهادي عليه السلام بصورة جلية مفهوم التوبة النصوح، إذ بيّن أن من التوبة صلاح الظاهر والباطن، بالالتزام بأوامر الشرع الحنيف، والابتعاد عما نهى عنه ظاهرًا كالقتل والسرقة والزنى وغير ذلك، أو باطنًا كالكبر والعجب والغرور، وهذا هو أشدّ ما يتعاهده الإنسان إذ إنه محطّ نظر الله تعالى كما قال صلى الله عليه وآله: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ»[2] وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ».

(١) سورة الأنفال: الآية ٣٨.

(٢) رواه مسلم: ٤/ ١٩٨٦ برقم ٢٥٦٤.

الخاتمة

بعد أن عشنا في محاسن الإمام الهادي عليه السلام وأنواره وأقواله، أختتم بحثي بنتائج مهمة توصلت إليها بتوفيق الله تعالى:

١. اعتنى الإمام الهادي عليه السلام فيما روي عنه من روايات تفسيرية بإظهار جمال آيات النظم القرآني وبلاغته.

٢. خلت عبارات الإمام عليه السلام في تفسيره من الحشو والتطويل، أو الاختصار المخل.

٣. فسّر آيات الله بأسلوب سهل موجز فصيح، تحاشى ما ولع به كثير من المفسرين من المصطلحات المنطقية والفلسفية، والنكات البلاغية، والعلوم التي لا تتعلّق بالتفسير، بعيداً عن التكرار والتطويل.

٤. لم يخرج الإمام عليه السلام في منهجه عن مناهج مَن سبقه من أهل العلم، بل تعد الخطوط الرئيسة لمنهجه في التفسير متمثلة بتفسير القرآن بالقرآن واللغة العربية وغيرهما.

٥. اعتمد الإمام عليه السلام في بيان المعاني على لغة العرب وأساليبهم في الخطاب.

٦. اتبع الإمام عليه السلام طريقة الفنقلة في السؤال: فإن قلتَ، وهي طريقة من طرائق التشويق، في التعليم وترسيخ المعاني في النفس.

٧. لا يشك أحدٌ أن أقوال أهل البيت عليهم السلام هي من أهم مفاتيح معرفة كتاب الله، ولا يمكن لأي مفسر يريد أن يفهم كتاب الله تعالى أن يستغني عما أثر عنهم في هذا الميدان، وإذا لم يضع نصب عينيه الخطوط الأساسية التي رسموها عليهم السلام لفهم القرآن الكريم، فإن الفشل سيكون نصيبه.

٨. إن ما روي عن الإمام الهادي عليه السلام من تفسير ممثل رسمي واضح لتفاسير آل

البيت، وهو خير مرجع لمن يريد أن يتعرّف على فكرهم، وعلى فهمهم للآيات مع قلة المرويات وندرتها.

٩. جمع الإمام الهادي في منهجه بين التفسير النقلي المأثور والتفسير العقلي المعقول، وإن كان يغلب عليه التفسير العقلي، والذي تجلّت فيه منهجية أسلافنا من آل البيت، فأغنى تراثنا الإسلامي.

١٠. إن شخصية الإمام الهادي عليه السلام كانت فذة نادرة، أهّلته أن يكون إماماً في شتى العلوم الإسلامية، وكان عليه السلام للعلماء الأوائل جهبذًا بارزًا في التصدي للفساد الفكري والحوار الأخلاقي، فقد كان من أشد الناس إنكاراً على أهل البدع والأهواء، وهو بهذا يعلّم أتباعه ومحبيه في كل زمان أن يحذوا حذوه ويقتدوا به.

١١. تحلّى الإمام بالجرأة الإيمانية والجهر بكلمة الحق والصدع بها وإن أدى ذلك إلى سخط بعض الناس أو هجرهم له.

١٢. إن كثيراً من العلماء الأوائل ممن عرف عنهم الصلاح والتقوى والزهد في الدنيا وكانوا في زمانهم أعلاماً ومنارات علم وهدى قد نسيتهم أمتهم في هذا الزمان وجهلت فضلهم، فأحببت أن أحيي ذكرى منارة منهم ما تزال شامخة، وأبصّر الناس ببعض مؤلّفاته والإفادة منها، وهو الإمام السيد كاشف المهمات أبو الحسن علي الهادي عليه السلام.

١٣. بلغت الروايات التفسيرية التي رويت عن الإمام الهادي أربع عشرة رواية.

وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق الناطق بالحق للحق الهادي إلى صراطك المستقيم، والحمد لله رب العالمين.

المصادر

- القرآن الكريم.

١. البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي ت: ٧٤٥هـ، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر ـ بيروت، ١٤٢٠ هـ.

٢. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ت:٧٧٤هـ، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٣. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ت: ٧٤٨هـ، المحقق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

٤. تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، حسين بن محمد بن الحسن الدِّيار بَكْري ت:٩٦٦هـ، دار صادر ـ بيروت.

٥. تأويلات أهل السنة، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي ت:٣٣٣هـ، المحقق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٦. تفسير الشعراوي ـ الخواطر، محمد متولي الشعراوي ت: ١٤١٨هـ، مطابع أخبار اليوم.

٧. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري ت:٣١٠هـ، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٨. جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ت: ٣٢١هـ، المحقق:

رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

٩. روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي المولى أبو الفداء ت: ١١٢٧هـ، دار الفكر ـ بيروت.

١٠. زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة ت:١٣٩٤هـ، دار الفكر العربي.

١١. فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي ت: ١٣٠٧هـ، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا ـ بَيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

١٢. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني ت:١٢٥٠هـ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٤هـ.

١٣. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ت: ٥٣٨هـ، دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤٠٧هـ.

١٤. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى ت: ٧١١هـ، دار صادر ـ بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ.

١٥. لسان الميزان، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ت: ٨٥٢هـ، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢ م.

١٦. لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري ت: ٤٦٥هـ، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ مصر، الطبعة الثالثة.

١٧. مجمع الآداب في معجم الألقاب، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد المعروف بابن الفوطي الشيباني ت: ٧٢٣ هـ، المحقق: محمد الكاظم، مؤسسة

الطباعة والنشر- وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٦ه.
١٨. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي ت: ٧١٠هـ، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.
١٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال ابن أسد الشيباني ت: ٢٤١هـ، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٢٠. مسند الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد عليهما السلام، جمعه ورتبه الشيخ عزيز الله العطاردي، مطبعة أمير ـ قم، ١٤١٠هـ.
٢١. مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري ت: ٦٠٦هـ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤٢٠هـ.
٢٢. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ت: ٥٩٧هـ، المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٢٣. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير ت:٦٠٦هـ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٢٤. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي ت: ٦٨١هـ، المحقق: إحسان عباس، دار صادر ـ بيروت.

البحث السابع

أهل القرآن

الإمام علي الهادي عليه السلام أنموذجاً

الدكتور نجم الفحام

مستشار المحكمة الدولية

لتسوية المنازعات

قاضٍ في المحكمة

م. م كرار عبد مسلم هاشم

كليّة دار العلوم

جامعة القاهرة

خلاصة البحث:

لا شكّ في أنّ الإمام الهادي عليه السلام آية ودليل من دلائل نبوّة جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله، وأنّه كأجداده صلوات الله وسلامه عليهم الذين وصفهم بأنّهم الأدلاء على مرضاة الله عزَّ وجلَّ[1]، وهو أحد مصاديق أهل البيت عليهم السلام الذين هم ورثة الكتاب، وقد أوضح النبيّ صلى الله عليه وآله في ذلك اليوم الذي كان يوماً ـ يوم الدار ـ من أيّام الفرقان ما سيؤديه أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم والدور المناط بهم بأمرٍ من الله عزَّ وجلَّ؛ لأنّه ليس بدعاً من الرّسل، ولا آل بيته بدعاً من غيرهم من آل النبيين السابقين، وكانوا نعم الأهل ونعم الآل في تصديقهم وإيمانهم بالنبي صلى الله عليه وآله ودعوته.

ومن هنا كانت وراثة الكتاب التي حرص النبيّ صلى الله عليه وآله على إبرازها في أصدق مصاديق أهل البيت عليهم السلام الذين هم أهل القرآن؛ لأنّ الفتن والزيغ إنّما كان سببها الابتعاد عن أهل القرآن، وعدم معرفتهم المعرفة الكاملة في الاعتقاد والولاء والتشريع ومن ثَمَّ ضياع الأمّة، ووقوعها في الضلال الذي حذرها منه نبيّها الأعظم صلى الله عليه وآله بقوله: «إنّي مُخلّفٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي».

ولولا أهل القرآن لَمَا عرفت الأمّة قرآنها ولما توصّلت إلى ما توصّلت إليه من هذه المعارف القرآنيّة العظيمة مما هو في عالم الغيب أو عالم الشهادة؛ لأنّ القرآن العظيم كتاب إلهيٌّ، كتاب مطهّرٌ، بل هو الكتاب السماويّ الأرقى؛ ولابدّ لهذا الكتاب ممن هو من سنخه إلهيٌّ مطهّرٌ كذلك؛ لأنّه لا يمسّه إلّا المطهّرون.

---

(١) ينظر: عيون أخبار الرّضا، محمد بن علي بن بابويه، الصّدوق ت: ٣٨١ هـ، المطبعة الحيدريّة، النّجف الأشرف، ١٣٩٠ هـ، ١٩٧٠ م، ج٢ ص٢٧٣ ـ ٢٧٧ .

وقد كان الإمام الهادي عليه السلام كأجداده عليهم السلام حريصاً الحرص كلَّه على تربية الأمّة على التوجّه إلى القرآن العظيم وبيان أهمّيّته واستحضاره في كلّ واقعة تمرّ بها الأمة، وبيان علمهم وفضلهم، وما لديهم مما ليس في أيدي الناس من علم، ودوره عليه السلام في التصدّي للانحرافات التي انتشرت في المجتمع الإسلامي بسبب الحكام الجائرين، والمغالين والفرق المنحرفة والضالة، والشبهات العقديّة التي بثّها أعداء الإسلام، وقد سار الإمام الهادي عليه السلام على نهج آبائه في هذه المسائل إذ راح أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم وسلامه يتصدون لهذا التيار الذي استشرى في الأمة بكل ما حباهم الله عزَّ وجلَّ به من علمٍ وطاقة لا يألون في ذلك جهداً ولا علماً ليخرجوا الأمة من ضلال التقليد والقياسٍ ومزالق الرأي. وهذا ما سنراه واضحاً جليّاً في:

المبحث الأوّل: أهل القرآن.

المبحث الثاني: أهمّيّة القرآن واستحضاره، دور الإمام الهادي عليه السلام في صيانة الأمة.

المبحث الأوّل

أهل القرآن

لقد كان النبيّ صلى الله عليه وآله أحرص الناس على بيان ما يتعلّق بأهل القرآن وحفظته بأمرٍ من الله عزَّ وجلَّ منذ يوم الدار عندما أمره الله تعالى بقوله: ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾[1]، فقد جمع النبيّ صلى الله عليه وآله بني عبد المطّلب وقال لهم: يا بني عبد المطّلب إنّه لم يبعث الله تعالى نبيّاً إلّا جعل له أخاً ووزيراً ووصيّاً وخليفةً في أهله، فمن يقوم منكم يبايعني على أنْ يكون أخي ووزيري ووصيّي وخليفتي في أهلي، فلم يقمْ منهم أحدٌ، فقال يا بني عبد المطّلب كونوا في الإسلام رؤوساً ولا تكونوا أذناباً والله ليقومنّ قائمكم أو ليكوننّ في غيركم ثُمَّ لتندمنّ، فقام عليٌّ. .. وقال: إنّ الله أمرني أنْ أنذر عشيرتي الأقربين ورهطي المخلصين، وإنّكم عشيرتي الأقربون ورهطي المخلصون وإنّ الله لم يبعث نبيّاً إلّا جعل له أخاً من أهله ووارثاً ووصيّاً ووزيراً فأيّكم يقوم فيبايعني على أنّه أخي ووزيري ووارثي دون أهلي ووصيّي وخليفتي في أهلي ويكون منّي بمنزلة هارون من موسى غير أنّه لا نبيَّ بعدي... والله ليقومنّ قائمكم أو ليكوننّ في غيركم ثُمّ لتندمنّ...[2].

وقد أوضح النبيّ صلى الله عليه وآله في ذلك اليوم الذي كان يوماً من أيّام الفرقان ما سيؤديه أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم والدور المناط بهم بأمرٍ من الله عزَّ وجلَّ؛ لأنّه

---

(١) الشعراء:٢١٤ .

(٢) إثبات الوصيّة للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، للمؤرّخ المعروف أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي الهُذلي صاحب تاريخ: مروج الذهب، ت: ٣٤٦ هـ، الناشر: المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف، ط٢، ١٤٠٤هـ، ١٢٧؛ كنز الفوائد، أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراجي الطرابلسي، ت: ٤٤٩ هـ، تحقيق: العلّامة الشيخ عبد الله نعمة، دار الأضواء، بيروت، ج٢، ص١٧٧؛ روضة الواعظين، تأليف الشيخ محمد بن الفتّال النيسابوري، بيروت، ط١، ١٩٨٦، ص٥٣؛ تاريخ مدينة دمشق، الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشّافعي، المعروف بابن عساكر ت: ٥٧١ هـ، تحقيق: محب الدّين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، ج٤٣، ص ٤٩.

ليس بدعاً من الرّسل، ولا آل بيته بدعاً من غيرهم من آل النبيين السابقين، وكانوا نعم الأهل ونعم الآل في تصديقهم وإيمانهم بالنبي صلى الله عليه وآله ودعوته ـ باستثناء من تبّت يده أبي لهب ومن كان على شاكلته ـ عندما قام الإمام علي عليه السلام ليكون للنبي صلى الله عليه وآله أخاً ووزيراً ووصيّاً وخليفة في أهله وأمّته، وكذلك موقف بني هاشم صلوات الله عليهم في قبولهم دعوة النبي صلى الله عليه وآله وطاعتهم له والتسليم لأمر الله تعالى فيما فرضه من سمع وطاعةٍ لأمير المؤمنين عليه السلام، أمام ذلك السلوك الرّديء الذي صدر عنه أبو لهب الذي كشف عن قمّة التّخاذل عن النبي صلى الله عليه وآله والجبن والتشكيك وضآلة النّفس وضعة الشّخصيّة إذ نهض وتركهم وهو يستهزئ بأبي طالب عليه السلام ويقول له:لقد أمرك ابن أخيك أنْ تسمع لولدك وتطيع [1] .

---

(١) ينظر: تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: ٣١٠ هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط٢، ج٢، ٩٣؛ تهذيب الآثار، لأبي جعفر الطبري، خرّج أحاديثه: محمود محمد شاكر، ج٤، ص٥٩؛ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، أبو حامد، عزّ الدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني ت: ٦٥٦ هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة البابي الحلبي، الطبعة الثانية، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥م، ج١٣، ص٢١١؛ تاريخ دمشق: ٤٢ / ٤٩؛ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتقي الهندي، تحقيق: صفوت السقا ـ بكري الحيّاني، مؤسسة الرسالة، ج١٣، ص١١٤؛ الكامل في التاريخ، علي بن محمد بن محمد ابن الأثير الجزري، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلميّة، ٤٠٧ ـ ١٩٨٧، ط١، ج٢، ص٦٣؛ شرح الأخبار في فضائل الأئمّة الأطهار، القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي ت: ٣٦٣ هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، ط٢، ١٤٣١هـ. ق، ج١، ص٣٧٤؛ همیان الزّاد إلى دار المعاد، للإباضي، محمد بن يوسف وهبي، عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٨، ج١٠، ص٥٢؛ تفسير السراج المنير، تأليف: محمد بن أحمد الخطيب الشربيني المصري، ت: ٩٧٧ هـ، خرّج آياته وأحاديثه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ج١، ص٢٩٤٦؛ لباب التأويل في معاني التنزيل، المعروف بتفسير الخازن، أبو الحسن علي بن محمد الخازن، ت: ٧٢٥ هـ، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٥ ـ ٢٠٠٤، ج٥، ص٥٩؛ معالم التنزيل، المعروف بتفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، ت: ٥١٠ هـ، تحقيق: محمد عبد الله النمر ـ عثمان جمعة ضميرية ـ سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، ط٤، ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م، ج٦، ص١٣١.

وقد نجح بنو هاشم صلوات الله تعالىٰ عليهم في هذا الامتحان والاختبار الإلهي بعد أنْ وافقوا عليه ورغبوا فيه وثابروا، وجدّوا واجتهدوا فيه، ونالوا ما جعله الله تعالىٰ لهم لا سيّما الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي نال ما نال من إمرة المؤمنين وما كان له من الولاية، والباقون كانوا خير أعوانٍ وأنصارٍ وأدلّاء علىٰ نبوّته ورسالته صلى الله عليه وآله، وهم يُدركون تماماً خطورة مثل هذا الموقف الذي اختاروا فيه رسول الله صلى الله عليه وآله أمام قريش وجبروتها وهم ذؤبان الوثنيّة والأصنام ومعهم أعراب القبائل وأجلافها، وطغام اليهود والنصارىٰ، وأعلاج الفرس، ودول وامبراطوريّات؛ ولكنّه الحمل الذي لا ينهض به إلّا أهله والقائمون عليه لا غيرهم. يقول النبيّ صلى الله عليه وآله لبني عبد المطّلب: «وقد أمرني الله تعالىٰ أنْ أدعوكم»(١)، وقال صلى الله عليه وآله: «إنّ جبرائيل أتاني من الله بتهديد إنْ لم أُبلّغ فما بلّغت رسالته»(٢).

فقد اصطفىٰ الله عزَّ وجلَّ هذه الصّفوة من بني هاشم حصراً؛ فهم الأقربون والرّهط المخلصون الذين سلّموا لأمر الله تعالىٰ وما بلّغه لهم النبيّ صلى الله عليه وآله في شأنِ أمير المؤمنين عليه السلام من تنصيبه سيّداً عليهم ووليّاً للأمر بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وآمراً وناهياً فيهم وفي غيرهم بل في الدين كله، وقد نجح أبو طالب عليه السلام سيّد قريش كلّها ومن معه من بني هاشم في هذا الامتحان الكبير والاختبار العظيم، فعن عائشة زوج النبيّ صلى الله عليه وآله

(١) تاريخ الطبري: ٢ / ٣١٩.

(٢) تاريخ الطبري: ٢ / ٣١٩ ـ ٣٢١؛ تاريخ دمشق: ٤٢ / ٤٨؛ معالم التنزيل للبغوي: ٣ / ٤٠٠؛ شواهد التّنزيل لقواعد التّفضيل، الحاكم الحسكاني، عبيد الله بن أحمد الحذاء الحنفي النيسابوري من أعلام القرن الخامس الهجري، تحقيق وتعليق: محمد باقر المحمودي، مؤسّسة الطّبع والنّشر التابعة لوزارة الثّقافة والإرشاد الإسلامي الإيراني، مجمع إحياء الثّقافة الإسلاميّة، الطبعة الأولىٰ، طهران، إيران، ١٤١١ هـ، ١٩٩٠ م، ج١، ص٤٨٥؛ دلائل النبوة، أبو نعيم الأصبهاني، تحقيق: محمد رواس قلعه جي ـ عبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٤٠٦ ـ ١٩٨٦، ص٣٢٥، ح٣٣١؛ دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ت: ٣٨٤ ـ ٤٥٨ ه، تحقيق: الدكتور عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار البيان للتراث، ط١، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م، ج٢، ١٨٧.

قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال لي جبرئيل: قلّبتُ مشارق الأرض ومغاربها؛ فلم أجد رجلاً أفضل من محمّد، وقلّبت مشارق الأرض ومغاربها؛ فلم أجد بني أبٍ أفضل من بني هاشم[1]. وقال صلى الله عليه وآله: أتاني جبرئيل، فقال: يا محمد إنّ الله تعالى بعثني؛ فطفت شرق الأرض وغربها، وسهلها وجبلها، فلم أجد حيّاً خيراً من العرب، ثمّ أمرني فطفت في العرب، فلم أجد حيّاً خيراً من مضر، ثُمّ أمرني فطفت في مضر، فلم أجد حيّاً خيراً من كنانة، ثُمّ أمرني فطفت في كنانة، فلم أجد حيّاً خيراً من قريش، ثُمّ أمرني فطفت في قريش، فلم أجد حيّاً خيراً من بني هاشم، ثُمّ أمرني أختار في أنفسهم فلم أجد فيهم نفساً خيراً من نفسك[2].

---

(١) السنة لإبن أبي عاصم، أحمد بن عمرو بن الضّحّاك بن مخلد الشيباني، ت: ٢٨٧ ه، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٠، ص٦١٨؛ الذرية الطاهرة النبوية، محمد بن حمّاد الدّولابي، تحقيق: سعد المبارك الحسن، الدار السلفية، الكويت، ١٤٠٧ ـ ١٩٨٦، جزء ابن عمشليق، أحمد بن علي بن محمد، تحقيق: خالد بن محمد بن علي الأنصاري، دار ابن حزم، ط١، ١٤١٦ ـ ١٩٩٦، ص٤١؛ جامع الأحاديث، الجامع الصغير، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ت: ٩١١ ه، تحقيق: عباس أحمد صقر ـ أحمد عبد الجواد، دار الفكر، ١٤١٤ ـ ١٩٩٤، ج٢، ص٢٤٧؛ كنز العمال: ١١ / ٤٠٩؛ تفسير القرآن العظيم تفسير ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠ ـ ١٩٩٩، ج٢، ص١٨٠؛ تاريخ أبي الفداء، المسمّى المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء إسماعيل بن علي بن أيوب بن شاذان، ت: ٧٣٢ هـ، طبعة لندن، ١٧٨٩، ج١، ص١١٢؛ البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، ١٤١٠ ـ ١٩٩٠، ج٢، ص٣١٧؛ إمتاع الأسماع بما للنبي صلى الله عليه وآله من الأحوال والأموال والحفدة المتاع، أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠ ـ ١٩٩٩، ج٣، ص٣١٢؛ دلائل النبوة للبيهقي: ١/ ١٧٦؛ الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وآله، القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، ت: ٥٤٤ ه، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٤ ـ ١٩٨٤، ج١، ص١٦٦؛ الخصائص الكبرى أو كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب، عبد الرحمن أبي بكر جلال الدين السيوطي، ت: ٩١١ هـ، تحقيق: محمد خليل هراس، دار الكتب الحديثة، ص٣٨؛ ينابيع المودة للقندوزي: ٢: ٩٨.

(٢) كنز العمّال للمتقي الهندي: ١٢ / ٨٥؛ الدر المنثور في التفسير بالمأثور، الإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، ط١، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، ج٣، ص٢٩٥؛ السيرة الحلبيّة، إنسان

وممّا لا شكّ فيه أنّ هذا القول من النبيّ صلى الله عليه وآله دليل على اصطفاء الأقربين من قبل ربّ العزّة؛ لأنّ الاصطفاء أمرٌ وفعل إلهي كما تبيّن ذلك من الحديثين آنفاً، ولولا ما كان لبني هاشم من الأهليّة والقابليّة على هذا الجعل الإلهي لما عرض النبيّ صلى الله عليه وآله هذا العرض عليهم: «يا بني عبد المطّلب أطيعوني تكونوا ملوك الأرض وحكّامها إنّ الله لم يبعث نبيّاً إلّا جعل له وصيّاً ووزيراً ووارثاً»[١].

فأوّلهم أمير المؤمنين عليه السلام الذي نال الإمامة والوصاية وإمرة المؤمنين ومن جاء بعده من أبناء فاطمة عليها السلام، ثُمّ المصطفين من بني هاشم[٢] حتى يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ**﴾[٣].

الذي يعنينا من هذه الأقسام الثلاثة قوله تعالى: ﴿**وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ**﴾ أي المعصوم الذي يقوم بحفظ دين الله عزَّ وجلَّ وما جاء به النبيّ صلى الله عليه وآله من كلّ تحريفٍ أو زيغٍ أو تأويلٍ منحرف؛ ولا شكّ في أنّ هذه المهمّة هي الوظيفة الكبرى التي تنتظر أهل البيت من بني هاشم كما كانت مسؤوليّات آبائهم وأجدادهم الأقربين المصطفين صلوات الله عليهم وسلامه، فقد أخرج ابن أبي عمر العدني في مسنده، والبزار، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿**وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ**﴾[٤]، قال: من نبيّ إلى نبيٍّ حتى أُخرجت نبيّاً[٥]، وعن عكرمة

العيون في سيرة الأمين والمأمون، علي بن برهان الدين الحلبي، طبعة مصر، ١٨٧٥، ج١، ص٤٣.

(١) إثبات الوصيّة للمسعودي: ١٢٧؛ كنز الفوائد: ٢ / ١٧٧؛ روضة الواعظين، للفتال النيسابوري: ٥٣؛ تاريخ دمشق: ٤٣ / ٤٩.

(٢) عالم الإشراق والذر، دراسة قرآنيّة، الدكتور نجم الفحام، ط١، ٢٠١٠، ص٤١٧ .

(٣) فاطر: ٣٢ .

(٤) الشعراء: ٢١٩.

(٥) ينظر: الدر المنثور: ٧ / ٤١٧؛ المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ت: ٣٦٠ هـ

عن ابن عباس، في قوله تعالىٰ: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾، قال: من نبيّ إلىٰ نبيٍّ حتىٰ أُخرجت نبيّاً[١]، وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابو نعيم في الدلائل، عن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾، قال: ما زال النبيّ صلّىٰ الله عليه وسلّم يتقلّب في أصلاب الأنبياء حتىٰ ولدته أمّه[٢].

وأخرج ابن مردويه، عن ابن عباس قال: سألتُ رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: بأبي أنت وأمّي أين كنت وآدم في الجنّة؟ فتبسّم حتىٰ بدت نواجذه ثُمّ قال: إنّي كنت في صُلبه، وهبط إلىٰ الأرض وأنا في صلبه، وركبتُ السفينة في صلب أبي نوح، وقذفت في النار في صلب أبي إبراهيم، ولم يلتقِ أبواي قطّ علىٰ سفاح، ولم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطّيّبة إلىٰ الأرحام الطّاهرة مصفّىً مهذّباً لا تتشعّب شعبتان إلّا كنتُ في خيرهما[٣].

فهذه الرواية والتي قبلها تدلّ دلالة قاطعة علىٰ أنّ دعوة النبي صلى الله عليه وآله لبني هاشم لم تكن دعوة إلىٰ الدخول في الإسلام، أو بتعبير أدق لم تكن لقول شهادة لا أله إلّا الله وأنّ محمداً صلى الله عليه وآله رسول الله؛ إذ التوحيد والنبوّة أمرٌ مفروغٌ منه عند بني هاشم؛ لأنّ حديث الدار وما جرىٰ فيه لم يكن دعوة من النبيّ صلى الله عليه وآله لبني هاشم للدخول في الإسلام أو لترك عبادة الأصنام، أو دعوة لترك الضلالة والانتقال إلىٰ الهدىٰ؛ لأنّ الهدىٰ والإيمان كانا متحقّقين في بني هاشم[٤]، فالنبيّ صلى الله عليه وآله يقول: «نحن بنو عبد المطّلب سادة أهل

تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، ج١١، ص٣٦٢؛ تاريخ دمشق: ٣ / ٤٠١ .

(١) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد ابن إدريس الرازي ت: ٣٢٧ هـ، تحقيق: أسعد محمد الطيب، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣ م، ج١١، ص٤٠، ح١٦٧٩١ .

(٢) الدر المنثور: ٧ / ٤١٧؛ تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: ١١ / ٤٠، ح١٦٧٩٢.

(٣) الدر المنثور: ٧ / ٤١٨.

(٤) عالم الإشراق والذر، دراسة قرآنيّة، الدكتور نجم الفحام: ١١١.

الجنّة أنا وعليّ وجعفر وحمزة والحسن والحسين وفاطمة والمهدي...»[١].

فالدعوة ليست لأصل الإسلام وإنّما هي دعوة للنهوض بالمشروع الإلهي والمهمّة العظيمة التي جاء بها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: «يا بني عبد المطّلب أطيعوني تكونوا ملوك الأرض وحكّامها إنّ الله لم يبعث نبيّاً إلّا جعل له وصيّاً ووزيراً ووارثاً»[٢].

ومن هنا كانت وراثة الكتاب التي حرص النبيّ صلى الله عليه وآله على إبرازها في أصدق مصاديق أهل البيت عليهم السلام الذين هم أهل القرآن؛ لأنّ الفتن والزيغ إنّما كان سببهما الابتعاد عن أهل القرآن، وعدم معرفتهم المعرفة الكاملة في الاعتقاد والولاء والتشريع وبالتالي ضياع الأمّة، ووقوعها في الضلال الذي حذرها منه نبيّها الأعظم صلى الله عليه وآله بقوله: «إنّي مُخلّفٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي»[٣].

ولولا أهل القرآن لَمَا عرفت الأمّة قرآنها ولما توصّلت إلى ما توصّلت إليه من هذه المعارف القرآنيّة العظيمة مما هو في عالم الغيب أو عالم الشهادة؛ لأنّ القرآن العظيم كتاب إلهيٌّ، كتاب مطهّرٌ، بل هو الكتاب السماويّ الأرقى؛ ولا بدّ لهذا الكتاب ممن

---

(١) مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، علي بن محمد بن الطيّب بن أبي يعلى بن الجلابي المالكي المعروف بابن المغازلي، ت: ٤٨٣هـ، تحقيق: أبي عبد الرحمن تركي بن عبد الله الوادعي، دار الآثار، صنعاء، ط١، ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣ م، ص٦٨ ـ ٦٩؛ ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري ت: ٦٩٤هـ، دار الكتب المصريّة، ١٣٥٦هـ، ص١٥ وما بعدها؛ تاريخ بغداد، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: بشّار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٢٢ ـ ٢٠٠١، ج٩، ص٤٢٤؛ الإشراف على فضائل الأشراف، إبراهيم الحسيني الشافعي السمهودي، ت: ٩١١ هـ، دار الكتب المصرية، ص٦٥.

(٢) إثبات الوصيّة للمسعودي: ١٢٧؛ كنز الفوائد: ٢ / ١٧٧؛ روضة الواعظين: ٥٣؛ تاريخ دمشق: ٤٣ / ٤٩.

(٣) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، طبع ونشر: دار الفكر العربي، ج٣ ص ١٤، ١٧، ٢٦، ٥٩، ج٤ ص٣٦٦، ٣٧١، ج٥ ص١٨٢، ١٨٩.

هو من سنخه إلهيٌّ مطهّرٌ كذلك؛ لأنّه لا يمسّه إلّا المطهّرون، وأوّل المطهّرين عليٌّ عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولسنا ندّعي هنا أنّ كتاب الله تعالى لا يفهمه ولا يمكن أنْ يدركه إلّا أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ولكنّ الذي يريد أنْ يقرّره البحث هو أنّ معاني كتاب الله تعالى لا ترتقي إليها إلّا العقول والنفوس التي طهّرها الله عزَّ وجلَّ وأزال عنها الرّجس؛ لأنّ كتاب الله تعالى:﴿**لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ**﴾(٤) من هذه الأمة، وأصدق مصاديق هذا المعنى ـ أي المطهرون ـ هم أهل البيت في هذا الحديث على أقلّ تقدير وعليٌّ عليه السلام أوّلهم وأفضلهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله. فقد كان البدوي راعي الغنم يسمع القرآن فيخرّ له ساجداً لما عنده من رقّة الإحساس ولطف الشعور. .. أرأيت أهل جزيرة العرب، كيف انضووا إلى الإسلام بجاذبيّة القرآن لما كان لهم من دقّة الفهم، التي كانت سبب الانجذاب إلى الحقّ(٥). ويمكن أنْ نرى ذلك بوضوح في حال البنت الأعرابيّة التي فطنت لاشتمال الآية القرآنيّة الآتية على أمرين ونهيين وبشارتين، يقول الأصمعي: سمعت بنتاً من الأعراب خماسيّة أو سداسيّة تنشد:

استغفر الله لذنبي كلّه قتلتُ إنساناً بغير حلّه

مثلُ غزالٍ ناعمٍ في دَلِّه وانتصف الليل ولم أُصلّه

فقلتُ لها: قاتلك الله ما أفصحكِ، فقالت: ويحك أَيُعَدُّ هذا فصاحة مع قوله تعالى: ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾(٦). . . (٧).

---

(٤) الواقعة: ٧٩.

(٥) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار الفكر، ط٢، ج١ ص٢٨ .

(٦) القصص: ٧.

(٧) تفسير المنار: ١ / ٢٨.

فهم وإنْ كانوا خزّان علم الله، وتراجمة وحيه، وعندهم تفسير القرآن وأحكامه، وأنّهم لا يسألون عن شيءٍ فيقولون لا ندري؛ لأنّهم الحُجّة على عباده، وعندهم ظاهر القرآن وباطنه؛ لأنّهم هم الأوصياء بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، إلّا أنّهم كما قال عنهم رسول الله صلى الله عليه وآله بأنّهم عدل القرآن، والقرآن يهدي للتي هي أقوم، قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**﴾[1]، فهم أيضاً يهدون الأمّة للتي هي أقوم؛ لأنّهم والقرآن حقيقة واحدة؛ يريدون للأمة أنْ تتمسّك بكتابها؛ ليبيّنوا للناس ما فيه رشادهم وصلاح معاشهم ومعادهم؛ لأنّهم كما يقول ابن حجر الهيتمي:... سمّى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم القرآن وعترته... الأهل والنّسل والرّهط الأدنون ثقلين: لأنّ الثقل كلّ نفيس خطير مصون، وهذان كذلك، إذ كلّ منهما معدن للعلوم اللّدنّيّة والأسرار والحكم العليّة والأحكام الشرعيّة، ولذا حَثَّ صلّى الله عليه وسلّم على الاقتداء والتّمسّك بهم والتعلّم منهم وقال الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت [2].

ولهذا المعنى ظهر اتجاه في الأمة يرى عدم امكانيّة أو عدم جواز تفسير القرآن وبيانه بأيّة حال من الأحوال؛ لأنّ تفسير القرآن من اختصاص العترة الطّاهرة صلوات الله وسلامه عليهم، وقابله رأي آخر يذهب إلى عدم إمكانية التفسير إلّا بالرجوع إلى أقوال الصحابة وأخبارهم، والأخذ بما قالوه حصراً.

فانبرى أهل القرآن لبيان خطأ هذين الاتجاهين، وكان أمير المؤمنين عليه السلام أوّل من نادى بتربية الأمة على التوجّه إلى القرآن العظيم إذ ذكر لنا أنموذجاً من هذه الأمة، قرؤوا القرآن وتدبروا ما فيه وفهموا وأدركوا مطالبه وما فيها من معارف سلكت بهم سبيل ربهم اللاحب فأحكموا وأطاعوا واتبعوا .

---

(١) سورة الإسراء: ٩ .

(٢) الصواعق المحرقة، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن حجر السعدي الهيتمي، ت: ٩٧٣هـ، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٩٩٧، ج٢ ص٤٤١.

يقول متأوهاً عليهم: ... أين إخواني الذين ركبوا الطريق، ومضوا على الحق! أين عمّار! وأين ابن التيِّهان[١]! وأين ذو الشهادتين! وأين نُظراؤهم من إخوانهم... أوِهِ على إخواني الذين قرؤوا القرآن فأحكموُهُ، وتدبّروا الفرض فأقاموه! أحيوا السنّة، وأماتوا البدعة، دُعُوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتبعُوهُ[٢].

وليس هذا بكثيرٍ على عليٍّ عليه السلام وإخوانه الذين ذكرهم فقد جاء في حلية الأولياء للحافظ أبي نعيم، عن أبي سعيدٍ الخدري قال: كنّا نمشي مع النبي صلى الله عليه وآله فانقطع شسع نعله، فتناولها عليٌّ يصلحها ثمّ مشى فقال: يا أيها الناس إنَّ فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله قال أبو سعيد فخرجتُ فبشرته بما قال رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يكترث به فرحاً، كأنه قد سمعهُ [٣].

وجاء أيضاً عن عكرمة عن ابن عباس أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من سرّه أنْ يحيا حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن غرسها ربّي؛ فليوال علياً من بعدي وليوالِ وليَّهُ، وليقتدِ بالأئمة من بعدي فإنهم عترتي خلقوا من طينتي، وزقوا فهماً وعلماً. وويلٌ للمكذبين بفضلهم من أمتي، القاطعين منهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي[٤].

ولعلَّ هذا العلم الذي أشار إليه النبي صلى الله عليه وآله هو الذي حدا بالقائلين بعدم إمكانية التفسير إلى القول باختصاص العترة بتفسير القرآن الكريم دون غيرهم وقد رأينا أنّ هذا المعنى لا يستقيم لأصحاب هذا الاتجاه من خلال ما أوردناه من أقوال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

---

(١) هو أبو الهيثم بن التيِّهان، واسمه مالك واسم أبيه مالك أيضاً ابن عبيد بن عمرو بن عبد الأعلم بن عامر الأنصاري أحد النقباء ليلة العقبة .

(٢) نهج البلاغة، خطبة: ١٨٣ .

(٣) حلية الأولياء: ١ / ٦٧ .

(٤) المصدر نفسه: ١ / ٨٦ .

فعن سدير الصيرفي قال: «قلتُ لأبي عبدالله عليه السلام: إنَّ قوماً يزعمون أنكم آلهة، يتلون بذلك علينا قرآناً: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾[1]. فقال: يا سدير، سمعي وبصري وبشري ولحمي ودمي وشعري من هؤلاء براء، وبرئ الله منهم، ما هؤلاء على ديني ولا على دين آبائي، والله لا يجمعني الله وإياهم يوم القيامة إلّا وهو ساخطٌ عليهم.

قال: قلت: وعندنا قومٌ يزعمون أنكم رسلٌ يقرؤون علينا بذلك قرآناً: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[2]، فقال: يا سدير، سمعي وبَصَري وشَعْري ولحمي ودمي من هؤلاءِ براءٌ وبرئَ الله منهم ورسوله، ما هؤلاءِ على ديني ولا على دين آبائي والله لا يجمعني الله وإياهم يوم القيامة إلّا وهو ساخطٌ عليهم.

قال: قلتُ: فما أنتم؟ قال نحن خزان علم الله، نحن تراجمة أمر الله، نحن قومٌ معصومون، أمر الله تبارك وتعالى بطاعتنا ونهى عن معصيتنا، نحن الحجَّة البالغة على منْ دون السماء وفوق الأرض»[3].

وهم عليهم السلام يؤكدون هذا المعنى ـ كون علمهم علم النبي صلى الله عليه وآله ـ لتنبيه الأمة ولقطع الطريق على منْ يذهب إلى أكثر من هذا المعنى في حقهم، فقد بيّنوا عليهم السلام لأصحابهم ما همْ وما حقيقتهم.

وقد أجاب الإمام أبو جعفر عليه السلام حين سأله حمران بن أعين: «... أرأيت قوله

---

(١) الزخرف: ٨٤.

(٢) المؤمنون: ٥١.

(٣) الكافي، ثقة الإسلام: الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، ط ١، منشورات الفجر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م ـ ١٤٢٨هـ، ج١ص١٦١.

جلَّ ذكره: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا**﴾[١] فقال أبو جعفر عليه السلام: ﴿**إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ**﴾[٢]. وكان والله محمد ممن ارتضاه، وأمّا قوله ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ**﴾ فإنَّ الله عزَّ وجلَّ عالمٌ بما غاب عن خلقه فيما يقدر من شيءٍ، ويقضيه في علمه قبل أنْ يخلقه، وقبل أنْ يقضيه إلى الملائكة، فذلك يا حمران، علمٌ موقوفٌ عنده، إليه فيه المشيئة، فيقضيه إذا أراد، ويبدو له فيه فلا يمضيه، فأمّا العلم الذي يقرُهُ الله عزَّ وجلَّ فيقضيه ويمضيه فهو العلم الذي انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ثمَّ إلينا [٣].

فالله تعالى وتبارك قد علَّم نبيّه التنزيل والتأويل وأنه صلى الله عليه وآله وأوصياؤه من بعده يعلمون هذا التنزيل والتأويل وما في القرآن الكريم من خاصّه وعامّهِ، ومحكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه... والمراد من هذا القول هو علم المعصوم ومعرفته بالتفسير أو غيره فيما يتعلّق بالقرآن الكريم أي المراد علم الكتاب كلّه إذ ليس عند أحدٍ سواهم عليهم السلام علم الكتاب كلّه قطعاً وواقعاً.

يقول الإمام أبو عبدالله الصّادق عليه السلام لبعض من سأله:.. يا عجباً لأقوام يزعمون أنّا نعلمُ الغيب، ما يعلم الغيب إلّا الله عزَّ وجلَّ ... قال سدير: فلما أنْ قام من مجلسه وصار في منزله دخلتُ أنا وأبو بصير ومُيسَّرٌ وقلنا له: جعلنا فداك ... نحن نعلم أنَّك تعلمُ علماً كثيراً ولا ننْسَبُكَ إلى علم الغيب. قال: فقال: يا سدير: ألم تقرأ القرآن؟ قلتُ: بلى، قال: فهل وجدتَ فيما قرأت من كتاب الله عزَّ وجلَّ: ﴿**قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**﴾[٤] قال: جُعلتُ فداك قدْ قرأته، قال: فهل عرفت الرجل؟ وهل علمت ما كان عنده من علم الكتاب؟! قال: قلتُ: أخبرني به؟ قال: قدرُ قطرةٍ من الماء في البحر الأخضر فما يكون ذلك من علم

---

(١) الجن: ٢٦ .

(٢) الجن: ٢٧ .

(٣) الكافي: ١ / ١٥٢ .

(٤) النمل: ٤٠ .

الكتاب ؟! قال: قلتُ جعلتُ فداك ما أقلَّ هذا، فقال: يا سدير: ما أكثر هذا؛ أنْ ينسبه الله عزَّ وجلَّ إلى العلم الذي أخبرُكَ به. يا سديرُ: فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عزَّ وجلَّ أيضاً: ﴿**قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ**﴾[٥]. قال قلتُ: قد قرأتُه جعلتُ فداكَ. قال: أفمن عنده علمُ الكتاب كُلُّهُ أفهم أم منْ عنده علمُ الكتاب بعضُهُ؟ قلتُ: لا، بل من علمُ الكتاب كلُّه، قال: فأومأ بيده إلى صدره وقال:علمُ الكتاب والله كُلُّه عندنا عِلمُ الكتاب، والله كُلُّهُ عندنا [٦] .

وهذا هو معنى كلامهم سلام الله تعالى عليهم في أقوالهم: تبيان كل شيء، ما تحتاج إليه الأمة، أعلم منكم .علم الكتاب كلّه، علم النبيين، علم الوصيين، علم العلماء، ممن مضوا، حكم الله الذي لا اختلاف فيه، ما يحتاج إليه ولد آدم، وليس عند أحدٍ شيء الّا ما خرج من أهل البيت، تفويض الله تعالى لنبيه والأئمة وإنْ لم يكونوا أنبياء صلوات الله تعالى عليهم أجمعين ...

فمعنى كل شيء إنما هو الحلال والحرام والحدود والأحكام ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله: «لا تعلموهم». فعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله... فلا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم...»[٧].

فهم أعلم بكل شيء بيَّنه القرآن الكريم من الحلال والحرام وكل ما يحتاج إليه الناس في أمور دنياهم وشؤون حياتهم من أحكامٍ وحدود.

قول الإمام الرضا عليه السلام: «... جهل القوم وخُدِعوا عن آرائهم، إنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يقبض نبيه صلى الله عليه وآله حتى أكمل له الدين، وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كل شيء، بيّن فيه الحلال والحرام، والحدود والأحكام، وجميع ما يحتاج إليه الناس كملاً، فقال عزَّ

---

(٥) الرعد: ٤٣ .

(٦) الكافي: ١ / ١٥٢ ـ ١٥٣ .

(٧) المصدر نفسه: ١ / ١٢٤ .

وجلَّ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[١] ونزل في حجّة الوداع وهي آخر عمره صلى الله عليه وآله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾[٢] وأمر الإمامة من تمام الدين، ولم يمضِ صلى الله عليه وآله حتى بيّن لامته معالم دينهم، وأوضح لهم سبيلهم، وتركهم على قصد سبيل الحقّ، وأقام لهم علياً عليه السلام علماً وإماماً، وما ترك لهم شيئاً تحتاج إليه الأمّة إلّا بيّنه، فمن زعم أنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يكمل دينه فقد ردَّ كتاب الله، ومنْ ردَّ كتاب الله فهو كافرٌ به»[٣].

فمعرفة الحكم الشرعي وما يتعلّق به محصورٌ فيهم عليهم السلام، ولا يدعي أحدٌ أن الله عزَّ وجلَّ أراهُ شيئاً إلّا رسول الله صلى الله عليه وآله ومن فوّضَ إليه من الأوصياء ممن لهم الولاية بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «لا والله ما فوّضَ الله إلى أحدٍ من خلقه إلّا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وإلى الأئمة، قال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ﴾[٤]، وهي جاريةٌ في الأوصياء عليهم السلام»[٥].

وخير شاهدٍ على ذلك ما دار بين الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام وابن عباس في معرفة حكم الله عزَّ وجلَّ والحدّ الذي فرضه تعالى فيما يحدِثُه في خلقه.

قال أبو جعفر عليه السلام: «... زعم ابن عباس أنه من الذين قالوا ﴿رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾[٦] فقلتُ له: هل رأيت الملائكة يا بن عباس تخبرك بولايتها لك في الدنيا والآخرة، مع الأمن من الخوف والحزن، قال: فقال: إنّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿إِنَّمَا

---

(١) الأنعام: ٤٨.

(٢) المائدة: ٣ .

(٣) الكافي: ١ / ١١٧ ـ ١١٨ .

(٤) النساء: ١٠٥ .

(٥) الكافي: ١ / ١٦٠ .

(٦) فصّلت: ٣٠.

﴿الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[١] وقد دخل في هذا جميع الأمة... ثمَّ قلت: صدقت يا ابن عباس انشدكّ الله هل في حكم الله جلَّ ذكره اختلاف؟ قال: فقال: لا، فقلتُ: ما تقول في رجلٍ ضرب رجلٌ أصابعه بالسيف حتىٰ سقطت، ثمَّ ذهب واتىٰ رجلٌ آخر فأطار كفَّه، فأتي به إليك وأنت قاضٍ، كيف أنت صانع؟ قال: أقول لهذا القاطع: أعطِهِ دِيَّةَ كفٍّهِ، وأقول لهذا المقطوع: صالحه علىٰ ما شيءت، وأبعث به إلىٰ ذوي عدلٍ، قلتُ: جاء الاختلاف في حكم الله عزَّ ذكره، ونقضتَ القول الأول، أبىٰ الله عزَّ ذكره أنْ يحدث في خلْقه شيئاً من الحدود وليس تفسيره في الأرض، إ قطع قاطع الكفِّ أصلاً ثُمَّ اعطيه ديَّةَ الأصابع، هكذا حكم الله ليلةَ ينزل فيها أمرهُ، إنْ جحدتها بعدما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله فأدخلك الله النار، كما أعمىٰ بصرك يوم جحدتها علىٰ ابن أبي طالب ... فقال ابن عباس: ما اختلفنا في شيءٍ فحكمُهُ إلىٰ الله، فقلتُ له: فهل حَكَمَ الله في حكمٍ من حكمه بأمرين؟ قال: لا: فقلت: هاهنا هلكت وأهلكت ...»[٢].

وعليه فمن يريد أنْ يبيّن حكم الله عزَّ وجلَّ لا بدَّ له من أنْ يكون مسدّداً في تبليغ أحكام الله تعالىٰ علىٰ نحو القطع واليقين. وهذا أمرٌ لا يكون ولا يتحقّق بمعزلٍ عن مقام فهمهم وإدراكهم لمعارف القرآن الكريم؛ لأنهم عليهم السلام عدِل القرآن والثقل الأصغر الذي لا يفترق عن الثقل الأكبر كتاب الله الذي هو تبيان لكل شيء. وقد امرنا نبينا محمد صلى الله عليه وآله بالأخذ بهما معاً وليس بواحدٍ منهما دون الآخر، والله تعالىٰ يقول: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[٣]، وهذا تفويض من الله تعالىٰ لنبيه صلى الله عليه وآله وعترته أهل البيت عليهم السلام؛ لأنّ الله عزَّ وجلَّ أدب نبيّه فأحسن أدبه، فلما أكمل له الأدب، قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٤]، ثمَّ فوض إليه أمر الدين والأمة

---

(١) الحجرات: ١٠.

(٢) الكافي: ١ / ١٤٦.

(٣) الحشر: ٧.

(٤) القلم: ٤.

ليسوس عباده، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ** ...﴾ الآية وإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان مسدّداً موفقاً مؤيداً بروح القدس، لا يزلُّ ولا يُخطئ في شيءٍ مما يسوس به الخلق، فتأدَّب بآداب الله ... [١].

وهم وإنْ لم يكونوا أنبياء إلا أنهم هم العلماء حقاً لأنهم إنما أخذوا علمهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وعملوا به ولم يضيعوه وكانوا يشيرون إلى هذا المعنى كي تفهم الأمُة دورهم ومقام معرفتهم للأحكام الشرعية لتهتدي إلى الله تعالى بإذنه وتنال سبل الحق لديه، بما أكرمهم به من كرامة الذكر وما آتاهم وخصّهم به من العلم بالكتاب كلّه .

يقول الإمام أبو جعفر عليه السلام: «إنما الوقوف علينا في الحلال والحرام فأمّا النبوة فلا»[٢].
وعن بُريد بن معاوية، عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام قال قلت له: «ما منزلتكم؟ ومن تشبهون ممن مضى؟ قال: صاحب موسى وذي القرنين، كانا عالمين ولم يكونا نبيّين»[٣]
وعن الامام أبي عبدالله الصادق عليه السلام أنه قال: «الأئمة بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وآله إلاّ أنهم ليسوا بأنبياء ولا يحلُّ لهم من النساء ما يحلُّ للنبي صلى الله عليه وآله فأمَّا ما خلا ذلك فهم فيه بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وآله»[٤] .

وأهل البيت عليهم السلام إنما لم يكتفوا برواية واحدةٍ أو روايتين في المعنى ـ أي التأكيد على أخذ الأحكام الشرعية عنهم ـ لأنهم كانوا يرون كثرة المدارس أو الآراء الفقهية وتعددها واختلاف مناهجها في معرفة الأحكام الشرعية من القرآن دون الرجوع للعترة التي ألزم حديث الثقلين الأمة بالرجوع إلى هذين الثقلين، الثقل الأكبر كتاب الله عزَّ وجلَّ، والثقل الأصغر وهم العترة الطاهرة سلام الله عليهم وخصوصاً في

---

(١) الكافي: ١ / ١٥٨ ـ ١٥٩ .
(٢) الكافي: ١ / ١٦٠.
(٣) المصدر نفسه: ١ / ١٦١ .
(٤) المصدر نفسه: ١ / ١٦١ .

عصر الإمامين الباقرين عليهما السلام، وإنْ كانت بوادر هذا الاتجاه قد نمتْ منذ عصر الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

فعن صالح بن ميثم، عن أبيه قال: «بينما أنا في السوق إذ أتاني أصبغ بن نباتة فقال: ويحكَ يا ميثم لقد سمعت من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حديثاً صعباً شديداً فأيّنا نكون كذلك؟ قلت: وما هو؟ قال: سمعته يقول: إنّ حديثناً أهل البيت صعب مستصعب لا يحتمله إلّا ملك مقرّب، أو نبيٌّ مرسل، أو عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان، فقمتُ من فورتي فأتيتُ علياً عليه السلام فقلت: يا أمير المؤمنين حديث أخبرني به الأصبغُ عنك قد ضقتُ به ذرعاً قال: وما هو؟ فأخبرته قال: فتبسَّم ثمَّ قال: اجلس يا ميثم، أو كُلّ علم يحتمله عالم؟ إنّ الله تعالى قال لملائكته: ﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾[1]. فهل رأيت الملائكة احتملوا العلم؟ قال: قلتُ: هذه والله اعظمُ من ذلك. قال: والأُخرى أنَّ موسى عليه السلام أنزل الله عزَّ وجلَّ عليه التوراة فَظَنَّ أنْ لا أحد أعلم منه فأخبره الله عزَّ وجلَّ أنّ في خلقي من هو أعلم منك، وذاك إذ خاف على نبيّه العُجْب، قال: فدعا ربَّه أنْ يرشده إلى العالم قال: فجمع الله بينه وبين الخضر فخرق السفينة فلم يحتمل ذلك موسى، وقتل الغلام فلم يحتمله، وأقام الجدار فلم يحتمله، وأمَّا المؤمنون فإنَّ نبيّنا صلى الله عليه وآله أخذ يوم غدير خُمٍّ بيدي فقال: اللهم من كنتُ مولاه فإنَّ علياً مولاه، فهل رأيت احتملوا ذلك إلّا منْ عصمه الله منهم؟ فأبشروا ثمَّ أبشروا فإنِّ الله تعالى قد خصّكم بما لم يخصّ به الملائكة والنبيين والمرسلين فيما احتملتم من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وعلمه»[2] .

---

(١) البقرة: ٣٠ .

(٢) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار عليهم السلام، تأليف: العلم العلاَّمة الحجَّة فخر الأمَّة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي، تحقيق: العلاَّمة الشيخ علي النّمازي الشاهرودي، ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ج٢ص٣٥٩ .

وقد بلغ عزل العترة عن القرآن الكريم الذروة في حياة الإمامين الباقرين عليهما السلام واستشرت مسألة الرأي في التفسير والقياس وغيره في فقه الأحكام وكان من جرّاء ابتعاد الأمة عن أئمتها أنْ تشعّبت بهم الأمور وتعددت السُبُل وتركت الأخذ عمن أخذوا علمهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله بل وصل الأمر ببعض من جهلوا أنْ رأوا أنفسهم على علمٍ وأنّ العترة الطاهرة عليهم السلام على جهلٍ وضلال.

ولذلك راح أئمة أهل البيت عليهم السلام يتصدون لهذا التيار الذي استشرى في الأمة بكل ما أُوتوا من علمٍ وطاقة لا يألون في ذلك جهداً ولا علماً ليُخرجوا الأمة من ضلال التقليد والقياسٍ ومزالق الرأي .

فقد سأل رجل من أهل الكوفة الإمام الباقر عليه السلام عن قول أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام: «سلوني عمّا شئتم فلا تسألوني عن شيءٍ إلا أنبأتكم به. قال: إنه ليس أحدٌ عنده علمُ شيءٍ إلّا خرج من عند أمير المؤمنين عليه السلام، فَليذهب الناس حيث شاؤوا، فو الله ليس الأمر إلّا من هاهنا، وأشار بيده إلي بيته»[1]، وقال: «ليس عند أحدٍ من الناس حقٌ ولا صوابٌ، ولا أحد من الناس يقضي بقضاءٍ حق، إلّا ما خرج منّا أهل البيت، وإذا تشعَّبت بهم الأمور كان الخطأ منهم والصواب من عليّ عليه السلام»[2]. وقال: «عجباً للناس أنهم أخذوا علمهم كلّه عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فعلموا به واهتدوا، ويرونَ أنّ أهل بيته لم يأخذوا علمه، ونحن أهل بيته وذريتُهُ في منازلنا نزل الوحي، ومن عندنا خرج العلم إليهم، أفيرون أنهم علموا واهتدوا وجهلنا نحن وضللنا، إنّ هذا لمحالٌ»[3].

فكل ما يحتاج الناس إليه من الحدود والأحكام منذ خلق الله تعالى آدم عليه السلام

---

(١) الكافي: ١ / ٢٥٠ ـ ٢٥١.

(٢) المصدر نفسه: ١ / ٢٥٠.

(٣) المصدر نفسه: ١ / ٢٥٠ .

إلى أنْ يرث الله عزَّ وجلَّ الأرض ومن عليها فهو عند آل محمد صلوات الله وسلامه عليهم وهو من علم رسول الله صلى الله عليه وآله مضافاً إلى علم الكتاب كلّه.

فعن الإمام أبي جعفرٍ الباقر عليه السلام قال: «إنَّ الحسين بن علي عليهما السلام لمّا حضره ما حضره، دعا ابنته الكبرى فاطمة بنت الحسين عليهما السلام فدفع إليها كتاباً ملفوفاً ووصيَّةً ظاهرةً، وكان علي بن الحسين عليه السلام مبطوناً معهم لا يرون إلّا أنه لما به، فدفعت فاطمةُ الكتاب إلى علي بن الحسين عليه السلام ثمَّ صار والله ذلك الكتاب إلينا ... فيه والله ما يحتاج إليه ولدُ آدم منذ خلق الله آدم إلى أنْ تفنى الدُّنيا، والله إنَّ فيه الحدود، حتى إنَّ فيه أرْشَ الخَدْشِ»[1].

ويمكن أنْ ترى هذا بوضوح في الكتب والمصادر التي تناولت مسائل الشريعة في الحلال والحرام، كما هي الحال في كتاب وسائل الشيعة على سبيل المثال لا الحصر، إذ أورد الحرُّ ألعاملي في هذا الكتاب كل ما ذكره أصحاب هذا الاتجاه من أحاديث في متن البحث وزيادة[2]. وكذلك هي الحال عند من يرى عدم إمكانية التفسير إلّا بالرجوع إلى أخبار الصحابة رضوان الله عليهم الذين شاهدوا تنزيله وأدّوا إلينا من السُّنن ما يكون بياناً لكتاب الله تعالى وبالتالي حصر معرفة آيات الكتاب العزيز وفهمها بالسلف الصالح من الصحابة وما نُقل عنهم.

وقد رفض كثير من علماء الأمة هذا الاتجاه بل عدّه الغزالي حجاباً من الحُجب التي تمنع عن فهم معاني القرآن إذ يقول: ... أنْ يكون قرأ تفسيراً ظاهراً واعتقد أنَّه لا معنى لكلمات القرآن إلّا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما. وأنّ ما وراء ذلك تفسير بالرأي وأنّ من فسّر القرآن برأيه فقد تبوّأ مقعده من النار فهذا أيضاً

---

(١) المصدر نفسه: ١ / ١٨٤.

(٢) ينظر: وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، ط٣، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م، ج٢٧ ص١٥٥ ـ ٢٠٥.

من الحجب العظيمة [١].

ومن ثمَّ فإنَّ حصر معرفة وفهم آيات الكتاب العزيز بالسلف الصالح من الصحابة وأقوالهم لاستبعاد أنْ تختفي عليهم معاني الكتاب العزيز أمرٌ غير ميسور؛ لأنّ الصحابة أنفسهم قد اختلفوا في فهم وتفسير آيات الكتاب العزيز وقد رتبوا على اختلافهم في الفهم آثاره في الواقع العملي والسلوكي لهم. وإذا كان هذا حال الرّعيل الأوّل من الصحابة في تفاوتهم من حيث العلم والفهم والإدراك الفكري فما حال من يأتي بعدهم ؟! وهذا خير دليلٍ على ضرورة وجود مصدرٍ معرفيٍّ بعد النّبيّ صلى الله عليه وآله يمتلك البيان التّفصيلي والتّكميلي للشريعة ليكون القيّم الأمين على صيانة النّصّ السّماويّ الأرقى القرآن العظيم ونصوص السُّنّة المطهّرة. كما سيتّضح لنا ذلك في المبحث القابل.

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ت:٥٠٥ ه، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ج١ ص٣٣٥ـ٣٣٦.

المبحث الثاني

أهمّيّة القرآن واستحضاره، دور الإمام الهادي عليه السلام في صيانة الأمة

لا شكّ في أنّ الإمام الهادي عليه السلام آية ودليل من دلائل نبوّة جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله، وأنّه كأجداده صلوات الله وسلامه عليهم الذين وصفهم بأنّهم الأدلاء على مرضاة الله عزَّ وجلَّ[1]، وهو أحد مصاديق أهل البيت عليهم السلام الذين هم ورثة الكتاب، وقد أوضح النبيّ صلى الله عليه وآله في ذلك اليوم ـ يوم الدار ـ الذي كان يوماً من أيّام الفرقان، ما سيؤديه أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم والدور المناط بهم بأمرٍ من الله عزَّ وجلَّ؛ لأنّه ليس بدعاً من الرّسل، ولا آل بيته بدعاً من غيرهم من آل النبيين السابقين، وكانوا نعم الأهل ونعم الآل في تصديقهم وإيمانهم بالنبي صلى الله عليه وآله ودعوته.

ومن هنا كانت وراثة الكتاب التي حرص النبيّ صلى الله عليه وآله على إبرازها في أصدق مصاديق أهل البيت عليهم السلام الذين هم أهل القرآن؛ لأنّ الفتن والزيغ إنّما كان سببهما الابتعاد عن أهل القرآن، وعدم معرفتهم المعرفة الكاملة في الاعتقاد والولاء والتشريع وبالتالي ضياع الأمّة، ووقوعها في الضلال الذي حذرها منه نبيّها الأعظم صلى الله عليه وآله بقوله: إنّي مُخلّفٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي».

ولولا أهل القرآن لَما عرفت الأمّة قرآنها ولما توصّلت إلى ما توصّلت إليه من هذه المعارف القرآنيّة العظيمة مما هو في عالم الغيب أو عالم الشهادة؛ لأنّ القرآن العظيم كتاب إلهيٌّ، كتاب مطهّرٌ، بل هو الكتاب السماويّ الأرقى؛ ولابدّ لهذا الكتاب ممن هو من سنخه إلهيٌّ مطهّرٌ كذلك؛ لأنّه لا يمسّه إلّا المطهّرون.

وقد كان الإمام الهادي عليه السلام كأجداده عليهم السلام حريصاً الحرص كلّه على تربية الأمّة على التوجّه إلى القرآن العظيم وبيان أهمّيّته واستحضاره في كلّ واقعة تمرّ بها الأمة،

---

(١) ينظر: عيون أخبار الرّضا، محمد بن علي بن بابويه، الصّدوق ت: ٣٨١ هـ، المطبعة الحيدريّة، النّجف الأشرف، ١٣٩٠ هـ، ١٩٧٠ م، ج٢ ص٢٧٣ ـ ٢٧٧ .

وبيان علمهم وفضلهم، وما لديهم مما ليس في أيدي الناس من علم، ودوره عليه السلام في التصدّي للانحرافات التي انتشرت في المجتمع الإسلامي بسبب الحكام الجائرين، والمغالين والفرق المنحرفة والضالة، والشبهات العقديّة التي بثّها أعداء الإسلام، وقد سار الإمام الهادي عليه السلام على نهج آبائه في هذه المسائل إذ راح أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم وسلامه يتصدون لهذا التيار الذي استشرى في الأمة بكل ما حباهم الله عزَّ وجلَّ به من علمٍ وطاقة لا يألون في ذلك جهداً ولا علماً ليخرجوا الأمة من ضلال التقليد والقياس ومزالق الرأي. وهذا ما سنراه واضحاً جليّاً في:

أ - استحضاره للقرآن الكريم في كل واقعة.

لقد كان الإمام الهادي عليه السلام حريصاً على بيان أهمّيّة القرآن العظيم والإجابة عن كلّ شيء بما في القرآن الكريم من دليل، وربط الأمّة به واتخاذه مرجعاً للهداية لتعرف الرشد من خلاله وذلك بإطاعة أوامره؛ لأنّ إطاعة الله رشدٌ إلى النّجاة وإنّ الهدى هدى الله عزَّ وجلَّ، فقد روي: أنّ رجلاً من فقهاء شيعته كلّم بعض النّصّاب فأفحمه بحجّته حتّى أبان عن فضيحته، فدخل على علي بن محمّد عليهما السلام، وفي صدر مجلسه دست عظيم منصوب، وهو قاعدٌ خارج الدّست، وبحضرته خلقٌ العلويين وبني هاشم، فما زال يرفعه حتى أجلسه في ذلك الدست، وأقبل عليه، فاشتدّ ذلك على أولئك الأشراف، فأمّا العلويّة فأجلّوه عن العتاب، وأمّا الهاشميّون، فقال له شيخُهم: يا ابن رسول الله، هكذا تؤثر عامّياً على سادات بني هاشم من الطّالبيّين والعبّاسيّين؟! فقال عليه السلام: إيّاكم أنْ تكون منَ الذين قال الله تعالى فيهم ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوْتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ**﴾[1] أترضون بكتاب الله عزَّ وجلَّ حكمًا؟ قالوا: بلى، قال: أليس الله تعالى يقول: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ**

(١) آل عمران: ٢٣.

لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[1]، فلم يرضَ للعالِم المؤمن إلاّ أنْ يُرفع على المؤمن غير العالِم، كما لم يرض للمؤمن إلّا أنْ يرفع على مَنْ ليس بمؤمن، أخبروني عنه، قال: ﴿**يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ أو قال: يرفع الله الذين أوتوا شرف النّسب درجات؟ أوليس قال الله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[2]، فكيف تنكرون رفعي لهذا لمّا رفعه الله؟ إنّ كسر هذا لفلان الناصبي بحجج الله التي علّمه إيّاها لأفضل له من كلّ شرفٍ في النسب.

فقال العباسي: يا ابن رسول الله قد أشرفت علينا هو ذا يقصر بنا عمّن ليس له نسبٌ كنسبنا، وما زال منذ أوّل الإسلام يقدّم الأفضل في الشّرف على مَن دونه فيه، فقال عليه السلام: سبحان الله!، أليس عباس بايع لأبي بكر وهو تيميٌّ، والعباس هاشميٌّ ... وعمر عدويٌّ؟! فما بال عمر أدخل البعداء من قريش في الشورى، ولم يدخل العباس؟ فإنْ كان رفعنا لمن ليس بهاشميٍّ منكراً، فأنكروا على العباس بيعته لأبي بكر، وعلى عبد الله بن عباس خدمته لعمر بعد بيعته، فإنْ كان ذلك جائزاً، فهذا جائز، فكأنّما أُلقم الهاشميُّ حجراً.

ومثله لمّا اعتلّ المتوكّل العباسي، فقد نذر لله إنْ رزقه الله العافية أنْ يتصدّق بمالٍ كثير، فلمّا عوفي اختلف الفقهاء في المال الكثير، فقال له الحسن حاجبه: إنْ أتيتك بالصواب... فما لي عندك؟ قال: عشرة آلاف درهم وإلّا ضربتك مئة مقرعة، قال: قد رضيت، فأتى أبا الحسن عليه السلام فسأله عن ذلك فقال: قل له: يتصدّق بثمانين درهماً، فأخبر المتوكّل فسأله ما العلّة؟ فأتاه فسأله، قال: إنّ الله تعالى قال لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ**﴾[3]، فعددنا مواطن رسول الله صلى الله عليه وآله فبلغت ثمانين موطناً،

---

(١) المجادلة: ١١.

(٢) الزمر: ٩ .

(٣) التوبة: ٢٥.

فرجع إليه فأخبره ففرح وأعطاه عشرة آلاف درهم [١].

وقد حاول هذا الطاغية العباسي ـ مراراً وتكراراً ـ إحراج الإمام عليه السلام أمام الناس وأمام الأمّة حسداً وحقداً عليه إلّا أنّ الإمام كان له بالمرصاد، وكان القرآن العظيم معه سلاحه القاهر، كما كان آباؤه عليهم السلام الذين أخذوا علمهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وعملوا به ولم يضيعوه وكانوا يشيرون إلى هذا المعنى كي تفهم الأمُة دورهم ومقام معرفتهم للأحكام الشرعية لتهتدي إلى الله تعالى بإذنه وتنال سبل الحق لديه، بما أكرمهم به من كرامة الذكر وما آتاهم وخصّهم به من العلم بالكتاب كلّه .

ومن محاولات هذا الطّاغية قوله لابن السّكّيت: سل ابن الرضا مسألة عوصاء بحضرتي، فقال: لِمَ بعث الله موسى بالعصا وبعث عيسى عليه السلام بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، وبعث محمّداً بالقرآن والسيف. فقال أبو الحسن عليه السلام: بعث الله موسى بالعصا واليد البيضاء في زمان الغالب على أهله السّحر، فأتاهم من ذلك ما قهر سحرهم وبهرهم، وأثبت الحُجَّة عليهم، وبعث عيسى عليه السلام بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله في زمانٍ الغالب على أهله الطّبُّ، فأتاهم من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله فقهرهم وبهرهم، وبعث محمداً بالقرآن والسيف في زمان الغالب على أهله السيف والشعر، فأتاهم من القرآن الزّاهر والسيف القاهر ما بهر به شعرهم وبهر سيفهم، وأثبت الحجّة عليهم. فقال ابن السّكّيت ما الحجّة الآن؟ قال: العقل يُعرف به الكاذب على الله فيُكَذَب [٢].

---

(١) مناقب آل أبي طالب، أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني ت: ٥٨٨ ه، تحقيق: يوسف البقاعي، ط٢، إيران، ١٤٢٧هـ، ج٤ ص٤٠٢، ينظر: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار عليهم السلام، تأليف: العلم العلَّامة الحجَّة فخر الأمَّة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي، تحقيق: العلاَّمة الشيخ علي النّمازي الشاهرودي، ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ج٥٠ ص٣٢٣.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٤ / ٤٠٢؛ ينظر: بحار الأنوار: ٥٠ / ٣٢٣.

وقد روي أنّ رجلاً من أهل المدائن كتب إلى الإمام الهادي عليه السلام: يسأله عمّا تبقّى من ملك المتوكّل، فكتب عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿**قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ. ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ. ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ**﴾[1]، فقتل في أوّل الخامس عشر[2].

ومثله ما روي عن زرافة صاحب هذا الطاغية في السنة التي قتل فيها إذ أمر المتوكّل بأنْ يترجّل الإمام صلوات الله وسلامه عليه ماشياً بين يديه يوم الفطر قال: رأيته في ذلك اليوم يمشي، وقد شقَّ عليه ما لقيه من الحرِّ والزَّحمة، والعرق يتصبّبُ من بدنه المبارك، فأقبلت إليه، وقلت له يا سيّدي يعزُّ والله عليَّ ما تلقى من هؤلاء الطغاة وما قد تكلّفته من المشقّة فقال لي: يا زرافة ما ناقة صالح عند الله بأكرم منّي، وفي رواية أخرى أنّه قال: إنّ قلامة ظفري أكرم عند الله من ناقة صالح وفصيلها[3].

ب - علم أهل البيت عليهم السلام وبيان فضلهم.

لقد كان الإمام الهادي عليه السلام حريصاً على بيان أهمّيّة أهل بيت النبوّة عليهم السلام وإظهار علمهم، وضرورة وجود مصدرٍ معرفيٍّ بعد النّبيّ صلى الله عليه وآله يمتلك البيان التّفصيلي والتّكميلي للشريعة ليكون القيّم الأمين على صيانة النّصّ السّماويّ الأرقى القرآن العظيم ونصوص السُّنّة المطهّرة؛ لتعي الأمة ذلك، وتعرف فضلهم الذي فاق فضل العالمين جميعاً. فهم ورثة الكتاب والعارفون بتأويل أحاديث جدّهم المصطفى صلى الله عليه وآله.

فقد روي عن أبي سليمان عن ابن أرومة أنّه قال: خرجت أيام المتوكّل إلى سُرَّ من

---

(١) يوسف: ٤٧ ـ ٤٩.

(٢) بحار الأنوار: ٥٠ / ٣٣٤.

(٣) منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل، عباس بن محمد رضا أبو القاسم القمّي ت: ١٣٥٩هـ، مطبوعات دار الأندلس، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م، ج٢ ص٥٠٠ ـ ٥٠١.

رأىٰ فدخلت علىٰ سعيد الحاجب وقد دفع المتوكل أبا الحسن إليه ليقتله، فلمّا دخلتُ عليه قال: أتُحب أنْ تنظر إلىٰ إلهك؟ قلت: سبحان الله الذي لا تدركه الأبصار، قال: هذا الذي تزعمون أنّه إمامكم! قلت: ما أكره ذلك، قال: قد أُمرت بقتله وأنا فاعله غداً، وعنده صاحب البريد، فإذا خرج فادخل إليه، ولم ألبث أنْ خرج، قال: أدخل. فدخلت الدار التي كان فيها محبوساً فإذا بحياله قبرٌ يُحفر، فدخلت، وسلّمتُ وبكيت بكاء شديداً فقال: ما يبكيك؟ قلت: لِما أرىٰ، قال: لا تبك لذلك، لا يتمُّ لهم ذلك، فسكن ما كان بي فقال: إنّهُ لا يلبث أكثر من يومين، حتىٰ يسفك الله دمه ودم صاحبه الذي رأيته، قال: فوالله ما مضىٰ غير يومين حتىٰ قتل. فقلت لأبي الحسن عليه السلام: حديث رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تعادوا الأيّام فتعاديكم» قال: نعم إنّ لحديث رسول الله صلى الله عليه وآله تأويلاً. أمّا السبت فرسول الله صلى الله عليه وآله، والأحد أمير المؤمنين عليه السلام، والاثنين الحسن والحسين، والثلاثاء علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد، والأربعاء موسىٰ ابن جعفر وعلي بن موسىٰ ومحمد بن علي، والخميس ابني الحسن بن علي، والجمعة ابن ابني وإليه تجتمع عصابة الحقّ وهو الذي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، فهذا معنىٰ الأيّام فلا تعادوهم في الدنيا فيعادوكم في الآخرة ـ وفي رواية القائم منّا أهل البيت ـ[1].

وقد أبان الإمام علي الهادي عليه السلام شأن أهل البيت عليهم السلام عند الله عزَّ وجلَّ من خلال القرآن العظيم لا سيّما المستهزئين بهم لجهلٍ أو شبهة أو ضلالة؛ ليعرفوا كرامتهم علىٰ الله عزَّ وجلَّ؛ ليهتدوا ويتركوا ما هم عليه من عمىً وضلالة، مثال

---

(١) الخصال، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي، المعروف بالشيخ الصّدوق ت: ٣٨١ هـ، تحقيق: علي أكبر الغفاري، منشورات الأعلمي، ط١، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م، ج٢ ص٣٦٨؛ كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق، مؤسّسة الأعلمي، تحقيق: حسين الأعلمي، ط٢، ١٤٣٧هـ ـ ٢٠١٦م، ج٢ ص٣٥٥؛ معاني الأخبار: ١/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨؛ الخرائج و الجرائح، قطب الدين الراوندي ت: ٥٧٣هـ، مؤسسة النور للمطبوعات، ط٢، بيروت ـ لبنان، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م، ج١ ص٤١٢؛ بحار الأنوار: ٥٠ / ٣٤٠.

ذلك ما روي في حادثة رفع الستر: «... عن سلمة الكاتب قال: قال خطيب يلقّب بالهريسة للمتوكل: ما يعمل أحد بك ما تعمله بنفسك في علي بن محمد، فلا في الدار إلّا مَن يخدمه، ولا يتعبونه بشيل السّتر لنفسه، فأمر المتوكل بذلك فرفع صاحب الخبر أنّ عليَّ بن محمد دخل الدار، فلم يخدم ولم يشل أحد بين يديه الستر فهبّ هواءٌ فرفع الستر حتىٰ دخل وخرج، فقال: شيلوا له الستر بعد ذلك فلا نريد أنْ يشيل له الهواء.

وفي تخريج أبي سعيد العامري رواية عن صالح بن الحكم بيّاع السّابريّ قال: كنتُ واقفيّاً فلمّا أخبرني حاجب المتوكل بذلك أقبلتُ أستهزىء به إذ خرج أبو الحسن فتبسَّم في وجهي من غير معرفة بيني وبينه، وقال: يا صالح إنّ الله تعالىٰ قال في سليمان: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاء حَيْثُ أَصَابَ﴾[1] ونبيّك وأوصياء نبيّك أكرم علىٰ الله تعالىٰ من سليمان، قال: وكأنّما انسلَّ من قلبي الضلالة، فتركتُ الوقف [2].

ومثله في هذا الباب استشهاده بالسُّنّة مما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله لبيان شأنهم صلوات الله تعالىٰ عليهم وسلامه، روي عن علي بن مهزيار: ... قالوا كانت زينب الكذّابة تزعم أنّها ابنة علي بن أبي طالب عليه السلام فأحضرها المتوكل وقال: أذكري نسبك، فقالت: أنا زينب ابنة علي وأنّها كانت حملت إلىٰ الشام فوقعت إلىٰ بادية بني كلب فأقامت بين ظهرانيهم. فقال المتوكل: إنّ زينب ابنة علي قديمة، وأنت شابة؟ فقالت: لحقتني دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله بأنْ يردَّ شبابي كل خمسين سنة، فدعىٰ المتوكل وجوه آل أبي طالب، فقال: كيف يعلم كذبها؟ فقال الفتح: لا يخبرك بهذا إلّا ابن الرضا عليه السلام، فأمر بإحضاره وسأله فقال عليه السلام: إنّ في ولد عليٍّ علامة، قال: وما هي؟ قال: لا تعرض لهم السباع، فألقها إلىٰ السباع، فإنْ لم تعرض لها فهي صادقة، فقالت: يا أمير المؤمنين الله الله فيَّ فإنّما أراد قتلي، وركبت الحمار وجعلت تنادي ألا إنّني زينب الكذّابة. وفي رواية أنّه عرض عليها ذلك فامتنعت فطرحت للسّباع فأكلتها. قال علي بن مهزيار: فقال

(١) سورة ص: ٣٦.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٤ / ٤٠٦؛ بحار الأنوار: ٥٠ / ٣٤٤.

علي بن الجهم: جرّب هذا على قائله. فأجيعت السباع ثلاثة أيّام ثُمَّ دعا بالإمام عليه السلام وأُخرجت السباع فلمّا رأته لاذت وتبصبصت بأذنابها، فلم يلتفت الإمام عليه السلام إليها، وصعد السقف وجلس عند المتوكل ثمّ نزل من عنده، والسباع تلوذ به، وتبصبص حتى خرج عليه السلام، وقال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «حرّم لحوم أولادي على السباع»[1].

وليس هذا حسب فقد كان الإمام الهادي عليه السلام حريصاً على بيان بعض ما عندهم صلوات الله تعالى عليهم وسلامه مما ليس في أيدي الناس، فقد روي: عن محمد بن الفرج عن أبي دعامة، قال: أتيت علي بن محمد عليه السلام عائداً في علّته التي كانت وفاته بها، فلمّا هممت بالانصراف قال لي: «يا أبا دعامة قد وجبَ عليَّ حقّك ألا أُحدّثك بحديثٍ تُسَرُّ به؟ فقلت له: ما أحوجني إلى ذلك يا ابن رسول الله. قال: حدّثني أبي محمد بن علي قال: حدّثني أبي علي بن موسى قال: حدّثني أبي موسى بن جعفر، قال: حدّثني أبي جعفر بن محمد، قال: حدّثني أبي محمد بن علي، قال: حدّثني أبي عليُّ بن الحسين، قال: حدّثني أبي الحسين بن علي، قال: حدّثني أبي علي بن أبي طالب عليه السلام، قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي أكتب فقلت: ما أكتب؟ فقال: أكتب بسم الله الرحمن الرحيم الإيمان ما وقرَ في القلوب وصدقته الأعمال، والإسلام ما جرى على اللسان، وحلّت به المناكحة. قال أبو دعامة فقلت: يا ابن رسول الله والله ما أدري أيّهما أحسن؟ الحديث أم الإسناد؟ فقال: إنّها لصحيفة بخطّ عليّ بن أبي طالَب عليه السلام وإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله نتوارثها صاغر عن كابر»[2].

لا شكّ في أنّ الحديث والإسناد إمتداد واحد لوراثة الكتاب ومن حقِ أبي دعامة أنْ يتساءل قائلاً: ما أدري أيّهما أحسن؟ الحديث أم الإسناد؟؛ فكلاهما حسن؛ لأنّ علمهم علم النّبيّ صلى الله عليه وآله غاية ما في الأمر أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله كان يأخذ علمه من الوحي

(١) مناقب ابن شهر آشوب: ٤ / ٤١٦.

(٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ت: ٣٤٦ هـ، دار القارىء، ط١، ١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥ م، ج٤ ص١٨٢؛ بحار الأنوار: ٥٠ / ٣٤٧.

مباشرةً والإمام كان يأخذ علمه من آبائه عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

أمّا الإسناد فإنّه سعوط المجانين وقد كفانا الإجابة عنه علماء أهل السُّنّة قبل علماء الشيعة الإماميّة. فقد روىٰ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله بْنِ حَمْدَوَيْهِ النَّيْسَابُورِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُذَكِّرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ الْفَقِيهُ الرَّازِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ طَاهِرٍ، قَالَ: كُنْتُ وَاقِفًا عَلَىٰ رَأْسِ أَبِي وَعِنْدَهُ أَحْمَدُ ابْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ، وَأَبُو الصَّلْتِ الْهَرَوِيُّ، فَقَالَ أَبِي: لِيُحَدِّثْنِي كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِحَدِيثٍ؛ فَقَالَ: أَبُو الصلت حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُوسَىٰ الرِّضَا، وَكَانَ وَالله رِضًا كَمَا سُمِّيَ، عَنْ أَبِيهِ مُوسَىٰ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ عَلِيٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ». فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَا هَذَا الإِسْنَادُ؟! فَقَالَ لَهُ أَبِي: هَذَا سُعُوطُ الْمَجَانِينِ، وَإِذَا سَعَطَ بِهِ الْمَجْنُونُ بَرَأَ[1].

ومما عندهم من العلم الذي أشار إليه الإمام الهادي عليه السلام ما روي عن: علي ابن محمد النوفلي قال: سمعته يقول: «اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً وإنّما كان عند آصف منه حرف واحد، فتكلّم به فانخرقت له الأرض فيما بينه وبين سبأ، فتناول عرش بلقيس حتىٰ صيّره إلىٰ سليمان ثمّ بسطت له الأرض في أقلّ من طرفة عينٍ، وعندنا منه اثنان وسبعون حرفاً، وحرف عند الله عزَّ وجلَّ استأثر به في علم الغيب»[2].

ومثله ما روي عن فاطمة بنت الهيثم، قالت: كنت في دار أبي الحسن عليه السلام في الوقت الذي ولد فيه جعفر فرأيت أهل الدار قد سُرُّوا به، فقلت: يا سيّدي ما لي أراك

---

(١) تاريخ بغداد، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: بشّار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٢٢ ـ ٢٠٠١، ج٣ ص٤٢١.

(٢) كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، أبو الحسن علي بن عيسىٰ بن أبي الفتح الإربلي: ت: ٦٩٢هـ، تحقيق: علي الفاضلي، مطبعة ليلىٰ، إيران، ١٤٢٦هـ، ج٢ ص٣٧٣؛ بحار الأنوار: ٥٠ / ٣٢٨.

غير مسرور؟ فقال: «هوّني عليك فسيضلُّ به خلقٌ كثير»[١].

وحدّث محمد بن شرف عن الإمام الهادي عليه السلام قال: كنت مع أبي الحسن عليه السلام أمشي بالمدينة فقال لي: «ألستَ ابن شرف؟ قلت: بلى، فأردّت أنْ أسأله عن مسألة فابتدأني من غير أنْ أسأله فقال: نحن على قارعة الطّريق وليس هذا موضع مسألة»[٢].

وفي روايتين عن أيوب بن نوح قال: كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام إنّ لي حملاً فادع الله أنْ يرزقني ابناً فكتب إليّ: «إذا ولد فسمّه محمداً. وكان ليحيى بن زكريّا حملٌ فكتب إليه: إنّ لي حملاً فادع الله أنْ يرزقني ابناً فكتب إليه: رُبَّ ابنةٍ خير من ابن، فولدت له ابنة»[٣].

وعن محمد بن الرّيّان بن الصّلت، قال: كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام أستأذنه في كيد عدوٍّ، ولم يمكن كيده، فنهاني عن ذلك وقال كلاماً معناه: «تكفاه، فكفيته والله أحسن كفاية: ذلَّ وافتقر ومات أسوأ الناس حالاً في دنياه ودينه»[٤].

وروي عن علي بن محمد الحجّال أنّه قال: كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام: أنا في خدمتك وأصابتني علّة في رجلي لا أقدر على النّهوض والقيام بما يجب عليّ وأداء الأمانة في ذلك، وتضييع ما لا أتعمّده من نسيان يصيبني في حلّ، ويوسّع عليّ، وتدعو لي بالثّبات على دينه الذي ارتضاه لنبيّه عليه السلام، فَوَقَّعَ: «كشف الله عنك وعن أبيك، قال: وكان بأبي علّة ولم أكتب فيها فدعا له ابتداءً»[٥].

وكان الإمام الهادي عليه السلام كثيراً ما يستحضر سُنّة أجداده عليهم السلام في بيان ما يشكل

---

(١) الخرائج والجرائح: ١ / ٣٩٨؛ كشف الغمّة: ٢ / ٣٨٤؛ بحار الأنوار: ٥٠: ٣٢٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الخرائج والجرائح: ١ / ٣٩٨؛ كشف الغمّة: ٢ / ٣٨٤؛ بحار الأنوار: ٥٠: ٣٢٩ .

(٤) كشف الغمة: ٢ / ٣٨٦؛ إعلام الورى: ٣٥٩.

(٥) كشف الغمة: ٢ / ٣٨٦؛ إعلام الورى: ٣٥٩ .

على أصحابه أو ما يستفسرون عنه. فعن سهل بن زياد عن أبي هاشم الجعفري قال: بعث إليَّ أبو الحسن عليه السلام في مرضه وإلى محمد بن حمزة فسبقني إليه محمد بن حمزة فأخبرني محمد، ما زال يقول ابعثوا إلى الحير، وقلت إلى محمد: ألا قلت له أنا أذهب إلى الحير، ثُمّ دخلت عليه وقلت له: جُعلت فداك أنا أذهب إلى الحير، فقال: انظروا في ذلك، ثُمّ قال: إنّ محمداً ليس له سرٌ من زيد بن علي وأنا أكره أنْ يسمع ذلك قال: فذكرت ذلك لعلي بن بلال، فقال: ما كان يصنع الحير؟ هو الحير، فقدمت العسكر فدخلت عليه، فقال لي: أجلس حين أردّت القيام، فلمّا رأيته أنسَ بي ذكرت له قول علي بن بلال فقال لي: ألا قلت له: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يطوف بالبيت ويقبّل الحجر، وحرمت النبي صلى الله عليه وآله والمؤمن أعظم من حرمة البيت، وأمره الله عزَّ وجلَّ أنْ يقف بعرفة، وإنّما هي مواطن يُحبُّ الله أنْ يذكر فيها، فأنا أحبُّ أنْ يدعى لي حيث يحبّ الله أنْ يدعى فيها»[1].

ج ـ دور الإمام في بيان الفقه والأحكام.

لا شكَّ في أنّ الإمام الهادي عليه السلام كان مصدراً من مصادر التشريع الإسلامي الذي كان له حضوره المتميّز في حفظ كيان الأمة على وفق دستورها القرآن العظيم وسنّة المعصوم، وقد زخرت الكتب الحديثيّة وغيرها من الكتب المعنيّة بأحاديث وأقوال المعصومين عليهم السلام بالكثير من الروايات المباركة عن الإمام الهادي عليه السلام؛ إذ كان مرجعاً للعلماء والفقهاء في العبادات والمعاملات والعقود والإيقاعات؛ ولم يُسجّل لنا الواقع العملي والسلوكي للإمام عليه السلام أنّه سئل عن مسألةٍ ما ولم يُجِبْ عنها على نحو القطع واليقين، سواء أكان السائل عن جهل بمعرفة الأحكام أم لمجرد المماحكة ومحاولة إظهار عجز الإمام والحطّ من شأنه، بل إنّ الإمام عليه السلام كان يبادر إلى إجابة

(١) الكافي: ٤ / ٥٨١؛ مهج الدعوات ومنهج العنايات، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد ابن طاووس ت: ٦٦٤هـ، منشورات الفجر، ط١، بيروت، لبنان، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م، ص٣٢١.

السائل قبل أنْ يسأله؛ لا سيّما إذا كان السائل ممّن لا يقول بإمامته أو ممن يشكُّ بها، فعلى سبيل المثال لا الحصر:

يقول علي بن مهزيار: وردت العسكر وأنا شاكٌّ في الإمامة فرأيت السلطان خرج إلى الصّيد في يوم من الربيع إلّا أنّه صائف، والناس عليهم ثياب الصّيف، وعلى أبي الحسن عليه السلام لبّادة وعلى فرسه تجفاف لبود، وقد عقد ذنب الفرسة والناس يتعجَّبون منه، ويقولون: ألا ترون إلى هذا المدني وما قد فعل بنفسه؟ فقلت في نفسي: لو كان هذا إماماً ما فعل هذا. فلمّا خرج الناس إلى الصّحراء لم يلبثوا إلّا أنْ ارتفعت سحابة عظيمة هطلت فلم يبق أحدٌ إلّا ابتلَّ حتى غرق بالمطر، وعاد عليه السلام وهو سالم من جميعه فقلت في نفسي: يوشك أنْ يكون هو الإمام، ثُمَّ قلت: أُريد أنْ أسأله عن الجُنب إذا عرق في الثّوب، فقلت في نفسي: إنْ كشف عن وجهه فهو الإمام، فلمّا قرُبَ منّي كشف عن وجهه ثمّ قال: إنْ كان عرق الجنب في الثوب وجنابته من حرام لا تجوز الصلاة فيه، وإنْ كان جنابته من حلال فلا بأس، فلم يبق بعد ذلك في نفسي شُبهة [1].

وكتب محمد بن الحسين بن مصعب المدائني يسأل الإمام الهادي عليه السلام عن السّجود على الزّجاج، قال:... نفذ الكتاب حدّثت نفسي أنّه مما أنبتت الأرض، وأنّهم قالوا: لا بأس بالسّجود على ما أنبتت الأرض، قال: فجاء الجواب: لا تسجد عليه وإنْ حدّثت نفسك أنّه مما تنبت الأرض، فإنّه من الرَّمل والملح، والملح سبخ [2].

أمّا مَن سأل لإظهار عجز الإمام والحطّ من شأنه، فقد كانت إجاباته عليه السلام فكأنّما أُلقم صاحبها حجراً، كما هي الحال في إجابته صلوات الله تعالى عليه وسلامه على مسائل يحيى بن أكثم؛ إذ أملى على ابن السِّكِّيت جوابها وأمره أنْ يكتب:

---

(١) مناقب ابن شهر آشوب: ٤ / ٤١٥؛ بحار الأنوار: ٥٠ / ٣٢٧.

(٢) كشف الغمّة: ٢ / ٣٨٤؛ بحار الأنوار: ٥٠ / ٣٢٨.

... سألت عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾[١]، فهو آصف بن برخيا، ولم يعجز سليمان عن معرفة ما عرف آصف، ولكنْ أحبَّ أنْ يُعَرِّف أمته من الجنِّ والإنس أنّه الحُجَّة من بعده، وذلك من علم سليمان أودعه آصف بأمر الله ففهَّمه ذلك، لئلّا يُختَلَف في إمامته وولايته من بعده، ولتأكيد الحُجَّة على الخلق[٢].

وكأنّ الإمام الهادي عليه السلام يريد من هذا الجواب أنْ يثبت لهذا السائل الجاحد المتبجِّح أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكن بِدْعاً من الرسل، وكذلك أوصياؤه عليهم السلام لم يكونوا بدعاً من الأوصياء، وبالتّالي إثبات الوصيّة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام لأنّه الحجّة من بعد النبي صلى الله عليه وآله؛ لئلّا يُختَلَف في إمامته وولايته من بعده، ولتأكيد الحُجَّة على الخلق؛ لأنّ أمر الإمامة من تمام الدِّين كما أوضح البحث ذلك مفصّلاً في المبحث الأوّل.

ثُمَّ يُكمل الإمام الهادي عليه السلام إجابته، قائلاً: وأمّا سجود يعقوب لولده، فإنّ السجود لم يكن ليوسف وإنّما كان ذلك من يعقوب وولده طاعة لله تعالى وتحيّة ليوسف عليه السلام، كما أنّ السجود من الملائكة لم يكن لآدم عليه السلام، فسجود يعقوب وولده ويوسف معهم شكراً لله تعالى باجتماع الشّمل، أَلَمْ ترَ أنّه يقول في شكره في ذلك الوقت: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾[٣]. وأمّا قوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ﴾[٤]، فإنّ المخاطب بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يكن في شكٍّ مما أنزل الله إليه، ولكن قالت الجهلة: كيف لم يبعث الله نبيّاً من الملائكة، ولِمَ لَمْ يُفرّق بينه وبين الناس في الاستغناء عن المأكل والمشرب، والمشي في الأسواق، فأوحى الله إلى نبيِّهِ صلى الله عليه وآله فاسأل الذين يقرأون الكتاب بمحضرٍ من الجهلة هل بعث الله نبيّاً

---

(١) النمل: ٤٠.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب: ٤ / ٤٠٢.

(٣) يوسف: ١٠١.

(٤) يونس: ٩٤.

قبلك إلّا وهو يأكل الطعام، ويشرب الشّراب، ولك بهم أسوة يا محمد [١].

فالإمام الهادي عليه السلام في هذا النّصّ يريد أنْ يؤكّد ما قرّره في قوله وإجابته آنفاً من أنّ النبيَّ صلى الله عليه وآله لم يكن بدعاً من الرّسل وأنّ له بهم عليهم السلام أسوة، وأنّ أولياءه كذلك؛ إذ لا بُدّ للأمّة في منعطفاتها الخطيرة والفتن التي تمسُّ وجودها من رجالٍ تفقأُ عين الفتنة كرسول الله صلى الله عليه وآله أو من هو من سنخه. ومما لا ريب فيه أنّ فتنة التشكيك من أشدّ الفتن التي حاول أعداء الإسلام بثّها بين المسلمين.

يقول الإمام الهادي عليه السلام: وإنّما قال: ﴿**فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ**﴾، ولم يكن شكّ؛ للنصفة، كما قال: ﴿**فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ**﴾[٢]، ولو قال: « تعالوا نبتهل فنجعل لعنة الله عليكم» لم يكونوا يجيبوا إلى المباهلة، وقد عَلِمَ الله أنّ نبيّه مؤدٍّ عنه رسالته وما هو من الكاذبين، وكذلك عرف النبي صلى الله عليه وآله بأنّه صادق فيما يقول، ولكن أَحَبَّ أنْ ينصف من نفسه [٣].

وقد أعطى النّبيّ صلى الله عليه وآله المصداق الواقعي والحقيقي لذلك جاء بأهلِ بيتهِ: عليٌّ وفاطمة والحسن والحسين صلواتُ الله تعالى عليهم أجمعين لمباهلة وفد نصارى نجران بهم؛ ليقول للأمّة: هؤلاء هم الرّاسخون في العلم القوّامون على الأمّة وعلى تفسير كتاب الله، وقد أثبت التاريخ والواقع العملي ذلك إذ وقف أهل هذا البيت لكل الانحرافات التي واجهت الأمّة ولم يستطع أحدٌ من المسلمين التّصدّي لها، أو تصدّى لها ولم يُفلح وكادت الأمّة أنْ تقع في ضلالٍ لا هداية بعده. فكان أهل بيته مصداقاً مصَدِّقاً لقوله وهو الصّادق الأمين: «إنّي مخلّفٌ فيكم الثّقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي»[٤]، ... إنيّ قد تركتُ فيكم أمرين لن تضلّوا بعدي ما إنْ تمسّكتم

(١) مناقب ابن شهر آشوب: ٤ / ٤٠١.

(٢) آل عمران: ٦١.

(٣) مناقب ابن شهر آشوب: ٤ / ٤٠١ .

(٤) مسند أحمد بن حنبل: ٣ / ١٤، ١٧، ٢٦، ٥٩، ٤ / ٣٦٦، ٣٧١، ٥ / ١٨٢، ١٨٩ .

بهما: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي؛ فإنّ اللّطيف الخبير قد عهد إليّ أنّهما لن يفترقا حتّىٰ يردا عليّ الحوض كهاتين ـ وجمع بين مسبحتيه ـ ولا أقول: كهاتين ـ وجمع بين المسبحة والوسطىٰ ـ فتسبق إحداهما الأخرىٰ، فتمسّكوا بهما لا تَزِلُّوا ولا تضلّوا، ولا تقدموهم فتضلّوا»[1].

وقد سار الإمام الهادي عليه السلام علىٰ نهج جدّه المصطفىٰ صلى الله عليه وآله وآبائه الكرام صلوات الله تعالىٰ وسلامه عليهم، في بيان ما لهم من دورٍ في حياة الأمة، يقول الإمام عليه السلام: «وأمّا قوله: ﴿**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ**﴾[2]، فهو لو أنّ أشجار الدنيا أقلام والبحر مداد يمدّه سبعة أبحر حتىٰ تفجر الأرض عيوناً ... ما نفدت كلمات الله ... ونحن كلمات الله التي لا تدرك فضائلنا ولا تستقصىٰ»[3].

فهم خزّان علم الله، وتراجمة وحيه، وعندهم تفسير القرآن وأحكامه، وأنّهم لا يسألون عن شيءٍ فيقولون لا ندري؛ لأنّهم الحُجّة علىٰ عباده، وعندهم ظاهر القرآن وباطنه؛ لأنّهم هم الأوصياء بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وهم عدل القرآن، والقرآن يهدي للتي هي أقوم، قال تعالىٰ: ﴿**إِنَّ هَـٰذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**﴾[4]، فهم أيضاً يهدون الأمّة للتي هي أقوم؛ لأنّهم والقرآن حقيقة واحدة؛ يريدون للأمة أنْ تتمسّك بكتابها؛ ليبيّنوا للناس ما فيه رشادهم وصلاح معاشهم ومعادهم؛ لأنّهم كما يقول ابن حجر الهيتمي: ... سمّىٰ رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم القرآن وعترته... الأهل والنّسل والرّهط الأدنون ثقلين: لأنّ الثقل كلّ نفيس خطير مصون، وهذان كذلك، إذ كلّ منهما معدن للعلوم اللّدنّيّة والأسرار والحكم العليّة والأحكام الشرعيّة، ولذا حَثَّ صلّىٰ الله عليه وسلّم

(١) الكافي: ٢ / ٤١٥.

(٢) لقمان: ٢٧ .

(٣) مناقب ابن شهر آشوب: ٤ / ٤٠١.

(٤) الإسراء: ٩.

على الاقتداء والتّمسّك بهم والتعلّم منهم وقال الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت[١].

فكل ما يحتاج الناس إليه من الحدود والأحكام منذ خلق الله تعالى آدم عليه السلام إلى أنْ يرث الله عزَّ وجلَّ الأرض ومن عليها فهو عند آل محمد صلوات الله وسلامه عليهم وهو من علم رسول الله صلى الله عليه وآله مضافاً إلى علم الكتاب كلّه. يقول الإمام الهادي عليه السلام: «وأمّا الجنة ففيها من المآكل والمشارب والملاهي، وما تشتهي الأنفس وتلذُّ الأعين وأباح الله ذلك لآدم، والشجرة التي نهى الله آدم عنها وزوجته أنْ لا يأكلان منها شجرة الحسد، ﴿**فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا**﴾[٢]. وأمّا قوله: ﴿**أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا**﴾[٣]، فإنّ الله تعالى زوّج الذكران المطيعين، ومعاذ الله أنْ يكون الجليل العظيم عنى ما لبّسْتَ على نفسك بطلب الرُّخص، لارتكاب المحارم: ﴿**وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا**﴾[٤]، إنْ لم يتب.

وأمّا شهادة المرأة وحدها التي جازت فهي القابلة التي جازت شهادتها مع الرضا، فإنْ لم يكن رضا، فلا أقل من امرأتين، تقوم المتان بل الرجل للضّرورة؛ لأنّ الرجل لا يمكنه أنْ يقوم مقامها، فإنْ كانت وحدها قبل قولها مع يمينها. وأمّا قول عليٍّ في الخنثى فهو كما قال: يرث من المبال، وينظر إليه قومٌ عدول يأخذ كل واحد منهم مرآة وتقوم الخنثى خلفهم عريانة، ينظرون إلى المرآة فيرون الشيء ويحكمون عليه. وأمّا الرجل الناظر إلى الراعي وقد نزا على شاة، فإنْ عرفها ذبحها وأحرقها، وإنْ لم يعرفها قسّمها الإمام نصفين وساهم بينهما، فإنْ وقع السهم على أحد القسمين فقد انقسم النّصف الآخر ثُمّ يفرّق الذي وقع عليه السهم نصفين فيقرع بينهما فلا

---

(١) الصواعق المحرقة: ٢ / ٤٤١.

(٢) سورة طه: ١١٥.

(٣) سورة الشورى: ٥٠.

(٤) سورة الفرقان: ٦٩ – ٧٠.

يزال كذلك حتىٰ يبقىٰ اثنان فيقرع بينهما فأيّهما وقع السهم عليها ذُبحت وأحرقت وقد نجا سائرها وسهم الإمام سهم الله لا يخيب»[١].

وليس هذا بكثيرٍ علىٰ الإمام الهادي عليه السلام أو آبائه الطّيّبين الطّاهرين صلوات الله وسلامه عليهم؛ لأنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله ورَّثهم عِلَمَ الكتاب كلّه ظاهره وباطنه، فقد روي عن الإمام أبي جعفر الباقر في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿**قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ**﴾[٢]، أَنَّهُ قال: «إيانا عنىٰ، وعليٌّ أولنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبي صلى الله عليه وآله»[٣].

وهذا هو معنىٰ كلامهم سلام الله تعالىٰ عليهم في أقوالهم: تبيان كل شيء، ما تحتاج إليه الأمة، أعلم منكم، علم الكتاب كلّه، علم النبيين، علم الوصيين، علم العلماء، ممن مضوا، حكم الله الذي لا اختلاف فيه، ما يحتاج إليه ولد آدم، وليس عند أحدٍ شيء إلّا ما خرج من أهل البيت، تفويض الله تعالىٰ لنبيه والأئمة ... فمعنىٰ كل شيء إنما هو الحلال والحرام والحدود والأحكام ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله لا تعلموهم. فعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله ... فلا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم...»[٤].

فهم أعلم بكل شيء بيَّنه القرآن الكريم من الحلال والحرام وكل ما يحتاج إليه الناس في أمور دنياهم وشؤون حياتهم من أحكامٍ وحدود.

ولذلك كان الإمام الصّادق عليه السلام يقول: «إنّما الوقوف علينا في الحلال والحرام... ما جاء به عليٌّ عليه السلام آخذُ به وما نهىٰ عنه انتهي عنْهُ، جرىٰ له من الفضل مثلُ ما جرىٰ

---

(١) تحف العقول: ٣٥٣ ـ ٣٥٦؛ مناقب ابن شهر آشوب: ٤ / ٤٣٦.

(٢) سورة الرعد: ٤٣.

(٣) الكافي: ١٣٦.

(٤) الكافي: ١ / ١٢٤.

لمحمد صلى الله عليه وآله ولمحمدٍ صلى الله عليه وآله الفضل على جميع من خلق الله عزَّ وجلَّ، المتَعَقِّبُ عليه في شيءٍ من أحكامه كالمتَعَقِّب على الله وعلى رسوله. والرادّ عليه في صغيرةٍ أو كبيرة على حدِّ الشرك بالله، كان أمير المؤمنين عليه السلام باب الله الذي لا يؤتى إلّا منه، وسبيله الذي من سلك بغيره هلك، وبذلك جرت الأئمة عليهم السلام واحد بعد واحد ...»[1].

ولذلك يقول الإمام الهادي عليه السلام: «وأمّا قولك: إنّ عليّاً عليه السلام قاتل أهل صفِّين مقبلين ومدبرين، وأجهز على جريحهم وأنّه يوم الجمل لم يتّبع موليّاً ولم يجهز على جريحهم، وكل من ألقى سيفه وسلاحه آمنه، فإنّ أهل الجمل قُتل إمامهم ولم يكن لهم فئة يرجعون إليها، وإنّما رجع القوم إلى منازلهم غير محاربين، ولا مخالفين، ولا متجسّسين ولا مبارزين، فقد رضوا بالكفِّ عنهم، فكان الحكم فيهم رفع السيف والكفّ إذ لم يطلبوا عليه أعواناً. وأهل صفِّين يرجعون إلى فئة مستعدّة وإمامٍ منتصب، يجمع السلاح من الرماح والدروع، والسيوف، ويستعدّ لهم، ويُسني لهم العطاء ويهيّىء لهم الأموال، ويعقب مريضهم، ويجبر كسيرهم، ويداوي جريحهم، ويحمل راجلهم ويكسو حاسرهم، ويردّهم فيرجعون إلى محاربتهم وقتالهم. فإنّ الحكم في أهل البصرة الكفُّ عنهم لمّا ألقوا أسلحتهم إذ لم تكن لهم فئة يرجعون إليها، والحكم في أهل صفِّين أنْ يتبع مدبرهم، ويجهز على جريحهم فلا يساوي بين الفريقين في الحكم، ولولا أمير المؤمنين عليه السلام وحكمه في أهل صفّين والجمل، لما عرف الحكم في عصاة أهل التوحيد فمن أبى ذلك عرض على السيف»[2].

فالإمام الهادي عليه السلام يريد أنْ يقول للأمة: إنَّ من يريد أنْ يبيّن حكم الله عزَّ وجلَّ لا بدَّ له من أنْ يكون مسّدداً في تبليغ أحكام الله تعالى على نحو القطع واليقين. وهذا أمرٌ لا يكون ولا يتحقّق بمعزلٍ عن مقام فهمهم وادراكهم لمعارف القرآن الكريم؛ لأنهم عليهم السلام عدِل القرآن والثقل الأصغر الذي لا يفترق عن الثقل الأكبر

(١) المصدر نفسه: ١ / ١١٦، ١٦٠.

(٢) تحف العقول: ٣٥٦؛ مناقب ابن شهر آشوب: ٤ / ٤٣٧؛ بحار الأنوار: ٥٠ / ٣٢٥.

كتاب الله الذي هو تبيان لكل شيء. وقد أمرنا نبينا محمد صلى الله عليه وآله بالأخذ بهما معاً وليس بواحدٍ منهما دون الآخر، والله تعالىٰ يقول: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾[1]، وهذا تفويض من الله تعالىٰ لنبيه صلى الله عليه وآله وعترته أهل البيت عليهم السلام؛ لأنّ: الله عزَّ وجلَّ أدب نبيّه فأحسن أدبه، فلما أكمل له الأدب، قال: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[2]، ثمَّ فوض إليه أمر الدين والأمة ليسوس عباده، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ ... الآية**﴾ وإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان مسدّداً موفقاً مؤيداً بروح القدس، لا يزلُّ ولا يُخطئ في شيءٍ مما يسوس به الخلق، فتأدَّب بآداب الله ...[3].

وهم وإنْ لم يكونوا أنبياء إلا أنهم هم العلماء حقاً لأنهم إنما أخذوا علمهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وعملوا به ولم يضيعوه وكانوا يشيرون إلىٰ هذا المعنىٰ كي تفهم الأمُة دورهم ومقام معرفتهم للأحكام الشرعية لتهتدي إلى الله تعالىٰ بإذنه وتنال سبل الحق لديه، بما أكرمهم به من كرامة الذكر وما آتاهم وخصّهم به من العلم بالكتاب كلّه.

وكان الإمام الشافعي يقول: ما عرفنا أحكام البغي إلّا من علي بن أبي طالب[4].

وممّا عنده عليه السلام من العلم مما ليس عند غيره، ما أوجبه من حكمٍ علىٰ النصراني الذي فَجَرَ بامرأةٍ مسلمة إذ: قُدِّمَ إلى المتوكل رجلٌ نصراني فجر بامرأةٍ مسلمة، فأراد أنْ يقيم عليه الحدّ فأسلم، فقال يحيىٰ بن أكثم: قد هدم إيمانُهُ شركَهُ وفعلَهُ، وقال بعضهم يضرب ثلاثة حدود، وقال بعضهم يُفعلُ به كذا وكذا، فأمر المتوكل بالكتاب إلى أبي الحسن العسكري عليه السلام وسؤاله عن ذلك، فلمّا قرأ الكتاب كتب عليه السلام: يضرب حتىٰ يموت، فأنكر يحيىٰ، وأنكر فقهاء العسكر ذلك فقالوا: يا أمير المؤمنين سلْه عن

---

(١) سورة الحشر: ٧.

(٢) سورة القلم: ٤.

(٣) الكافي: ١ / ١٥٨ ـ ١٥٩.

(٤) شرح نهج البلاغة: ٩ / ٣٣١.

ذلك، فإنّهُ شيءٌ لم ينطق به الكتاب، ولم يجيء به سُنَّة فكتب إليه: إنّ الفقهاء قد أنكروا هذا، وقالوا: لم يجيء به سنة ولم ينطق به كتاب، فبيّن لنا لِمَ أوجبت عليه الضّرب حتىٰ يموت؟ فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿**فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا**﴾[1]، ... فأمر به المتوكل فضرب حتىٰ مات [2].

فوعّاظ السلاطين وفقهاء السلطة وأبواق الظالمين لا علم لهم لا بالكتاب ولا بالسُّنّة؛ ولذلك أنكروا علىٰ الإمام عليه السلام ما أوجبه من حكم الله عزَّ وجلَّ علىٰ هذا الفاجر الزاني، الذي لم يستند إيمانه إلىٰ شيءٍ من الاختيار وإنّما كان هرباً من العقوبة؛ وأنّ سنته عزَّ وجلَّ ماضيةٌ في عباده بأنْ لا تُقبل توبةٌ بعد رؤية العذاب أو البأس.

فلمّا قرأ يحيىٰ بن أكثم قول الإمام عليه السلام وإجاباته قال للمتوكّل: ما نُحب أنْ تسأل هذا الرجل عن شيءٍ بعد مسائلي، فإنّه لا يردُ عليه شيءٌ بعدها إلّا دونها، وفي ظهور علمه تقويةٌ للرّافضة [3].

د ـ حرصُه عليه السلام على حفظ كيان الأمّة من خلال بناء عقائدها .

كان الإمام الهادي عليه السلام كأجداده عليهم السلام حريصاً الحرص كلَّه علىٰ تربية الأمّة علىٰ التوجّه إلىٰ القرآن العظيم وبيان أهمّيّته واستحضاره في كلّ واقعة تمرّ بها الأمة، وبيان علمهم وفضلهم لا سيّما الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، وبيان ما لديهم مما ليس في أيدي الناس من علم، ودوره عليه السلام في التصدّي للانحرافات التي انتشرت في المجتمع الإسلامي بسبب الحكام الجائرين، والمغالين والفرق المنحرفة والضالة، والشبهات العقديّة التي بثّها أعداء الإسلام، وقد سار الإمام الهادي عليه السلام

---

(١) سورة غافر: ٨٤ ـ ٨٥.

(٢) الاحتجاج: ٢ / ٤٩٨ ـ ٤٩٩، ينظر حلية الأبرار: ٥ / ١٨ ـ ١٩؛ بحار الأنوار: ٥٠ / ٣٢٦.

(٣) بحار الأنوار: ٥٠ / ٣٢٦.

على نهج آبائه في هذه المسائل إذ راح أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم وسلامه يتصدون لهذا التيار الذي استشرى في الأمة بكل ما حباهم الله عزَّ وجلَّ به من علم وطاقة لا يألون في ذلك جهداً ولا علماً ليخرجوا الأمة من ضلال التقليد والقياس ومزالق الرأي. فقد كانت بليّة الناس عليهم عظيمةً كما يقول الإمام الباقر عليه السلام[1]، والحديث عن دور الإمام الهادي عليه السلام في هذا الباب يمتدُّ بنا كثيراً ولا يمكن أنْ نقف عند حدوده مهما كانت الكلمات طوع البنان، وسنرى ذلك على سبيل المثال لا الحصر من خلال:

مسألة الجبر والتفويض:

إنّ دور الإمام الهادي عليه السلام في هذه المسألة إنّما يحتمه عليه الثّقل الأكبر القرآن الكريم عقائديّاً لأنّه الثقل الأصغر الذي تركه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ولا ينهض بالكتاب إلا عدلُ الكتاب مثلما نصّ على ذلك الحديث الشّريف المذكور آنفاً. وليس للناس إمام إلا عدل الكتاب وعدل الكتاب في هذه المرحلة هو الإمام الهادي عليه السلام. لقد أيقظ الإمام الهادي عليه السلام الشعور الفطري في أعماق النفس الإنسانية الذي حاول حكّام بني العباس تعويقه وتكبيله بل تحطيمه في نفوس الأمة ليضيع عليها طريقها المرسوم وكادت السلطة أنْ تفلح في ذلك لولا ما قام به الإمام صلوات الله وسلامه عليه الذي أدرك أنّ هذه المهمة لا يمكن أنْ ينهض بها إلا الامتداد الطبيعي للنبوة بكل ما لها من التقوى لله حقّ تقاته وتمام رضاه والوفاء بالإلتزام والأداء على النحو الذي يرضى الله تعالى عنه وهو المقام الذي لم يبلغه إلا الأنبياء والمرسلون والأوصياء وكان الإمام الهادي عليه السلام منهم صلوات الله وسلامه عليه، فهو الامتداد الحقيقي لإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى ومحمد وآله صلوات الله

---

(١) ينظر: المسترشد في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم، الطبري الإمامي ت: ق٤هـ، تحقيق: أحمد المحمودي، مؤسّسة الثقافة الإسلاميّة، ط١، ص٦٣٨؛ بحار الأنوار: ٣٦/ ٢٤٨.

وسلامه عليهم أجمعين ليكمل اللاحق ما بدأه السّابق، فقد اتخذ الإمام الهادي عليه السلام من قول جدّه الإمام الصّادق عليه السلام: «لا جبر ولا تفويض، ولكن أمرٌ بين أمرين»، منطلقاً لما أراد أنْ يوصله إلى الإنسانيّة جمعاء من خلال رسالته التي بعث بها إلى أهل الأهواز، وقد سألوه عن الجبر والتفويض.

يقول الإمام عليه السلام: «من محمد بن علي؛ سلام عليكم وعلى من اتّبع الهدى ورحمة الله وبركاته؛ فإنّه وردَ عليَّ كتابُكم وفهمت ما ذكرتم من اختلافكم في دينكم وخوضكم في القدر ومقالة مَن يقول منكم بالجبر ومن يقول بالتفويض وتفرّقكم في ذلك وتقاطعكم وما ظهر من العداوة بينكم، ثُمَّ سألتموني عنه وبيانه لكم، وفهمت ذلك كلَّه.

إعلموا رحمكم الله أنّا نظرنا في الآثار وكثرة ما جاءت به الأخبار فوجدناها عند جميع مَن ينتحل الإسلام ممن يعقل عن الله جلَّ وعزَّ لا تخلو من معنيين: إمّا حقٌّ فيُتَّبع وإمّا باطل فيجتنب. وقد اجتمعت الأمّة قاطبة لا اختلاف بينهم أنَّ القرآن حقّ لا ريب فيه عند جميع أهل الفرق وفي حال اجتماعهم مقرّون بتصديق الكتاب وتحقيقه، مصيبون، مهتدون، وذلك بقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تجتمع أمّتي على ضلالة» فأخبر أنّ جميع ما اجتمعت عليه الأمة كلها حقّ، هذا إذا لم يخالف بعضها بعضاً. والقرآن حقٌّ لا اختلاف بينهم في تنزيله وتصديقه: فإذا شهد القرآن بتصديق خبر وتحقيقه وأنكر الخبر طائفة من الأمة لزمهم الإقرار به ضرورة حين اجتمعت في الأصل على تصديق الكتاب، فإنْ هي جحدت وأنكرت لزمها الخروج من الملّة»[1].

فالإمام عليه السلام يريد أنْ يربّي الأمة على الاتجاه إلى القرآن الكريم واتخاذه مرجعاً للهداية ليعرفوا الرشد من خلاله وذلك بإطاعة أوامره، لانّ إطاعة الله رشدٌ إلى النجاة وأنَّ الهدى هداه عزَّ وجلَّ وهذا الخطاب من الإمام عليه السلام موجه للناس كل الناس ليس

(١) تحف العقول: ٣٣٧.

لطبقة أوفئة دون أخرىٰ ولا لمن عاصروا الإمام عليه السلام دون غيرهم؛ لأنّ القرآن حقٌّ لا ريب ولا خلاف فيه، أجمعت الأمة علىٰ ذلك، وإنكاره وجحوده خروج عن الملّة.

ثُمّ ينتهي الهادي الإمام عليه السلام بعد هذا الإيضاح إلىٰ أنّ للقرآن أهلاً ذكرهم مَن خُوطِبَ بالقرآن صلى الله عليه وآله، ونصّ القرآن العظيم عليهم بشواهد واضحة جليّة للعيان، وروت في ذلك العامّة والخاصّة ما كان به لزاماً علىٰ الأمة الإقرار به: فأوّل خبر يعرف تحقيقه من الكتاب وتصديقه والتماس شهادته عليه خبر ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله ووجد بموافقة الكتاب وتصديقه بحيث لا تخالفه أقاويلهم؛ حيث قال: «إنّي مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن تضلّوا ما تمسَّكتم بهما وإنّهما لن يفترقا حتىٰ يردا عليّ الحوض». فلمّا وجدنا شواهد هذا الحديث في كتاب الله نصّاً مثل قوله جلَّ وعزَّ: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ. وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**﴾[1]. وروت العامة في ذلك أخباراً لأمير المؤمنين عليه السلام أنّه تصدَّق بخاتمه وهو راكع فشكر الله ذلك له وأنزل الآية فيه. فوجدنا رسول الله صلى الله عليه وآله قد أتىٰ بقوله: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه»، وبقوله: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسىٰ إلّا أنّه لا نبيَّ بعدي»، ووجدناه يقول: «عليٌّ يقضي ديني وينجز موعدي وهو خليفتي عليكم بعدي». فالخبر الأوّل الذي استنبطت منه هذه الأخبار خبرٌ صحيحٌ مُجمعٌ عليه لا اختلاف فيه عندهم، وهو أيضاً موافقٌ للكتاب، فلمّا شهد الكتاب بتصديق الخبر وهذه الشّواهد الأخر لزم علىٰ الأمة الإقرار بها ضرورةً إذ كانت هذه الأخبار شواهدها من القرآن ناطقة، ووافقت القرآن والقرآن وافقها»[2].

ولم يكن الإمام الهادي عليه السلام بِدْعَاً من آبائه عليهم السلام في بيان وتأكيد ولاية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأنّه قيّم القرآن، والحُجَّة علىٰ الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله. فعن منصور

(١) سورة المائدة: ٥٥ ـ ٥٦.

(٢) الاحتجاج: ٣٣٧ ـ ٣٣٨.

بن حازم قال قلت لأبي عبد الله الصّادق عليه السلام:... «إنَّ من عرف أن له ربَّاً، فينبغي له أنْ يعرف أنَّ لذلك الربِّ رضاً وسخطاً، وأنه لا يعرف رضاه وسخطه إلّا بوحيٍ أو رسولٍ، فمن لم يأتهِ الوحي فقد ينبغي له أنْ يطلب الرسل، فإذا لقيهم عرف أنهم الحجة وأن لهم الطاعة المفترضة. وقُلتُ للناس: تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان هو الحجة من الله على خلقه؟ قالوا: بلى. قلتُ: فحين مضى رسول الله صلى الله عليه وآله من كان الحجة على خلقه؟ فقالوا: القرآن. فنظرت في القرآن فإذا هو يخاصم به المرجئ والقدريُّ والزنديق الذي لا يؤمن به حتى يغلب الرجال بخصومته، فعرفت أنّ القرآن لا يكون حجة إلّا بقيّم، فما قال فيه من شيء كان حقاً، فقلتُ لهم: من قيّم القرآن؟ قالوا: ابن مسعود قد كان يعلم، وعمر يعلم وحذيفة يعلمُ، قلتُ: كلّهُ؟ قالوا: لا، فلم أجد أحداً يقالُ: إنه يعرف ذلك كلّهُ إلّا علياً عليه السلام. وإذا كان الشيء بين القوم فقال هذا: لا أدري، وقال هذا: لا أدري، وقال هذا: أنا أدري، فأشهد أن علياً عليه السلام كان قيّمَ القرآن، وكانت طاعته مفترضةً وكان الحجة على الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وأنَّ ما قال في القرآن فهو حقٌّ. فقال: رحمك الله»[1].

فالإمام سلام الله عليه يرتكز على ما ورد عن آبائه وأجداده صلوات الله عليهم فيما صدّقه القرآن الكريم وأمر به، وربط بينه وبيّن إمامة أمير المؤمنين عليه السلام التي هي الضمان الإلهي لنجاة الأمة بإجماع الأمة على ذلك: «كتاب الله وعترتي أهل بيتي» يقول الإمام عليه السلام: «ثُمَّ وردت حقائق الأخبار من رسول الله صلى الله عليه وآله عن الصادقين عليهم السلام ونقلها قوم ثقات معروفون فصار الاقتداء بهذه الأخبار فرضاً واجباً على كلِّ مؤمنٍ ومؤمنة لا يتعدّاه إلّا أهل العناد. وذلك أنّ أقاويل آل رسول الله صلى الله عليه وآله متّصلة بقول الله مثل قوله في محكم كتابه: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا**﴾[2]، ووجدنا نظير هذه الآية قول رسول الله صلى الله عليه وآله:

(١) الكافي: ٩٧ ـ ٩٨.

(٢) سورة الأحزاب: ٥٧.

«من آذىٰ عليّاً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذىٰ الله يوشك أنْ ينتقم منه» وكذلك قوله صلى الله عليه وآله: «من أحبَّ عليّاً فقد أحبَّني ومن أحبّني فقد أحبَّ الله». ومثل قوله صلى الله عليه وآله في بني وليعة: «لأبعثنَّ إليهم رجلاً كنفسي يحبُّ اللهَ ورسولهَ ويحبُّه اللهُ ورسولُه قم يا علي فسر أليهم». وقوله عليه السلام يوم خيبر: «لأبعثنّ إليهم غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرّاراً غير فرّارٍ لا يرجع حتىٰ يفتح الله عليه». فقضىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله بالفتح قبل التَّوجيه فاستشرف لكلامه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، فلمّا كان من الغد دعا عليّاً عليه السلام فبعثه إليهم فاصطفاه بهذه المنقبة وسمَّاه كرّاراً غير فرّار، فسمّاه الله محبّاً لله ولرسوله، فأخبر أنّ الله ورسوله يحبّانه»[1].

وبعدها يبدأ الإمام الهادي عليه السلام بما ورثه من آبائه عليهم السلام من علمٍ في إثبات بطلان الجبر والتفويض، إذ يبدأ بقول الإمام الصادق عليه السلام:... «لا جبر ولا تفويض ولكن منزلة بين المنزلتين وهي صحّة الخلقة وتخلية السرب والمهلة في الوقت والزّاد مثل الراحلة والسبب المهيج للفاعل علىٰ فعله»، فهذه خمسة أشياء جمع بها الصادق عليه السلام جوامع الفضل، فإذا نقص العبد منها خلّة كان العمل عنه مطروحاً بحسبه، فأخبر الصادق عليه السلام بأصل ما يجب علىٰ الناس من طلب معرفته ونطق الكتاب بتصديقه فشهد بذلك محكمات آيات رسوله، لأنّ الرسول صلى الله عليه وآله، وآله عليهم السلام لا يعدو شيءٌ من قوله وأقاويلهم حدود القرآن، فإذا وردت حقائق الأخبار والتمست شواهدها من التنزيل فوجد لها موافقاً وعليها دليلاً كان الاقتداء بها فرضاً لا يتعدّاه إلّا أهل العناد كما ذكرنا في أوّل الكتاب [2].

ثُمَّ يأخذ الإمام علي الهادي عليه السلام بالاستدلال بآيات القرآن العظيم علىٰ بطلان الجبر والتفويض، وعلىٰ صحّة قول الإمام الصّادق عليه السلام: « أمرٌ بين أمرين». وكذلك الاستدلال باللغة والعقل علىٰ إبطال مقالة القائلين بالتفويض، وبيان وإثبات أدلّة

(١) الاحتجاج: ٣٣٨ـ٣٣٩.

(٢) المصدر نفسه: ٣٣٩ .

الأمر بين الأمرين من خلال نصوص القرآن العظيم، وما أورده من سنّة المعصوم التي جاءت على لسان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مما أفاض وأخبر به أصحابه ممّا تقتضيه الحكمة والعدل الإلهي، بالاستطاعة التي ملَّكها عباده. ولولا الإطالة لأتينا على كل ما ذكره الإمام عليه السلام من آيات القرآن العظيم، وإجابات صدرت عنه لسائلٍ سأله، أو شاهدٍ ذكره، أو قولٍ أبان فيه الحجّة، في مرويّاته عليه السلام عن آبائه وأجداده التي حوت الكثير من المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة التي أنقذت الأمة من الفتن المضلّلة والغالية.

المصادر والمراجع:

خير ما نبدأ به القرآن الكريم .

- إثبات الوصيّة للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، للمؤرّخ المعروف أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي الهُذلي صاحب تاريخ: مروج الذهب، ت: ٣٤٦ هـ، الناشر: المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف، ط٢، ١٤٠٤هـ.

- الاحتجاج، أبو علي الفضل بن الحسن، الطّبرسي ٥٤٨ هـ، تعليق: محمد باقر الخرسان، دار النّعمان للطّباعة والنّشر، النجف الأشرف ـ العراق، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦م.

- إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ت:٥٠٥هـ، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .

- إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ، أبو الفضل بن الحسن الطبرسي، من أعلام القرن السادس الهجري، مؤسسة أهل البيت لإحياء التراث، قم المقدّسة، ١٤١٧هـ.

- إمتاع الأسماع بما للنبي صلى الله عليه وآله من الأحوال والأموال والحفدة المتاع، أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩م.

- الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار عليهم السلام، تأليف: العلم العلّامة الحجَّة فخر الأمَّة المولىٰ الشيخ محمد باقر المجلسي، تحقيق: العلّامة الشيخ علي النّمازي الشاهرودي، ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .

- البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

- تاريخ بغداد، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: بشّار عواد

معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١م.

- تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: ٣١٠ هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر .

- تاريخ أبي الفداء، المسمّى المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء إسماعيل بن علي بن أيوب بن شاذان، ت: ٧٣٢ هـ، طبعة لندن، ١٧٨٩ .

- تاريخ مدينة دمشق، الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشّافعي، المعروف بابن عساكر ت: ٥٧١ هـ، تحقيق: محب الدّين أبي سعيد عمر ابن غرامة العمروي، دار الفكر.

- تحف العقول عن آل الرسول، أبو محمد الحسن بن علي بن شعبة الحرّاني، من أعلام القرن الرابع الهجري، منشورات الأعلمي، ط٥، بيروت، لبنان، ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م.

- تفسير السراج المنير، تأليف: محمد بن أحمد الخطيب الشربيني المصري، ت: ٩٧٧ هـ، خرّج آياته وأحاديثه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان.

- تفسير القرآن الحكيم المعروف بالمنار، محمد رشيد رضا، ط٢، دار الفكر.

- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد ابن إدريس الرازي ت: ٣٢٧ هـ، تحقيق: أسعد محمد الطيب، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣ م .

-تفسير القرآن العظيم تفسير ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠ ـ ١٩٩٩ .

- تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار، لأبي جعفر بن

جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري، ت: ٣١٠ هـ، خرّج أحاديثه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.

- الجامع الصّغير في أحاديث البشير النّذير، جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر، السّيوطي ت: ٩١١ هـ، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م.

- الجرائح والخرائج، قطب الدين الراوندي ت: ٥٧٣هـ، مؤسسة النور للمطبوعات، ط٢، بيروت ـ لبنان، ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١م.

- جزء ابن عمشليق، أحمد بن علي بن محمد، تحقيق: خالد بن محمد بن علي الأنصاري، دار ابن حزم، ط١، ١٤١٦ ـ ١٩٩٦.

-حلية الأبرار في أحوال محمد وآله الأطهار، هاشم البحراني، تحقيق: غلام رضا الربرجردي، مؤسّسة المعارف الإسلاميّة، قم، إيران، ١٤١٥هـ.

-حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، ت: ٤٣٠هـ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

- الخصائص الكبرىٰ أو كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب، عبد الرحمن أبي بكر جلال الدين السيوطي، ت: ٩١١هـ، تحقيق: محمد خليل هراس، دار الكتب الحديثة .

- الخصال، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي، المعروف بالشيخ الصّدوق ت: ٣٨١ هـ، تحقيق: علي أكبر الغفاري، منشورات الأعلمي، ط١، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م.

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، الإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، ط١، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

- دلائل النبوة، أبو نعيم الأصبهاني، تحقيق: محمد رواس قلعه جي ـ عبد البر

عباس، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ت: ٣٨٤ ـ ٤٥٨هـ، تحقيق: الدكتور عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار البيان للتراث، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

- ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، محبّ الدّين أحمد بن عبد الله، ت: ٦٩٤ هـ، مكتبة القدسي، دار الكتب المصريّة، ١٣٥٦ هـ.

- الذرية الطاهرة النبوية، محمد بن حمّاد الدّولابي، تحقيق: سعد المبارك الحسن، الدار السلفية، الكويت، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م.

- روضة الواعظين، للفتال النيسابوري

- السنة لابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو بن الضّحّاك بن مخلّد الشيباني، ت: ٢٨٧هـ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ.

- السيرة الحلبيّة المسمّى إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، بهامشه السيرة النّبويّة والآثار المحمّديّة، أحمد زيني دحلان، المطبعة الأزهريّة، دار المعرفة، الطّبعة الثّالثة، ١٣٥١هـ ـ ١٩٣٢م.

- شرح الأخبار في فضائل الأئمّة الأطهار، القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي ت: ٣٦٣ هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، ط٢، ١٤٣١هـ. ق.

- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، أبو حامد، عزّ الدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني ت: ٦٥٦ هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة البابي الحلبي، الطبعة الثانية، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥م .

- الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وآله، القاضي عياض، أبو الفضل عياض

ابن موسى اليحصبي، ت: ٥٤٤ هـ، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

- شواهد التّنزيل لقواعد التّفضيل، الحاكم الحسكاني، عبيد الله بن أحمد الحذاء الحنفي النيسابوري من أعلام القرن الخامس الهجري، تحقيق وتعليق: محمد باقر المحمودي، مؤسّسة الطّبع والنّشر التابعة لوزارة الثّقافة والإرشاد الإسلامي الإيراني، مجمع إحياء الثّقافة الإسلاميّة، الطبعة الأولى، طهران، إيران، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م .

- الصّواعق المحرقة في الرّد على أهل البدع والزندقة، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي، المعروف بابن حجر الهيتمي، تحقيق: مصطفى بن العدوي، الشّحات أحمد الطّحان، عادل شوشة، مكتبة فيّاض، المنصورة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

- الصواعق المحرقة، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن حجر السعدي الهيتمي، ت: ٩٧٣هـ، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٩٩٧م.

- عالم الإشراق والذر، دراسة قرآنيّة، الدكتور نجم الفحام، ط١، ٢٠١٠م.

- عيون أخبار الرّضا، محمد بن علي بن بابويه، الصّدوق ت: ٣٨١ هـ، المطبعة الحيدريّة، النّجف الأشرف، ١٣٩٠ هـ، ١٩٧٠م .

- الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة، علي بن محمد بن أحمد، المعروف بابن الصّبّاغ المالكي المكّي ت: ٨٥٥ هـ، تحقيق: سامي الغريري، دار الحديث، الطبعة الأولى، قم، إيران، ١٤٢٢هـ.

- الكافي، ثقة الإسلام: الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، ط ١، منشورات الفجر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م ـ ١٤٢٨هـ.

- الكامل في التاريخ، علي بن محمد بن محمد ابن الأثير الجزري، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلميّة .

- كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، أبو الحسن علي بن عيسىٰ بن أبي الفتح الإربلي: ت: ٦٩٢هـ، تحقيق: علي الفاضلي، مطبعة ليلىٰ، إيران، ١٤٢٦هـ.

- كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق، مؤسّسة الأعلمي، تحقيق: حسين الأعلمي، ط٢، ١٤٣٧ هـ ـ ٢٠١٦ م.

- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتقي الهندي، تحقيق: صفوت السقا ـ بكري الحيّاني، مؤسسة الرسالة.

- كنز الفوائد، أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراجكي الطرابلسي، ت: ٤٤٩ هـ، تحقيق: العلّامة الشيخ عبد الله نعمة، دار الأضواء، بيروت.

- لباب التأويل في معاني التنزيل، المعروف بتفسير الخازن، أبو الحسن علي ابن محمد الخازن، ت: ٧٢٥ هـ، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

- مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ت: ٣٤٦ هـ، دار القارىء، ط١، ١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥ م .

- المسترشد في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، أبو جعفر محمد ابن جرير بن رستم، الطبري الإمامي ت: ق٤ هـ، تحقيق: أحمد المحمودي، مؤسّسة الثقافة الإسلاميّة، ط١.

- مسند أحمد، أحمد بن حنبل، وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، طبع ونشر: دار الفكر العربي .

- معالم التنزيل، المعروف بتفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود

البغوي، ت: ٥١٠ هـ، تحقيق: محمد عبد الله النمر ـ عثمان جمعة ضميرية ـ سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، ط٤، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م .

– معاني الأخبار، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، الصدوق ت: ٣٨١ هـ، تحقيق: محمد كاظم الموسوي، ط١، ١٤٣٥ ـ ٢٠١٤.

– المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ت: ٣٦٠ هـ تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية .

– مناقب آل أبي طالب، أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني ت: ٥٨٨ هـ، تحقيق: يوسف البقاعي، ط٢، إيران، ١٤٢٧هـ .

– مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، أبو الحسن علي بن محمد الواسطي، المعروف بابن المغازلي ت: ٤٨٣ هـ، دار مكتبة الحياة، الطّبعة الأولى، بيروت، لبنان، ١٤٠٠ هـ، ١٩٨٠ م.

– منتخب كنز العمال، علاء الدّين علي بن حسام الدّين، الشّهير بالمتّقي الهندي ت: ٩٥٧هـ، طُبع بهامش مسند الإمام أحمد، دار الفكر بيروت.

– منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل، عباس بن محمد رضا أبو القاسم القمّي ت: ١٣٥٩هـ، مطبوعات دار الأندلس، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م.

– مهج الدعوات ومنهج العنايات، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد ابن طاووس ت: ٦٦٤ هـ، منشورات الفجر، ط١، بيروت، لبنان، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢ م .

– هميان الزّاد إلى دار المعاد، للإباظي، محمد بن يوسف وهبي، عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٨.

– وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحر العاملي،

ط٣، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م .

- ينابيع المودّة لذوي القربى، سليمان بن إبراهيم الحنفي القندوزي ت: ١٢٩٤ هـ/ ١٨٧٧م، تحقيق: سيّد علي جمال أشرف الحسيني، دار الأسوة، إيران، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.



البحث الثامن

الاستشهاد بالنص القرآني

في كلام الإمام الهادي عليه السلام

م.م. زينة كاظم محسن

كلية الإمام الكاظم عليه السلام الجامعة

للعلوم الإسلامية



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدلله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين.

أمّا بعد:

فإنّ تراث الأمة يُحفظ في آثارها فكان لكثير من الأعلام والعلماء ذكر خالد رغم قلة ما وصل إلينا من مؤلّفاتهم لفقدان بعضها أو تناثر غيرها أو قلة البحث والتزود منها لعدم تسليط الضوء عليها فتركن في طي النسيان وهكذا..

ومن الملاحظ أنّ تراث الإمام الهادي عليه السلام لم يؤخذ بدراسات كثيرة فنجد بعضها ركز على جانب دون آخر، كما أنّ المؤلفات التي تناولت الإمام الهادي عليه السلام سيرته العطرة ولم تكن هناك دراسات متخصصة في دراسة تراث الإمام الهادي عليه السلام إلا قلة منها. وبعضها متشابهة في الطرح أو قصيرة الرصد أو مقلّدة لما سبق..

وعليه وجدتُ الرغبة بالمشاركة بمحور الدراسات القرآنية والحديثية ببحث متواضع عنونته بـ (الاستشهاد بالنص القرآني في كلام الإمام الهادي عليه السلام)، وبعد مطالعاتي الكثيرة في تراث الإمام الهادي عليه السلام في الموسوعات التي جمعت كلام الإمام الهادي عليه السلام وما نُقل عنه في المصادر المتفرّقة وجدت الكثير من الشواهد القرآنية في كلامه عليه السلام، والمصادر الحديثية التي نجد الإمام ردَّ على سائليه بنص قرآني، علماً أنّي أسعى في هذا البحث إلى تعقب النصوص القرآنية التي يستشهد بها الإمام الهادي عليه السلام

وتحليلها في سبب توظيفها، قسمتُ البحث إلى مبحثين أتناول في الأول منهما: الاستشهاد في اللغة وفي كلام الإمام الهادي عليه السلام نظرة شمولية. والمبحث الثاني فيتناول النص القرآني في كلام الإمام الهادي عليه السلام من توظيف النصوص القرآنية، ومعالجتها، وتفسير المفردات القرآنية.

وأخيراً لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل وموفور الامتنان للّجنتين القائمتين على المؤتمر في دقة اختيار الشعار والمحاور. وإتاحة مثل هذه الفرص لتلاقح الأفكار بين الباحثين وطلباً للتزود من معين الإمام الهادي عليه السلام.

وآخر دعوانا أنِ الحمدلله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين..

أهداف البحث:

١- الوقوف على النصوص القرآنية وتحليلها عند الإمام الهادي عليه السلام.

٢- جرد الشواهد القرآنية وإحصاؤها.

٣- منهج الإمام عليه السلام في معالجة النصوص القرآنية وتحليلها.

٤- الموضوعات التي كثُر فيها الاستشهاد القرآني.

٥- التدبر في سبب اختيار الإمام عليه السلام لشاهد قرآني دون غيره.

المبحث الأول

الاستشهاد في اللغة:

الاستشهاد لغة: الجذر الثلاثي اللغوي الشين والهاء والدال فدلالته عند ابن فارس (٣٩٥هـ) في أصل واحد، أي: دلالة الحضور والعلم والإعلام[١].

واستشهده على الشيء: إذا سأله أن يشهد عليه، قال الله تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ﴾ واسْتُشهد الرجلُ: إذا قُتل في سبيل الله تعالى[٢].

طلب الشهادة طلب تحمل الشهادة أو أدائها، الاستشهاد في سبيل الله الموت في سبيل الله Martyrdom إقامة الدليل على دعوى، ومنه قولهم: يستشهد على صحة هذا بالحديث أو بالآية Quotation [٣] .

الشاهد القرآني في كلام الإمام الهادي عليه السلام نظرة شمولية:

إنّ القرآن الكريم له من الحضور والقداسة عند كلّ مؤمن حتى يجعله دستوراً لحياته، ومرجعاً ومؤنساً في أكثر أوقاته.. فما بال من نزل القرآن في بيوتهم وتوارثوا هدي القرآن وكانوا أهله وحملته؟

بالتأكيد سيكون كتاب الله مصدر تزودهم ومحل تحاججهم وميدان تصديهم للردّ على كلّ تساؤل واشتباه وتحاجج وإشكال وتفسير وتأويل فضلاً عن هذا كله

---

(١) مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس، تحقيق: أحمد بن فارس، (شهد): ٣/ ٢٢١.

(٢) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م: ٦/ ٣٥٧٣-٣٥٧٤.

(٣) معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي وحامد صادق قنيبي، الطبعة الثانية، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م: ٦١.

سيكون القرآن مصدر استشهادهم فيوضحون القرآن بالقرآن، أو يكون ما يروون عن آبائهم من نصوص حديثية تنطلق من القرآن أو يكون النص القرآني شاهداً لما جاء في السنة المطهرة.

لقد كان حضور النص القرآني في كلام الهادي كبيراً جداً ما بين توضيح ما غُمض، وترشيد ما اشتبه، وإيراد ما يبين، وتحليل ما سُئل عنه، فنجده مفسراً وشارحاً ومبيناً ومفصلاً ومستشهداً بالنص القرآني في أكثر مواضع كلامه، وقد أولى القرآن الكريم عناية فيوصي بقراءته حين سئل: «عن عليّ بن مهزيار حاملاً سؤالاً إلى أبي الحسن عليه السلام...: فأحببت أن تخبرني يا مولاي كيف أصنع في قراءة: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ أقتصر عليها وحدها في فرائضي وغيرها؟ أم أقرأ معها غيرها؟ أم لها حدّ أعمل به؟ فوقّع عليه السلام وقرأت التوقيع: لا تدع من القرآن قصيره وطويله، ويجزؤك من قراءة: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ يومك وليلتك مئة مرّة»[1].

ومن التتبع في المصادر، وتعقب النكات التفسيرية نجد الجهد القرآني في كلام الهادي عليه السلام تنوع ما بين التفسير والتأويل والاستشهاد بالقرآن الكريم، فبلغ عدد الآيات التي وردت في هذا السياق قرابة (مئة وثلاث وخمسين آية في خمس وأربعين سورة قرآنية)[2].

شواهد الإمام الهادي عليه السلام في المسائل الاعتقادية:

حيث نلاحظ أنّ الإمام عليه السلام يسوق الأدلة العقلية والنقلية ويورد الشاهد القرآني من كتاب الله في إثبات العدل والمنزلة بين المنزلتين إذ يقول عليه السلام «فلما وجدنا شواهد هذا الحديث في كتاب الله نصاً مثل قوله جلَّ وعزَّ: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ**

(١) موسوعة الإمام الهادي عليه السلام، أبو الفضل الطباطبائي، أبو الفضل الإسماعيلي، إشراف: أبو القاسم الخزعلي، الطبعة الأولى، مؤسسة ولي العصر للدراسات الإسلامية، قسم المشرفة، ١٤٢٣هـ، برنامج ألكتروني.

(٢) ينظر المصدر نفسه: الباب السادس الفصل الأول: ما ورد عنه عليه السلام في القرآن.

وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾»[1][2].

ومن الملاحظ في احتجاجات الإمام عليه السلام أنّه يورد النص القرآني بعد أن يذكر ما يحتج به ويضع الأساس الذي استند عليه من القرآن الكريم ليكون شاهداً على كلامه إذ يقول: « تشهد به محكمات آيات الكتاب وتحقق تصديقه عند ذوي الألباب وبالله التوفيق والعصمة، فأمّا الجبر الذي يلزم من دان به الخطأ فهو قول من زعم أنّ الله جلَّ وعزَّ أجبر العباد على المعاصي وعاقبهم عليها ومن قال بهذا القول فقد ظلم الله في حكمه وكذّبه وردَّ عليه قوله: **﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هُذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾**[3] وقوله: **﴿وَلَقَد أَرسَلنَا مِن قَبلِكَ فِي شِيَعِ الأَوَّلِينَ﴾**»[4][5].

وقد بلغ عدد الشواهد القرآنية التي استشهد بها الإمام في هذا الموضوع عشرين آية قرآنية. تركت إيراد النص لطوله لكن يلاحظ القارئ في احتجاج الإمام عليه السلام أنه يسوق النص القرآني مستشهداً به في مرتبة الدليل النقلي تارةً وفي تعضيد النص الروائي تارةً أخرى معبراً عنه في التوافق فيما ذكرته الروايات واتفقت معه النصوص القرآنية نحو قوله[6]: «وذلك أنّ أقاويل آل رسول الله صلى الله عليه وآله متصلة بقول الله وذلك

---

(١) سورة المائدة: ٥٥ – ٥٦.

(٢) من أروع ما قاله الإمام علي الهادي عليه السلام، محسن عقيل، الطبعة الأولى، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، ١٤٣٠هـ–٢٠٠٩م: ٢٨.

(٣) سورة الكهف: ٤٩.

(٤) سورة الحجر: ١٠.

(٥) المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

(٦) تحف العقول عن آل الرسول، أبو محمد الحسن بن علي بن شعبة الحرّاني، الطبعة الأولى، دار الكتاب

مثل قوله في محكم كتابه: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا**﴾[1] ووجدنا نظر هذه الآية قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «من آذىٰ عليًّا فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذىٰ الله، ومن آذىٰ الله يوشك أن ينتقم منه».

العربي، لبنان، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م: ٤٩١.

(١) سورة الأحزاب: ٥٧.

المبحث الثاني

النص القرآني في كلام الإمام الهادي عليه السلام

التوظيف للشاهد القرآني في كلام الإمام الهادي عليه السلام:

إنّ توظيف النص القرآني في كلام الإمام الهادي عليه السلام نجده حاضراً في الدعاء، إذ أنّه يجعل حضور النص القرآني ما يضفي على الداعي جوّ الاتصال بربّ الأرباب وطلب الحوائج منه عزَّ وجلَّ والتفزع إليه.

وقد جاء النص القرآني في دعاء الإمام عليه السلام على شكلين هما:

١- النقل المباشر للنص القرآني: ويكون بذكر النص القرآني في الدعاء من باب الاستشهاد من كلام وطلب الأمر منه كما قال في كتابه وضمن في مورد إجابته بحسب الشرط وذكر مناسبة الدعاء كما نلاحظ ذلك في سياق النص القرآني من قبيل دعاء الأنبياء في كتاب الله كدعاء نبي الله موسى عليه السلام: ﴿**قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي**﴾[١]، وهكذا ما ورد على لسان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأيوب ويعقوب عليهم السلام فضلاً عن أدعية القرآن العامة والخاصة.

وجاء في دعاء الإمام الهادي عليه السلام في قضاء الحوائج إذ يقول[٢]: (اللهم دللت عبادك على نفسك فقلت تباركت وتعاليت: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَيستَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤمِنُواْ بِي لَعَلَّهُم يَرشُدُونَ**﴾[٣]، وقلت: ﴿**قُل يُعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم لَا تَقنَطُواْ مِن رَّحمَةِ ٱللهِ إِنَّ اللهَ يَغفِرُ الذُّنُوبَ**

---

(١) سورة طه: ٢٥-٢٨.

(٢) موسوعة كلمات الإمام الهادي عليه السلام: ٣٢٩.

(٣) سورة البقرة: ١٨٦.

جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[١] ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾[٢]، أجل يا رب نعم المدعو أنت ونعم الرب ونعم المجيب، وقلت: ﴿قُلِ ادعُواْ اللهَ أَوِ ادعُواْ الرَّحمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدعُواْ فَلَهُ الأَسمَآءُ الحُسنَىٰ وَلَا تَجهَر بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِت بِهَا وَبتَغِ بَينَ ذَٰلِكَ سَبِيلا﴾[٣].

ومن الملاحظ أنّ التذلل لله في طلب الحوائج يكون بتمجيده وتعظيمه والثناء عليه، علاوة على ذلك أن يذكر الداعي نصاً قاله رب الحوائج وملاذ المحتاجين ما أمر به عباده من الدعاء وأخذ على نفسه بإجابة الداع إذا دعاه.

وفي دعائه في دفع كيد الظالم: «فإنّك قلت وقولك الحق لا يرد ولا يبدل: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللهُ إِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾[٤] وقلت جلّ جلالك وتقدست أسماؤك: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾»[٥].

٢- النقل غير المباشر للنص القرآني: وذلك أن يذكر الإمام عليه السلام جزءاً من آية وجملة منها وهذا إنّما يدل على التأثر بالنص القرآني من جهة، واعتماد الإمام عليه السلام في إنشاء دعائه على البلاغة القرآنية وربطه بموضع الحاجة المؤدية للدعاء، ولا يبعد هذا التلوين القرآني والممازجة بين لغة الدعاء بين القرآن الكريم وبلاغة الإمام عليه السلام العالية التي تمكنه من هذا الربط والممازجة، وقدرته على تكوين نص دعائي قائم بذاته لموضوع مستقل ومعين يطلبه الداعي وقت ما شاء.

وممّا ورد في دعائه عليه السلام للقنوت: «اللهم اكشف العذاب عن المؤمنين» وفي

---

(١) سورة الزمر: ٥٣.

(٢) سورة الصافات: ٧٥.

(٣) سورة الإسراء: ١١٠.

(٤) سورة الحج: ٦٠.

(٥) سورة غافر: ٦٠.

دعائه أول ليلة من رجب «أسألك يا مولاي بالفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل إذا يسر وما جرىٰ قلم الأقلام بغير كف ولا إبهام...»[١].

وهذا من قبيل ما ورد في سورة الفجر، فقد جاءت سياق الآيات ورود القسم في أربع آيات وقد أوردها الإمام عليه السلام جميعاً لكنه سأل الله بها وأتىٰ بعبارة «وما جرىٰ قلم الأقلام بغير كف ولا إبهام...» التي نلحظ فيها الكناية عن ذكر قدرة الله وإعجازه وأنه سبحانه لا يعجزه شيء إلا أن حكمة استجابة الدعاء راجعة لمحض حكمته بما يصلح العباد والبلاد وما فيه مصلحتهم.

﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾[٢] وفي دعاء الاحتجاب: «قل من يكلؤكم بالليل والنهار الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون...»[٣].

معالجة النصوص القرآنية عند الإمام الهادي عليه السلام:

يأتي النص القرآني ليدل علىٰ دوال ومعانٍ عدة، ويأخذ هذا الدلالات من سياق الآيات وما يحتمل اللفظ من تعدد، فضلاً عن عموم معنىٰ الآية يحتاج إلىٰ تخصيص وتوضيح.

قال عليه السلام: «إنّ الله جعل قلوب الأئمة مورداً لإرادته فإذا شاء شيئاً شاؤوا، قول الله: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾»[٤]. ثم قال عليه السلام: «فإن قالوا: ما الحجة في قول الله تعالىٰ: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ

(١) موسوعة كلمات الإمام الهادي عليه السلام: ٣٢٧.

(٢) سورة الفجر: ١-٤.

(٣) من أروع ما قاله الإمام الهادي عليه السلام: ١١٩.

(٤) سورة الإنسان: ٢٩.

تَعْمَلُونَ﴾[١] وما أشبه بذلك؟ قلنا: فعلىٰ مجاز هذه الآية يقتضي معنيين:

أمّا أحدهما: فإخبار عن قدرته، أي أنّه قادر علىٰ هداية مَن يشاء، وضلال مَن يشاء، وإذا أجبرَهم بقدرته علىٰ أحدهما لم يجب لهم ثواب ولا عليهم عقاب، علىٰ نحو ما شرحنا في الكتاب.

والمعنىٰ الآخر: إنّ الهداية منه: التعريف كقوله تعالىٰ: ﴿**وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[٢]، وليس كلّ آية مشتبهة في القرآن كانت الآية حجة علىٰ حكم الآيات الآتي أمر بالأخذ بها وتقليدها وهي قوله: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾[٣]، والآية وقال: ﴿**الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾[٤]، وفقنا الله وإيّاكم لما يحبُّ ويرضى ويقرّب لنا ولكم الكرامة والزلفىٰ، وهدانا لما هو لنا ولكم خير وأبقىٰ، إنّه فعال لما يريد الحكيم الجواد المجيد»[٥].

وعن الشيخ الصدوق مسنداً عن محمد بن عيسىٰ بن عبيد محدثاً عن الإمام الهادي عليه السلام[٦]، قال سألته عن قوله تعالىٰ: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا**

---

(١) سورة النحل: ٩٣.

(٢) سورة فصلت: ١٧.

(٣) سورة آل عمران: ٧.

(٤) سورة الزمر: ١٨.

(٥) تحف العقول عن آل الرسول: ٥٠٩.

(٦) ينظر: موسوعة كلمات الإمام الهادي عليه السلام: إعداد لجنة الحديث في معهد باقر العلوم محمود الشريفي وآخرون، الطبعة الإولىٰ، الشركة الدولية للطباعة والنشر، إيران، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م: ١٠٩.

قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1]، فأجابه الإمام عليه السلام: «إنّ في هذه الآية تعبير الجبار المتعال رداً لمن شبهه بخلقه وذلك في أول الآية: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾، ثمّ أورد الإمام الشاهد القرآني في معرض كلامه قال تعالىٰ: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ**﴾[2]»، ونلاحظ أنه يأخذ كل مقطعاً من الآية فيبين ما دلّ عليه فكانت الآية في تحليله تحوي ثلاث إشارات وهي:

١- نفىٰ سبحانه وتعالىٰ التشبيه بخلقه لمن شبهه بذلك.

٢- نزه عن نفسه القبضة واليمين، ذيل الآية ﴿**تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾.

٣- عضّد الإمام ذكر الشاهد من سورة الأنعام كما لاحظنا أعلاه.

شواهد القرآن على الابتلاء:

يذكر الإمام الهادي عليه السلام في الآية التي تدل علىٰ موضوع واحد ألا وهو موضوع الابتلاء فيورد كلّ الآيات الدالة علىٰ معنىً واحد ومن ذلك ما يذكره.

«فأمّا شواهد القرآن علىٰ الاختبار والبلوىٰ والاستطاعة التي تجمع القول بين قولين فكثيرة ومن ذلك قوله: ﴿**وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[3] وقال: ﴿**الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ**﴾[4]، وقال في الفتن التي معناها الاختبار: ﴿**وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ**

---

(١) سورة الزمر: ٦٧.

(٢) سورة الأنعام: ٩١.

(٣) سورة الأعراف: ١٨٢.

(٤) سورة العنكبوت: ١-٢.

لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[١]، وقال في قصة قوم موسىٰ: ﴿**قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ**﴾[٢]، وقول موسىٰ: ﴿**هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ**﴾[٣]، أي: اختبارك، فهذه الآيات يقاس بعضها ببعض ويشهد بعضها لبعض، وأمّا آيات البلوىٰ بمعنىٰ الاختبار قوله: ﴿**لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ**﴾[٤]، وقوله: ﴿**صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ**﴾[٥]، وقوله: ﴿**إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ**﴾[٦]، وقوله: ﴿**خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾[٧]، وقوله: ﴿**وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ**﴾[٨]، وقوله: ﴿**وَلَوْ يَشَاءُ اللهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ**﴾[٩] وكلّ ما في القرآن من بلوىٰ هذه الآيات التي شرح أولها فهي اختبار وأمثالها في القرآن كثيرة، فهي لإثبات الاختبار والبلوىٰ إنّ الله جلَّ وعزَّ لم يخلق الخلق عبثاً، ولا أهملهم سدىً، ولا أظهر حكمته لعباً، وبذلك أخبر في قوله: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**﴾[١٠]، إلىٰ آخر الحديث[١١].

وفي معاني المفردات القرآنية نجد في كلام الإمام الهادي عليه السلام: ذكر بعض الدلالات منها:

---

(١) سورة ص: ٤٣.

(٢) سورة طه: ٨٥.

(٣) سورة الأعراف: ١٥٥.

(٤) سورة المائدة: ٤٨.

(٥) سورة آل عمران: ١٥٢.

(٦) سورة القلم: ١٧.

(٧) سورة الملك: ٢.

(٨) سورة البقرة: ١٢٤.

(٩) سورة محمد: ٤.

(١٠) سورة المؤمنون: ١١٥.

(١١) ينظر: تحف العقول:٥٠٨.

معنى الرجيم[١]: «معنى الرّجيم: أنّه مرجوم باللّعن، مطرود من مواضع الخير، لا يذكرهُ مؤمن إلّا لعَنة، وإنّ في عِلم الله السابق، أنّه إذا خرجَ القائم عليه السلام، لا يبقى مؤمن في زمانه إلّا رَجَمه بالحجارة كما كان قبل ذلك مرجوماً باللّعن فالشيطان الرّجيم معناه ـ لعنه الله: أنّه المطرود من رحمة الله بعد معصيته حين لم يُطع أمر ربّه بالسجود لآدم عليه السلام، وقد صارَ منذئذٍ ملعوناً من سائر المؤمنين بقول الله، وهم يرجمونه بالحجارة في مِنى أيام الحج رامزين بذلك إلى طرده ودَحره؛ لأنّه عدوّ بني آدم الذي يُغريهم بالفساد، وفي أيام القائم عجّل الله تعالى فرجه يُسلم أهل الأرض ويرجمونه جميعاً بالحجارة بعد الإفاضة من عَرَفات والمُزدلفة، علامةً على إيمانهم بما جاء من عند الله، وإشارةً إلى عداوته لهم وإلى إبعاده عنهم برمْيه بالحجارة»[٢].

كلمات الله:

ما ورد عن يحيى بن أكثم يسألني عن عشر مسائل، أو تسع، فدخلت على أخي عليه السلام فقلت له: «... وأخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَتُ اللهِ...﴾؟

قال عليه السلام...: ونحن الكلمات التي لا تدرك فضائلنا ولا تستقصى...».

وأختتم البحث بما ورد في كلام الإمام الهادي عليه السلام عند سؤاله عن المهدي المنتظر (عج):

وقد سُئل الإمام عليه السلام عن الفرج للمؤمنين بحفيده المنتظر عليهما السلام؟ فقال:

«إذا رُفِع عِلمكم من بين أظهركم، فتوقّعوا الفرَج من تحت أقدامكم».

---

(١) مسند الإمام الهادي عليه السلام، جمعه ورتبه: عزيز الله العطاردي، الطبعة الثانية، انتشارات عطارد، إيران، ١٣٩١: ١٨٠.

(٢) مسند الإمام الهادي عليه السلام: ١٨٠.

الخاتمة:

١- كثرة استشهاد الإمام الهادي عليه السلام بالنص القرآني.

٢- تتوزع النصوص القرآنية بين الموضوعات المختلفة فتارةً نجد النص حاضراً حتىٰ في إجابات الإمام لأسئلةٍ عامةٍ من السائلين.

٣- اتخذ الإمام الهادي عليه السلام منهجاً خاصاً في النص القرآني كما تبين في المطالب السابقة.

٤- كثرة التفسيرات القرآنية التي ذكرها الإمام عليه السلام والتي تحمل معان مختلفة وتدل علىٰ تنوع الدلالات.

الملخص:

يتناول البحث الموسوم بـ(الاستشهاد بالنص القرآني في كلام الإمام الهادي عليه السلام)

والمبحث الثاني فيتناول النص القرآني في كلام الإمام الهادي عليه السلام من توظيف النصوص القرآنية، ومعالجتها، وتفسير المفردات القرآنية.

لقد كان حضور النص القرآني في كلام الهادي كبيراً جداً ما بين توضيح ما غُمض، وترشيد ما اشتبه، وإيراد ما يبين، وتحليل ما سُئل عنه، فنجده مفسراً وشارحاً ومبيناً ومفصلاً ومستشهداً بالنص القرآني في أكثر مواضع كلامه، وقد أولىٰ القرآن الكريم عناية فيوصي بقراءته حين سئل: «عن عليّ بن مهزيار حاملاً سؤالاً إلىٰ أبي الحسن عليه السلام...: فأحببت أن تخبرني يا مولاي كيف أصنع في قراءة: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ أقتصر عليها وحدها في فرائضي وغيرها؟ أم أقرأ معها غيرها؟ أم لها حدّ أعمل به؟ فوقّع عليه السلام وقرأت التوقيع: لا تدع من القرآن قصيره وطويله، ويجزؤك من قراءة ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ يومك وليلتك مئة مرّة».

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١- تحف العقول عن آل الرسول، أبو محمد الحسن بن علي بن شعبة الحرّاني، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، لبنان، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م.

٢- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري ـ مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

٣- مسند الإمام الهادي، جمعه ورتبه:عزيز الله العطاردي، الطبعة الثانية، انتشارات عطارد، إيران، ١٣٩١هـ.

٤- معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي وحامد صادق قنيبي، الطبعة الثانية، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٥- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، د.ط، د.ت.

٦- من أروع ما قاله الإمام علي الهادي عليه السلام، محسن عقيل، الطبعة الأولى، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

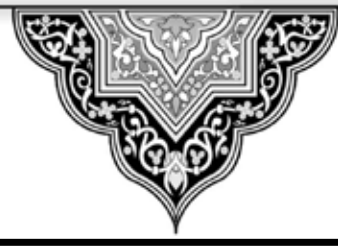
٧- موسوعة الإمام الهادي عليه السلام، أبو الفضل الطباطبائي، أبو الفضل الإسماعيلي، إشراف: أبو القاسم الخزعلي، الطبعة الأولى، مؤسسة ولي العصر للدراسات الإسلامية، قسم المشرفة، ١٤٢٣هـ، برنامج ألكتروني.

٨- موسوعة كلمات الإمام الهادي عليه السلام: إعداد لجنة الحديث في معهد باقر العلوم محمود الشريفي وآخرين، الطبعة الأولى، الشركة الدولية للطباعة والنشر، إيران، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.



المحور الثاني

العقائد وعلم الكلام





البحث الأوّل

الأُصولُ العقَدِيَّةُ والقَواعِدُ الفِقْهيَّةُ

عندَ الإمامِ عليّ الهادي (عليه السَّلام)

الدُّكتور جَبَّار كَاظِم المُلَّا

الدُّكتورة سكينة عزيز الفتليّ

كُلِّيَّةُ العُلُومِ الإِسْلَامِيَّةِ

جامعةُ بابلَ



الكلمات المفتاحيَّة: (أصول، عقدية، فقهية، إمام، الهادي)

ملخصُّ البَحْثِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمينَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على النَّبِيّ المؤيَّد المنصور المسدَّد أبي القاسم محمَّد صلى الله عليه وآله، وعلى أهل بيته الطَّيِّبينَ الطَّاهرينَ (صلواتُ اللهِ عليهِمْ أجمعينَ)، وَعَلَى صحبِهِ الأخيار المنتجبينَ..

إنَّ الإمامَ علياً الهادي عليه السلام من أئمة أهل البيت الَّذين أذهبَ اللهُ عنهم الرِّجْسَ وَطَهَّرهُمْ تطهيرًا، وأمرنا بالرّجوع إليهم، إذ قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾[1]، وهو أحد العَسْكَرِيَّيْنِ (صلواتُ اللهِ عليهما)؛ لذا الوقوف على تراثه؛ لاستنباط الأصول العقديَّة والقواعد الفقهية موضوعٌ جدير بالدِّراسة؛ لذا اخترناه ليكون عنوانًا لبحثنا، فسمَّيناه بـ (الأصولُ العقديَّة والقواعدُ الفِقْهيَّة عِنْدَ الإمام عليّ الهاديعليه السلام)، ومن هنا تظهر أهميَّة الموضوع وأسباب اختياره.

والبحث يهدف إلى أمورٍ عدَّة، أحدها: الكشف عن الأصول العقديَّة في تراث الإمام عليّ الهاديعليه السلام، والثَّاني: الكشف عن الأصول الفقهيَّة في تراث الإمام عليّ الهاديعليه السلام، والثَّالث: إبراز عبقريَّة الإمام عليّ الهاديعليه السلام في طرح هذه المضامينَ بدقَّةٍ عاليةٍ، وصياغةٍ متميِّزةٍ، والرَّابع: بيان صلة تلك القواعد بالقرآن، والخامس: توظيف

(١) سورة النحل: ٤٣.

تلك القواعد لتفسير النَّصِّ القُرآنيّ على المستويينِ العقَدِيّ والفِقهِيّ، والسَّادس: تنبيه طلبة الدِّراسات القرآنيَّة إلى أهميَّة مضامينِ تراث العسكريَّيْنِ عليهما السلام بعامَّةٍ، وتراث أوَّل العسكريَّيْنِ بخاصَّةٍ، الإمام عليّ بن محمَّد الهادي عليهما السلام، والسَّابع: بيانُ دورِ الإمام في حركةِ التَّصحيح الفكريّ في عمومِ الفكرِ الإسلامِيّ بعامَّةٍ، وفي ميادينِ الفكرِ العقَدِيّ، والفكرِ الفِقهِيّ بخاصَّةٍ.

Keywords: (Origins، Contractual، Jurisprudence، Imam، Hadi)

Research Summary

In the name of of Allah the Merciful Praise be to Allah، Lord of the Worlds، and prayers and peace be upon the Prophet Mu'assid al-Mansur al-Maqdid Abu al-Qasim Muhammad (peace and blessings of Allaah be upon him) and his good and pure householders (God's prayers upon them all) Imam Ali al-Hadi (peace be upon him) of the imams of the people of the house who I go from God abomination and purified purifying them، and ordered us to return to them، as the Almighty said: "Omaa sent by you، but men suggest to them and ask the people of the Koran if you do not know the bees (٤٣)، One of the military (the prayers of God); so stand on his heritage; to develop the doctrinal assets and jurisprudence rules worthy of study; so we chose to be the title of our research، Vsminha B (assets nodal and jurisprudential rules at Imam Ali Hadi، peace be upon him)، Hence the importance of the subject and the reasons for his choice. The research aims at several things، one of which is: the disclosure of the nodal assets in the heritage of Imam Ali al-Hadi (peace be upon him)، and the second: the disclosure of jurisprudential assets in the heritage of Imam Ali al-Hadi (peace be upon him) And the fifth: the use of those rules to interpret the Koranic text at the contractual and doctrinal levels، and sixth: to alert students of Quranic studies to the importance of the contents of the heritage of the military (they have to pray) In general، and the heritage of the first military in particular، Imam Ali bin Mohammed Hadi (peace be upon them)، VII: Statement of Imam's role in the intellectual correction in the pan-Islamic movement of thought in general، and in the fields of lumpy thought، thought and idiosyncratic in particular.

المُقَدِّمَةُ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمينَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على النَّبيّ المؤيَّد المنصور المسدَّد أبي القاسم محمَّد صلى الله عليه وآله، وعلى أهل بيته الطَّيِّبينَ الطَّاهرينَ (صلواتُ اللهِ عليهِمْ أجمعينَ)، وَعَلَى صحبِهِ الأخيار المنتجبينَ .

إنَّ بحثنا الموسوم بـ(الأُصُولُ العقَدِيَّةُ والقَواعِدُ الفِقْهيَّةُ عندَ الإمامِ عليّ الهادي عليه السلام) بنيناه على مقدِّمة، ومَدْخَلٍ تَعْرِيفِي بِالإِمَام عليّ الهاديّ عليه السلام، وخمسة نقاطٍ رئيسةٍ كونَتْ متن البحث، أَمَّا النقطة الأولى، فقد تضمَّنَتْ قَاعِدَةَ: (إنَّ الْمُعْجِزَةَ مُشَابِهَةٌ لِأَرْقَى فُنُونِ العَصْرِ)، وأمَّا النقطة الثانية، فقد تضمَّنَتْ قَاعِدَةَ: (إنَّ الإِيمَانَ لِدَفْعِ البَأْسِ لَا يَنْفَعُ فِي دَفْعِهِ)، وأمَّا النقطة الثالثة، فقد تضمَّنَتْ قَاعِدَةَ: (كِفَايَةُ الغُسْلِ مُطْلَقًا عَنِ الوُضُوءِ)، وأمَّا النقطة الرابعة، فقد تضمَّنَتْ: الأصل العملي لـ (سَجْدَةُ الشُّكْرِ)، وأمَّا النقطة الخامسة، فقد تضمَّنَتْ قاعدة: (الأَيَّامُ الَّتِي يستحبُّ فيها الصِّيامُ).

وقد توصلنا في الخاتمة إلى أنَّ هذه الأصول هي ما ترشحَّ لنا من بعض أجوبته – بحسب ما وقفنا عليه – على بعض المسائل التي سئل عنها، وبعضها الآخر ترشح لدى الفقهاء – في الاستدلال الفقهي – استناداً إلى ما روي عنه، إلا أنَّنا أثبتنا عدم صحة المروي عنه – سندًا – المستدل به على أصل (كِفَايَةُ الغُسْلِ مُطْلَقًا عَنِ الوُضُوءِ) عند الشريف المرتضى.

وآخر دعوانا أَنِ الحمدُ لله ربِّ العالمينَ

الباحثانِ

مَدْخَلٌ تَعْرِيفِيٌّ بِالإِمَام عليّ الهاديّ عليه السلام

إنَّ الإمام عليّ بن محمَّد الهادي، هو عاشر أئمة الشِّيعة الاثني عشريَّة، والثَّاني عشر من المعصومينَ الأربعةَ عشرَ عليهم السلام. وهو علي بن محمد بن علي بن موسىٰ بن جعفر بن محمد بن الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك ابن قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد ابن عدنان. ويكنَّىٰ بـ (أبي الحسن)، ويعبر عنه في الأحاديث المروية عنه بـ (أبي الحسن الثالث)[1]، أو بـ (أبي الحسن الأخير)؛ للتَّفريق بينه وبين (أبي الحسن الأول) كنية الإمام موسىٰ الكاظم (صلوات الله وسلامه عليه)، و(أبي الحسن الثَّاني) كنية عليّ بن موسىٰ الرضا (صلوات الله وسلامه عليه)، وأمه أم ولد، واسمها سمانة، ويقال لها سمانة المغربية، ولها أسماء أخرىٰ، نحو (سوسن، جمانة)، وتكنىٰ بأُم الفضل. ويروي أبو جعفر الطبري الإمامي وغيره بالإسناد عن محمد بن الفرج بن إبراهيم بن عبد الله ابن جعفر، قال: دعاني أبو جعفر محمد بن علي بن موسىٰ عليهما السلام، فأعلمني أن قافلة قد قدمت وفيها نخّاس معه جَوارٍ، ودفع إليَّ سبعين دينارًا، وأمرني بابتياع جارية وصفها لي، فمضيت وعملت بما أمرني به، فكانت تلك الجارية أم أبي الحسن عليه السلام، وزوجته حديثة، وكنيتها أُمّ الحسن، وأُم أبي محمّد، وتعرف بالجدّة، أي: جدّة الإمام محمد بن الحسن المهدي عليه السلام. ولد في صريا، قرية في نواحي المدينة المنورة، في منتصف ذي الحجة سنة (٢١٢هـ)، وقد اختلف المحدثون في تاريخ ولادته علىٰ أقوال: أحدها: إنَّه وُلد في شهر رجب، ويؤيد هذا القول، الدعاء المروي عن الإمام الثاني عشر: «اللهم إني أسألك بالمولودين في رجب: محمد بن علي الثاني، وابنه علي بن محمد المنتجب...»، وذُكِرَ أنَّ ولادته كانت في الثاني من شهر رجب، أو الخامس منه [2].

---

(١) الطوسي / مصباح المتهجد / ٧٤١.

(٢) المصدر نفسه / ٧٤١، العلّامة الحلي / منتهىٰ المطلب، ٩ / ٣٧٣ .

الثاني: إنَّه ولد في الليلة الثالثة عشرة منه، سنة (٢١٤هـ).

الثالث: إنَّه ولد سنة (٢١٢هـ).

والرابع: إنَّ ولادته كانت في النصف من ذي الحجة، أو السابع والعشرين منه.

انتقل أمر الإمامة إلى الهادي بعد والده الجواد، وهو في المدينة آنذاك. وكان له يومئذٍ من العمر ثمان سنوات. ومدّة إمامته نحو أربع وثلاثين سنة.

نقش خاتمه (اللهُ رَبِّي وَهُوَ عِصْمَتِي مِنْ خَلْقِهِ) ، وشعراؤه: العوفي، والديلمي، ومحمد بن إسماعيل الصيمري، وأبو تمام الطائي، وأبو الغوث أسلم بن مهوز المنبجي، وأبو هاشم الجعفري، والحماني.

ملوك عصره: المعتصم، والواثق، والمتوكل، و المنتصر، وأحمد المستعين بالله، والمعتز، بقي الإمام الهادي في المدينة بقية خلافة المعتصم العباسي وأيام خلافة الواثق العباسي، حيث مضى على إمامته ١٢ عاماً، فلما تولّى المتوكل الخلافة، خشي منه القيام ضده فاستقدمه إلى العراق، ليكون قريباً منه يراقبه ويسهل الضغط عليه. ويبدو أنه لم يستقدمه إلا بعد أن توالت عليه الرسائل من الحجاز تخبرهو بأن الناس في الحرمين يميلون إليه، وكانت زوجة المتوكل التي يبدو أنه أرسلها لاستخبار الأمر ممن بعثوا الرسائل. ويبدو من طريقة استقدام الإمام أن المتوكل كان شديد الحذر في الأمر، حيث بعث بسرية كاملة من سامراء إلى المدينة لتحقيق هذا الأمر.

وقد كتب المتوكل إلى الإمام رسالة جاء فيها: «فقد رأى أمير المؤمنين صرف عبد الله بن محمد عما كان يتولى من الحرب والصلاة بمدينة الرسول إذ كان على ما ذكرت من جهالته بحقك، واستخفافه بقدرك، وعندما قرنك به ونسبك إليه من الأمر الذي قد علم أمير المؤمنين براءتك منه وصدق نيتك وبرّك وقولك وأنك لم تؤهل نفسك لما قرفت بطلبه وقد ولى أمير المؤمنين ما كان يلي من ذلك محمد بن الفضل وأمره بإكرامك وتبجليك والانتهاء إلى أمرك ورأيك، والتقرب إلى الله وإلى

أمير المؤمنين بذلك. وأمير المؤمنين مشتاق إليك يحب إحداث العهد بك والنظر إلى وجهك»

وعندما نزل الهادي مدينة سامراء أسكنه المتوكل في خان الصعاليك لمدة ثلاثة أيام، قبل أن يدخل عليه. والمتوكل العباسي المعروف بشدَّة بطشه وبغضه لأهل البيت الفاطميين، أراد أن يبقي علي الهادي قريباً منه حتى يسهل عليه القضاء عليه أنى شاء. إلا أن الإمام أخذ ينفذ إلى عمق سلطته، ويمد نفوذه إلى المقربين من أنصار المتوكل.

ولعل القصة الآتية تعكس جانباً من تأثير الإمام في بلاط العباسيين:

(مرض المتوكل من خراج خرج به، فأشرف منه على التلف، فلم يجسر أحد أن يمسه بحديدة، فنذرت أمه إن عوفي أن تحمل إلى أبي الحسن علي بن محمد مالاً جليلاً من مالها). وقال له الفتح بن خاقان: لو بعثت إلى هذا الرجل يعني أبا الحسن فسألته فإنه ربما كان عنده صفة شيء يفرج الله به عنك، قال: ابعثوا إليه فمضى الرسول ورجع، فقال: خذوا كسب الغنم فديفوه بماء ورد، وضعوه على الخراج فإنه نافع بإذن الله. فجعل من بحضرة المتوكل يهزأ من قوله، فقال لهم الفتح: وما يضرّ من تجربة ما، قال: فوالله إني لأرجو الصلاح به. فأحضر الكسب، وديف بماء الورد ووضع على الخراج، فانفتح وخرج ما كان فيه، وبشرت أم المتوكل بعافيته فحملت إلى أبي الحسن عشرة آلاف دينار تحت ختمها فاستقل المتوكل في علته.

توفي يوم الاثنين الثالث من رجب سنة (٢٥٤هـ) [1]ـ ودفن في داره بسّر من رأى (سامراء) عن عمر يناهز ٤٢ سنة. وذكر اليعقوبي أنه اجتمع الناس في دار الهادي وخارجها، وعندما لم تتسع الدار لإقامة الصلاة على جثمان الإمام، تقرر أن يخرجوا بالجثمان إلى الشارع المعروف بشارع أبي أحمد وهو من أطول شوارع سامراء وأعرضها، حتى يسع المكان لأداء الصلاة. وكان أبو أحمد بن هارون الرشيد، المبعوث

(١) الطوسي / مصباح المتهجد، ٤ / ٧٤١.

من قبل المعتز العباسي للصلاة على جثمان الإمام لما رأى اجتماع الناس وضجتهم أمرَ بردِّ النعش إلى الدار حتى يدفن هناك.

ومن أحاديثه: «الدّنيا سوق ربح فيها قوم وخسر آخرون» [١]، «من رضي عن نفسه كثر السّاخطون عليه»[٢] «الهَزْلُ فكاهة السّفهاء وصناعة الجهال»[٣]، «من جمع لك ودّه ورأيه فاجمع له طاعتك»، «النّاس في الدّنيا بالأموال، وفي الآخرة بالأعمال»، «المصيبة للصابر واحدة، وللجازع اثنتان»[٤].

١- قَاعِدَةُ: (إنَّ المُعْجِزَةَ مُشَابِهَةٌ لِأَرْقَى فُنُونِ العَصْرِ)

نتلمس هذه القاعدة من أَجْوِبَةِ الإِمَامِ عليّ الهادي عليه السلام على أسئلةِ ابنِ السِّكّيت، فقد سألَ ابنُ السِّكّيت: أبو يُوسُف، يعقوب بن إسحاق الدّروقيّ الأهوازيّ البغداديّ النَّحويّ المُؤدِّب (ت/ ٢٤٤هـ) - بأَمْرٍ من المُتوكِّل الإِمامَ علياً الهادي قائلًا: لِمَ بعثَ اللهُ موسى عليه السلام بالعصا؟ وبعث عيسى عليه السلام بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى؟ وبعث محمدًا صلى الله عليه وآله بالقرآن والسَّيف ؟، فأجابه الإمام عليّ الهادي عليه السلام بقوله: «إِنَّ الله تعالى بعث موسى بالعصا واليد البيضاء التي تظهر من غير سوء في زمنٍ الغالب على أهلهِ السحر، فكان دور السحرة وشعوذتهم قد أخذ مساحةً واسعةً من عقول الناس وتفكيرهم، وأدّى إلى انحرافهم عن طريق الله، طريق الحقِّ والهُدى، فأتاهم موسى بما يدحض ادعاءاتهم وكانت عصاهُ الّتي: ﴿... **تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ**﴾[٥]، وأثبتَ بالحُجّة ما يدحض ادعاءاتهم وأكاذيبهم. وأمّا مهمَّة عيسى بن مريم فتختلف عن مهمة موسى؛ لِأَنَّ زمان عيسى كان الغالب على أهله تقدّم الطِّبّ، فجاء النَّبِيّ بمهمّات إعجازيّة

(١) ابن شعبة الحرَّانيّ / تحف العقول / باب ما روي عن الإمام علي الهادي عليه السلام.

(٢) المجلسيّ / بحار الأنوار، ٧٥ / ٣٦٨.

(٣) المصدر نفسه، ٧٥ / ٣٦٩.

(٤) https://ar.wikipedia.org

(٥) الأعراف / ١١٧ .

قهرَتْ أُولئِكَ، وأثبتَتْ عجزهم عمّا أتىٰ به عيسىٰ، إذ أَنَّهُمْ كانُوا يشفون النَّاس من العلل والأمراض، ولكنَّهم عجزُوا عن مداواةِ الأكمهِ والأبرصِ، فتحدّاهم عيسىٰ عليه السلام وكان يمسُّ الأبرص والأكمه بيده فيبرأ بإذن الله. وكذلك جاء بمهمة عجز عنها الجميع، وهي إحياء الموتىٰ بإذن الله فكان عيسىٰ يحييهم بأمر الله حين دُعائه لهم فيشفون، مما جعله المُنتصر والمُتغلِّب عليهم في مجال التحدّي والمناظرة. وأمّا بعثة النَّبيّ محمَّد، فكان السَّائد في قومه الشِّعر والفصاحة والسَّيف؛ للاعتزاز بالنَّفس والقبيلة والافتخار بمكارمها وعاداتها. فجاء الرَّسول بالمعجزة الكبرىٰ، وفنّد ادّعاءاتهم وحججهم الواهية بآيات الرِّسالة المُحكمة، وبلاغة الرَّسول ودوره العظيم بالإبلاغ والتَّوجيه. وسلكَتْ قريشُ مختلفَ الوسائل والسُّبُل؛ لإيقاف عجلة الرِّسالة، ولكنَّهم لم يُفلِحُوا حينما تحدّاهم القرآن بأَنْ يَأْتُوا ببعض سُوَرِهِ أو بسورةٍ واحدة، وإن كان بعضهم لبعض ظهيرًا، ممَّا جعلهم يتخبّطون في وسائل البطش والأذىٰ، ولكن دون جدوىٰ، قال تعالىٰ: ﴿... **وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾(١).

٢- قَاعِدَةُ: (إِنَّ الإِيْمَانَ لِدَفْعِ البَأْسِ لَا يَنْفَعُ فِي دَفْعِهِ)

فرَّعَ الإمامُ أبو الحَسَن، عليُّ بن محمَّد الهَادِي عليه السلام على الأصل القُرآنِيّ، قولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿**فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ**﴾(٢)، فقال عليه السلام ـ حين سَأَلَهُ المُتوكِّل العَبَّاسّي: أبو الفَضْل، جَعْفَر بن المُعْتَصِم بن هَارُون (ت/ ٢٤٧ هـ) عَنْ حُكْم رَجُل نَصْرَانِيّ، فَجَرَ بامرأةٍ مُسْلِمَةٍ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يُقِيمَ عليهِ الحَدَّ أَسْلَمَ ـ يُضْرَبُ حَتَّىٰ يَمُوتَ، فَأَمَرَ المُتَوَكِّل بِضَرْبِهِ، فَضُرِبَ حَتَّىٰ مَاتَ(٣).

---

(١) سورة الصف: ٨.

(٢) سورة غَافِر: ٨٤ - ٨٥.

(٣) ظ: ابن شهر آشوب/ مناقب آل أبي طالب، ٤/ ٤٠٣ - ٤٠٥، جعفر السُّبْحاني/ المناهج التَّفسيريَّة/ ٦٨ - ٦٩، الأئمة الإثنا عشر/ ١٠٨ - ١٠٩.

اتَّضَحَ مِمَّا تقدَّمَ أَنَّ الإمامَ علياً الهَادِي عليه السلام بَيَّنَ أَنَّ النَّصَّ القُرآنِيّ ـ المَذْكُور ـ أَصْلٌ لقَاعِدَةٍ عامَّةٍ ـ كُلِّيَّةٍ ـ وهي (إِنَّ الإِيمَانَ لِدَفْعِ البَأْسِ لَا يَنْفَعُ فِي دَفْعِهِ)، يَصْلُحُ انطباقِهَا عَلَىٰ جميعِ مَا يَنْدَرِجُ تَحْتَهَا مِنْ فُرُوعٍ، ثُمَّ بَيَّنَ أَنَّ الحُكْمَ ـ فِي الوَاقِعَةِ المَذْكُورَةِ ـ وهُوَ ضَرْبُ النَّصْرَانِيّ حَتَّىٰ يَمُوتَ، تَفْرِيعٌ عَلَىٰ القَاعِدَةِ العَامَّةِ؛ لِأَنَّهُ مِصْدَاقٌ مِنْ مَصَادِيقِهَا الجُزْئِيَّةِ، فَالنَّصْرَانِيُّ إِنَّمَا أَسْلَمَ؛ لِكَيْ يَفِرَّ مِن الضَّرْبِ المُمِيتِ؛ لِذَا فَإِنَّ الإِسْلَامَ ـ هُنَا ـ لَا يَدْفَعُ ذَلِكَ ؛ اسْتِنَادًا لِلْقَاعِدَةِ العَامَّةِ الَّتِي أَصَّلَهَا القُرْآنُ .

استخْلِصُ مِمَّا تَقَدَّمَ أَنَّ أَهْلَ البَيْتِ (صلواتُ الله عليهمْ أَجمعينَ) أَصَّلُوا لِمَنْهَجٍ يتكفَّلُ إعطاءَ الحلولِ والتَّشريعاتِ والتَّفسيراتِ لكلِّ ما يحتاجُهُ البشرُ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، وهذا المَنْهجُ قائمٌ علىٰ الوقوفِ علىٰ الأُصُولِ القُرْآنيَّة والنَّبويَّة ـ القَوَاعِد الثَّابتة ـ وبعدَ تشخيصِ الأُصُولِ يُفَرَّعُ علىٰ تلكَ الأُصُولَ، إِلَّا أَنَّ هذا التَّفريعَ علىٰ الأَصْلِ، لا يكونُ بمقدورِ أَيِّ إنسانٍ؛ وَمِمَّا يُؤَيِّدُ ذلكَ: قولُ الإمامِ موسىٰ بن جعفر عليه السلام، إذ قال: «مَا مِنْ أَمْرٍ يَخْتَلِفُ فِيهِ اثْنَانُ، إِلَّا وَلَهُ أَصْلٌ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَكِنْ لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُ الرِّجَالِ» [1]. وهنا دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ فِي قولِهِ: «وَلَكِنْ لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُ الرِّجَالِ» عَلَىٰ أَنَّ التَّفريعَ مَنْهَجٌ مُخْتَصٌّ بِأَهْلِ البَيْتِ (صلواتُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ)، ثُمَّ أَئِمَّةُ المُسْلِمِينَ العُدُولُ الأَكْفَاءُ[2].

٣- كِفَايَةُ الغُسْلِ مُطْلَقًا عَنِ الوُضُوءِ

نقلَ المحقِّقُ الحِلِّيّ (ت/ ٦٧٦هـ)[3] أَنَّ مِمَّا استدَلَّ بِهِ الشَّريف المرتضىٰ (ت/ ٤٣٦ هـ) علىٰ كَوْنِ الغُسْلِ مُطْلَقًا ـ سواءٌ عَنْ جَنابةٍ كانَ أَمْ عَنْ حَيْضٍ، أَمْ عَنْ جُمُعَةٍ ـ يكفي عن الوُضوءِ بما رواه، عن إبراهيم بن محمَّد أَنَّ محمَّد بن عبد الرَّحمن الهمدانيّ أَنَّهُ قالَ

(١) الكليني/ الكافي، ١/ ٦.

(٢) ظ: منىٰ عبد الأمير/ صلاحيَّات وليِّ الأمر في منطقة الفراغ التَّشريعيّ/ (بحث) .

(٣) المعتبر، ١ / ١٩٦ .

كتبْتُ إلى أبي الحسن الثَّالث عليه السلام - يعني الإمام علياً الهادي - وسألتُهُ عَنِ الوضوء للصَّلاة في غُسْلِ الجُمُعَةِ، فكتَبَ: « لا وضوءَ للصَّلاةِ في غُسْلِ يوم الجمعة، ولا في غيره »[١].

وواضح أَنَّ الشَّريف المرتضى أفتى بخلاف ما اختارَهُ الشَّيخ المفيد، وهو عدم الاكتفاء، وقد وافق الشَّيخ الطُّوسِيّ الشَّيخ المفيد فيما ذهب إليه، وهو ما تبنَّاه العَلَّامَة الحِلِّيّ، إذ قال: «الأقرب عدم الاكتفاء به »[٢]. والدَّليل أنَّ الأمر في آية الوضوء ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ...**﴾[٣] نَصٌّ عامٌّ يَشْمَل الأغسال كلَّها ما عدا ما خرَّجَهُ الدَّليل، وهو غُسْل الجَنَابة، وما رواه حمَّاد بن عثمان عن الإمام الصَّادق عليه السلام أَنَّهُ قال: «في كُلِّ غُسْلٍ وُضُوءٌ، إِلَّا الجَنَابَةَ »[٤] أَمَّا الرواية المروية عن الإمام علي الهادي عليه السلام فقد ضعَّف العلّامة الحلي سندها، إذْ قَالَ: «بِالمَنْعِ مِنْ صِحَّةِ سَنَدِهَا»[٥]، وَتعليل ذلك أنَّ الحديث رواه الحسن بن علّي بن إبراهيم ابن محمَّد، عن جدِّهِ إبراهيم، ولا يحضرني الآن حالهما، ومحمَّد بن عبد الرَّحمن الهمدانيّ لا أعرف حاله[٦]. ويبدو أَنَّ الحقَّ مع العَلَّامَة الحِلِّيّ في نقده لسند الرِّواية عن الإمام علّي الهادي عليه السلام، فكتب الرِّجال لم تُوْرِدْ لهم ذكرًا، ولا سيَّما الأخير منهم[٧].

نفهم ممَّا تقدَّم أَنَّ الرِّواية المنسوبة إِلَى الإمام عليّ الهادي عليه السلام الَّتي استند إليها الشَّريف المرتضى في إسقاط الوضوء عن كُلِّ غُسْلٍ لم تصحّ سندًا، والرَّاجِحُ - على ما يبدو - أَنَّ الوضوءَ يقعُ قبلَ كُلِّ غُسْلٍ ما عدا غُسْلَ الجَنَابَةِ، فقدْ خرَّجَهُ الدَّليل، ويؤيِّدُ

---

(١) الطوسي / تهذيب الأحكام، ١ / ١٤١، الاستبصار، ١ / ١٢٦.

(٢) العلّامة الحلي / منتهى المطلب، ٢ / ٢٤٠.

(٣) سورة المائدة / ٦.

(٤) الطوسي/ تهذيب الأحكام، ١ / ١٤٣.

(٥) العلّامة الحلي / منتهى المطلب، ٢ / ٢٤٢.

(٦) المصدر نفسه، ٢ / ٢٤٢.

(٧) الأردبيلي / جامع الرواة، ٢ / ١٣٩، المامقانيّ / تنقيح المقال، ٣ / ١٣٩.

ذلك عموم الظَّاهر القُرآنِيّ الشَّامل لباقي الأَغْسَال الَّتي لم يشملْهَا دليلُ الإخراجِ، والدَّليل الرِّوائيّ الَّذي خَرَّجَ غُسْلَ الجَنَابَةِ من الوضوءِ من عُمُومِ الأَغْسَالِ.

٤- سَجْدَةُ الشُّكْرِ

عن عبد الرحمن بن خاقان، أنَّه قال: رأيت أبا الحسن الثالث - يعني الإمام علي بن محمد الجواد عليه السلام سَجَدَ سَجْدَةَ الشُّكْرِ، فافترش ذراعيه، فألصق جؤجؤه وبطنه بالأرض، فسأله عن ذلك، فقال عليه السلام: «كذا نُحِبُّ»[١]، أي: نُحِبُّ أن نكونَ متذللين له بهذه الكيفية خاشعين خاضعين[٢]، وهذا أصل عملي صادر عن الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام بيَّن كيفية سجود سجدة الشكر.

٥- الأَيَّامُ الّتِي يستحبُّ فيها الصِّيامُ

عن محمَّد بن اللَّيث المَكِّيِّ[٣]، قال حدَّثني إسحاقُ بن عبد الله العريضيّ، قال: وَجَلَ في صدري مَنْ الأيَّام الّتي تُصَام؟ فقصدْتُ مولانا أبا الحسن، عليّ بن محمَّد عليهما السلام وهو بـ(صرّيَا)[٤]، ولم أُبدِ ذلك لأحدٍ من خلق الله، فدخلْتُ عليه، فلمَّا بَصُرَ بي، قال عليه السلام: «يا إسحاقُ، جئْتَ تسألُنِي عن الأَيَّام الّتِي يُصَامَ فِيهُنَّ، وَهِي أربعةٌ: أَوَّلُهُنَّ يومُ السَّابع والعشرينَ من رجب يوم بعثَ الله تعالى محمَّدًا صلى الله عليه وآله إلى خلقه رحمةً للعالمينَ، ويوم مولده صلى الله عليه وآله، وهو السَّابع عشر من شهر ربيع الأوَّل، ويوم الخامس والعشرينَ من ذي القعدة فيه دُحِيَتِ الكَعْبَةُ، ويوم الغدير فيه أقامَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله أخاهُ عَلِيًّا عليه السلام عَلَمًا للنَّاسِ وَإِمَامًا من بعدَهُ، قلْتُ صدقْتَ جُعِلْتُ فِدَاكَ لذلكَ قصدْتَ أشهدُ أنَّكَ حُجَّةُ الله على خلقِهِ»[٥].

---

(١) الكليني / الكافي، ٣ / ٣٢٥.

(٢) قسم الشؤون الدينية / شذرات من حياة الإمام علي الهادي عليه السلام / ٣٥.

(٣) ظ: أبو القاسم الخوئي / معجم رجال الحديث، ١٧ / ٢٠٠.

(٤) صريا: قرية تبعد ثلاثة أميال عن المدينة المنورة، أسسها الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (ظ: ابن شهر آشوب / المناقب: ٤ / ٣٨٢).

(٥) الطوسي / تهذيب الأحكام، ٤ / ٣٠٥.

نستخلصُ ممَّا تقدَّم ثلاثة أمور على النُّحو الآتي:

أمَّا الأمرُ الأوَّل فقدْ حدَّد الإمامُ عليّ الهادي عليه السلام صيام أربعة أيَّام هي: (يوم المَبْعَث، يوم المَوْلِد، يوم دَحْوِ الأرض، ويوم الغَدِير الأَغَرّ).

وأمَّا الأمرُ الثَّاني فقد نصَّ الإمامُ عليّ الهادي عليه السلام على أنَّ الولادة الميمونة للنَّبِيّ الأعظم محمَّد صلى الله عليه وآله كانَتْ في السَّابعَ عشرَ من شهر ربيع الأوَّل، لا في الثَّاني عشرَ منه كما ادَّعَتْ مَدْرَسَةُ الصَّحَابَةِ ذلك، فالإمام عليّ الهادي عليه السلام أعلم النَّاس بميلاد جدِّهِ رسول الله صلى الله عليه وآله، و(أهلُ مكَّةَ أَدْرَى بِشِعَابِهَا).

وأمَّا الأمر الثَّالث فقدْ تمَّ فيه تأكيد يوم الغَدِير بوصفهِ عيدًا، وتأكَّد فيه الصِّيام، بوصفه عملًا من أعمالِ يوم الغدير. وتأكَّد فيه أنَّ يوم الغدير تمَّ فيه تنصيب أمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقدْ عيَّنه الرَّسول الأعظم محمَّد صلى الله عليه وآله بأمر الباري (عزَّ وجَلَّ) عَلَمًا للنَّاسِ وَإِمَامًا من بعدَهُ.

الخاتمة ونتائج البحث

وما خلصّنا إليه من دراستنا يمكن لنا أَنْ نوجزَهُ بما يأتي:

١- إِنَّ قَاعِدَة: (إِنَّ المُعْجِزَةَ مُشَابِهَةٌ لِأَرْقَى فُنُونِ العَصْرِ) مترشِّحة من أجوبة الإمام عليّ الهادي عليه السلام على أسئلة ابن السِّكِّيت.

٢- إِنَّ قَاعِدَةُ: (إِنَّ الإِيمَانَ لِدَفْعِ البَأْسِ لَا يَنْفَعُ فِي دَفْعِهِ) فرَّعها الإمام عليّ الهادي عليه السلام على أصل قرآنيَّ في أجوبته على أسئلة المتوكِّل العبَّاسِيّ.

٣- إِنَّ الرِّواية المرويَّة عن الإمام عليّ الهادي عليه السلام التي استند إليها الشَّريف المرتضى في (كِفَايَةُ الغُسْلِ مُطْلَقًا عَنِ الوُضُوءِ) لا تصحُّ سندًا، والرَّاجح أنَّ الوضوء قبل كل غُسْلٍ ما عدا غُسْلِ الجَنابةِ. لورود به نص خرَّجه من عموم القرآن الموجب للوضوء.

٤- في الأصل العملي الصادر عن الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام ورد فيه بيانه لكيفية سجود سجدة الشكر.

٥- حدَّد الإمام عليّ الهادي عليه السلام استحباب صيام أربعة أيَّام هي: (يوم المَبْعَث النَّبويّ، يوم المَوْلِد النَّبويّ، يوم عيد الغدير، ويوم دَحْوِ الأرض).

٦- إِنْ وردَ في كتب الحديث قال أبو الحسن الثالث يراد به الإمام عليّ الهادي عليه السلام.

ثَبَتُ المَصَادِرِ وَالمَرَاجِعِ

خَيْرُ مَا نَبْتَدِئُ بِهِ: القُرْآنُ الكَرِيمِ

أَوَّلًا: المَصَادِرُ القَدِيمَةُ

- الأردبيليّ: محمَّد بن عليّ الغرويّ النَّجفيّ (ت/ ١١٠٠هـ)

– جامع الرُّواة وإزاحة الاشتباهات عن الطُّرق والإسناد / منشورات: مكتبة آية الله المرعشي النَّجفيّ / قم المشرَّفة، ١٤٠٣هـ.

- الحِلِّيّ (العَلَّامَة): جمال الدِّين، الحسن بن يوسف بن عليّ بن المُطَهَّر (ت/ ٧٢٦هـ)

– منتهىٰ المطلب في تحقيق المذهب، تحقيق: قسم الفقه في مَجْمَع البحوثِ الإسلاميَّة / ط٣، منشورات: مَجْمَع البحوث الإسلاميَّة / مشهد المقدَّسة، ١٤٣٠هـ.

- ابن شهر آشوب: أبو جعفر، محمَّد بن عليّ السَّرُوري المازندرانيّ (ت/ ٥٨٨هـ)

– مناقب آل أبي طالب / ط٢، مؤسَّسة النَّشر الإسلاميّ / قم المشرَّفة، ١٤١٢هـ.

- الكلينيّ: أبو جعفر، محمَّد بن يعقوب (ت/ ٣٢٩هـ)

– الكافي، تحقيق: عليّ أكبر غفاري / ط٣، دار الكتب الإسلاميَّة / د. ت.

– ثانيًا: المَرَاجِعُ الحَدِيثَةُ

- جعفر السُّبحانيّ (الشَّيخ)

– الأئمَّة الاثنا عشر / ط٢، دار الأضواء / بيروت، ٤٠٧ هـ.

– المناهج التَّفسيريَّة في علوم القرآن / ط٣، مؤسَّسة الإمام الصَّادق عليه السلام / قم المشرَّفة، ١٤٢٦هـ.

- جعفر المُهَاجر (الشَّيخ الدُّكتور)

• الإمام الهُمام عليّ الهادي عليه السلام / منشورات: دار بهاء الدّين العاملي للنَّشر والتَّوزيع، د. ط / بيروت، د. ت.

• شعبة التَّبليغ في قسم الشُّؤون الدِّينيَّة

– شذراتٌ من حياةِ الإمامِ عليّ الهادي عليه السلام / ط١، منشورات: العتبة العلويَّة المقدَّسة / النَّجف الأشرف، ١٤٣٧هـ.

• المامقانيّ: محيي الدِّين عبد الله بن محمَّد حسن (ت/ ١٣٥١هـ)

• تنقيح المقال في أحوال الرجال / منشورات: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، د. ط/ د. ت .

– الرَّسائل والأطاريح الجامعيَّة

• سكينة عزيز عبَّاس الفتليّ (الدُّكتورة)

– المنهج التَّطبيقِيّ لتفسير القرآن الكريم عند أهل البيت عليهم السلام / ط١، منشورات: معهد القرآن الكريم للنِّساء، قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة، العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة / كربلاء المقدَّسة، ١٤٣٩هـ.

– البحوث والمجلَّات

– منى عبد الأمير

– صلاحيَّات وليِّ الأمر في منطقة الفراغ التَّشريعيّ

– مواقع الإنترنت:

– https: / /ar.wikipedia.org



البحث الثاني

موارد الفكر الديني في الزيارة الجامعة للإمام علي الهادي (عليه السلام)

أ.م. د. حسن كاظم أسد الخفاجي

جامعة ميسان

كلية التربية



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الزيارة الجامعة من النتاجات المهمة للإمام علي الهادي عليه السلام، التي نستلهم منها موارد الفكر الديني، وفي التركيز على هذه الأفكار تتوضح لنا المنهجية الحركية والفكرية للإمام عليه السلام، فقد أكد عليه السلام حقيقة الإمامة بأبعادها ومراتبها، ومقاماتها، ومن خلال ذلك تتأصل في عقيدة الأمة ثقافة الزيارة، وتعد ظاهرة الزيارة للأئمة عليهم السلام إحدى وسائل الإمام الهادي عليه السلام في إيصال المفاهيم الفكرية والروحية لشيعته ومواليه؛ من أجل تركيز هذه المفاهيم السليمة وتنمية الجانب الروحي والفكري لأصحابه، وهذه الوسيلة لا تُثير الشك مع سهولتها في التغلغل في النفوس والانتشار.

وقد اعتنى كثير من علماء الإمامية اعتناءً كبيراً بهذه الزيارة وتعرضوا لشرحها وذلك لما تحتويه من تعريف لمقامات التوحيد، ومقامات النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام، بل ولتضمنها أيضاً على أوصاف أتباع المعصومين عليهم السلام، وأوصاف أعدائهم ومبغضيهم، كما لم تخل هذه الزيارة عن ذكر القيامة وأحوالها، وذكر قيام القائم عليه السلام، وذكر أحوال الرجعة.

أما سند الزيارة الجامعة فقد رواها الشيخ الطوسي في (التهذيب)، والصدوق في (من لا يحضره الفقيه) و(عيون أخبار الرضا) وغيرهما، وقد روى هذه الزيارة محمد بن إسماعيل البرمكي عن موسى بن عبد الله النخعي عن الإمام علي الهادي عليه السلام.

وقد اتبع الباحث خطة في هذه الدراسة بتمهيد بُحث فيه رموز العنوان بدراسة في المفاهيم، وجاء المبحث الأول في نص الزيارة وسندها، والتعرض للاختلاف في

سندها، وشروح الزيارة.

ثم جاء المبحث الثاني متعرّضاً لدلالات الزيارة في خصوص الإمامة من كونها نسبيّة، وكونها مرتبطة بالله مباشرة، وهي الإمتداد للتوحيد والنبوّة بوصفهما أصلين من أصول الدين، وصفات الإمامة، الإمامة العلميّة والأخلاقيّة، الإمامة السياسية الدنيويّة، الإمامة والمرجعية التكوينية والولاية الإلهيّة العظمىٰ، كرائم الله في الإمامة والأئمة عليهم السلام، أنواع الناس في تقبل الإمامة وعدم تقبلها ومدىٰ تعلّقهم بإمامة الأئمة الأطهار عليهم السلام.

أما المبحث الثالث فقد تعرّض إلىٰ موارد الفكر الديني والتي بيّن فيها الإمام عليه السلام المنهج الحركي والفكري للمذهب الإمامي، وهي محل البحث، التي انطوت علىٰ مفاهيم مثل:

أولاً: اصطفاء أهل البيت عليهم السلام، من خلال:

أ- إن الله خص أهل البيت عليهم السلام فجعلهم موضع الرسالة.

ب- وهذا الجعل يتبع الصفات الكمالية التي يتمتعون بها كالعلم والحلم والكرم والرحمة.

ج- ونتيجة لتكاملهم وجب استلامهم لواء قيادة البشرية.

ثانياً: حركة أهل البيت عليهم السلام:

من خلال الزيارة الجامعة أوضح الإمام عليه السلام خط الهدىٰ، وخط الضلالة، وخط الهدىٰ بقيادة أئمة وهم أهل البيت عليهم السلام، أما غيرهم، فهم في ضلال وهم الذين خالفوهم في نهجهم، فالتلقي منهم والنهج نهجهم فلابد من إتباعهم.

ومن خلال الزيارة الجامعة يشير الإمام عليه السلام إلىٰ أن حركة أهل البيت عليهم السلام ذات بعد نبوي، وهذا البعد يعطي أن كل حركة تدعي المنهج الديني، أو الإصلاح

الدنيوي ولا تسير على خطاهم فهي منحرفة.

ثالثاً: ملامح الأسس الفكرية لمذهب أهل البيت عليهم السلام في ظل الزيارة الجامعة:

يحدد الإمام الهادي عليه السلام الأسس الفكرية التي تقوم عليها دعوة أهل البيت عليهم السلام والتي يجب أن تسير الحركة الأمة عليها وتلتزم حدودها.

أ- الإيمان بقيام دولتهم.

ب- أهمية زيارة قبورهم.

ج- الإيمان بسرهم وعلانتيهم.

د- الاستعداد لنصرة قيامهم.

ه- البراءة من أعدائهم.

و- الإيمان بالرجعة.

ز- سلامة العالم والدين ووحدة المسلمين تحت إشرافهم ووجودهم.

ح- الإيمان بهم عن علم وعقيدة.

رابعاً: صفات المؤمنين والمحبين **لأهل البيت** عليهم السلام.

ثم الخاتمة، وأهم ما توصل له البحث ثم المصادر والمراجع.

المبحث الأول

نص الزيارة وسندها، والتعرض للاختلاف في سندها، وشروح الزيارة

أ- نص الزيارة

اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا اَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الْمَلائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ، وَخُزّانَ الْعِلْمِ، وَمُنْتَهَى الْحِلْمِ، وَاُصُولَ الْكَرَمِ، وَقادَةَ الاُمَمِ، وَاَوْلِياءَ النِّعَمِ، وَعَناصِرَ الاَبْرارِ، وَدَعائِمَ الاَخْيارِ، وَساسَةَ الْعِبادِ، وَاَرْكانَ الْبِلادِ، وَاَبْوابَ الاِيمانِ، وَاُمَناءَ الرَّحْمنِ، وَسُلالَةَ النَّبِيّينَ، وَصَفْوَةَ الْمُرْسَلينَ، وَعِتْرَةَ خِيَرَةِ رَبِّ الْعالَمينَ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكاتُهُ، اَلسَّلامُ عَلىٰ اَئِمَّةِ الْهُدىٰ، وَمَصابيحِ الدُّجىٰ، وَاَعْلامِ التُّقىٰ، وَذَوِي النُّهىٰ، وَاُولِي الْحِجىٰ، وَكَهْفِ الْوَرىٰ، وَوَرَثَةِ الاَنْبِياءِ، وَالْمُثَلِ الاَعْلىٰ، وَالدَّعْوَةِ الْحُسْنىٰ، وَحُجَجِ الله عَلىٰ اَهْلِ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَالاُولىٰ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكاتُهُ، اَلسَّلامُ عَلىٰ مَحالِّ مَعْرِفَةِ الله، وَمَساكِنِ بَرَكَةِ الله، وَمَعادِنِ حِكْمَةِ الله، وَحَفَظَةِ سِرِّ الله، وَحَمَلَةِ كِتابِ الله، وَاَوْصِياءِ نَبِيِّ الله، وَذُرِّيَّةِ رَسُولِ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكاتُهُ، اَلسَّلامُ عَلَى الدُّعاةِ اِلَى الله، وَالاَدِلاّءِ عَلىٰ مَرْضاةِ الله، وَالْمُسْتَقِرّينَ في اَمْرِ الله، وَالتّامّينَ في مَحَبَّةِ الله، وَالْمُخْلِصينَ في تَوْحيدِ الله، وَالْمُظْهِرينَ لاَِمْرِ الله وَنَهْيِهِ، وَعِبادِهِ الْمُكْرَمينَ الَّذينَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِاَمْرِهِ يَعْمَلُونَ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكاتُهُ، اَلسَّلامُ عَلَى الاَئِمَّةِ الدُّعاةِ، وَالْقادَةِ الْهُداةِ، وَالسّادَةِ الْوُلاةِ، وَالذّادَةِ الْحُماةِ، وَاَهْلِ الذِّكْرِ وَاُولِي الاَمْرِ، وَبَقِيَّةِ الله وَخِيَرَتِهِ وَحِزْبِهِ وَعَيْبَةِ عِلْمِهِ وَحُجَّتِهِ وَصِراطِهِ وَنُورِهِ وَبُرْهانِهِ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكاتُهُ، اَشْهَدُ اَنْ لا اِلـهَ اِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ كَما شَهِدَ اللهُ لِنَفْسِهِ وَشَهِدَتْ لَهُ مَلائِكَتُهُ وَاُولُو الْعِلْمِ مِنْ خَلْقِهِ، لا اِلـهَ اِلاّ هُوَ الْعَزيزُ الْحَكيمُ، وَاَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ الْمُنْتَجَبُ، وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضىٰ، اَرْسَلَهُ بِالْهُدىٰ وَدينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، وَاَشْهَدُ اَنَّكُمُ الاَئِمَّةُ الرّاشِدُونَ الْـمَهْدِيُّونَ الْمَعْصُومُونَ الْمُكَرَّمُونَ الْمُقَرَّبُونَ الْمُتَّقُونَ الصّادِقُونَ الْمُصْطَفَوْنَ الْمُطيعُونَ لله، الْقَوّامُونَ بِاَمْرِهِ، الْعامِلُونَ بِاِرادَتِهِ، الْفائِزُونَ

بِكَرامَتِهِ، اصْطَفاكُمْ بِعِلْمِهِ، وَارْتَضاكُمْ لِغَيْبِهِ، وَاخْتارَكُمْ لِسِرِّهِ، وَاجْتَباكُمْ بِقُدْرَتِهِ، وَاَعَزَّكُمْ بِهُداهُ، وَخَصَّكُمْ بِبُرْهانِهِ، وَانْتَجَبَكُمْ لِنُورِهِ، وَاَيَّدَكُمْ بِرُوحِهِ، وَرَضِيَكُمْ خُلَفاء في اَرْضِهِ، وَحُجَجاً عَلىٰ بَرِيَّتِهِ، وَاَنْصاراً لِدينِهِ، وَ حَفَظَةً لِسِرِّهِ، وَخَزَنَةً لِعِلْمِهِ، وَمُسْتَوْدَعاً لِحِكْمَتِهِ، وَتَراجِمَةً لِوَحْيِهِ، وَاَرْكاناً لِتَوْحيدِهِ، وَشُهَداءَ عَلىٰ خَلْقِهِ، وَاَعْلاماً لِعِبادِهِ، وَمَناراً في بِلادِهِ، وَاَدِلاّءَ عَلىٰ صِراطِهِ، عَصَمَكُمُ اللهُ مِنَ الزَّلَلِ، وَآمَنَكُمْ مِنَ الْفِتَنِ، وَطَهَّرَكُمْ مِنَ الدَّنَسِ، وَاَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ وَطَهَّرَكُمْ تَطْهيراً، فَعَظَّمْتُمْ جَلالَهُ، وَاَكْبَرْتُمْ شَأْنَهُ، وَمَجَّدْتُمْ كَرَمَهُ، وَاَدَمْتُمْ ذِكْرَهُ، وَوَكَّدْتُمْ ميثاقَهُ، وَاَحْكَمْتُمْ عَقْدَ طاعَتِهِ، وَنَصَحْتُمْ لَهُ في السِّرِّ وَالْعَلانِيَةِ، وَدَعَوْتُمْ اِلىٰ سَبيلِهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَبَذَلْتُمْ اَنْفُسَكُمْ في مَرْضاتِهِ، وَصَبَرْتُمْ عَلىٰ ما اَصابَكُمْ في جَنْبِهِ، وَاَقَمْتُمُ الصَّلاةَ، وَآتَيْتُمُ الزَّكاةَ، وَاَمَرْتُمْ بِالْمَعْروفِ، وَنَهَيْتُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَجاهَدْتُمْ في الله حَقَّ جِهادِهِ حَتّىٰ اَعْلَنْتُمْ دَعْوَتَهُ، وَبَيَّنْتُمْ فَرائِضَهُ، وَاَقَمْتُمْ حُدُودَهُ، وَنَشَرْتُمْ شَرايعَ اَحْكامِهِ، وَسَنَنْتُمْ سُنَّتَهُ، وَصِرْتُمْ في ذلِكَ مِنْهُ اِلَى الرِّضا، وَسَلَّمْتُمْ لَهُ الْقَضاءَ، وَصَدَّقْتُمْ مِنْ رُسُلِهِ مَنْ مَضىٰ، فَالرّاغِبُ عَنْكُمْ مارِقٌ، وَاللاّزِمُ لَكُمْ لاحِقٌ، وَالْمُقَصِّرُ في حَقِّكُمْ زاهِقٌ، وَالْحَقُّ مَعَكُمْ وَفيكُمْ وَمِنْكُمْ وَاِلَيْكُمْ وَاَنْتُمْ اَهْلُهُ وَمَعْدِنُهُ، وَميراثُ النُّبُوَّةِ عِنْدَكُمْ، وَاِيابُ الْخَلْقِ اِلَيْكُمْ، وَحِسابُهُمْ عَلَيْكُمْ، وَفَصْلُ الْخِطابِ عِنْدَكُمْ، وَآياتُ الله لَدَيْكُمْ، وَعَزائِمُهُ فيكُمْ، وَنُورُهُ وَبُرْهانُهُ عِنْدَكُمْ، وَاَمْرُهُ اِلَيْكُمْ، مَنْ والاكُمْ فَقَدْ والَى اللهَ، وَمَنْ عاداكُمْ فَقَدْ عادَ اللهَ، وَ مَنْ اَحَبَّكُمْ فَقَدْ اَحَبَّ اللهَ، وَمَنْ اَبْغَضَكُمْ فَقَدْ اَبْغَضَ اللهَ، وَمَنِ اعْتَصَمَ بِكُمْ فَقَدِ اعْتَصَمَ بِالله، اَنْتُمُ الصِّراطُ الاَقْوَمُ، وَشُهَداءُ دارِ الْفَناءِ، وَشُفَعاءُ دارِ الْبَقاءِ، وَالرَّحْمَةُ الْمَوْصُولَةُ، وَالآيَةُ الْمَخْزُونَةُ، وَالاَمانَةُ الْمَحْفُوظَةُ، وَالْبابُ الْمُبْتَلىٰ بِهِ النّاسُ، مَنْ اَتاكُمْ نَجا، وَمَنْ لَمْ يَأتِكُمْ هَلَكَ، اِلَى الله تَدْعُونَ، وَعَلَيْهِ تَدُلُّونَ، وَبِهِ تُؤْمِنُونَ، وَلَهُ تُسَلِّمُونَ، وَبِاَمْرِهِ تَعْمَلُونَ، وَاِلىٰ سَبيلِهِ تُرْشِدُونَ، وَبِقَوْلِهِ تَحْكُمُونَ، سَعَدَ مَنْ والاكُمْ، وَهَلَكَ مَنْ عاداكُمْ، وَخابَ مَنْ جَحَدَكُمْ، وَضَلَّ مَنْ فارَقَكُمْ، وَفازَ مَنْ تَمَسَّكَ بِكُمْ، وَاَمِنَ مَنْ لَجَأَ اِلَيْكُمْ، وَسَلِمَ مَنْ صَدَّقَكُمْ، وَهُدِيَ مَنِ اعْتَصَمَ بِكُمْ، مَنِ اتَّبَعَكُمْ فَالْجَنَّةُ

مَأواهُ، وَمَنْ خالَفَكُمْ فَالنّارُ مَثْواهُ، وَمَنْ جَحَدَكُمْ كافِرٌ، وَمَنْ حارَبَكُمْ مُشْرِكٌ، وَمَنْ رَدَّ عَلَيْكُمْ في اَسْفَلِ دَرْك مِنَ الْجَحيمِ، اَشْهَدُ اَنَّ هذا سابِقٌ لَكُمْ فيما مَضىٰ، وَجارٍ لَكُمْ فيما بَقِيَ، وَاَنَّ اَرْواحَكُمْ وَنُورَكُمْ وَطينَتَكُمْ واحِدَةٌ، طابَتْ وَطَهُرَتْ بَعْضُها مِنْ بَعْض، خَلَقَكُمُ اللهُ اَنْواراً فَجَعَلَكُمْ بِعَرْشِهِ مُحْدِقينَ حَتّىٰ مَنَّ عَلَيْنا بِكُمْ، فَجَعَلَكُمْ في بُيُوت اَذِنَ اللهُ اَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فيهَا اسْمُهُ، وَجَعَلَ صَلَواتِنا عَلَيْكُمْ وَما خَصَّنا بِهِ مِنْ وِلايَتِكُمْ طيباً لِخَلْقِنا، وَطَهارَةً لِاَنْفُسِنا، وَتَزْكِيَةً لَنا، وَكَفّارَةً لِذُنُوبِنا، فَكُنّا عِنْدَهُ مُسَلِّمينَ بِفَضْلِكُمْ، وَمَعْرُوفينَ بِتَصْديقِنا اِيّاكُمْ، فَبَلَغَ اللهُ بِكُمْ اَشْرَفَ مَحَلِّ الْمُكَرَّمينَ، وَاَعْلىٰ مَنازِلِ الْمُقَرَّبينَ، وَاَرْفَعَ دَرَجاتِ الْمُرْسَلينَ، حَيْثُ لا يَلْحَقُهُ لاحِقٌ، وَلا يَفُوقُهُ فائِقٌ، وَلا يَسْبِقُهُ سابِقٌ، وَلا يَطْمَعُ في اِدْراكِهِ طامِعٌ، حَتّىٰ لا يَبْقىٰ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَلا صِدّيقٌ وَلا شَهيدٌ، وَلا عالِمٌ وَلا جاهِلٌ، وَلا دَنِيٌّ وَلا فاضِلٌ، وَلا مُؤْمِنٌ صالِحٌ، وَلا فاجِرٌ طالِحٌ، وَلا جَبّارٌ عَنيدٌ، وَلا شَيْطانٌ مَريدٌ، وَلا خَلْقٌ فيما بَيْنَ ذلِكَ شَهيدٌ اِلاّ عَرَّفَهُمْ جَلالَةَ اَمْرِكُمْ، وَعِظَمَ خَطَرِكُمْ، وَكِبَرَ شَأنِكُمْ وَتَمامَ نُورِكُمْ، وَصِدْقَ مَقاعِدِكُمْ، وَثَباتَ مَقامِكُمْ، وَشَرَفَ مَحَلِّكُمْ وَمَنْزِلَتِكُمْ عِنْدَهُ، وَكَرامَتَكُمْ عَلَيْهِ، وَخاصَّتَكُمْ لَدَيْهِ، وَقُرْبَ مَنْزِلَتِكُمْ مِنْهُ، بِاَبي اَنْتُمْ وَاُمّي وَاَهْلي وَمالي وَاُسْرَتي، اُشْهِدُ اللهَ وَاُشْهِدُكُمْ اَنّي مُؤْمِنٌ بِكُمْ وَبِما آمَنْتُمْ بِهِ، كافِرٌ بِعَدُوِّكُمْ وَبِما كَفَرْتُمْ بِهِ، مُسْتَبْصِرٌ بِشَأنِكُمْ وَبِضَلالَةِ مَنْ خالَفَكُمْ، مُوالٍ لَكُمْ وَلِاَوْلِيائِكُمْ، مُبْغِضٌ لِاَعْدائِكُمْ وَمُعادٍ لَهُمْ، سِلْمٌ لِمَنْ سالَمَكُمْ، وَحَرْبٌ لِمَنْ حارَبَكُمْ، مُحَقِّقٌ لِما حَقَّقْتُمْ، مُبْطِلٌ لِما اَبْطَلْتُمْ، مُطيعٌ لَكُمْ، عارِفٌ بِحَقِّكُمْ، مُقِرٌّ بِفَضْلِكُمْ، مُحْتَمِلٌ لِعِلْمِكُمْ، مُحْتَجِبٌ بِذِمَّتِكُمْ، مُعْتَرِفٌ بِكُمْ، مُؤْمِنٌ بِاِيابِكُمْ، مُصَدِّقٌ بِرَجْعَتِكُمْ، مُنْتَظِرٌ لِاَمْرِكُمْ، مُرْتَقِبٌ لِدَوْلَتِكُمْ، آخِذٌ بِقَوْلِكُمْ، عامِلٌ بِاَمْرِكُمْ، مُسْتَجيرٌ بِكُمْ، زائِرٌ لَكُمْ، لائِذٌ عائِذٌ بِقُبُورِكُمْ، مُسْتَشْفِعٌ اِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ بِكُمْ، وَمُتَقَرِّبٌ بِكُمْ اِلَيْهِ، وَمُقَدِّمُكُمْ اَمامَ طَلِبَتي وَحَوائِجي وَاِرادَتي في كُلِّ اَحْوالي وَاُمُوري، مُؤْمِنٌ بِسِرِّكُمْ وَعَلانِيَتِكُمْ وَشاهِدِكُمْ وَغائِبِكُمْ وَاَوَّلِكُمْ وَآخِرِكُمْ، وَمُفَوِّضٌ في ذلِكَ كُلِّهِ اِلَيْكُمْ وَمُسَلِّمٌ فيهِ مَعَكُمْ، وَقَلْبي لَكُمْ مُسَلِّمٌ، وَرَأيي لَكُمْ تَبَعٌ، وَنُصْرَتي لَكُمْ مُعَدَّةٌ حَتّىٰ يُحْيِيَ

اللهُ تَعالىٰ دينَهُ بِكُمْ، وَيَرُدَّكُمْ في اَيّامِهِ، وَيُظْهِرَكُمْ لِعَدْلِهِ، وَيُمَكِّنَكُمْ في اَرْضِهِ، فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لا مَعَ غَيْرِكُمْ، آمَنْتُ بِكُمْ وَتَوَلَّيْتُ آخِرَكُمْ بِما تَوَلَّيْتُ بِهِ اَوَّلَكُمْ، وَبَرِئْتُ اِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ مِنْ اَعْدائِكُمْ وَمِنَ الْجِبْتِ وَالطّاغُوتِ وَالشَّياطينِ وَحِزْبِهِمُ الظّالِمينَ لَكُمُ، الْجاحِدينَ لِحَقِّكُمْ، وَالْمارِقينَ مِنْ وِلايَتِكُمْ، وَالْغاصِبينَ لِاِرْثِكُمُ الشّاكّينَ فيكُمُ الْمُنْحَرِفينَ عَنْكُمْ، وَمِنْ كُلِّ وَليجَةٍ دُونَكُمْ وَكُلِّ مُطاعٍ سِواكُمْ، وَمِنَ الاَئِمَّةِ الَّذينَ يَدْعُونَ اِلَى النّارِ، فَثَبَّتَنِيَ اللهُ اَبَداً ما حَييتُ عَلىٰ مُوالاتِكُمْ وَمَحَبَّتِكُمْ وَدينِكُمْ، وَوَفَّقَني لِطاعَتِكُمْ، وَرَزَقَني شَفاعَتَكُمْ، وَجَعَلَني مِنْ خِيارِ مَواليكُمُ التّابِعينَ لِما دَعَوْتُمْ اِلَيْهِ، وَ جَعَلَني مِمَّنْ يَقْتَصُّ آثارَكُمْ، وَيَسْلُكُ سَبيلَكُمْ، وَيَهْتَدي بِهُداكُمْ، وَيُحْشَرُ في زُمْرَتِكُمْ، وَيَكِرُّ في رَجْعَتِكُمْ، وَيُمَلَّكُ في دَوْلَتِكُمْ، وَ يُشَرَّفُ في عافِيَتِكُمْ، وَيُمَكَّنُ في اَيّامِكُمْ، وَتَقِرُّ عَيْنُهُ غَداً بِرُؤْيَتِكُمْ، بِاَبي اَنْتُمْ وَاُمّي وَنَفْسي وَاَهْلي وَمالي، مَنْ اَرادَ اللهَ بَدَأَ بِكُمْ، وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُمْ، وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ، مَوالِيَّ لا اُحْصي ثَناءَكُمْ وَلا اَبْلُغُ مِنَ الْمَدْحِ كُنْهَكُمْ وَمِنَ الْوَصْفِ قَدْرَكُمْ، وَاَنْتُمْ نُورُ الاَخْيارِ وَهُداةُ الاَبْرارِ وَحُجَجُ الْجَبّارِ، بِكُمْ فَتَحَ اللهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ، وَبِكُمْ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ، وَبِكُمْ يُمْسِكُ السَّماءَ اَنْ تَقَعَ عَلَى الاَرْضِ اِلاّ بِاِذْنِهِ، وَبِكُمْ يُنَفِّسُ الْهَمَّ وَيَكْشِفُ الضُّرَّ، وَعِنْدَكُمْ ما نَزَلَتْ بِهِ رُسُلُهُ، وَهَبَطَتْ بِهِ مَلائِكَتُهُ وَاِلىٰ جَدِّكُمْ. إن كانت الزّيارة لأمير المؤمنين عليه السلام فعوض وَاِلىٰ جَدِّكُمْ قُل: وَاِلىٰ اَخيكَ بُعِثَ الرُّوحُ الاَمينُ، آتاكُمُ اللهُ ما لَمْ يُؤْتِ اَحَداً مِنَ الْعالَمينَ، طَأطَاَ كُلُّ شَريفٍ لِشَرَفِكُمْ، وَبَخَعَ كُلُّ مُتَكَبِّرٍ لِطاعَتِكُمْ، وَخَضَعَ كُلُّ جَبّارٍ لِفَضْلِكُمْ، وَذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ، وَاَشْرَقَتِ الاَرْضُ بِنُورِكُمْ، وَفازَ الْفائِزُونَ بِوِلايَتِكُمْ، بِكُمْ يُسْلَكُ اِلَى الرِّضْوانِ، وَعَلىٰ مَنْ جَحَدَ وِلايَتَكُمْ غَضَبُ الرَّحْمنِ، بِاَبي اَنْتُمْ وَاُمّي وَنَفسي وَاَهْلي وَمالي، ذِكْرُكُمْ في الذّاكِرينَ، وَاَسْماؤُكُمْ في الاَسْماءِ، وَاَجْسادُكُمْ في الاَجْسادِ، وَاَرْواحُكُمْ في الاَرْواحِ، وَاَنْفُسُكُمْ في النُّفُوسِ، وَآثارُكُمْ في الآثارِ، وَقُبُورُكُمْ في الْقُبُورِ، فَما اَحْلىٰ اَسْمائَكُمْ، وَاَكْرَمَ اَنْفُسَكُمْ، وَاَعْظَمَ شَأنَكُمْ، وَاَجَلَّ خَطَرَكُمْ، وَاَوْفىٰ عَهْدَكُمْ، وَاَصْدَقَ وَعْدَكُمْ، كَلامُكُمْ نُورٌ، وَاَمْرُكُمْ رُشْدٌ، وَوَصِيَّتُكُمُ التَّقْوىٰ، وَفِعْلُكُمُ الْخَيْرُ،

وَعادَتُكُمُ الاْحسانُ، وَسَجِيَّتُكُمُ الْكَرَمُ، وَشَأْنُكُمُ الْحَقُّ وَالصِّدْقُ وَالرِّفْقُ، وَقَوْلُكُمْ حُكْمٌ وَحَتْمٌ، وَرَأْيُكُمْ عِلْمٌ وَحِلْمٌ وَحَزْمٌ، اِنْ ذُكِرَ الْخَيْرُ كُنْتُمْ اَوَّلَهُ وَاَصْلَهُ وَفَرْعَهُ وَمَعْدِنَهُ وَمَأواهُ وَمُنْتَهاهُ، بِاَبي اَنْتُمْ وَاُمّي وَنَفْسي كَيْفَ اَصِفُ حُسْنَ ثَنائِكُمْ، وَاُحْصي جَميلَ بَلائِكُمْ، وَبِكُمْ اَخْرَجَنَا اللهُ مِنَ الذُّلِّ وَفَرَّجَ عَنّا غَمَراتِ الْكُرُوبِ، وَاَنْقَذَنا مِنْ شَفا جُرُفِ الْهَلَكاتِ وَمِنَ النّارِ، بِأبي اَنْتُمْ وَاُمّي وَنَفْسي، بِمُوالاتِكُمْ عَلَّمَنَا اللهُ مَعالِمَ دِينِنا، وَأَصْلَحَ ماكانَ فَسَدَ مِنْ دُنْيانا، وَبِمُوالاتِكُمْ تَمَّتِ الْكَلِمَةُ، وَعَظُمَتِ النِّعْمَةُ، وَائْتَلَفَتِ الْفُرْقَةُ، وَبِمُوالاتِكُمْ تُقْبَلُ الطّاعَةُ الْمُفْتَرَضَةُ، وَلَكُمُ الْمَوَدَّةُ الْواجِبَةُ، وَالدَّرَجاتُ الرَّفيعَةُ، وَالْمَقامُ الْمَحْمُودُ، وَالْمَكانُ الْمَعْلُومُ عِنْدَ الله عَزَّوَجَلَّ، وَالْجاهُ الْعَظيمُ، وَالشَّأنُ الْكَبيرُ، وَالشَّفاعَةُ الْمَقْبُولَةُ، رَبَّنا آمَنّا بِما اَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنا مَعَ الشّاهِدينَ، رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ اِذْ هَدَيْتَنا وَهَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً اِنَّكَ اَنْتَ الْوَهّابُ، سُبْحانَ رَبِّنا اِنْ كانَ وَعْدُ رَبِّنا لَمَفْعُولاً، يا وَلِيَّ الله اِنَّ بَيْني وَبَيْنَ الله عَزَّوَجَلَّ ذُنُوباً لا يَأتي عَلَيْها اِلاّ رِضاكُمْ، فَبِحَقِّ مَنِ ائْتَمَنَكُمْ عَلىٰ سِرِّهِ وَاسْتَرْعاكُمْ اَمْرَ خَلْقِهِ وَقَرَنَ طاعَتَكُمْ بِطاعَتِهِ، لَمَّا اسْتَوْهَبْتُمْ ذُنُوبي وَكُنْتُمْ شُفَعائي، فَاِنّي لَكُمْ مُطيعٌ، مَنْ اَطاعَكُمْ فَقَدْ اَطاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصاكُمْ فَقَدْ عَصَىٰ اللهَ، وَمَنْ اَحَبَّكُمْ فَقَدْ اَحَبَّ اللهَ، وَمَنْ اَبْغَضَكُمْ فَقَدْ اَبْغَضَ اللهَ، اَللهُمَّ اِنّيٰ لَوْ وَجَدْتُ شُفَعاءَ اَقْرَبَ اِلَيْكَ مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الأَخْيارِ الأَئِمَّةِ الأَبْرارِ لَجَعَلْتُهُمْ شُفَعائي، فَبِحَقِّهِمُ الَّذي اَوْجَبْتَ لَهُمْ عَلَيْكَ اَسْاَلُكَ أنْ تُدْخِلَني في جُمْلَةِ الْعارِفينَ بِهِمْ وَبِحَقِّهِمْ، وَفي زُمْرَةِ الْمَرْحُومينَ بِشَفاعَتِهِمْ، إنَّكَ اَرْحَمُ الرّاحِمينَ، وَصَلَّىٰ اللهُ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطّاهِرينَ وَسَلَّمَ تَسْليماً كَثيراً، وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكيلُ[1].

---

(١) الوافي – الفيض الكاشاني (١٠٩١هـ)، تحقيق: عني بالتحقيق والتصحيح والتعليق عليه والمقابلة مع الأصل ضياء الدين الحسيني «العلّامة » الأصفهاني، الطبعة: الأولىٰ، سنة الطبع: شهر ذي القعدة الحرام ١٤١١هـ، المطبعة: طباعة أفست نشاط أصفهان، الناشر: مكتبة الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام العامة – أصفهان: ج ١٤ – ص ١٥٦٧؛ مناسك الحج – الشيخ وحيد الخراساني – ص ٢٥٢؛عيون أخبار الرضا عليه السلام – الشيخ الصدوق(٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق وتقديم: الشيخ حسين الأعلمي، سنة الطبع: ١٤٠٤ – ١٩٨٤ م، المطبعة: مطابع مؤسسة الأعلمي – بيروت – لبنان، الناشر: مؤسسة

ب- سندها:

هي من أشهر زيارات الأئمة الطاهرين عليهم السلام وأعلاها شأناً، وأكثرها ذيوعاً وانتشاراً، فقد أقبل أتباع أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم على حفظها وزيارة الأئمة بها خصوصاً في يوم الجمعة.

أما سند الزيارة الجامعة فقد حاز درجة عالية من الصحة، فقد قال العلّامة المجلسي: (إن هذه الزيارة من أصح الزيارات سنداً، وأعمقها مورداً، وأفصحها لفظاً وأبلغها معنى، وأعلاها شأناً)[1].

وقد روى هذه الزيارة محمد بن إسماعيل البرمكي عن موسى بن عبد الله النخعي عن الإمام علي الهادي عليه السلام، وهي تفيض بالأدب الرائع، وبجواهر الفصاحة

الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان:ج ٢ - ص ٣٠٥؛ من لا يحضره الفقيه - الشيخ الصدوق، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة:ج ٢ - ص ٦١٠؛ تهذيب الأحكام - الشيخ الطوسي (٤٦٠هـ)، تحقيق وتعليق: السيد حسن الموسوي الخرسان، الطبعة: الرابعة، سنة الطبع: ١٣٦٥ ش، المطبعة: خورشيد، الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران: ج ٦ - ص ٩٦؛ مستدرك الوسائل - ميرزا حسين النوري الطبرسي الوفاة(١٣٢٠هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - بيروت - لبنان: ج ١٠ - ص ٤١٦؛ المحتضر - حسن بن سليمان الحلي(الوفاة: ق ٩هـ)، تحقيق: سيد علي أشرف، سنة الطبع: ١٤٢٤هـ - ١٣٨٢ ش، المطبعة: شريعت، الناشر: انتشارات المكتبة الحيدرية: ص ٢٢١؛ بحار الأنوار - العلّامة المجلسي(١١١١هـ)، تحقيق: محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخرسان، السيد إبراهيم الميانجي، محمد الباقر البهبودي، الطبعة: الثالثة المصححة، سنة الطبع: ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان: ج ٩٩ - ص ١٣٣؛ الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة (شرح آل كاشف الغطاء) - السيد عبد الله الشبر (١٢٢٠هـ)، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م، الناشر: مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان: ص ٢٧؛ موسوعة المصطفى والعترة عليهم السلام - الحاج حسين الشاكري: الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٩هـ، المطبعة: ستارة، الناشر: نشر الهادي - قم - إيران: ج ١٤ - ص ١٥١.

(١) بحار الأنوار - المجلسي:ج ٩٩-ص١٤٤.

والبلاغة، وجمال التعبير ودقة المعاني، الأمر الذي يدلل على صدورها عن الإمام عليه السلام.

في عيون أخبار الرضا الشيخ الصدوق بسنده قال: «حدثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رضي الله عنه ومحمد بن أحمد السناني وعلي بن عبد الوراق والحسين ابن إبراهيم بن أحمد بن هشام المكتب قالوا: حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي وأبو الحسين الأسدي قالوا: حدثنا محمد بن إسماعيل المكي البرمكي قال: حدثنا موسى بن عمران النخعي قال: قلت لعلي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام: علمني يا ابن رسول الله قولاً أقوله بليغاً كاملاً إذا زرت واحداً منكم فقال: إذا صرت إلى الباب فقف وأشهد الشهادتين وأنت على غسل فإذا دخلت ورأيت القبر فقف وقل: الله أكبر ثلاثين مرة ثم أمش قليلاً وعليك السكينة والوقار وقارب بين خطاك ثم قف وكبر الله عزَّ وجلَّ ثلاثين مرة ثم أدنو من القبر وكبر الله أربعين مرة تمام مأة تكبيرة ثم قل: «السلام عليكم يا أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة...»[1].ورجال السند هم على التوالي:

١- الشيخ الصدوق: ثقة ثقة.

٢- عليّ بن أحمد بن محمّد الدقّاق: من مشايخ الصدوق شيخ إجازة بحكم الثقة، أبو القاسم، من مشايخ الصدوق، ذكره مترضياً عليه. [2].

٣- محمّد بن أحمد السناني الزاهري: يروي عنه الصدوق مترضّياً[3].

---

(١) عيون أخبار الرضا- الصدوق:ج ٢-ص٣٠٦؛ تهذيب الأحكام-الشيخ الطوسي:ج ٦-ص١٠٦.

(٢) الرسائل الرجالية- محمد بن إبراهيم الكلباسي(١٣١٥هـ)، تحقيق: محمد حسين الدرايتي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٣هـ- ١٣٨١ش، المطبعة: ستاره، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر:ج٤، ص٣٧٠-٣٧١. وظ: عيون أخبار الرضا- الشيخ الصدوق(٣٨١هـ)، تحقيق: تصحيح وتعليق وتقديم: الشيخ حسين الأعلمي، الطبعة: سنة الطبع: ١٤٠٤ - ١٩٨٤م، المطبعة: مطابع مؤسسة الأعلمي - بيروت - لبنان، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان:ج١، ص٢٤٦.

(٣) ظ:الخصال- الشيخ الصدوق، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، سنة الطبع: ١٨ ذي

٤- عليّ بن عبد الله الورّاق: مهمل [١].

٥- الحسين بن إبراهيم بن هشام المؤدب المكتب: أنه يروي الصدوق عنه مترضياً مترحماً، وأقل ما يستفاد منه حسن حاله [٢].

٦- محمّد بن عبد الله الكوفي الأسدي: حسن كان ثقة صحيح الحديث من الأبواب. روىٰ عن سهل بن زياد، وعن أبي عبد الله النسائي (النسابي)، وإسحاق بن محمد الخثعمي، والحسين بن محمد، وسعد، وسعد بن عبد الله، وصالح ابن أبي حماد،

القعدة الحرام ١٤٠٣هـ - ١٣٦٢ ش، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرّفة:١٨٨ص، وظ: عيون أخبار الرضا:ج١، ص١٠٢، وظ: الكتاب: نقد الرجال- التفرشي (ق ١١هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة: الأولىٰ، سنة الطبع: شوال ١٤١٨هـ، المطبعة: ستارة ـ قم، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم:ج٤، ص١١٩، تحت رقم (٢٥٩)، وظ: منتهىٰ المقال في أحوال الرجال-محمد بن إسماعيل المازندراني(١٢١٦هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التّراث ـ قم، الطبعة: الأولىٰ، سنة الطبع: ربيع الأول ١٤١٦هـ، المطبعة: ستاره ـ قم، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التّراث ـ قم:ج١، ص٣١٤، تحت رقم(٢١٩)، وظ: معجم رجال الحديث- الخوئي(١٤١٣هـ)، الطبعة: الخامسة، سنة الطبع: ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م: ج٣، ص٣٥، تحت رقم(٨١٩). وظ: أعيان الشيعة-محسن الأمين(١٢٧١هـ)، تحقيق وتخريج: حسن الأمين، الناشر: دار التعارف للمطبوعات - بيروت ـ لبنان:ج٣، ص٧٣.

(١) ظ: التوحيد- الشيخ الصدوق، تحقيق: تصحيح وتعليق: السيد هاشم الحسيني الطهراني، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرّفة: ص١٥٩، تحت رقم(٥)، وظ: علل الشرائع-الشيخ الصدوق، تحقيق: تقديم: السيد محمد صادق بحر العلوم، سنة الطبع: ١٣٨٥ هـ- ١٩٦٦م، الناشر: منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها - النجف الأشرف: ج١، ص٢٣٥، تحت رقم(١)، وظ:عيون أخبار الرضا-الصدوق:ج١، ص١٥، وظ:من لايحضره الفقيه- الصدوق:ج٣، ص١١٢، وظ: منتهىٰ المقال- المازندراني: ج٥، ص٣٧، وظ: طرائق المقال-علي البروجردي (١٣١٣هـ)، الطبعة: الأولىٰ، سنة الطبع: ١٤١٠هـ، المطبعة: بهمن ـ قم، الناشر: مكتبة آية الله العظمىٰ المرعشي النجفي العامة - قم المقدسةج١، ص١٧٨.

(٢) ظ: تنقيح المقال في علم الرجال-عبد الله المامقاني(١٣٥١هـ)، تحقيق واستدراك:الشيخ محي الدين المامقاني، نشر مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث، الأولىٰ ١٤٢٧هـ، المطبعة ستاره-قم:ج٢١، ص١٩٤، تحت رقم(٧٩٢).

وعلي بن أبي القاسم، ومحمد بن أبي بشر، ومحمد بن إسماعيل، ومحمد بن إسماعيل البرمكي، ومحمد بن حسان، ومحمد بن الحسين، ومحمد بن خالد، ومعاوية بن حكيم، وموسىٰ بن عمران. وروىٰ عنه علي بن أحمد بن موسىٰ، وعلي بن حاتم، وروىٰ عنه علي بن إبراهيم مرسلاً. تفسيرالقمي: سورة طه، في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾. وقع بهذا العنوان في إسناد كثير من الروايات تبلغ ثلاثة وسبعين موردا [١].

٧- أبو الحسين الأسدي: الظاهر هو محمّد بن أبي عبد الله الكوفي فاسم الأب جعفر ويكنّىٰ بأبي عبد الله ويلقّب محمّد تارةً بالكوفي وأُخرىٰ بالأسدي وكثير من بني أسد من كان يسكن الكوفة، وتكون الواو في السند (حدّثنا محمّد بن أبي عبد الله الكوفي وأبو الحسين الأسدي) إمّا زائدة أو عطف بمعنىٰ الذي وبمعنىٰ هو فيكون ورواه محمّد الذي هو الكوفي والذي هو أبو الحسين الأسدي أيضاً، كما أنّ في سند الصدوق ذكر الاسم واللقب ولم يفصلهما فيكون من الثقات، أبو الحسين الأسدي وأبو الحسين الأشعري:المراد بهما محمّد بن جعفر بن محمّد بن عون الأسدي الذي يقال له محمّد بن أبي عبد الله، وقد يعدّ من الأبواب والوكلاء .

وقد ذكره الصدوق في الفقيه وأنّه وجد في رواياته فيما ورد عليه من الشيخ أبي جعفر محمّد بن عثمان العمري، ويأتي أنّه ممّن كان يرد عليهم التوقيعات من قبل المنصوبين للسفارة من الأصل [٢].

٨- محمّد بن إسماعيل المكّي البرمكي: هذا الاسم مشترك بين ثلاثة عشر رجلاً،

---

(١) ظ: معجم رجال الحديث- الخوئي:ج١٥، ص٢٧٩، تحت رقم(١٠٠٢٧)

(٢) ظ:منتهىٰ المقال في أحوال الرجال - محمد بن إسماعيل المازندراني:ج٧، ص١٥٧، تحت رقم (٣٥٠٢ و٣٥٠٣)، وظ: طرائف المقال - السيد علي ألبروجردي:ج١، ص١٩٧، وظ:مستدركات علم الرجال- النمازي:ج٨، ص٣٦٤، وظ: معجم رجال الحديث- الخوئي:ج٢٢، ص١٢٢، تحت رقم(١٤١٧٢).

ثلاثة منهم ثقات معتمدون، وهم محمّد بن إسماعيل بن بزيع، ومحمّد بن إسماعيل ابن ميمون الزعفراني، ومحمّد بن إسماعيل بن أحمد البرمكي، والعشرة الباقية لم يوثّق علماء الرجال أحداً منهم[١].

٩- موسى بن عمران النخعي: مجهول لم يذكر بمدحٍ أو قدح إلّا أنّه حسن حدساً[٢].

ثمّ اجتماع مشايخ الصدوق في هذا الخبر الشريف وترضّيه والترحّم عليهم يدلّ على حسنهم ووثاقتهم، وأنّ مشايخه بحكمه في القبول والوثاقة، كما أنّ عمل الشيخ الصدوق بروايتهم توثيق عملي لهم. كما أنّ الشيخ روى الرواية هذه عن أربعة أو خمسة من مشايخه ولا يصحّ تواطؤ الجميع على الكذب بأيّ وجه من الوجوه .فالسند حسن ومعتبر بل وصحيح ولا يضرّه كون النخعي مجهولاً، فربما لظروفه الخاصّة والاضطهاد المحدق بالشيعة آنذاك كان سبباً لعدم معرفة شيء عنه[٣] .

وفي روايته لها دلالة واضحة على كونه إماميّاً صحيح الاعتقاد، بل في تلقين مولانا الهادي مثل هذه الزيارة المفصّلة المتضمّنة لبيان مراتب الأئمّة شهادة على كون الرجل من الحسان مقبول الرواية، وإهمالهم ذكره في كتب الرجال غير قادح فيه.

---

(١) ظ: شرح أصول الكافي- محمد صالح المازندراني(١٠٨١هـ)، تحقيق: مع تعليقات: الميرزا أبو الحسن الشعراني/ ضبط وتصحيح: السيد علي عاشور، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م، المطبعة: دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الناشر: دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ـ لبنان:ج٢، ص١٦.

(٢) - ظ: فقه الحج بحوث استدلالية في الحج- لطف الله الصافي الگلپايگاني، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١١ ذي القعده ١٤٢٣ - ١٣٨١ ش، المطبعة: مطبعة ثامن الحجج عليه السلام، الناشر: مؤسسة السيدة المعصومة عليها السلام: ج١، ص٨٤.

(٣) بحث منشور على موقع .alawy.net /arabic /book بعنوان في ظلال الزيارة الجامعة-عادل العلوي.

كما أنّ ابن قولويه القمّي قد روىٰ عنه في كامل الزيارات الباب التاسع في الدلالة علىٰ قبر أمير المؤمنين[١].

وكذلك يروي عليّ بن إبراهيم القمّي في تفسيره عنه، ومن يرىٰ توثيق من يقع في طريق ابن قولويه والقمّي واعتبارهم ثقات وإن لم يكونوا في بداية السند، فإنّه يكون موسىٰ بن عمران النخعي من الثقاة أيضاً.

فضلاً عن ذلك أنّ الأصحاب أخذوا بالخبر وعملوا به في مزاراتهم، كما يدلّ علىٰ اعتباره علوّاً في متنه ودلالاته، وإنّ ما فيه كلّه مطابق للأدلّة والبراهين القطعيّة من الكتاب الكريم والسنّة الشريفة والإجماع والعقل، وإنّ مشايخنا في الفقه والحديث انكبوا علىٰ قراءتها، حتّىٰ من واظب عليها في كلّ يوم حيث كانوا يواظبون علىٰ قراءة كلّ يوم جزء من القرآن الكريم ويصلّون صلاة جعفر الطيّار ويزورون زيارة عاشوراء وزيارة الجامعة هذه، كما كانوا يزورون بها أمير المؤمنين عند ضريحه المقدّس، وأوصوا بها وإنّها ممّا تنير القلب .

كما أنه يتحصل لنا الاعتماد الكامل والقاطع بواسطة تمسّك كلّ الفقهاء والعظماء بهذه الزيارة لفصاحتها وبلاغتها وسموّ معانيها وهو الدليل علىٰ أنها مما ورد عن أهل البيت عليهم السلام ويحصل العلم بكونها ـ لا تحتاج إلىٰ ملاحظة سند، فإنّ فصاحة مشحونها وبلاغة مضمونها تغني عن ذلك، فهي كالصحيفة السجّاديّة ونهج البلاغة ونحوهما ـ[٢].

هذه الزيارة الشريفة قد اشتهرت بين الشيعة وعلمائهم بنحو تلقّوها بالقبول

---

(١) ظ: كامل الزيارات- جعفر بن محمد بن قولويه(٣٦٧هـ)، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، الطبعة: الأولىٰ، سنة الطبع: عيد الغدير١٤١٧هـ، المطبعة: مؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة نشر الفقاهة: ٨٤.

(٢) الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة (شرح آل كاشف الغطاء)- عبد الله الشبر(١٢٢٠هـ)، الطبعة: الأولىٰ، سنة الطبع: ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م، الناشر: مؤسسة الوفاء - بيروت ـ لبنان: ص٣٣.

بأجمعهم بدون خلاف من أحدهم، لما علموا يقيناً بصدورها منه عليه السّلام فلا رادَّ ولا معترض، بل ولا متأمل في صدورها عنه عليه السلام.

فعليه فلا يحتاج إلى بيان تصحيح إسناد الزيارة، والاستشهاد عليها ببعض المنامات المرئيّة في المقام، وإن كانت مؤيّدة بل مصححة لها جدّاً فهي رؤيت ورويت عن الأكابر كما لا يخفى على المراجع لشرح الفقيه للعلّامة المجلسي الأول، هذا ويكفي في صحة صدورها وإنّ هذه الزيارة اشتهرت بين الشيعة حتّى استغنت باشتهارها عن ذكر إثباتها، وبيان سندها، فكانت متلقّاة عند جميع الشيعة بالقبول من غير معارض فيها ولا رادّ لها، والمشهور أنّ الشهرة تجبر ضعف السند[1].

فهذه الزيارة من أشهر زيارات الأئمة الطاهرين وأعلاها شأناً وأكثرها ذيوعاً وانتشاراً، فقد امتازت بأهمّية بالغة بين الأدعية والزيارات المأثورة عن أئمة الهدى، وقد أقبل أتباع أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم على حفظها وزيارة الأئمة بها خصوصاً في ليلة الجمعة ويومها، وذلك لأنّها مرويّة بالإسناد عن الإمام الهادي عليه السلام وقد حاز سندها درجة القطع من حيث الصحّة، ولأنّها تشتمل على كلام فريد يزخر بالمعارف الإلهيّة السامية، ويبيّن حقيقة الإمام عليه السلام الذي يمثّل الحجّة التامّة للحقّ على جميع العالمين، ومحور كائنات الوجود، وواسطة الفيض بين الخالق والمخلوق، والجامع لكلّ الخير والمحاسن، والنموذج الكامل للإنسان، وقد جاء كلّ ذلك في أرقى مراتب البلاغة والفصاحة .

وقد اهتمّ علماء الشيعة بهذه الزيارة واعتبروها أفضل الزيارات الجامعة سنداً ومحتوى، ويكفينا في عظمة هذه الزيارة عُلوّ شأنها عند أصحابنا وعلمائنا الأعلام ما قاله العلّامة المجلسي عليه الرحمة في بحاره العظيم: (إنّها أصحّ الزيارات سنداً

(١) ظ: الأنوار الساطعة في شرح زيارة الجامعة- جواد بن عباس الكربلائي، مراجعة: محسن الأسدي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات:ج١، ص٣٥٤.

وأعمّها مورداً، وأفصحها لفظاً، وأبلغها معنىٰ، وأعلاها شأناً)[١].

وقال أيضاً: (ثمّ اعلم أنّي لمّا رأيت تلك الزيارة أيضاً في أصل مصحّح قديم من تأليفات قدماء أصحابنا سمّيناه في أوّل كتابنا بالكتاب العتيق أبسط ممّا أوردنا مع اختلافات في ألفاظها...)[٢].

ج- شروح الزيارة.

وقد عكف كثير من الأعلام علىٰ شرح هذه الزيارة العظيمة اهتماماً بها فشرحوا بعض ما ورد فيها ممّا يوجب الإيهام، وأوضحوا بعض ألفاظها ومعانيها المغلقة دفعاً للاعتراض وردّاً للانتقاد، وقد ذكر جملة منهم شيخنا الحجّة الرازي في كتابه القيّم (الذريعة إلىٰ تصانيف الشيعة)، ومن هذا الشروح:

١- الأعلام اللامعة في شرح الجامعة: للسيد محمد بن عبد الكريم الطباطبائي البروجردي المتوفىٰ حدود سنة ١١٦٠هـ.[٣].

٢- الإلهامات الرضوية في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة المشهورة (فارسي): للسيد محمد بن السيد محمود الحسيني اللواساني الطهراني الشهير بالسيد محمد العصار (ت ١٣٥٥هـ)[٤].

٣- شرح الزيارة الجامعة الكبيرة: للشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي (ت ١٢٤١هـ)، وهو مطبوع في أربعة مجلدات[٥].

٤- الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة (شرح الزيارة الجامعة) للسيد عبد الله بن السيد محمد رضا شبر الحسيني الحلي الكاظمي المتوفىٰ سنة ١٢٤٢هـ وهو

---

(١) ظ: بحار الأنوار- المجلسي:ج٩٩، ص١٤٤.

(٢) ظ: بحار الأنوار- المجلسي:ج٩٩، ص١٤٦.

(٣) ظ:الذريعة:ج ٢، ص٢٣٩، تحت رقم(٩٥٢.)

(٤) ظ: الذريعة:ج ٢، ص٣٠٢، تحت رقم(١٢١٧).

(٥) ظ:الذريعة:ج١٣، ص٣٠٥، تحت رقم(١١١٦).

مطبوع[١].

٥- البروق اللامعة (تعليقات على الزيارة الجامعة الكبيرة المعروفة وعلى بعض الأدعية المتداولة أيضاً): للشيخ علي بن محمد جعفر الاسترآبادي الطهراني[٢].

٦- شرح الزيارة الجامعة: للمولى محمد تقي المجلسي، والد العلّامة المجلسي صاحب البحار (ت ١٠٧٠هـ)[٣].

٧- شرح الزيارة الجامعة (فارسي): للعلّامة السيد حسين بن السيد محمد تقي الهمداني (ت ١٣٤٤هـ)، اسمه (الشموس الطالعة)[٤].

٨- شرح الزيارة الجامعة: للعلّامة الميرزا علي نقي بن السيد حسين المعروف بالحاج آغا ابن السيد المجاهد الطباطبائي الحائري (ت ١٢٨٩هـ)[٥].

٩- شرح الزيارة الجامعة: للميرزا محمد علي بن المولى محمد نصير الچهاردهي الرشتي النجفي (ت ١٣٣٤هـ). فارسي[٦].

١٠- شرح الزيارة الجامعة:للسيد بهاء الدين محمد بن محمد باقر الحسيني النائيني المختاري[٧].

١١- شرح الزيارة الجامعة للسيد محمد بن عبد الكريم الطباطبائي البروجردي[٨].

١٢- شمس طالعة في شرح الزيارة الجامعة(فارسي): للسيد عبد الله بن أبي القاسم

---

(١) ظ: الذريعة:ج١٣، ص٣٠٥، تحت رقم تحت رقم(١١١٧).

(٢) ظ: الذريعة:ج٣، ص٨٩، تحت رقم تحت رقم(٢٧٨).

(٣) ظ:الذريعة:ج ١٣، ص٣٠٥ تحت رقم(١١١٧).

(٤) ظ:الذريعة:ج ١٣، ص٣٠٥. تحت رقم(١١١٧).

(٥) ظ:الذريعة: ج ١٣، ص٣٠٦، تحت رقم (١١٨).

(٦) ظ:الذريعة: ج١٣، ص٣٠٦، تحت رقم(١١٩).

(٧) ظ:الذريعة: ج١٣/ ص٣٠٦، تحت رقم(١١٢٠).

(٨) ظ:الذريعة: ج١٣/ ص٣٠٦، تحت رقم(١١٢٠).

الموسوي البلادي[١].

١٣- شمس طالعة في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة: للميرزا محمد بن أبي القاسم ناصر حكمت طبيب زاده الأصفهاني المعاصر الأحمد آبادي[٢] .

١٤- الشموس الطالعة في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة: للسيد حسين بن السيد محمد تقي الهمداني الدرود آبادي (ت ١٣٤٤هـ)، هو من نفائس الشروح حاوٍ لتحقيقات عالية[٣].

١٥- الشموس الطالعة في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة: للسيد ريحان الله ابن السيد جعفر الدارابي البروجردي (ت ١٣٢٨هـ)[٤].

١٦- الأنوار الساطعة في شرح الزيارة الجامعة: للشيخ محمد رضا بن القاسم الغراوي المعاصر[٥].

١٧- بغية الطلب في شرح الزيارة الجامعة في رجب التي أولها، (الحمد لله الذي أشهدنا مشهد أوليائه في رجب) للمولى درويش علي ابن الحسين بن علي بن محمد البغدادي الحائري المتوفى بها سنة (١٢٧٧)[٦].

١٨- جامع الأخبار، يعني الأخبار الموجودة في «شرح الزيارة الجامعة» تأليف الأحسائي للشيخ مهدي بن المولى أسد الله اللاهجي[٧].

---

(١) ظ:الذريعة: ج١٤/ ٢٢٣، تحت رقم(٢٢٩٦).

(٢) ظ: الذريعة: ج١٤/ ٢٣٤، تحت رقم(٢٣٤٥).

(٣) ظ: الذريعة: ج١٤/ ٢٢٤، تحت رقم(٢٣٤٦).

(٤) ظ: الذريعة: ج١٤/ ٢٢٤، تحت رقم(٢٢٩٧).

(٥) ظ: الذريعة: ج٢٦/ ٦٠، تحت رقم(٢٨٠).

(٦) ظ: الذريعة:ج٣، ص١٣٦، تحت رقم(٤٥٩).

(٧) ظ: الذريعة:ج٥، ص٣٨، تحت رقم(١٥٦).

المبحث الثاني

يتوسم الباحث في الزيارة معاني واسعة في خصوص الإمامة بوصفها نسبيّة، وكونها مرتبطة بالله مباشرة، وهي الإمتداد للتوحيد والنبوّة وهي أصل من أصول الدين، وصفات الإمامة، الإمامة العلميّة والأخلاقيّة، الإمامة السياسية الدنيويّة، الإمامة والمرجعية التكوينية والولاية الإلهيّة العظمىٰ، كرائم الله في الإمامة والأئمة، أنواع الناس في تقبل الإمامة وعدم تقبلها ومدىٰ تعلّقهم بإمامة الأئمة الأطهار عليهم السلام[٨].

يمكن أن نستخرج من الزيارة بحثاً خاصاً بالإمامة والإمام وشروطها، هي كما يأتي:

أ- **أنواع الإمامة:**

١- **الإمامة النّسبيّة:** من خلال ابتداء الإمام عليه السلام: «السلام عليكم يا أهل بيت النبوّة» يدل ذلك علىٰ أن الأئمة من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، وهم الورثة الحقيقيون لميراث الأنبياء في مقاماتهم ورسالاتهم السماويّة.

٢- **الإمامة المطلقة:** قال الإمام عليه السلام: «محالّ معرفة الله، مساكن بركة الله، معادن حكمة الله، حفظة سرّ الله، حملة كتاب الله، المستوفرين في أمر الله، التامّين في محبّة الله، المخلصين في توحيد الله، المظهرين لأمر الله، عباد الله المكرمين الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، بقيّة الله وخيرته وحزبه وعَيْبَةِ علمه وحجّته وصراطه ونوره وبرهانه» وهذا دليل علىٰ الإمامة المطلقة .

٣- **الإمامة العلميّة:** قال الإمام عليه السلام: «موضع الرسالة، مختلف الملائكة، مهبط الوحي، معدن الرحمة، خزّان العلم». ففي «موضع الرسالة» «مختلف الملائكة» «مهبط

(٨) بحث منشور علىٰ موقع .alawy.net /arabic /book بعنوان في ظلال الزيارة الجامعة-عادل العلوي.

الوحي» «معدن الرحمة» «خزان العلم» الإمامة العلمية.

٤- **الإمامة الأخلاقية**: قال الإمام عليه السلام: «أُصول الكرم، عناصر الأبرار، دعائم الأخيار، أبواب الإيمان، أئمة الهدىٰ، مصابيح الدجىٰ، أعلام التقىٰ، ذوي النهىٰ، أُولي الحجىٰ، المثل الأعلىٰ، الدعوة الحسنىٰ»، «أصول الكرم» «دعائم الخيار» «أبواب الإيمان» «المثل الأعلىٰ» الإمامة الأخلاقية.

٥- **الإمامة السياسية**: قال الإمام عليه السلام: « قادة الأُمم، ساسة العباد، أولياء النعم، أركان البلاد، والقادة الهداة، السادة الولاة، الذادة الحماة، أهل الذكر وأُولي الأمر، أعلاماً لعباده، مناراً في بلاده، أقمتم حدوده، بقوله تحكمون».

٦- **الإمامة التبليغية الدينية** قال الإمام عليه السلام: «الدعاة إلىٰ الله، الأدلّاء علىٰ مرضاة الله، المظهرين لأمر الله ونهيه، الأئمة الراشدون المهديّون، عظّمتم جلاله، أكبرتم شأنه، مجّدتم كرمه، أدمتم ذكره، وكّدتم ميثاقه، أحكمتم عقد طاعته، نصحتم له في السرّ والعلانية، دعوتم إلىٰ سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة، بذلتم أنفسكم في مرضاته، صبرتم علىٰ ما أصابكم في جنبه، أقمتم الصلاة، آتيتم الزكاة، أمرتم بالمعروف، نهيتم عن المنكر، جاهدتم في الله حقّ جهاده، أعلنتم دعوته، بيّنتم فرائضه، نشرتم شرائع أحكامه، سننتم سنّته، صرتم في ذلك منه الرضا، وسلّمتم له القضاء، وصدّقتم من رسله من مضىٰ، إلىٰ سبيله ترشدون، بموالاتكم علّمنا الله معالم ديننا وأصلح ما كان فسد من دنيانا، وبموالاتكم تمّت الكلمة، وعظمت النعمة، وائتلفت الفُرقة، وبموالاتكم تقبل الطاعة المفترضة، ولكم المودّة».

٧- **الإمامة المرجعيّة الدينية**: قال الإمام عليه السلام: «أدلّاء علىٰ صراط الله، بيّنتم فرائضه، فصل الخطاب عندكم، آيات الله لديكم، عزائمه فيكم، نوره وبرهانه عندكم، أمره إليكم، إلىٰ الله تدعون وعليه تدلّون وبه تؤمنون، له تسلّمون، بأمره تعملون، يا وليّ الله إنّ بيني وبين الله عزَّ وجلَّ ذنوباً لا يأتي عليها إلّا رضا الله ورضاكم، فبحقّ من

ائتمنكم على سرّه واسترعاكم أمر خلقه وقرن طاعتكم بطاعته، لما استوهبتم ذنوبي، وكنتم شفعائي».

ب- **الإمامة هي أصل من أصول الدين** : قال الإمام عليه السلام: «أُمناء الرحمن، سلالة النبيّين، صفوة المرسلين، عترة خيرة ربّ العالمين، كهف الورىٰ، ورثة الأنبياء، الدعوة الحسنىٰ، حجج الله علىٰ أهل الدنيا والآخرة والأُولىٰ، حملة كتاب الله، أوصياء نبيّ الله، ذرّية رسول الله، ورضيهم الله خلفاء في أرضه وحججاً علىٰ بريّته وأنصاراً لدينه وحفظةً لسرّه، وخزنة لعلمه ومستودعاً لحكمته وتراجمة لوحيه، وأركاناً لتوحيده، ميراث النبوّة عندكم، وعندكم ما نزلت به رسله، وهبطت به ملائكته، وإلىٰ جدّكم بُعث الروح الأمين»، فهي دلالة واضحة بتأكيد الإمام عليها في كونها أصلاً من أصول الدين بعد التوحيد والنبوة..

ت- **صفات الإمامة**: قال الإمام عليه السلام: «الأئمة الراشدون المهديّون المعصومون المكرمون المقرّبون المتّقون الصادقون المصطفون، المطيعون لله، القوّامون بأمره، العاملون بإرادته، الفائزون بكرامته... اصطفاكم الله بعلمه وارتضاكم لغيبه واختاركم لسرّه واجتباكم بقدرته وأعزّكم بهداه وخصّكم ببرهانه وانتخبكم لنوره وأيّدكم بروحه عصمكم الله من الزلل آمنكم من الفتن طهّركم من الدنس وأذهب عنكم الرجس وطهّركم تطهيراً...الحقّ معكم وفيكم ومنكم وإليكم، وأنتم أهله ومعدنه، ميراث النبوّة عندكم، أنتم السبيل الأعظم، والصراط الأقوم، وشهداء دار الفناء، وشفعاء دار البقاء، والرحمة الموصولة، والآية المخزونة، والأمانة المحفوظة... كلامكم نور وأمركم رشد، ووصيّتكم التقوىٰ وفعلكم الخير وعادتكم الإحسان وسجيّتكم الكرم، وشأنكم الحقّ والصدق والرفق، وقولكم حكم وحتم ورأيكم علم وحلم وحزم، إن ذكر الخير كنتم أوّله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه، لكم المودّة الواجبة والدرجات الرفيعة والمقام المحمود والمكان المعلوم عند الله عزَّ وجلَّ والجاه العظيم والشأن الكبير والشفاعة المقبولة». فقد رتبها الإمام عليه السلام في هذه

الزيارة فمنها: (العلم اللدنّي)، (علمهم بالغيب)، (الاختيار الإلهي)، (الاجتباء الإلهي)، (العزّة الإلهيّة)، (الاختصاص بالبرهان الإلهي)، (الاجتباء النوري)، (التأييد الإلهي).. (العصمة الذاتيّة)، (الأمان الإلهي)[1].

ث- **انواع المخاطبين**: قال الإمام عليه السلام: «الراغب عنكم مارق واللازم لكم لاحق، والمقصّر في حقّكم زاهق، إياب الخلق إليكم، وحسابهم عليكم، من والاكم فقد والى الله، من عاداكم فقد عادى الله، من أحبّكم فقد أحبّ الله، من أبغضكم فقد أبغض الله، من اعتصم بكم فقد اعتصم بالله، أنتم الباب المبتلى به الناس من أتاكم فقد نجا، ومن لم يأتكم فقد هلك، سعد من والاكم، وهلك من عاداكم، خاب من جحدكم، ضلّ من فارقكم، فاز من تمسّك بكم، أمن من لجأ إليكم، سلم من صدّقكم، هدي من اعتصم بكم، من اتّبعكم فالجنّة مأواه، ومن خالفكم فالنار مثواه، من جحدكم كافر، من حاربكم مشرك، من ردّ عليكم في أسفل درك من الجحيم، جعل صلواتنا عليكم وما خصّنا به من ولايتكم طيباً لخلقنا...بأبي أنتم وأُمّي وأهلي ومالي وأسرتي، أُشهد الله وأُشهدكم، أنّي مؤمن بكم وبما آمنتم به، كافر بعدوّكم وبما كفرتم به مستبصر بشأنكم، وبضلالة من خالفكم، موالٍ لكم ولأوليائكم مبغض لأعدائكم ومعادٍ لهم، سلم لمن سالمكم حربٌ لمن حاربكم، محقّق لما حقّقتم، مبطل لما أبطلتم، مطيع لكم، عارف بحقّكم، مقرّ بفضلكم، محتمل لعلمكم، محتجب بذمّتكم، معترف بكم مؤمن بإيابكم، مصدّق برجعتكم، منتظر لأمركم، مرتقب لدولتكم، آخذ بقولكم، عامل بأمركم، مستجير بكم زائر لكم مستشفع إلى الله عزَّ وجلَّ بكم ومتقرّب بكم إليه مقدّمكم أمام طلبتي وحوائجي وإرادتي، في كلّ أحوالي وأُموري، مؤمن بسرّكم وعلانيتكم، وشاهدكم وغائبكم، وأوّلكم وآخركم ومفوّض في ذلك كلّه إليكم ومسلّم فيه معكم، قلبي لكم مسلّم ورأيي لكم تبع ونصرتي لكم معدّة، حتّى يحيي الله تعالى دينه بكم ويردّكم في أيّامه ويظهركم لعدله ويمكّنكم في أرضه، معكم

(١) بحث منشور على موقع alawy.net /arabic /book. بعنوان في ظلال الزيارة الجامعة-عادل العلوي.

معكم لا مع عدوّكم، آمنت بكم، وتولّيت آخركم بما تولّيت به أوّلكم، وبرئت إلى الله عزَّ وجلَّ من أعدائكم، ومن الجبت والطاغوت والشياطين وحزبهم الظالمين لكم والجاحدين لحقّكم، والمارقين من ولايتكم والغاصبين لإرثكم، والشاكّين فيكم، والمنحرفين عنكم ومن كلّ وليجة دونكم، وكلّ مطاع سواكم، ومن الأئمة الذين يدعون إلى النار، فثبّتني الله أبداً ما حييت على موالاتكم، ومحبّتكم ودينكم ووفّقني لطاعتكم ورزقني شفاعتكم وجعلني من خيار مواليكم، التابعين لما دعوتم إليه، وجعلني ممّن يقتصّ آثاركم ويسلك سبيلكم ويهتدي بُهداكم، ويحشرني في زمرتكم، ويكرّ في رجعتكم ويُملّك في دولتكم، ويشرف في عافيتكم، ويمكّن في أيّامكم، وتقرّ عينه غداً برؤيتكم، بأبي أنتم وأُمّي ونفسي وأهلي ومالي، من أراد الله بدأ بكم، ومن وحّده قبل عنكم، ومن قصده توجّه بكم، مواليّ لا أحصي ثناءكم، ولا أبلغ من المدح كنهكم، ومن الوصف قدركم، وأنتم نور الأخيار وهداة الأبرار وحجج الجبّار، بأبي أنتم وأُمّي ونفسي وأهلي ومالي، ربّنا آمنّا بما أنزلت واتّبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين، ربّنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنّك أنت الوهّاب، سبحان ربّنا إنّه كان وعد ربّنا لمفعولا... فإنّي لكم مطيع، من أطاعكم فقد أطاع الله ومن عصاكم فقد عصى الله، ومن أحبّكم فقد أحبّ الله، ومن أبغضكم فقد أبغض الله، اللهمّ إنّي لو وجدت شفعاء أقرب إليك من محمّد وأهل بيته الأخيار الأئمة الأبرار لجعلتهم شفعائي، فبحقّهم الذي أوجبت لهم عليك أسألك أن تدخلني في جملة العارفين بهم وبحقّهم وفي زمرة المرحومين بشفاعتهم، إنّك أرحم الراحمين، وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين، وسلّم تسليماً كثيراً، وحسبنا الله ونعم الوكيل».

فقد قسم الإمام عليه السلام المخاطبين منهم من يتقبل الإمامة وتعلّق بها وبالأئمة عليهم السلام، ومنهم من لا يتقبلها وقصر فيها ويظهر ذلك في: (تفدّى كلّ شيء من أجلهم)، (كنا عنده مسلّمين بفضلكم)، (ومعروفين بتصديقنا إيّاكم) (الولاية والبراءة) (الاستبصار)، (العلم والشهود والشهادة) (ذمّتهم ذمّة الله) (دولة الإمام المهدي)

(الاستجارة بهم استجارة بالله كالاستجارة عند الركن المستجار) (من شعار الموالين) (عائذ بكم لائذ بقبوركم) (تنزل الرحمة الإلهيّة عندها) (الشفاعة) (إطاعتهم وقربهم إطاعة الله وقربه كإطاعة النبيّ وقربه) (أمير المؤمنين علي) (صاحب العصر والزمان) (الإطاعة القلبيّة) (أيّام الله) (الإطاعة العمليّة).

المبحث الثالث

من خلال استعراضنا لهذه الزيارة المباركة نستشف منها ملامح التصور السليم للفكر الديني، والمنهجية الحركية والفكرية، فقد تعرّض إلى موارد الفكر الديني والتي بيّن فيها الإمام عليه السلام المنهج الحركي والفكري للمذهب الإمامي، وهي محل البحث، التي انطوت على مفاهيم مثل:

أ- اصطفاء أهل البيت عليهم السلام، من خلال:

١- أن الله خص أهل البيت عليهم السلام فجعلهم موضع الرسالة.

٢- وهذا الجعل يتبع الصفات الكمالية التي يتمتعون بها كالعلم والحلم والكرم والرحمة.

٣- ونتيجة لتكاملهم وجب استلامهم لواء قيادة البشرية.

ب- حركية أهل البيت عليهم السلام:

من خلال الزيارة الجامعة أوضح الإمام عليه السلام أن المسيرة البشرية تنقسم دائماً إلى خطين هما: خط الهدى، وخط الضلالة، وأئمة أهل البيت عليهم السلام هم أئمة الهدى. أما غيرهم فهم أئمة الضلال. فلذلك لا يكون التلقي إلا منهم ولا يكون نهج التحرك إلا نهجهم فقد قال: «السلام على أئمة الهدى ومصابيح الدجى وأعلام التقى وذوي النهى...»، فالأئمة هم: «ذوو الحجى وكهف الورى وورثة الأنبياء والمثل الأعلى...».

ج- ملامح الأسس الفكرية لمذهب أهل البيت عليهم السلام :

يحدد الإمام الهادي عليه السلام الأسس الفكرية التي تقوم عليها دعوة أهل البيت عليهم السلام والتي يجب أن تسير حركة الأمة عليها وتلتزم حدودها، من خلال قوله: «السلام على الأئمة الدعاة والقادة الهداة والسادة الولاة والذادة الحُماة وأهل الذكر وأولي الأمر وبقية الله وخيرته وحزبه وعيبة علمه وحجته على صراطه ونوره وبرهانه ورحمة الله وبركاته».

١- الإيمان بقيام دولتهم.
٢- أهمية زيارة قبورهم.
٣- الإيمان بسرهم وعلانتيهم.
٤- الاستعداد لنصرة دولتهم.
٥- البراءة من عدوهم.
٦- الإيمان بالرجعة.
٧- سلامة العالم والدين ووحدة المسلمين تحت إشرافهم ووجودهم.
٨- الإيمان بهم عن علم وعقيدة.

د- صفات المؤمنين والمحبين لأهل البيت عليهم السلام.

ونتوسم أيضاً في الزيارة الجامعة بيان صفات المؤمنين ومقاماتهم، وما الذي يجب عليهم فعله حتى يصلوا إلى أعلى درجات القرب الممكنة من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، وقد ظهر ذلك في مواضع كثيرة ولا سيما من بيان قول مولانا الهادي عليه السلام: «بأبي أنتم وأمي وأهلي ومالي وأسرتي أشهد الله وأشهدكم أني مؤمن بكم...». من تلك الصفات التي يتحلّى بها أهل المقامات العالية من شيعة ومحبي أهل بيت عليهم السلام هي:

١- **مقام بذل**: أغلى وأنفس ما يمتلكه أو ينتمي إليه الإنسان في سبيل آل بيت عليهم السلام وهذا البذل من أبسط حقوق المعصومين عليهم السلام على محبيهم ولا يمكن الوصول إلى هذا

المقام إلا أن يكون هذا الفرد عارفاً بكل المقامات التي فصلها الإمام الهادي عليه السلام في الفقرات التي سبقت فقرة (بأبي أنتم وأمي).

٢- **العهد والميثاق**: وهذا من أهم صفات المؤمنين والموالين وقد أشار الإمام عليه السلام إلى بعض من بنود هذا الاتفاق أو شروطه، فمن الأمور التي يجب على كل موالي معرفتها هو أن الله سبحانه وتعالى قد أخذ على العباد في أول وجودهم عهداً وميثاقاً بالإقرار له بالربوبية ولمحمد صلى الله عليه وآله بالنبوة والرسالة ولأمير المؤمنين علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء وأولادها الأحد عشر المعصومين عليهم السلام بالولاية، وأن الله سبحانه وتعالى قد شهد هو بنفسه سبحانه على هذا الميثاق ثم أشهد عليه النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته المعصومين عليهم السلام، وأشهد كذلك الملائكة وأشهد نفس ذلك الموالي على هذا الميثاق وعندما يقدم الموالي إلى هذه الدنيا فإنه يعمل بمقتضى هذا الميثاق.

أولاً: أن يؤمن الموالي لآل العصمة عليهم السلام بجميع ما لهم من المقامات التي أعطاهم الله تعالى مثل مقام البيان أومقام إثبات التوحيد، ومقام المعاني، ومقام الأبواب، ومقام الإمامة والظهور البشري، وأن لا يصف المعصومين بالنقيصة.

ثانياً: يجب عليه أن يؤمن بأن الله أعطاهم العلم اللدني وفضلهم على سائر الخلق وأطلعهم على جميع شؤون سائر الخلق ظاهرها وباطنها، وأنهم لا يخفى عليهم خافية من شؤون جميعها هذا الوجود، وما أراده الله تعالى من سائر خلقه من معرفة صفاته وأفعاله وعبادته فعنهم صدر وإليهم يعود وهم المحيطون بعلمه.

ثالثاً: ويجب مع هذا الإيمان أن يكفر الموالي بما نسبه أعداؤهم لأنفسهم من الفضائل والمناقب، وما اغتصبوه من حقوق آل محمد صلى الله عليه وآله [1].

هـ- **النورانية**: معرفة أهل البيت عليهم السلام بالنورانية ووجوبه، كما نص عليه الحديث

---

(١) ظ: صفات المؤمنين في شرح الزيارة الجامعة - الشيخ حسين المطوع، خلال مؤتمر الشيخ الأوحد أعلى الله مقامه الأول (سيرة وعطاء) في عام ١٤٣٢هـ، مقال منشور على موقع: alhadi.ws/wp

عندما قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام مخاطباً سلمان وأبا ذر عندما قالا له: «جِئْنَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَسْأَلُكَ عَنْ مَعْرِفَتِكَ بِالنُّورَانِيَّةِ قَالَ صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِ مَرْحَباً بِكُمَا مِنْ وَلِيَّيْنِ مُتَعَاهِدَيْنِ لِدِينِهِ لَسْتُمَا بِمُقَصِّرَيْنِ لَعَمْرِي إِنَّ ذَلِكَ الْوَاجِبُ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ ثُمَّ قَالَ صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِ يَا سَلْمَانُ وَ يَا جُنْدَبُ قَالَا: لَبَّيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ عليه السلام: إِنَّهُ لَا يَسْتَكْمِلُ أَحَدٌ الْإِيمَانَ حَتَّى يَعْرِفَنِي كُنْهَ مَعْرِفَتِي بِالنُّورَانِيَّةِ فَإِذَا عَرَفَنِي بِهَذِهِ الْمَعْرِفَةِ فَقَدِ امْتَحَنَ اللهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ وَ شَرَحَ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَ صَارَ عَارِفاً مُسْتَبْصِراً وَ مَنْ قَصَّرَ عَنْ مَعْرِفَةِ ذَلِكَ فَهُوَ شَاكٌّ وَ مُرْتَابٌ يَا سَلْمَانُ وَ يَا جُنْدَبُ قَالا لبَّيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ عليه السلام مَعْرِفَتِي بِالنُّورَانِيَّةِ مَعْرِفَةُ الله عَزَّ وَ جَلَ وَ مَعْرِفَةُ الله عَزَّ وَ جَلَّ مَعْرِفَتِي بِالنُّورَانِيَّةِ وَ هُوَ الدِّينُ الْخَالِص»[1].

لأن من شروط المعرفة والعلم الإحاطة بالمعلوم وهم عليهم السلام لا يحيط بهم شيء في الوجود، وهم المحيطون بكل ما في عالم الوجود، ومعرفة الحقيقة التي سأل عنها كميل بن زياد عليه وأجاب عنها أمير المؤمنين عليه السلام.

(١) بحار الأنوار- المجلسي: ج٢٦، ص١.

المصادر والمراجع

١- أعيان الشيعة-محسن الأمين (١٢٧١هـ)، تحقيق وتخريج: حسن الأمين، الناشر: دار التعارف للمطبوعات - بيروت ـ لبنان.

٢- الأنوار الساطعة في شرح زيارة الجامعة- جواد بن عباس الكربلائي، مراجعة: محسن الأسدي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ م، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

٣- الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة (شرح آل كاشف الغطاء) - عبد الله الشبر (١٢٢٠هـ)، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، الناشر: مؤسسة الوفاء - بيروت ـ لبنان.

٤- بحار الأنوار- المجلسي(١١١١هـ)، تحقيق: محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخرسان، السيد إبراهيم الميانجي، محمد الباقر البهبودي، الطبعة: الثالثة المصححة، سنة الطبع: ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت ـ لبنان.

٥- تنقيح المقال في علم الرجال-عبد الله المامقاني (١٣٥١هـ)، تحقيق واستدراك: محيي الدين المامقاني، نشر مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث، الأولى ١٤٢٧هـ، المطبعة ستاره-قم.

٦- تهذيب الأحكام- الطوسي (٤٦٠هـ)، تحقيق وتعليق: السيد حسن الموسوي الخرسان، الطبعة: الرابعة، سنة الطبع: ١٣٦٥ ش، المطبعة: خورشيد، الناشر: دار الكتب الإسلامية ـ طهران.

٧- التوحيد- الصدوق، تصحيح وتعليق: هاشم الحسيني الطهراني، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٨- الخصال- الشيخ الصدوق، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، سنة الطبع١٤٠٣هـ - ١٣٦٢ ش، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم.

٩- الرسائل الرجالية- محمد بن إبراهيم الكلباسي (١٣١٥هـ)، تحقيق: محمد حسين الدرايتي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٣ - ١٣٨١ش، المطبعة: ستاره، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر.

١٠- شرح أصول الكافي- محمد صالح المازندراني(١٠٨١هـ)، مع تعليقات: الميرزا أبو الحسن الشعراني / ضبط وتصحيح: السيد علي عاشور، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، المطبعة: دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الناشر: دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ـ لبنان.

١١- صفات المؤمنين في شرح الزيارة الجامعة - الشيخ حسين المطوع، خلال مؤتمر الشيخ الأوحد أعلى الله مقامه الأول (سيرة وعطاء) في عام ١٤٣٢هـ، مقال منشور على موقع: alhadi.ws /wp.

١٢- طرائق المقال-علي البرجوردي (١٣١٣هـ)، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٠هـ، المطبعة: بهمن ـ قم، الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة - قم.

١٣- علل الشرائع- الصدوق، تقديم: محمد صادق بحر العلوم، سنة الطبع: ١٣٨٥ - ١٩٦٦م، الناشر: منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها - النجف الأشرف.

١٤- عيون أخبار الرضا عليه السلام ـ الصدوق (٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق وتقديم: حسين الأعلمي، سنة الطبع: ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م، المطبعة: مطابع مؤسسة الأعلمي- بيروت ـ لبنان، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت ـ لبنان.

١٥- فقه الحج بحوث استدلالية في الحج- لطف الله الصافي الگلپايگاني، الطبعة: الأولى، سنة الطبع ١٤٢٣هـ- ١٣٨١ ش، المطبعة: مطبعة ثامن الحجج عليه السلام، الناشر: مؤسسة سيدة المعصومة عليها السلام.

١٦- في ظلال الزيارة الجامعة-عادل العلوي، بحث منشور على موقع..alawy net /arabic /book

١٧- كامل الزيارات- جعفر بن محمد بن قولويه(٣٦٧هـ)، تحقيق: جواد القيومي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: عيد الغدير ١٤١٧هـ، المطبعة: مؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة نشر الفقاهة.

١٨- المحتضر - حسن بن سليمان الحلي(الوفاة: ق ٩هـ)، تحقيق: سيد علي أشرف، سنة الطبع: ١٤٢٤هـ ـ ١٣٨٢ش، المطبعة: شريعت، الناشر: انتشارات المكتبة الحيدرية.

١٩- مستدرك الوسائل - ميرزا حسين النوري الطبرسي الوفاة(١٣٢٠هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨ م، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - بيروت ـ لبنان.

٢٠- معجم رجال الحديث- الخوئي(١٤١٣هـ)، الطبعة: الخامسة، سنة الطبع: ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٢١- من لا يحضره الفقيه- الصدوق، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٢٢- مناسك الحج - الوحيد الخراساني

٢٣- منتهى المقال في أحوال الرجال-محمد بن إسماعيل المازندراني (١٢١٦هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التّراث ـ قم، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ربيع

الأول ١٤١٦هـ، المطبعة: ستاره ـ قم، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التّراث ـ قم.

٢٤- موسوعة المصطفى والعترة عليهم السلام -حسين الشاكري: الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٩هـ، المطبعة: ستاره، الناشر: نشر الهادي - قم ـ إيران.

٢٥- نقد الرجال- التفرشي (ق ١١هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: شوال ١٤١٨هـ، المطبعة: ستاره ـ قم، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم.

٢٦- الوافي - الفيض الكاشاني (١٠٩١هـ)، عني بالتحقيق والتصحيح والتعليق عليه والمقابلة مع الأصل ضياء الدين الحسيني «العلّامة» الأصفهاني، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: شهر ذي القعدة الحرام ١٤١١هـ، المطبعة: طباعة أفست نشاط أصفهان، الناشر: مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام العامة ـ أصفهان.



البحث الثالث

إسهام الإمام الهاديّ (عليه السلام)

في التعامل مع الغلاة والشبهات العقدية

أ.م.د. حسين عليّ حسين الفتليّ

وزارة التربية

الكلية التربوية / بابل

أ.د. رحيم كريم عليّ الشريفيّ

جامعة بابل

كلية الدراسات القرآنية



ملخص البحث

يهدف البحث إلى تقديم رؤية واضحة المعالم عن موقف الإمام الهاديّ عليه السلام من الشُبهات المنحرفة التي كانت رائجة في عصره، وتفنيده عليه السلام المزاعم الإلحادية التي يثيرها الزنادقة وجماعة الوضّاعين، وهي دراسة تنطوي على مطلبين اثنين، سُبقا بمقدّمة عرضنا فيها أهمية الموضوع، أمّا المطلبُ الأول فقد انتظم في بيان موقف الإمام الهاديّ عليه السلام من الغلاة، وأمّا المطلب الثاني فقد كشف عن ردّ الإمام الهاديّ عليه السلام الشبهات العقدية وتفنيدها، وختمنا البحث بأهم النتائج التي توصّلنا إليها.

والحَمْدُ لله ربِّ العالمين، وصلّى الله على محمّد وآله الطيبين الطاهرين .

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين علاّم الغيوب الذي لم يطّلع على غيبه إلَّا من ارتضى، وصلّى الله على نَبيّه المصطفى مهيب السموات والأرضين، محبوب القلوب أجمعين، وعلى آله أدلّة الرشاد، وأوعية العلم، وخزّان الأدب.

وأما بَعْدُ، فقد شاعت في عصر الإمام علي الهادي عليه السلام كثير من الشكوك والأوهام بخصوص أصول العقيدة الإسلامية، وكانت بدايتها أيام الحكم الأموي، فهو الذي فسح المجال لانتشار الأفكار المضلّلة، وشجَّع عليها، وقد استمرت متصاعدة أيام الحكم العباسي، وقد تصدّى علماء المسلمين، وفي طليعتهم أئمة أهل البيت عليهم السلام إلى تزييف الآراء الملحدة بالأدلّة العلمية الحاسمة، وقد سُجّلت في كتب منها (الاحتجاج) لـ (الطبرسي ت ٥٦٠هـ)، وغيره، التي أَلَّفها علماء الشيعة للتدليل

على كفاح أئمتهم في نصرة العقيدة الإسلامية، ومكافحة الكفر والإلحاد[1].

إنَّ النصوص التي أُثرت عن الإمام عليه السلام حول الرؤية، والجبر، والاختيار، والتفويض، والردّ على الشبهات المثارة حول آيات القرآن الكريم تفيد تصدّي الإمام عليه السلام لهذا التحصين العقائدي في الساحة الإسلامية العامة والخاصة معاً، ولم يكتفِ الإمام عليه السلام بالردّ على الشبهات العامة، بل تصدّى للردّ الخاص على ما كان يثار من تساؤلات خاصة تعرض لأفراد من أتباعه، أو ممن كان يتوسم فيهم الإمام عليه السلام الانقياد للحقّ كبعض الواقفة الذين اهتدوا بفضل آراء الإمام الهادي عليه السلام النافعة الناجعة.

لقد تصدّى علماء المسلمين، وفي مقدّمتهم الإمام الهادي عليه السلام إلى ردّ هذه الشبهات المنحرفة، التي كانت رائجة، وتفنيد المزاعم الإلحادية التي يثيرها الزنادقة وجماعة الوضّاعين.

لقد انتهج الإمام الهادي عليه السلام أسلوباً خاصاً في العمل الفكري فقد شهدت المرحلة التي عاشها نشاطاً ملموساً للزنادقة والغلاة، وأمَّا على الصعيد التشريعي فنرى التمييع للحدود، والثوابت الأساسية، أما الأمّة، فقد وصل فيها الضمير الإسلامي إلى درجة كبيرة من الجمود والغفلة، وكان عليه السلام حريصاً على تنزيه تعاليم الإسلام من التشويه والتحريف والافتراء.

ولأجل كشف موقف الإمام الهادي عليه السلام من ذلك وسمنا الدراسة بعنوان «إسهام الإمام الهادي عليه السلام في التعامل مع الغلاة والشبهات العقدية».

والدراسة تنطوي على مبحثين اثنين، سُبقا بمقدّمة عرضنا فيها أهمية الموضوع، أمّا المبحث الأول فقد انتظم في بيان موقف الإمام الهاديّ عليه السلام من الغلاة، وأمّا المبحث الثاني فقد كشف عن ردّ الإمام الهاديّ عليه السلام الشبهات العقدية وتفنيدها، وختمنا البحث بأهم النتائج التي توصّلنا إليها.

والحَمْدُ لله ربِّ العالمين، وصلّى الله على محمّد وآله الطيبين الطاهرين

---

(١) ينظر: حياة الإمام علي الهادي (دراسة وتحليل): ١٠٨، وأعلام الهداية: ١٢ / ٧١ ـ ٧٢.

المبحث الأول

موقع الإمام الهادي من الغلاة

لقد اتخذ الأئمة عليهم السلام وشيعتهم موقفاً صريحاً، وصلباً من الغلوّ والغلاة فتبرَّؤُا منهم، وأعلنوا كفرهم وإلحادهم، ونفوا صراحة أنْ تكون لهم أية صلة بهم، وبجميع المنحرفين من الخطّ الرسالي الذي دافع عنه الأئمة بكلّ ما لديهم من قوة.

وقد ظهرت في صفوف الشيعة زمرة خبيثة من الملاحدة، والمارقين في الدين، فأشعلوا نار الفتنة، ونشروا البدع والأضاليل في صفوفهم، وقد امتحن بهم الإسلام أشد ما يكون الامتحان، وذلك بما أذاعوه من الباطل الذي أضَلُّوا به الجهّال، والسذج الذين لا يميزون بين الحق والباطل، وبين الهداية، والضلال، ومن رؤوس هؤلاء الغلاة المعاصرين للإمام الهادي عليه السلام، (علي بن حسكة)، و(القاسم بن يقطين)، و(الحسن بن محمّد بن باب القُمّي)، و(فارس بن حاتم بن ماهويه القزويني)، و(محمد ابن نصير الفهري النميري)[1].

وقد ذكر باقر شريف القرشي ثلاثة أسباب للغلوّ، وهي:

١- ما ظهر للإمام من المعاجز والكرامات التي منحها الله له، ولآبائه عليهم السلام فاستغلّها المنحرفون عن الدين، والحاقدون عليها لإظهار البدع، وإماتة الإسلام، والإجهاز عليه.

٢- التحلّل من القيم والآداب الإسلامية، فقد أباحوا كلّ ما حرّمه الإسلام، ونهى عنه.

٣- الطمع بأموال الناس وأخذها بالباطل، والاستيلاء على الأموال التي تدفعها

---

(١) ينظر: موسوعة المصطفى صلى الله عليه وآله والعترة: ١٢ / ٢٥٨.

الشيعة إلى أئمتها عليهم السلام[١].

ونرى أنَّ هنالك أسباباً أخر وراء ظهور الغلو والغلاة، وهي:

١- دأبتْ السلطة العباسيّة على إسقاط أصحاب الإمام الهادي عليه السلام مِمّن عُرِفوا بضعف الإيمان، وعدم الإلتزام بالحدود الإسلامية الصحيحة إلى اتباع هذا النهج من أجل إضلال أصحاب الإمام، وإبعاد الشيعة عنه عليه السلام.

٢- تشويه مكانة الإمام عليه السلام ومنزلته في ضوء تشويه صورة أصحابه أولاً، وتشويه مبادئه السامية، وقيمه العالية.

٣- إثارة الفَوْضَى، وعدم النظام في صفوف البيت الشيعي.

٤- محاولة إبعاد الشبهات، وعدم التفكير فيما يرتكبه الجهاز الحاكم من موبقات وظلم، وانتهاك للحرمات، في ضوء جعل التفكير موجهاً إلى هذه البدع، والأضاليل.

إنَّ من أهم الأفكار المنحرفة التي حاربها الإمام الهادي عليه السلام:

١- تأويل الفرائض والأحكام الشرعية:

ذهب بعض الغلاة إلى تأويل الفرائض تأويلاً باطلاً من أجل التهرب من أدائها من جانب، وجمع أكثر عدد ممكن من الأنصار، وإبعاد الجماعة الصالحة عن الخطّ الإسلامي الصحيح، روى الكشي عن محمد بن مسعود، قال: «حدّثني محمد بن نصير، قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن عيسى، كتبت إليه في قوم يتكلّمون، ويقرؤون أحاديث ينسبونها إليك، وإلى آبائك فيها ما تشمئزّ منها القلوب، ولا يجوز لنا ردّها إذ كانوا يروون عن آبائك عليهم السلام، ولا قبولها لما فيها، وينسبون الأرض إلى قوم يذكرون أنهم من مواليك، وهو رجل يقال له: علي بن حسكة، وآخر يقال له القاسم اليقطيني، ومن أقاويلهم أنَّهم يقولون، إنَّ قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ الصَّلَاةَ**

(١) ينظر: موسوعة المصطفى صلى الله عليه وآله والعترة: ١٢ / ٢٥٨.

﴿تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾، معناها رجل، لا سجود ولا ركوع، وكذلك الزكاة معناها ذلك الرجل لا عدد دراهم، ولا إخراج مال، وأشياء من الفرائض والسنن والمعاصي فأوّلوها وصيّروها على هذا الحدّ الذي ذكرت لك، فإن رأيت أنْ تبيّن لنا، وأن تمنّ على مواليك بما فيه سلامتهم ونجاتهم من الأقاويل التي تصيرهم إلى المعطب والهلاك، والذي ادّعوا هذه الأشياء ادّعوا أنهم أولياء وادّعوا إلى طاعتهم فهم: (علي ابن حسكة)، و(القاسم اليقطيني) فما تقول في القبول منهم جميعاً؟ فكتب عليه السلام: ليس هذا ديننا فاعتزله»[1].

ومن هؤلاء: (محمد بن نصير الفهري النميري) من رؤوس الملحدين، ومن أئمة الكفر، وقد أشاع الضلال بين الناس، ومن بدعه:

١- إنَّ الإمام الهادي عليه السلام هو الخالق والربّ.

٢- إباحة نكاح المحارم من الأمهات والبنات والأخوات وغيرهن من سائر المحارم.

٣- إباحة اللواط وإنه من إحدى الشهوات والطيبات التي لم يحرّمها الله تعالى وإنه من جملة التواضع لله.

٤- القول بالتناسخ والغلوّ[2].

وقد حذّر الإمام أبو الحسن عليه السلام شيعته وسائر المسلمين من الاتّصال بهؤلاء الغلاة والملحدين، وقد كتب عليه السلام إلى عليّ بن محمد بن عيسى هذه الرسالة: «لعن الله القاسم اليقطيني، ولَعَن الله عليَّ بن حسكة القُمي إنَّ شيطاناً تراءى للقاسم فيوحي إليه زُخْرُفَ القول غروراً»[3].

---

(١) رجال الكشي: الكشي: ٤٣٥. (العنكبوت / من الآية ٤٥).

(٢) ينظر: حياة الإمام علي الهادي عليه السلام: ٣٩٤.

(٣) رجال الكشي: ٥١٨.

٢- تأليه الإمام الهادي عليه السلام:

من الأباطيل، والأضاليل التي ابتدعها هؤلاء الغلاة هي جعل الإمام الهادي عليه السلام ربّاً وإلهاً ومدبّراً للأكوان، فقد رفع أصحابه رسالة إليه عليه السلام ينسبون فيها ضلالة ابن حسكة: «جعلت فداك يا سيّدي: إن علي بن حسكة يدعي أنه من أوليائك، وأنك أنت الأول القديم، وأنه بابك ونبيك، أمرته أن يدعو إلى ذلك، ويزعم أن الصلاة والزكاة والحج والصوم كل ذلك معرفتك، ومعرفة من كان في مثال حال ابن حسكة فيما يدعي من البابية، والنبوة فهو مؤمن كامل سقط عنه الاستعباد بالصلاة والصوم والحجّ، وذكر جميع شرائع الدين أنَّ معنى ذلك كله ما ثبت لك، وحال الناس إليه فإنْ رأيت أنْ تمنّ على مواليك بجواب ذلك تنجيهم من الهلكة، قال: فكتب عليه السلام: كذب ابن حسكة (عليه لعنة الله)، وبحسبك أني لا أعرفه في مواليّ، ما له لعنه الله، فو الله ما بعث الله محمّداً والأنبياء قبله إلَّا بالحنيفية، والصلاة والزكاة والصوم والحجّ والولاية، وما دعا محمد صلى الله عليه وآله إلَّا إلى الله وحده لا شريك له، وكذلك نحن الأوصياء من ولده عَبيد الله لا نشرك به شيئاً إن أطعناه رحمنا، وإن عصيناه عذّبنا ما لنا على الله من حجة بل الحجة لله (عزّ وجلّ) علينا، وعلى جميع خلقه، أبرأ إلى الله ممن يقول ذلك وأنتفي إلى الله من هذا القول فاهجروهم لعنهم الله وألجؤُوهم إلى ضيق الطريق فإن وجدتم أحداً منهم فأشْدِخُوا رأسه بالحجر»[1].

وقد كتب الإمام الهادي عليه السلام إلى العبيديّ يحذّره من أضاليل هؤلاء الغلاة وأباطيلهم، ويدعوه إلى البراءة منهم، وقد جاء في رسالته عليه السلام: «أبرأ إلى الله من الفهري، والحسن بن محمد بن بابا القُمّي، فأبرأ منهما فإنّي محذّرك وجميع مواليّ وإني ألعنهما عليهما لعنة الله مستأكلين يأكلان من الناس فتّانين مُؤذيَيْنِ آذاهما الله، أركسهما في الفتنة ركساً، يزعم ابن بابا أني بعثته، وأنه باب ـ عليه لعنة الله ـ سَخر منه الشيطان

(١) رجال الكشي: ٥١٩.

فأغواه فلعن الله من قَبِل منه ذلك، يا محمد إن قدرت أن تشْرَخَ رأسه بالحَجَر فافعل، فإنّه قد آذاني، آذاه الله في الدنيا والآخرة»[١].

٣- الفرق الضالة:

ظهرت في عصر الإمام الهادي عليه السلام مجموعة من الفرق الضالّة والمضلّة، وقد أعلن الإمام عليه السلام براءته منها؛ لأنها لا تمثل الإسلام من قريب، ولا من بعيد، ومن الجدير بالذكر أنَّ هناك فرقة ظهرت بعد استشهاد الإمام الجواد عليه السلام، إذ ثبتت الإمامية القائلون بإمامة أبي جعفر عليه السلام بأسرها على القول بإمامة أبي الحسن علي بن محمد الهادي عليه السلام سوى فرقة واحدة قليلة العدد شذّوا عن جماعتهم، إذ قالت بإمامة موسى بن محمد عليه السلام دون أخيه علي بن محمد عليه السلام ولكن هذه الفرقة لم تلبث أن تراجعت عن قولها، ورجعت إلى الحق[٢].

ومن أهم الفرق المنحرفة والضالة التي تبرَّأ الإمام عليه السلام منها، وحاربها:

أ- الصوفية:

نهى الإمام الهادي عليه السلام أصحابه وسائر المسلمين عن الاتصال بالصوفية والاختلاط بهم لما دلَّ على زيفهم بإظهار التقشف والزهد لإغراء عامة الناس، والسذج من أجل غوايتهم، وقد وصفهم بأنّها حلفاء الشياطين في خداع الناس، وأنَّ زهدهم لم يكن حقيقياً وإنّما لإراحة أبدانهم، وأنَّ تهجدهم في الليل لم يكن نسكاً وإخلاصاً في طاعة الله تعالى، وإنما هو وسيلة لصيد أموال الناس، وإغوائهم، وأن أورادهم ومناجاتهم ليست عبادة خالصة لله، بل هي رقص وغناء، وأنَّ الذي يتبعهم الحمقى والسفهاء[٣].

---

(١) رجال الكشي: ٥٢٠

(٢) ينظر: الفصول المختارة من العيون والمحاسن: الشيخ المفيد: ٢٥٧.

(٣) ينظر: موسوعة المصطفى صلى الله عليه وآله والعترة: ١٢ / ٢٧٤ ـ ٢٧٥.

فقد روىٰ الحسين بن أبي الخطاب، قال: كنت مع أبي الحسن الهادي عليه السلام في مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله فأتاه جماعة من أصحابه منهم أبو هاشم الجعفري، وكان بليغاً وله منزلة مرموقة عند الإمام عليه السلام، وبينما نحن وقوف إذ دخل جماعة من الصوفية المسجد فجلسوا في جانب منه، وأخذوا بالتهليل فالتفت الإمام إلىٰ أصحابه فقال لهم: «لا تلتفتوا إلىٰ هؤلاء الخدّاعين فإنهم حُلفاء الشياطين، ومخرّبوا قواعد الدين، يتزهدون لإراحة الأجسام، ويتهجّدون لصيد الأنعام يتجَوّعون عُمُراً حتىٰ يُدَيّخوا للإيكاف حُمُراً، لا يُهَلّلون إلَّا لغرور الناس، ولا يُقلّلون الغذاء إلَّا لِلء العِساس، واختلاف قلب الدِّفْناس يتكلّمون الناس بإملائهم في الحبّ، ويطرحونهم بإدلائهم في الجُبّ، أورادهم الرقص، والتصدية، وأذكارهم الترنّم والتغنية، فلا يتبعهم إلَّا السفهاء، ولا يعتقد بهم إلَّا الحُمَقاء، فمن ذهب إلىٰ زيارة أحدهم حيّاً أو ميّتاً فكأنما ذهب إلىٰ زيارة الشيطان، وعبادة الأوثان، ومَنْ أعان واحداً منهم فكأنما أعان معاوية ويزيد وأبا سفيان، فقال له رجلٌ من أصحابه: وإن كان معترفاً بحقوقكم؟ قال: فنظر إليه شبه المغضب، وقال: دع ذا عنك، مَنْ اعترف بحقوقنا لم يذهب في عقوقنا، أما تدري أنهم أخسُّ طوائف الصوفية؟ والصوفيّة كلهم من مخالفينا، وطريقتهم مغايرة لطريقتنا، وإن هم إلَّا نصارىٰ ومجوس هذه الأمّة أولئك الذين يجتهدون في إطفاء نور الله بأفواههم، والله متمّ نوره، ولو كره الكافرون»[1].

وقد علّق القرشي علىٰ هذا النص بقوله: «ودلّل الإمام علىٰ زيف الصوفيين وأنهم لا نصيب لهم من الدين، وذكر من صفاتهم ما يأتي:

١- إنهم حلفاء الشياطين في إغرائهم وخداعهم للناس.

٢- إنهم حملوا معول الهدم علىٰ الإسلام في سلوكهم المنحرف الذي أضافوه إلىٰ الدين وهو منه بَريء.

---

(١) سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار: ٢ / ٥٨.

٣- إنَّ زهدهم في الدنيا لم يكن حقيقياً، وإنما لإراحة أبدانهم.

٤- إنَّ تهجدهم في الليل وإظهارهم للنسك لم يكن لله، وإخلاصاً في طاعته، وإنما كان لصيد الناس واستلاب أموالهم.

٥- إنَّ أورادهم ليست أوراد عبادة، وإنما هي رقص؛ لأنها لم تنبعث عن مؤمنة بالله، وكذلك أذكارهم فإنها غناء؛ لأنها خالية من الإخلاص في الطاعة لله.

٦- إنَّ الذي يملك عقله واختياره لا يتّبعهم، وإنما يتبعهم الحمقاء والسفهاء الذين لا رشد لهم»[1].

ب- الفطحية:

وهم القائلون بإمامة عبد الله بن جعفر الصادق عليه السلام بعد أبيه واعتلوا في ذلك بأنَّه أكبر ولد أبي عبد الله عليه السلام، وهذه الطائفة تسمَّى الفطحية، وإنما لزمهم هذا اللقب؛ لأن عبد الله كان أفطح الرجلين، وقيل: أفطح الرأس، ويقال: لأن داعيهم إلى ذلك رجل اسمه عبد الله بن الأفطح، وقد رجع أكثرهم بعد ذلك إلى القول بإمامة موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام لما ظهرت عندهم براهين إمامته إلَّا طائفة قليلة[2].

أما اعتقاد الفطحية بإمامة عبد الله فهو واضح البطلان، والتهافت؛ لأنهم ادعوا أن الإمامة تكون في الأكبر، فهو قول مردود، ولم ترد عنه أُمُور في الحلال والحرام، وقد امتحن بمسائل صغار فلم يُفْتِ بها جهلاً[3]، وكان عبد الله بن هليل يقول بعبد الله بن جعفر الصادق عليه السلام فصار إلى العسكر فرجع عن ذلك فسألته عن سبب رجوعه، فقال: إنّي عرضت لأبي الحسن عليه السلام أن أسأله عن ذلك فوافقني في طريق ضيّق فمال نحوي حتى إذا حاذاني أقبل نحوي بشيء من فيه فوقع على صدري، فأخذته فإذا هو

(١) حياة الإمام الهادي عليه السلام: ٥٣.

(٢) ينظر: إعلام الورى: ٢٩٢.

(٣) ينظر: موسوعة المصطفى صلى الله عليه وآله والعترة: ١٢/ ٢٧٤.

رق فيه مكتوب: ما كان هنالك ولا كذلك[١].

ت- الواقفية:

بعد وفاة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ظهرت على مسرح الحياة الإسلامية فرقة من الشيعة سميت (الواقفية)، وقد أنكرت وفاة الإمام موسى عليه السلام وزعمت أنه ارتفع إلى السماء كما ارتفع المسيح عيسى بن مريم، وإنما ذهب زعماء هذه الفرقة إلى ذلك؛ لأن عندهم أموالاً كثيرة من الحقوق الشرعية للإمام موسى الكاظم عليه السلام فاختلسوها، ولم يوصلوها من بعده إلى الإمام الرضا عليه السلام، وقد بقيت هذه الفرقة تناهض الشيعة الإمامية، وتدخل المكروه والأذى عليهم حتى لُقّبوا بـ (الممطورة) تشبيهاً لهم بالكلاب التي أصابها المطر ومشت بين الناس فيتنجس بها كل من قربت منه، وقد كتب بعض الشيعة رسالة إلى الإمام في شأنهم جاء فيها: «جُعلت فداك هؤلاء الممطورة، فأقنت عليهم في الصلاة؟» أي يجوز له لعنهم في قنوته، فأتاه الإمام بالجواز[٢].

وذكرنا من قبل هداية الإمام الهادي عليه السلام أحد الواقفية وهو أبو الحسن البصري المعروف بـ(الملاّح) الذي كان يقتصر على إمامة الإمام الكاظم عليه السلام ولا يعترف بإمامة غيره، فالتقى به الإمام الهادي عليه السلام فقال له: إلى مَتى هذه النَّومة؟ أما آن لك أنْ تنتبه مِنها، وأثَّرت هذه الكلمة في نفسه فآب إلى الحقِّ والرشاد[٣].

ومن الجدير بالذكر أنَّ بعض الروايات التي وقفنا عليها، مفادها: أن الإمام دعا فيها إلى شدخ رؤوس هؤلاء الضالين والمضلّين من الغلاة، وقتلهم، ولم تكتفِ هذه الروايات بذلك بل أن الإمام أعطى أموالاً من أجل شراء ساطور لقتل رؤوس

---

(١) ينظر: الكافي: ١ / ٣٥٥.

(٢) ينظر: رجال الكشي: ٤٦٠، وحياة الإمام الهادي عليه السلام: ٤٠١.

(٣) ينظر: مناقب آل أبي طالب: ٤ / ، وإعلام الورى: ٢ / ١٢٣.

الفتنة والغلاة، فجاء في الروايات أنَّ أبا الحسن العسكري عليه السلام أمر بقتل فارس بن حاتم وضمن لمّن قتله الجنة، وقال عليه السلام بحسب تعبير الراوي: هذا فارس (لعنه الله) يعمل من قبلي فتاناً يفتن الناس ويدعوهم إلى البدعة ودمه هدر لكل من قتله فمن يريحني منه ويقتله، وأنا ضامن له على الله الجنة[1].

وقال ابن شهر آشوب: «قال أبو جنيد: أمرني أبو الحسن العسكري بقتل فارس بن حاتم القزويني فناولني دراهم، وقال: اشتر بها سلاحاً واعرضه عليّ، فذهبت فاشتريتُ سيفاً فعرضته عليه فقال: ردَّ هذا وخذ غيره، قال: فرددته وأخذت مكانه ساطوراً فعرضته عليه فقال: هذا نعم: فجئت إلى فارس، وقد خرج من المسجد بين الصلاتين المغرب والعشاء الآخرة، فضربته على رأسه فسقط ميّتاً، ورميت الساطور، واجتمع الناس وأخذت إذ لم ير هناك أحد غيري فلم يروا معي سلاحاً، ولا سكيناً، ولا أثر لساطور، ولم يروا بعد ذلك فخليت»[2].

والذي أراه أنَّ هذه الروايات التي جاءت في تحريض الإمام عليه السلام أصحابه قتل هؤلاء الغلاة والمنحرفين، وتخير أدوات السلاح لا تصمد أمام الحقيقة فالأئمة عليهم السلام، ولاسيما الهادي عليه السلام عرفوا بتسامحهم، وحقنهم للدماء، وحرصهم على كرامة الإنسان، فصدور هذه الأفعال منهم عليهم السلام أمر غير مرجّح ألبتة مهما كان المغالون المضلون فهم أنصح خلق الله لخلقه، وهم أمان أهل الأرض، وطمأنينة الأمة، فرواية شراء السيف، وإرجاعه، وشراء الساطور والرضا به تبكي المسرورين، وتضحك الثكالى، فأئمة أهل البيت يدعون إلى الحوار والجدال الحسن مع ألدّ أعدائهم، ولم يعرف عنهم أنهم أراقوا قطرة دم، ولا تخفى الأيادي الخبيثة التي وضعت هذه الروايات والأخبار وألصقتها بالإمام الهادي عليه السلام الطيّب الصادق والنقي.

---

(١) ينظر: سيرة الأئمة الاثنى عشر: ٢ / ٤٦٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٤ / ٤٤٩، وينظر: بحار الأنوار: ١٢ / ٢١٥.

وإنَّ موقف الإمام الهادي عليه السلام الصارم مع الغلاة يعدّ خطوة من خطوات التحصين العقائدي للجماعة الصالحة، وإبعادها من عوامل الانحراف، والزيغ العقائدي الذي ينتهي إلى الكفر بالله تعالى، أو الشرك به، ويكمن نشاطه عليه السلام في فضح حقيقة هذا الخطّ.

المبحث الثاني

الشبهات العقدية

من المسائل التي ابتلي بها المسلمون مسألة خلق القرآن، ومسألة الجبر والتفويض وهي مسائل أبعدت الإسلام عن مساره الصحيح، وأخرجته من روحه، وحيويته، وكبّلته بقيود أضرّت به أكثر مما نفعت.

وقد قيّض الله عزّ وجلّ لهذه الشبهات مَنْ ردّها، وفنّدها بالأدلة، والبراهين والحجج وهم أهل البيت عليهم السلام، ويظهر موقف الإمام الهادي عليه السلام، واضحاً في ردّ هذه الشبهات.

أولًا: مسألةُ خلقِ القرآنِ

ابتدع العباسيون مسألة خلق القرآن، وهذه المسألة من المسائل الخطيرة التي ابتلي بها المسلمون في حياتهم الدينية، وامتحنوا كأشد ما يكون الامتحان، وأثارها العباسيون للقضاء على خصومهم، وقد قتل خلق كثير من جرّائها وانتشرت الأحقاد والأضغان بين المسلمين، فتدخل السلطة السياسية في الخلافات الكلامية أحياناً أدّى إلى اتساع شقة الخلاف بين المسلمين، ولعل أظهر تلك التدخلات هي مسألة كلام الله، وخلق القرآن، وهذه المسألة التي تتصل في الأصل بمسألة الصفات الإلهية، والموقف منها، واختلاف المواقف فيها، لكن المعتزلة سعوا لدى الخلفاء لجعلها عقيدة رسمية للدولة يستتاب المسلم من أجلها، ويعاقب عليها إن لم يقل بقولة المعتزلة: إن القرآن مخلوق وهو كلام الله تعالى[1].

ويبدو أنَّ هذه المسألة ابتدعها المأمون العباسي، ومن اختراعاته، فقد ألزم الناس أنْ يقولوا بخلق القرآن، وفي أيامه نشأت هذه المقالة ونوظر فيها أحمد بن حنبل وغيره، ولما مات المأمون أوصى أخاه المعتصم بها، فلما ولّي المعتصم تكلّم فيها،

---

(١) ينظر: حقيقة الخلاف بين المتكلّمين: علي عبد الفتاح المغربي: ١٥٦.

وضرب أحمد بن حنبل[١].

قال ابن كثير: (ثم دخلت سنة ثمان عشرة ومائتين في هذه السنة كتب المأمون إلى نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يأمره أنْ يمتحن القضاة والمحدثين بالقول بخلق القرآن وإن يرسل إليه جماعة منهم)[٢]، وقد روى أبو نعيم الأصفهاني أصح الروايات في محنة أحمد بن حنبل، فقال: (ذكرنا أصحّ الروايات في المحنة، وهو ما رواه أبو الفضل صالح ابنه)[٣]، وكلام ابن حنبل في القرآن أنه كلام الله غير مخلوق، وإنكاره على مَنْ يقول: إنّه لفظه بالقرآن مخلوق يريد به القرآن[٤].

إنَّ هذه المسألة لم يبحثها الأئمة وأصحابهم؛ لكونها من القضايا الحسّاسة وغير المفيدة، على الرغم من طول المحنة التي عاشها المسلمون، قال محمود القطيفي: (لا ريب أنَّ القرآن كتاب هداية ونور، ويجب أنْ نبحث في دلائله وإعجازه وأحكامه أما البحوث المخترعة التي تؤدي إلى تضييع رسالته وغايته فهي فتنة يجب أنْ يترفع عنها المتكلّمون، وأهل النظر خصوصاً تلك التي تؤدّي إلى الفرقة وتشغل الناس عن واجباتهم الشرعية)[٥].

وقد بعث الإمام الهادي عليه السلام إلى أحد أتباعه في بغداد عند اشتداد أزمة الناس في بدء زمن المأمون والمعتصم والواثق، وهي مسألة خلق القرآن كما قلنا، وكانت باتجاه القول: إن القرآن مخلوق، ومناوأة من يقول بخلاف هذا القول ومعاداته وتعذيبه، ولما جاء المتوكّل إلى الحكم قلب ظهر المِجن على هذه الفكرة، وقال بفكرة قدم القرآن، ومن ثم دارت الدوائر على من يقول بخلق القرآن، وقد كان موقف الإمام الهادي عليه السلام

(١) الفخري: في الآداب السلطانية والدول الإسلامية: ٢١٦ ـ ٢١٧.

(٢) البداية والنهاية: ١٠ / ٢٨٤٥، وينظر: الكامل في التاريخ: ٦ / ١٩٩، ودول الإسلام: ١ / ٨٨».

(٣) حُلية الأولياء وطبقات الأصفياء: ٩ / ١٧٦.

(٤) ينظر: البداية والنهاية: ١٠ / ٢٨٩٠.

(٥) الإمام الهادي عليه السلام (أضواء من سيرته): ٥٨، وينظر: التاريخ الإسلامي (دروس وعبر): ٣٤١.

واضحاً جلياً تجاه هذه الفتنة، فكتب إلى أحمد بن إسماعيل بن يقطين في سنة (٢٢٧هـ) رسالة في شأن هذه المسألة جاء فيها بعد المسألة: «عصمنا الله وإياك من الفتنة فإن يفعل فقد أعظم بها نعمة، وإن لم يفعل فهي الهلكة، نحن نرى أنَّ الجدال في القرآن بدعه اشترك فيها السائل والمجيب فيتعاطى السائل ما ليس له، ويتكلّف المجيب ما ليس عليه، وليس الخالق إلَّا الله عزّ وجلّ وما سِواه إلّا مخلوق، والقرآن كلام الله لا تجعل له اسماً من عندك فتكون من الضّالين، جعلنا الله وإياك من الذين يخشون ربّهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون»[1].

وبهذا وضع الإمام الهادي عليه السلام النقاط على الحروف في هذه المسألة الخطيرة والحسّاسة، فالخوض في هذه المسألة بدعة وضلال، والسائل والمجيب يشتركان معاً في الإثم، وعلينا أنْ نقتصر في القول: على أن القرآن كلام الله تعالى[2].

ثانيًا: مسألة الجبر والتفويض

من المسائل العقدية المهمة التي ردّها الإمام الهادي عليه السلام، وأبطلها مسألة الجبر والتفويض، وتفسير المراد بالمنزلة بين المنزلتين جواباً لأهل الأهواز على أسئلتهم بهذا الخصوص، إذ فصّل عليه السلام الكلام في شرح هذه الجوانب باستيعاب واستيفاء تامين، وبشواهد غير قليلة من الآيات الكريمات، والأحاديث الشريفات حتى أصبح ذلك الجواب الشافي النافع الناجح بمثابة رسالة مستقلة في هذا الموضوع الشائك المعقد، وقد مثّلَت هذه الرسالة جانباً مهماً وأصيلاً من الثورات العلمية الهائلة التي يمتلكها الإمام الهادي عليه السلام، فقد فنّد أوهام الأشاعرة والمعتزلة، وأثبت بالأدلّة الحاسمة (الأمر بين الأمرين)، وهي الفكرة المهمة التي يذهب إليها أئمة أهل البيت عليهم السلام[3].

---

(١) التوحيد: الصدوق: ٢٢٤.

(٢) ينظر: موسوعة المصطفى صلى الله عليه وآله والعترة: ١٢ / ٢٤٤، وحياة الإمام الهادي عليه السلام: ٤٠٢.

(٣) ينظر: الأئمة الاثنا عشر (سيرة وتاريخ): ٢ / ٤٦١.

وهي رسالة تخصّ الجدل والخلاف الفكري الذي طال واستطال بين المسلمين بخصوص هذه المسألة، وهي طويلة أوردها ابن شعبة الحرّاني كاملة في خمس عشرة صحيفة، في كلّ صحيفة أربعة وعشرون سطراً تقريباً.

وقد بيّن الإمام الهادي عليه السلام القول الفصل في هذه المسألة، وما هو الحقّ والصواب حرصاً منه ورغبة في رفع الفتنة، ودفعاً عمّا اختلج في الأذهان فيها.

لقد انتشر أمر الجبر والتفويض في العصر العباسي، وقد ذكر ابن الطقطقي هذا الأمر بقوله: «واعلم أنَّ الدولة العباسيّة كانت دولةً ذات خدع ودهاء وغَدْر، وكان قسم التحيل والمخادعة فيها أوفر من قسم القوة والشدّة خصوصاً في أواخرها، فإنَّ المتأخرين منهم بطّلوا قوة الشدّة والنجدة ورَكنوا إلى الحيل والخُدَع (...) وما زالت على ذلك حتّى كانت أواخرها فانتشر الجَبْر، واضطرب الأمر، وانتقلت الدولة»[1]، وقد جانب أحمد أمين الصواب حينما اعتقد أنَّ الأتراك في ذلك العصر مسؤولون لدرجة كبيرة عن إلغاء الجدل الكلامي فطبيعة عامتهم لا تقبل الجدل الكلامي، ولا كثرة المذاهب الدينية[2]، والذي يبدو أنَّ الحكام العباسيين هم المسؤولون عن تقوية هذا الجدل، وضعفه وفاقاً لسياستهم، واتجاهاتهم، وميولهم، وعرفنا من قبل أنَّ الأتراك لا هَمَّ لهم سوى جمع المال، والتقرب من البلاط العباسي والتأثير فيه.

إنَّ أول مَنْ أورد هذه الرسالة هو ابن شعبة الحرّاني (من أعلام القرن الرابع الهجري) في (تحف العقول عن آل الرسول)، ولما كانت هذه الرسالة طويلة ارتأينا أنْ نذكر عنوانات قصيرة تتخلل هذه الرسالة؛ من أجل الإفادة منها، واقتناص دلالاتها العظيمة، وإليك أيها القارئ العزيز نصّها: « بسم الله الرحمن الرحيم، وروي عن الإمام الراشد الصابر أبي الحسن علي بن محمد عليهما السلام في طوال هذه المعاني في الردّ على

(١) الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية: ١٥٠.

(٢) ينظر: ظهر الإسلام: ١ / ٤١.

أهل الجبر والتفويض وإثبات العدل والمنزلة بين المنزلتين:

أ) السبب الحقيقي في إرسالها:

«من عليٍّ بن محمد؛ سلام عليكم وعلىٰ من اتبع الهدىٰ ورحمة الله وبركاته؛ فإنه ورد عليَّ كتابكم وفهمت ما ذكرتم من اختلافكم في دينكم وخوضكم في القدر ومقالة من يقول منكم بالجبر ومن يقول بالتفويض وتفرُّقكم في ذلك وتقاطعكم وما ظهر من العداوة بينكم، ثم سألتموني عنه وبيانه لكم وفهمت ذلك كلّه».

ب) القرآن الكريم حقٌّ لا خلاف فيه، وجحوده وإنكاره خروج عن الملّة:

«اعلموا رحمكم الله إنا نظرنا في الآثار وكثرة ما جاءت به الأخبار فوجدناها عند جميع من ينتحل الإسلام ممن يعقل عن الله جلَّ وعزَّ لا تخلو من معنيين: إمّا حقٌّ فيتّبع وإمّا باطل فيجتنب، وقد اجتمعت الأمّة قاطبة لا اختلاف بينهم أن القرآن حقّ لا ريب فيه عند جميع أهل الفرق وفي حال اجتماعهم مقرُّون بتصديق الكتاب وتحقيقه، مصيبون، مهتدون، وذلك بقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تجتمع أُمّتي علىٰ ضلالة» فأخبر أن جميع ما اجتمعت عليه الأمّة كلها حقٌّ، هذا إذا لم يخالف بعضها بعضاً، والقرآن حقٌّ لا اختلاف بينهم في تنزيله وتصديقه: فإذا شهد القرآن بتصديق خبر وتحقيقه وأنكر الخبر طائفة من الأمّة لزمهم الإقرار به ضرورة حين اجتمعت في الأصل علىٰ تصديق الكتاب، فإن هي جحدت وأنكرت لزمها الخروج من الملّة».

ت) حديث الثّقلين وشواهده:

«فأول خبر يعرف تحقيقه من الكتاب وتصديقه والتماس شهادته عليه خبرٌ ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله ووجد بموافقة الكتاب وتصديقه بحيث لا تخالفه أقاويلهم؛ حيث قال: «إني مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ـ أهل بيتي ـ لن تضلوا ما تمسّكتم بهما وإنهما لن يفترقا حتىٰ يردا علىٰ الحوض». فلما وجدنا شواهد هذا الحديث في كتاب الله نصّاً مثل قوله جل وعز: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ**

يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[1]. وروت العامة في ذلك أخباراً لأمير المؤمنين عليه السلام أنه تصدّق بخاتمه وهو راكع فشكر الله ذلك له وأنزل الآية فيه. فوجدنا رسول الله صلى الله عليه وآله قد أتىٰ بقوله: «من كنت مولاه فعلي مولاه» وبقوله: «أنت مني بمنزلة هارون من موسىٰ إلا أنه لا نبي بعدي»، ووجدناه يقول: «علي يقضي ديني وينجز موعدي وهو خليفتي عليكم من بعدي».

فالخبر الأول الذي استنبطت منه هذه الأخبار خبر صحيح مجمع عليه لا اختلاف فيه عندهم، وهو أيضاً موافق للكتاب، فلما شهد الكتاب بتصديق الخبر، وهذه الشواهد الأخر لزم علىٰ الأمة الإقرار بها ضرورة إذ كانت هذه الأخبار شواهدها من القرآن ناطقة ووافقت القرآن والقرآن وافقها».

ث) حقائق الأخبار من فضائل أمير المؤمنين (علي عليه السلام):

«ثم وردت حقائق الأخبار من رسول الله صلى الله عليه وآله عن الصادقين عليهم السلام، ونقلها قوم ثقات معروفون، فصار الاقتداء بهذه الأخبار فرضاً واجباً علىٰ كل مؤمن ومؤمنة لا يتعداه إلا أهل العناد. وذلك أن أقاويل آل رسول الله صلى الله عليه وآله متصلة بقول الله وذلك مثل قوله في محكم كتابه: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً**﴾[2] ووجدنا نظير هذه الآية قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «من آذىٰ علياً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذىٰ الله ومن آذىٰ الله يوشك أن ينتقم منه»، وكذلك قوله صلى الله عليه وآله: «من أحب علياً فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله»، ومثل قوله صلى الله عليه وآله في بني وليعة: «لأبعثن إليهم رجلاً كنفسي يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، قم يا

---

(١) سورة المائدة: ٥٥ ـ ٥٦.

(٢) سورة الأحزاب: ٥٧.

علي، فَسِرْ إليهم»[١]. وقوله صلى الله عليه وآله يوم خيبر: «لأبعثن إليهم غداً رجلًا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كراراً غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله عليه»، فقضى رسول الله صلى الله عليه وآله بالفتح قبل التوجيه فاستشرف لكلامه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فلما كان من الغد دعا علياً عليه السلام فبعثه إليهم فاصطفاه بهذه المنقبة، وسماه كراراً غير فرار، فسماه الله محباً لله ولرسوله، فأخبر أن الله ورسوله يحبانه».

ج) الاستعانة بقول الصادق عليه السلام من بطلان الجبر والتفويض:

«وإنَّما قدمنا هذا الشرح والبيان دليلاً على ما أردنا، وقوة لما نحن مبيّنوه من أمر الجبر والتفويض والمنزلة بين المنزلتين، وبالله العون والقوة، وعليه نتوكل في جميع أمورنا. فإن نبدأ من ذلك بقول الصادق عليه السلام: «لا جبر ولا تفويض ولكن منزلة بين المنزلتين وهي صحة الخلقة، وتخلية السرب[٢]، والمهلة في الوقت، والزاد، مثل الراحلة، والسبب المهيج للفاعل على فعله»، فهذه خمسة أشياء جمع به الصادق عليه السلام جوامع الفضل، فإذا نقص العبد منها خلة كان العمل عنه مطروحاً بحسبه، فأخبر الصادق عليه السلام بأصل ما يجب على الناس من طلب معرفته ونطق الكتاب بتصديقه فشهد بذلك محكمات آيات رسوله، لأن الرسول صلى الله عليه وآله، وآله عليهم السلام لا يعدو شيء من قوله وأقاويلهم حدود القرآن، فإذا وردت حقائق الأخبار والتمست شواهدها من التنزيل فوجد لها موافقاً وعليها دليلاً كان الاقتداء بها فرضاً لا يتعداه إلا أهل العناد كما ذكرنا في أول الكتاب، ولما التمسنا تحقيق ما قاله الصادق عليه السلام من المنزلة بين المنزلتين وإنكاره الجبر والتفويض وجدنا الكتاب قد شهد وصدق مقالته في هذا، وخبر عنه أيضاً موافق لهذا، أن الصادق عليه السلام سئل هل أجبر الله العباد على المعاصي ؟، فقال الصادق عليه السلام: هو أعدل من ذلك، فقيل له: فهل فَوَّضَ إليهم؟ فقال عليه السلام: هو أعزّ لهم، وأقهر لهم من ذلك. وروي عنه أنه قال: الناس في القدر على ثلاثة أوجه:

(١) بنو وليعة ـ كسفينة: حي من كندة.

(٢) السرب ـ بالفتح: الطريق والصدر. ـ وبالكسر ـ الطريق والقلب ـ وبالتحريك ـ الماء السائل.

رجل يزعم أن الأمر مفوض إليه فقد وهّن اللهَ في سلطانه فهو هالك، ورجل يزعم أن الله جلَّ وعزَّ أجْبَرَ العباد على المعاصي وكلّفهم ما لا يطيقون، فقد ظلم الله في حكمه فهو هالك، ورجل يزعم أن الله كلّف العباد ما يطيقون ولم يكلّفهم ما لا يطيقون، فإذا أحسن حمد الله وإذا أساء استغفر الله فهذا مسلم بالغ، فأخبر عليه السلام أن من تقلّد الجبر والتفويض ودان بهما فهو على خلاف الحق فقد شرحت الجبر الذي من دان به يلزمه الخطأ، وأن الذي يتقلد التفويض يلزمه الباطل، فصارت المنزلة بين المنزلتين بينهما.

ثم قال عليه السلام: واضرب لكل باب من هذه الأبواب مثلاً يقرب المعنى للطالب ويسهل له البحث عن شرحه، تشهد به محكمات آيات الكتاب وتحقق تصديقه عند ذوي الألباب وبالله التوفيق والعصمة».

ح) إبطال الجبر:

«فأما الجبر الذي يلزم من دان به الخطأ فهو يقول من زعم أن الله (جلَّ وعزَّ) أجبر العبادَ على المعاصي، وعاقبهم عليها ومن قال بهذا القول فقد ظلم الله في حكمه وكذبه ورد عليه قوله: ﴿**وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾[1]. وقوله: ﴿**ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾[2]. وقوله: ﴿**إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾[3]. مع آي كثيرة في ذكر هذا. فمن زعم أنه مجبر على المعاصي فقد أحال بذنبه على الله وقد ظلمه في عقوبته. ومن ظلم الله فقد كذّب كتابه، ومن كذب كتابه، فقد لزمه الكفر بإجماع الأمة. ومثل ذلك مثل رجل ملّك عبداً مملوكاً لا يملك نفسه، ولا يملك عرضاً من عرض الدنيا ويعلم مولاه ذلك منه فأمره على علم منه بالمصير إلى السوق لحاجة يأتيه بها ولم يملك ثمن ما يأتيه به من حاجته،

---

(١) سورة الكهف: ٤٩.

(٢) سورة الحج: ١٠.

(٣) سورة يونس: ٤٤.

وعلم المالك أن على الحاجة رقيباً لا يطمع أحد في أخذها منه إلّا بما يرضى به من الثمن، وقد وصف مالك هذا العبد نفسه بالعدل والنصفة وإظهار الحكمة ونفي الجور وأوعد عبده إن لم يأته بحاجته أن يعاقبه على علم منه بالرقيب الذي على حاجته أنه سيمنعه، وعلم أن المملوك لا يملك ثمنها ولم يملّكه ذلك، فلما صار العبد إلى السوق وجاء ليأخذ حاجته التي بعثه المولى لها وجد عليها مانعاً يمنع منها إلا بشراء، وليس يملك العبدُ ثمنها، فانصرف إلى مولاه خائباً بغير قضاء حاجته فاغتاظ مولاه من ذلك وعاقبه عليه، أليس يجب في عدله وحكمه أن لا يعاقبه وهو يعلم أن عبده لا يملك عرضاً من عروض الدنيا ولم يملّكه ثمنَ حاجته؟، فإن عاقبه عاقبه ظالماً متعدياً عليه مبطلاً لِمَا وصف من عدله وحكمته ونصفته، وإن لم يعاقبه كذّب نفسه في وعيده إياه حين أوعده بالكذب والظلم اللذين ينفيان العدل والحكمة، تعالى عما يقولون علواً كبيراً، فمن دان بالجبر أو بما يدعو إلى الجبر فقد ظلم الله ونسبه إلى الجور والعدوان، إذ أوجب على من أجبر العقوبة، ومن زعم أن الله أجبر العباد فقد أوجب على قياس قوله إن الله يدفع عنهم العقوبة، ومن زعم أن الله يدفع عن أهل المعاصي العذاب فقد كذّب الله في وعيده حيث يقول: ﴿**بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[1]. وقوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا**﴾[2]. وقوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾[3]. مع آي كثيرة في هذا الفن ممن كذّب وعيد الله ويلزمه في تكذيبه آية من كتاب الله الكفر، وهو ممن قال الله: ﴿**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ**

(١) سورة البقرة: ٨١.

(٢) سورة النساء: ١٠.

(٣) سورة النساء: ٥٦.

﴿إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[١] بل نقول: إن الله جلَّ وعزَّ يجازي العباد على أعمالهم ويعاقبهم على أفعالهم بالاستطاعة التي ملّكهم إياها، فأمرهم ونهاهم بذلك ونطق كتابه: **﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾**[٢]. وقال جلّ ذكره: **﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾**[٣]. وقال: **﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾**[٤]. فهذه آيات محكمات تنفي الجبر ومن دان به. ومثلها في القرآن كثير، اختصرنا ذلك لئلا يطول الكتاب وبالله التوفيق».

خ) إبطال التفويض:

«وأما التفويض الذي أبطله الصادق عليه السلام وأخطأ من دان به وتقلّده فهو قول القائل: إن الله (جلَّ ذكره) فَوَّضَ إلى العباد اختياراً أمره ونهيه وأهملهم. وفي هذا الكلام دقيق لمن يذهب إلى تحريره ودقته، وإلى هذا ذهبت الأئمة المهتدية من عترة الرسول صلى الله عليه وآله، فإنهم قالوا: لو فوض إليهم على جهة الإهمال لكان لازماً له رضا ما اختاروه واستوجبوا منه الثواب ولم يكن عليهم فيما جنوه العقاب إذا كان الإهمال واقعاً، وتنصرف هذه المقالة على معنيين: إما أن يكون العباد تظاهروا عليه فألزموه قبول اختيارهم بآرائهم ضرورة كره ذلك أم أحب فقد لزمه الوهن، أو يكون (جلَّ وعزَّ) عجز عن تعبدهم بالأمر والنهي على إرادته كرهوا، أو أحبوا ففوّض أمره ونهيه إليهم وأجراهما على محبتهم إذ عجز عن تعبدهم، بإرادته فجعل الاختيار إليهم في الكفر والإيمان، ومثل ذلك مثل رجل ملك عبداً ابتاعه ليخدمه ويعرف له فضل

---

(١) سورة البقرة: ٨٥.

(٢) سورة الأنعام: ١٦٠.

(٣) سورة آل عمران: آية ٣٠.

(٤) سورة المؤمن: آية ١٧.

ولايته، ويقف عند أمره ونهيه، وادعىٰ مالك العبد أنه قاهر عزيز حكيم، فأمر عبده ونهاه ووعده علىٰ اتباع أمره عظيم الثواب، وأوعده علىٰ معصيته أليم العقاب، فخالف العبد إرادة مالكه ولم يقف عند أمره ونهيه فأي أمر أمره، أو نهي نهاه عنه لم يأته علىٰ إرادة المولىٰ بل كان العبد يتبع إرادة نفسه واتباع هواه ولا يطيق المولىٰ أن يردّه إلىٰ إتباع أمره ونهيه والوقوف علىٰ إرادته، ففوّض اختيار أمره ونهيه إليه، ورَضِي منه بكل ما فعله علىٰ إرادة العبد لا علىٰ إرادة المالك وبعثه في بعض حوائجه، وسمّىٰ له الحاجة فخالف علىٰ مولاه وقصد لإرادة نفسه واتبع هواه، فلما رجع إلىٰ مولاه نظر إلىٰ ما أتاه به، فإذا هو خلاف ما أمره به، فقال له: لِمَ أتيتني بخلاف ما أمرتك؟ فقال العبد: اتكلت علىٰ تفويضك الأمر إليَّ فاتبعت هواي وإرادتي، لأن المفوض إليه غير محظور عليه فاستحال التفويض.

أو ليس يجب علىٰ هذا السبب إما أن يكون المالك للعبد قادراً يأمر عبده باتباع أمره ونهيه علىٰ إرادته لا علىٰ إرادة العبد ويملّكه من الطاقة بقدر ما يأمره به وينهاه عنه، فإذا أمره بأمر ونهاه عن نهي عرفه الثواب والعقاب عليهما. وحذره ورغبه بصفة ثوابه وعقابه ليعرف العبد قدرة مولاه بما ملّكه من الطاقة لأمره ونهيه وترغيبه وترهيبه، فيكون عدله وإنصافه شاملاً له وحجته واضحة عليه للاعذار والإنذار. فإذا اتبع العبد أمر مولاه جازاه وإذا لم يزدجر عنه نهيه عاقبه، أو يكون عاجزاً غير قادر ففوّضَ أمرَه إليه أحسن أم أساء، أطاع أم عصىٰ، عاجز عن عقوبته وردّه إلىٰ إتباع أمره. وفي إثبات العجز نفىٰ القدرة والتأله وإبطال الأمر والنهي والثواب والعقاب ومخالفة الكتاب إذ يقول: ﴿**وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ**﴾[1] وقوله (عزّ وجلّ): ﴿**اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾[2] وقوله: ﴿**وَمَا**

(١) سورة الزمر: ٧.

(٢) سورة آل عمران: ١٠٢.

خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾[١] وقوله: ﴿**وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**﴾[٢] وقوله: ﴿**أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ**﴾[٣].

فمن زعم أن الله تعالىٰ فَوَّض أمرَه ونَهْيَه إلىٰ عباده فقد أثبت عليه العجز وأوجب عليه قبول كل ما عملوا من خير وشر وأبطل أمر الله ونهيه ووعده ووعيده، لعلة ما زعم أن الله فوضها إليه لأن المفوّض إليه يعمل بمشيئته، فإن شاء الكفر، أو الإيمان كان غير مردود عليه ولا محظور، فمن دان بالتفويض علىٰ هذا المعنىٰ فقد أبطل جميع ما ذكرنا من وعده ووعيده وأمره ونهيه وهو من أهل هذه الآية ﴿**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾[٤] تعالىٰ عما يدين به أهل التفويض علواً كبيراً».

د) المنزلة بين المنزلتين أو (الأمر بين الأمرين):

«لكن نقول: إن الله (جلَّ وعزَّ) خلق بقدرته وملّكهم استطاعة تعبدهم بها، فأمرهم ونهاهم بما أراد فقبل منهم اتباع أمره ورضي بذلك لهم. ونهاهم عن معصيته، وذم من عصاه وعاقبه عليها ولله الخيرة في الأمر والنهي، يختار ما يريد ويأمر به وينهىٰ عما يكره ويعاقب عليه بالاستطاعة التي ملكها عباده لاتباع أمره واجتناب معاصيه، لأنه ظاهر العدل والنصفة والحكمة البالغة، بالغ الحجة بالإعذار والإنذار وإليه الصفوة يصطفي من عباده من يشاء؛ لتبليغ رسالته واحتجاجه علىٰ عباده، اصطفىٰ محمداً صلى الله عليه وآله وبعثه برسالته إلىٰ خلقه، فقال من قال من كفار قومه حسداً واستنكاراً:

---

(١) سورة الذاريات: ٥٦ ـ ٥٧.

(٢) سورة النساء: ٣٦.

(٣) سورة الأنفال: ٢٠.

(٤) سورة البقرة: ٨٥.

﴿لَوْلَا نُزِّلَ هُذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[١] يعني بذلك أمية بن أبي الصلت وأبا مسعود الثقفي، فأبطل الله اختيارهم، ولم يجز لهم آراءهم حيث يقول: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[٢]. ولذلك اختاروا من الأمور ما أحب ونهى عما كَرِه، فمن أطاعه أثابه، ومن عصاه عاقبه، ولو فَوَّض اختيار أمره إلى عباده لأجاز لقريش اختيار أمية بن أبي الصلت وأبي مسعود الثقفي، إذ كانا عندهم أفضل من محمد صلى الله عليه وآله.

فلما أدب الله المؤمنين بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[٣]، فلم يجز لهم الاختيار بأهوائهم ولم يقبل منهم إلا اتباع أمره واجتناب نهيه على يدي من اصطفاه، فمن أطاعه رشد ومن عصاه ضل وغوى ولزمته الحجة بما ملّكه من الاستطاعة لاتباع أمره واجتناب نهيه، فمن أجل ذلك حرمه ثوابه وأنزل به عقابه».

ذ) أدلة الأمر بين الأمرين:

«وهذا القول بين القولين ليس بجبر ولا تفويض وبذلك أخبر أمير المؤمنين صلوات الله عليه عباية بن ربعي الأسدي حين سأله عن الاستطاعة التي بها يقوم ويقعد ويفعل، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: قل يا عباية، قال: وما أقول، ؟ قال عليه السلام: إن قلت: إنك تملكها مع الله قتلتك. وإن قلت: تملكها دون الله قتلتك قال عباية: فما أقول يا أمير المؤمنين؟ قال عليه السلام: تقول إنك تملكها بالله الذي يملكها من دونك، فإن يملّكها إياك كان ذلك من عطائه، وإن يسلبكها كان ذلك من بلائه، هو المالك لما

(١) سورة الزخرف: ٣١.

(٢) سورة الزخرف:: ٣٢.

(٣) سورة الأحزاب: ٣٦.

ملّكك والقادر على ما عليه أقدرك، أما سمعت الناس يسألون الحول والقوة حين يقولون لا حول ولا قوة إلا بالله. قال عباية: وما تأويلها يا أمير المؤمنين؟ قال عليه السلام: لا حول عن معاصي الله إلا بعصمة الله، ولا قوة لنا على طاعة الله إلا بعون الله، قال: فوثب عباية فقبّل يديه ورجليه.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام حين أتاه نجدة يسأله عن معرفة الله، قال: يا أمير المؤمنين بماذا عرفت ربك؟ قال عليه السلام: بالتمييز الذي خولني والعقل الذي دلّني، قال أفمجبول أنت عليه؟ قال: لو كنت مجبولاً ما كنت محموداً على إحسان ولا مذموماً على إساءة، وكان المحسن أولى باللائمة من المسيء فعلمت أن الله قائم باق وما دونه حدث حائل زائل، وليس القديم الباقي كالحدث الزائل، قال نجدة: أجدك أصبحت حكيماً يا أمير المؤمنين، قال: أصبحت مخيّراً، فإن أتيت السيئة مكان الحسنة فأنا المعاقب عليها.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال لرجل سأله بعد انصرافه من الشام، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن خروجنا إلى الشام بقضاء وقدر؟ قال عليه السلام: نعم يا شيخ؛ ما علوتم تلعة[1] ولا هبطتم وادياً إلا بقضاء وقدر من الله، فقال الشيخ: عند الله أحتسب عَنائي يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: مه يا شيخ، فإن الله قد عظّم أجركم في مسيركم وأنتم سائرون، وفي مقامكم وأنتم مقيمون، وفي انصرافكم وأنتم منصرفون، ولم تكونوا في شيء من أموركم مكرهين ولا إليه مضطرّين، لعلك ظننت أنه قضاءٌ حتم وقدرٌ لازم، لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب، ولسقط الوعد والوعيد، ولما ألزمت الأشياء أهلها على الحقائق؛ ذلك مقالة عبدة الأوثان وأولياء الشيطان، إن الله (جلَّ وعزَّ) أمر تخييراً، ونهى تحذيراً، ولم يطع مكرهاً، ولم يعص مغلوباً، ولم يخلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظنُّ الذين كفروا فويل للذين كفروا من

(١) التلعة: ما علا من الأرض.

النار فقام الشيخ فقبّل رأس أمير المؤمنين عليه السلام وأنشأ يقول:

أَنْـتَ الإمامُ الذي نَرْجُو بطاعتِهِ ... يَومَ النَّجاةِ مِنَ الرَّحـمنِ غُفْرَاناً

أَوْضَحْتَ مِن ديننا ما كان مُلْتَبساً ... جَـــزَاكَ رَبُّك عَنّا فيه رِضْوَاناً

فَـلَـيْس مَعْذِرَةٌ في فِعْلِ فَاحِـــشَةٍ ... قَدْ كُنْـــتَ رَاكبَها ظُلْماً وعِصْيَاناً

فقد دلَّ أمير المؤمنين عليه السلام على موافقة الكتاب ونفي الجبر والتفويض اللذين يلزمان من دان بهما، وتقلّدهما الباطل والكفر، وتكذيب الكتاب ونعوذ بالله من الضلالة والكفر، ولسنا ندين بجبر ولا تفويض لكنا نقول بمنزلة بين المنزلتين وهو الامتحان والاختبار بالاستطاعة التي ملّكنا الله وتعبّدنا بها على ما شهد به الكتاب ودان به الأئمة الأبرار من آل الرسول صلوات الله عليهم».

ر) مثل بليغ:

«ومثَل الاختبار بالاستطاعة مثَل رجل ملك عبداً، وملك مالاً كثيراً أحبَّ أن يختبر عبده على علم منه بما يؤول إليه، فملّكه من ماله بعض ما أحبّ، ووقفه على أمور عرَّفها العبد فأمره أن يصرف ذلك المال فيها ونهاه عن أسباب لم يحبّها وتقدّم إليه أن يجتنبها ولا ينفق من ماله فيها، والمال يتصرَّف في أيّ الوجهين، فصرف المال أحدهما في إتّباع أمر المولى ورضاه، والآخر صرفه في إتباع نهيه وسخطه. وأسكنه دار اختيار أعلمه أنه غير دائم له السكنى في الدار وأن له داراً غيرها وهو مُخرجه إليها فيها ثوابٌ وعقابٌ دائمان، فإن أنفذ العبد المال الذي ملّكه مولاه في الوجه الذي أمره به جعل له ذلك الثواب الدائم في تلك الدار التي أعلمه أنه مُخرجه إليها، وإن أنفق المال في الوجه الذي نهاه عن إنفاقه فيه جعل له ذلك العقاب الدائم في دار الخلود، وقد حدَّ المولى في ذلك حدّاً معروفاً وهو المسكن الذي أسكنه في الدار الأولى، فإذا بلغ الحدَّ استبدل المولى بالمال وبالعبد على أنه لم يزل مالكاً للمال والعبد في الأوقات كلها إلا أنه وعد أن لا يسلبه ذلك المال ما كان في تلك الدار الأولى إلى أن يستتمّ سكناه فيها فوفى له؛

لأن من صفات المولى العدل والوفاء والنصفة والحكمة، أو ليس يجب إن كان ذلك العبد صرف ذلك المال في الوجه المأجور به أن يفي له بما وعده من الثواب، وتفضل عليه بأن استعمله في دار فانية وأثابه على طاعته فيها نعيماً دائماً في دار باقية دائمة. وإن صرف العبد المال الذي ملّكه مولاه أيام سكناه تلك الدار الأولى في الوجه المنهي عنه وخالف أمر مولاه كذلك تجب عليه العقوبة الدائمة التي حذّره إياها، غير ظالم له لما تقدم إليه وأعلمه وعرّفه وأوجب له الوفاء بوعده ووعيده، بذلك يوصف القادر القاهر، وأما المولى فهو الله جلَّ وعزَّ، وأما العبد فهو ابن آدم المخلوق، والمال قدرة الله الواسعة، ومحنته إظهار الحكمة والقدرة، والدار الفانية هي الدنيا وبعض المال الذي ملّكه مولاه هو الاستطاعة التي ملك ابن آدم، والأمور التي أمر الله بصرف المال إليها هو الاستطاعة لاتباع الأنبياء والإقرار بما أوردوه عن الله (جلَّ وعزَّ) واجتناب الأسباب التي نهى عنها هي طرق إبليس. وأما وعده فالنعيم الدائم وهي الجنة، وأما الدار الفانية، فهي الدنيا. وأما الدار الأخرى، فهي الدار الباقية وهي الآخرة. والقول بين الجبر والتفويض هو الاختبار والامتحان والبلوى بالاستطاعة التي ملّك العبد.

وشرحها في الخمسة الأمثال التي ذكرها الصادق عليه السلام[1] أنها جمعت جوامع الفضل وأنا مفسرها بشواهد من القرآن والبيان إن شاء الله».

فالمتأمل في نصوص هذه الرسالة الكلامية الذهبية العظيمة في المنظومة العقدية الفكرية في التاريخ الكلامي الإسلامي يدرك بوضوح حدة الخلاف العقائدي، وأثره في العلاقات الاجتماعية، وبلبلة الفكر والرأي في تلك المسألة الخطيرة، وتكشف مرجعية الإمام عليه السلام العلمية ولجوء الأمة إليه لفهم الإسلام، وتوضيح العقيدة، وبيان معضلات الفكر والمعتقد، وهناك ثلاثة آراء في الإطار الإسلامي تفسر أعمال الإنسان وسلوكه، وهي:

---

(١) أي صحة الخلقة، وتخلية السرب، والمهلة في الوقت، والزاد والسبب المهيج.

١- القول: إن الإنسان مجبر وتجري عليه الأفعال كما يجري الماء في النهر فالإنسان لا يملك إرادة ولا اختياراً، والخير والشرّ الصادر عنه إنما هو من فعل الله (عزّ وجلّ).

٢- ورأي يقول: إن الأمر مفوّض إلى الإنسان أي أنَّ الله أهمل العباد، وليس لله دخلٌ في صدور الأفعال منهم، وليس بوسع الله أنْ يمنعهم من فعل شيء، فالحياة وفق هذا الرأي لا تخضع لإرادة إلهية منظّمة.

٣- ورأي ثالث وهو رأي مدرسة أهل البيت عليهم السلام مفاده: الأمر بين الأمرين، والمنزلة بين المنزلتين، فالإنسان يملك الإرادة والاختيار، وهو ليس مجبراً، ولكن الأمر ليس مفوَّضاً إليه، وإنَّ الله قادر على أنْ يمنعه عن الفعل الذي فَعَله، وقد يمنعه الله عن فعل الشرّ لطفاً به، أو يعينه على فعل الخير لاستحقاق ذلك[1].

وقد بحث آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي قدس سره هذا الأمر، فقال: «ففعل العبد وسط بين الجبر والتفويض، وله حظّ في كلّ منهما، فإنَّ إعمال قدرته في الفعل، أو الترك وإن كان اختياراً، إلَّا أنَّ هذه القدرة وسائر المبادئ حين الفعل تفاض من الله، فالفعل مستند إلى العبد من جهة، وإلى الله من جهة أخرى، والآيات القرآنية المباركة ناظرة إلى هذا المعنى وأن اختيار العبد من فعله لا يمنع من نفوذ قدرة الله وسلطانه»[2].

ولابُدّ من القول: إنَّ هذه الرسالة من أخصب الدراسات العلمية في المسائل العقدية التي كانت مدار الجدل والكلام في ذلك الزمان.

---

(١) ينظر: سيرة رسول الله وأهل بيته عليهم السلام: ٢ / ٦٠٧، وموسوعة المصطفى صلى الله عليه وآله والعترة: ١٢ / ٢٠٨.

(٢) البيان في تفسير القرآن: أبو القاسم الخوئي: ٩٩.

خاتمة البحث ونتائجه

انتهى البحث إلى جملة من النتائج نوجزها على الشكل الآتي:

١- أظهر البحث جوانب إنسانية مثالية للإمام الهادي عليه السلام منها العفو والصفح، والتسامح، والقرب من المسلمين، والكرم، والدعوة إلى التماسك، وحقن الدماء، والصبر.

٢- دعا الإمام الهادي عليه السلام أصحابه إلى تجنب المخاطر، وأخذ العبرة مما جرى في حياة الآخرين، وقراءة دروس الماضي لا سيما مصير الحكام الظالمين وما لحقهم من تاريخ مخزٍ، وظل مَنْسيّاً مظلماً.

٣- ظهر في ضوء واقع الحال، وقرائن المقام أنَّ الإمام الهادي عليه السلام كان مؤيّداً للحركات المناهضة للحكم العباسي لا سيما السائرة على الخط الإسلامي الصحيح الداعية إلى الإصلاح.

٤- أظهر البحث أن الإمام الهادي عليه السلام قد مارس نشاطاً مكثّفاً وعَمِل عملاً دؤُوباً لإعداد الجماعة الصالحة من أجل الوصول إلى عملية الإصلاح المنشود والمنظور.

٥- كان الإمام الهادي عليه السلام داعية للوحدة، والصبر والعزم، وناهياً عن المضلاّت والأفكار المنحرفة التي تؤدّي إلى تشتت المجتمع وتفرّقه ثم تمييع أفراده وانهيارهم.

٦- أظهر البحث أنَّ الإمام الهادي عليه السلام قد نَهى أصحابه عن مجالسة الغلاة، والمنحرفين لا سيّما الصوفية؛ لأنَّهم مخرّبو الدين، ومضلّو العباد، ونهى عليه السلام كذلك عن الخوض في مسألة (خلْق القرآن)؛ لأنها من المسائل المحرقة التي تؤدّي إلى تضييع الرسالة، وذهاب الغاية.

٧- من المسائل الكلامية المهمة التي أبان الإمام فيها عن رأيه وفاقاً لآراء آبائه عليهم السلام مسألة (الجبر والتفويض)، وقد أبطلهما آخذاً بالمنزلة بين المنزلتين، أو الأمر بين الأمرين.

٨- أظهر البحث أنَّ الإمام الهادي عليه السلام كان من أشدّ المحافظين في زمانه على الدين من الانحراف، ومِن الانزياح نحو الضلالة والغواية.

والحمدُ لله أولاً وآخراً، وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- الاحتجاج: أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطَّبَرسي (من علماء القرن السادس): تحقيق: إبراهيم البهادري، ومحمد هادي به، ط٣، دار الأسرة، إيران، ١٤٢٤هـ.

- أعلام الهداية (الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام): المجمع العلمي لأهل البيت، ط٢، مطبعة ليلى، قم ـ إيران، ١٤٢٥هـ.

- إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ: أبو الفضل بن الحسن الطبرسي (من أعلام القرن السادس) مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدّسة، ١٤١٧هـ.

- الإمام الهادي عليه السلام (أضواء من سيرته): محمود السيف القطيفي، ط١، مطبعة طه، قم ـ إيران، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

- الأئمة الاثنا عشر (سيرة وتاريخ): محمد حسن آل ياسين (ت ١٤٢٧هـ)، ط١، منشورات الاجتهاد، قم ـ إيران، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

- بحار الأنوار الجماعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، ط١، إحياء الكتب الإسلامية، قم ـ إيران، ١٤٢٧هـ.

- البداية والنهاية: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، راجعه الأستاذ سُهيل زكّار، ط١، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٥م.

- البيان في تفسير القرآن: أبو القاسم الخوئي (ت ١٤١٣هـ)، مطبعة العمال المركزية، بغداد، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

- تُحف العقول عن آل الرسول: أبو محمد الحسن بن علي بن شعبة الحرّاني من أعلام القرن الرابع الهجري، ط٥، منشورات الأعلمي، بيروت ـ لبنان، ١٣٩٤هـ -

١٩٧٤م.

• التوحيد: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القُمّي (٣٨١هـ)، نشر وتحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ط٨، ١٤٢٣هـ.

• حقيقة الخلاف بين المتكلمين: علي عبد الفتاح المغربي، ط١، مكتبة وهبة، ١٤١٥هـ.

• حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت ٤٣٠هـ)، تحقيق: سعيد بن سعد الدين خليل الإسكندراني، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ.

• حياة الإمام علي الهادي عليه السلام (دراسة وتحليل): باقر شريف القرشي (ت ١٤٣٢هـ)، تحقيق: مهدي باقر القرشي، ط١٠، مؤسسة الإمام الحسن لإحياء تراث أهل البيت عليهم السلام، الوردي، النجف ـ العراق، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

• دور الأئمة في الحياة الإسلامية: محمد اليعقوبي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

• دول الإسلام: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: حسن إسماعيل مَرْوَة، ط٢، بيروت، ٢٠٠٦م ـ ١٤٢٧هـ.

• رجال الكشي: الكشي، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، د.ت.

• سيرة الأئمة الاثني عشر: هاشم معروف الحسني، ط٥، مطبعة شريعة، إيران/ ١٤٢٧هـ.

• سيرة رسول الله وأهل بيته عليهم السلام: لجنة التأليف مؤسسة البلاغ، ط٢، مؤسسة الهدىٰ الدولية، طهران ـ إيران، ١٤٢٠هـ.

• ظهر الإسلام: أحمد أمين، ط٣، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٢م.

• الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية: محمد بن علي بن طباطبا المعروف بـ (ابن الطقطقا)، ط١، دار صادر، بيروت، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

• الفصول المختارة من العيون والمحاسن: محمد بن محمد بن نعمان العكبري البغدادي الملقب بـ (الشيخ المفيد) (ت ٤١٣هـ)، ط١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٤م.

• الكافي: أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي الكليني (ت ٣٢٩هـ)، دار الكتب الإسلامية، طهران ـ إيران، ١٣٨١هـ.

• الكامل في التاريخ: عزّ الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد عبد الواحد الشيباني المعروف بـ (ابن الأثير) (ت ٦٣٠هـ)، تقديم الدكتور سمير شمس، ط١، دار صادر، بيروت، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٩م.

• مروج الذهب ومعادن الجوهر: أبو الحسن علي بن الحسين بن عليّ المسعودي (ت ٣٤٦هـ)، ط١، دار القارئ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

• مناقب آل أبي طالب: أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني (ت ٥٨٨هـ)، تحقيق: يوسف البقاعي، ط٢، مطبعة سليما تراده، إيران، ١٤٢٧هـ.

• موسوعة المصطفى صلى الله عليه وآله والعترة (الهادي علي عليه السلام): حسين الشاكري (ت ١٤٣٠هـ)، ط١، مطبعة سُتاره، قم ـ إيران، ١٤١٩هـ.



البحث الرابـع

المضامين المعرفية

في رسالة الإمام الهادي عليه السلام

فى الردّ على أهل الجبر والتفويض

(وإثبات العدل والمنزلة بين المنزلتين)

أ .م. د. حميد جاسم عبود الغرابي

كلية العلوم الإسلامية

جامعة كربلاء



المقدمة

الحقيقة نحن اليوم بأمسّ الحاجة الى قراءة تراث أئمتنا الكرام عليهم السلام، وتدبر كلماتهم ورواياتهم واحتجاجاتهم ورسائلهم وأجوبتهم وفي صنوف المعرفة كلها، ففيها الدواء من كل داء، والجواب عن كل سؤال، والدليل في كل تيه، لاسيما ونحن اليوم نعاني من هجمات إلحادية وشبهات فكرية، وما خلفته الهجمة الداعشية والإرهاب الدموي على بلادنا من خلط في المفاهيم وانحراف في العقيدة أصاب كثيراً من شبابنا ومجتمعاتنا، فكان لابد من التصدي لها بكل شجاعة ومعرفة، ولا مفر من اللجوء الى أهل بيت العصمة ومهبط الوحي وأهل الذكر عليهم السلام، وما أشبه اليوم بالبارحة، ففي طيات تراثهم عليهم السلام، نجد رسالة موجهة من قبل الإمام النقي الهادي الى من قال بالجبر والتفويض، ولأهمية هذه الرسالة فكرياً وعقدياً وقرآنياً أحبّ الباحث أن يسلط الضوء على أهم الجوانب المعرفية التي تضمنتها هذه الرسالة المهمة من تصحيح العقائد وإثبات الحقائق وبيان منهج الاحتجاج العقلائي، والجدال القرآني والاستدلال على الاحكام بالدليل القاطع، فانتظم البحث بمقدمة وثلاثة مباحث، تضمن المبحث الأول بيان مفاهيم البحث، والمبحث الثاني عرض الرسالة وشرحها، والمبحث الثالث بيان أهم المضامين المعرفية، ثم الخاتمة وتحديد النتائج، ومسرد للمصادر والمراجع.

المبحث الأول: بيان مفاهيم البحث

أولاً: مفهوم الجبر:

الجبر لغة: الجبر هو الإكراه والإرغام والقهر. والجبر في الفعل هو الحمل على الفعل بالقسر والغلبة [١].

الجبر اصطلاحا: هو إجبار الله العباد على ما يفعلون، خيراً كان أو شراً، حسناً كان أو قبيحاً، ولا يكون للعباد أية إرادة أو قدرة أو اختيار على الرفض والامتناع[٢]. وقيل: إن أفعال الإنسان كلها لله عز وجل، ودور الإنسان آلي يسيّره الله بإرادته واختياره، ولا يمتلك الإنسان أية إرادة أو اختيار في أفعاله، وإنّما يصدر الفعل منه وهو مجبر عليه.

الاختيار لغة: هو التمكن من فعل الشيء وتركه.

واصطلاحاً: إن الاختيار تارة يطلق ويراد به ما يقابل الجبر، وتارة يطلق ويراد به ما يقابل الإكراه، وتوضيح ذلك هو: إن الأفعال الاختيارية الصادرة من المختار إنما تستند إلى مقدمات موجودة في أفق النفس مثل: تصور الشيء، والتصديق بفائدته، والرغبة إليه، ثم الشوق المؤكد إليه المعبر عنه بالإرادة، وهي تأثير النفس في حركة العضلات. وكلما فقدت بعض المقدمات مثل الرغبة والإرادة فسوف لا يصدر الفعل من الإنسان المختار إلا أن يصل إلى حد الإلجاء والإجبار كما إذا أوثق وصبّ في فيه المسكر. والاختيار المفقود في هذا الفرض هو الاختيار المقابل للإجبار. وأما إذا تحققت المقدمات بأسرها ولكن بصورة غير طبيعية، كما إذا ألزم شخص بشرب الخمر وأنذر بأنه إذا لم يشرب سيصيبه ضرر معتد به، فتناول الإناء بيده وشرب الخمر. ففي هذه الصورة توفرت المقدمات بأسرها إلا أنها توفرت بصورة غير طبيعية والاختيار

---

(١) لسان العرب، ابن منظور: مادّة (جبر).

(٢) المصطلحات الإسلامية. مرتضى العسكري: ١٤٨.

المفقود – هنا – هو الاختيار المقابل للإكراه[١].

التفويض لغة: هو إيكال فعل الشيء إلى الآخرين على وجه الاستقلال في التصرّف دون أن يكون للمفوِّض (بكسر الواو) سلطان في فعل المفوَّض إليه (بفتح الواو)، وورد: فوَّض إليه الأمر: « صيّره إليه وجعله الحاكم فيه[٢].

التفويض اصطلاحاً: إن الله تعالى فوض أفعال العباد إليهم، وتركهم لحالهم يفعلون على وجه الاستقلال التام دون أن يكون له تعالى سلطان على أفعالهم[٣].

التوجيه النظري للتفويض[٤]:

١- نظام السببية الذي خلق العالم على وفقه يتعارض مع كون الحوادث تتصل بالله تعالى.

٢- انتقال القدرة من سلطان الله عزّ وجلّ الى الانسان بشرط استعمالها في الخير لا في الشر، نقل الله تعالى القدرة من سلطانه القاهر إلى سلطان الإنسان.

٣- خلق الله تعالى الإنسان وأقدره على خلق أفعاله وفوّض إليه الاختيار

---

(١) لسان العرب، ابن منظور: مادّة (خير).

(٢) لسان العرب مادّة (فوض).

(٣) المصطلحات الإسلامية، مرتضى العسكري. ١٤٨.

(٤) المشهور نسبة هذه النظرية إلى المعتزلة.

تنبيه: لم أجد في كلام القاضي عبد الجبار المعتزلي ما يدل على نفي اضافة أفعال العباد الى الله تعالى بصورة مطلقة، بل قال القاضي عبد الجبار: لا يجوز إضافتها [أي: إضافة أفعال العباد] إلى الله تعالى إلا على ضرب من التوسع والمجاز، وذلك بأن تقيّد بالطاعات، فيقال إنها من جهة الله تعالى ومن قبله، على معنى أنه أعاننا على ذلك ولطف لنا ووفقنا، وعصمنا عن خلافه. شرح الأصول الخمسة القاضي عبد الجبار، الأصل الخامس، فصل في القضاء والقدر، ص٧٧٨- ٧٧٩. وهذا ما يدل على اعتقاد القاضي عبد الجبار بتدخل الله في أفعال العباد الحسنة عن طريق إعانتهم وتوفيقهم واللطف بهم وعصمتهم عن خلافه.

والإرادة، فالعبد مستقل في إيجاد أفعاله وفق مشيئته وإرادته، وتستند أفعاله إليه بشكل تام ومستقل[١]، ولا توجد أية صلة بين فعل الإنسان وبينه تعالىٰ سوىٰ القوة التي أودعها في العبد للمرّة الأولىٰ.

دلالة روايات المعصومين عليهم السلام على الأمر بين الأمرين:

١- قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في جواب من سأله عن القدر: «... إنه أمر بين أمرين، لا جبر ولا تفويض»[٢].

٢- قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «لا جبر ولا تفويض، بل أمر بين أمرين»[٣].

٣- سُئل الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: هل بين الجبر والقدر منزلة ثالثة؟ فقال عليه السلام: «نعم، أوسع مما بين السماء والأرض»[٤].

السمات العلمية لمقولة الأمر بين الأمرين:

١- بلغت الأحاديث المروية عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في ذم الاتجاهين الجبري والتفويضي وإثبات الأمر بين الأمرين حدّ التواتر[٥].

٢- إنّ مقولة الأمر بين الأمرين مقولة مستقلة وليست تلفيقاً بين نظريتي الجبر والتفويض، ولا يعني الأمر بين الأمرين أن الإنسان مجبور في جانب من جوانب

---

(١) ورد هذا المعنىٰ في: المواقف، عضد الدين الايجي: ج٣، الموقف ٥، المرصد ٦، المقصد ١، ص ٢١٤.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج ٥، كتاب العدل والمعاد، أبواب العدل، ب ١، ح ١٠٣، ص ٥٧.

(٣) الكافي، الشيخ الكليني: ج ١، كتاب التوحيد، باب: الجبر والقدر والأمر بين الأمرين، ح١٣، ص١٦٠.

(٤) التوحيد، الشيخ الصدوق: باب ٥٩، باب نفي الجبر والتفويض، ح٣، ص ٣٥٠.

(٥) محاضرات في أصول الفقه، السيد الخوئي: ٢/ ٧٧، نقلاً عن: التوحيد، دروس السيد كمال الحيدري، بقلم جواد علي كسار:٢/ ٨٧.

أفعاله، ومفوض إليه الأمر في جانب آخر؛ لأن الجبر في الأفعال التكليفية باطل بجميع مراتبه، والتفويض أيضاً باطل بأي نحو كان.

٣- تُقدّم مقولة (الأمر بين الأمرين) صياغة تجمع بين (العدل الإلهي) و(السلطة الربانية)؛ لأن هذه المقولة: تمنع من جهة نسبة الظلم والقبح إلى الله تعالى، وتحفظ من جهة أخرى سلطنة الله في دائرة ملكه.

٤- إن هذه المقولة تجمع بين نسبة الفعل إلى الله تعالى ونسبته إلى الإنسان، وتحافظ في نفس الوقت على الاختيار الإنساني في إطار يوجد التوازن بين أصل (العدل الإلهي) وبين أصل (السلطنة الإلهية) من دون أي تفريط لإحدى الجهات على حساب الأخرى.

مفاهيم الأمر بين الأمرين:

المفهوم الأول:

إنّ أفعال الإنسان تنسب إليه حقيقة؛ لأنه السبب لها، وهي تحت قدرته واختياره، ولكنها من جهة أخرى داخلة في سلطان الله تعالى؛ لأن الله تعالى له الهيمنة على قدرة الإنسان، وهو المالك لما ملّكه، والقادر على ما أقدره، مثال:

١- إذا أصيبت يد إنسان بالشلل، فلم يقدر على تحريكها بنفسه، فبعث الطبيب عن طريق جهاز كهربائي الحركة في يد هذا الشخص، بحيث أصبح هذا الشخص عند اتّصال يده بذلك الجهاز قادراً على تحريكها بنفسه: فإنّ حركة يد هذا الشخص ستكون في هذه الحالة أمراً بين أمرين، فهي لا تستند إلى صاحبها بنفسه كل الاستناد؛ لأن قدرته بحاجة إلى الاتصال بالجهاز، وهي لا تستند إلى الجهاز وحده؛ لأنّ الحركة إنما تكون باختيار هذا الشخص وإرادته[1].

---

(١) محاضرات في أصول الفقه، السيد الخوئي، بقلم: محمد إسحاق الفياض: ٢/ ٨٧ - ٨٩. نقلاً عن: التوحيد، دروس السيد كمال الحيدري، بقلم: جواد علي كسار: ٢/ ١١١- ١١٢.

٢- إذا ملّك المولى عبده مالاً ليتصرّف به، فإذا قلنا: إن هذا التمليك لا يوجب أي مالكية للعبد، والمولى باقٍ على مالكيته كما كان، فإن ذلك هو القول بالجبر، وإذا قلنا: إن هذا التمليك يبطل ملك المولى، كان قولاً بالتفويض، وإذا قلنا: إن العبد يكون مالكاً، ولكن المولى في نفس الوقت مالك الجميع ما يملكه العبد، كان ذلك قولاً بالأمر بين الأمرين[١].

المفهوم الثاني:

إن المقصود من نفي الجبر والتفويض هو نفيهما في التكليف، ونفي الجبر في التكليف يعني أنّ الله تعالى لم يجبر أحداً على الالتزام بالتكاليف، ونفي التفويض في التكليف يعني أنه تعالى لم يفوض أمر التكليف للعباد، ليستلزم ذلك نفي التكليف، بل جعله أمراً بين أمرين، وهو أن الإنسان يمتلك الاختيار في أداء التكاليف الإلهية[٢]، قال الشيخ المفيد: إن الله تعالى أقدر الخلق على أفعالهم، ومكّنهم من أعمالهم، وحدّ لهم الحدود في ذلك... فلم يكن بتمكينهم من الأعمال مجبراً لهم عليها، ولم يفوّض إليهم الأعمال لمنعهم من أكثرها، ووضع الحدود لهم فيها، وأمرهم بحسنها، ونهاهم عن قبيحها، فهذا هو الفصل بين الجبر والتقويض[٣].

المفهوم الثالث: إن لهداية الله تعالى وتوفيقاته مدخلاً في أفعال العباد وطاعاتهم من غير أن تصل إلى حدّ الإلجاء والاضطرار وسلب القوة، كما أنّ لخذلانه تعالى لهم وإيكالهم إلى أنفسهم مدخلاً في فعل المعاصي وترك الطاعات من غير أن تصل إلى حدّ الإلجاء والاضطرار، ومن دون صحة نسبة تلك الأفعال إلى الله تعالى[٤].

---

(١) الميزان، العلامة الطباطبائي: ج ١، تفسير سورة البقرة، آية ٢٦- ٢٧، ص ١٠٠.

(٢) هداية الأمة إلى معارف الأئمة، محمد جواد الخراساني: المقصد الرابع: في أفعاله تعالى شأنه، فصل: تفسير الأمر بين الأمرين بما ورد عنهم عليهم السلام، ص ٦٥٤- ٦٥٨.

(٣) تصحيح اعتقادات الإمامية، الشيخ المفيد، فصل: في الفرق بين الجبر والاختيار، ص ٤٧.

(٤) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج ٥، كتاب العدل والمعاد، أبواب العدل، ب ٢، ذيل ح ١، ص ٨٣.

المفهوم الرابع:

إن المقصود من الأمر بين الأمرين هو تدخل الله تعالىٰ في أفعال العباد بإيجاد بعض مقدّماتها، كما هو واقع في أكثر المقدّمات الخارجية التي منها تهيئة الأسباب ورفع الموانع، فحينئذ لا يكون العبد مجبوراً علىٰ الفعل، ولا مفوّضاً إليه بمقدماته[١].

أقوال أئمة أهل البيت عليهم السلام حول معنى الأمر بين الأمرين:

١- قال الإمام علي بن موسىٰ الرضا عليه السلام حول معنىٰ «أمر بين أمرين»: «وجود السبيل إلىٰ إتيان ما أمروا به، وترك ما نهوا عنه»[٢].

٢- قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام حول الأمر بين الأمرين: «مثل ذلك: رجل رأيته علىٰ معصية، فنهيته، فلم ينته فتركته، ففعل تلك المعصية، فليس حيث لم يقبل منك فتركته، كنت أنت الذي أمرته بالمعصية»[٣].

٣- سُئل الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «أأجبر الله العباد علىٰ المعاصي؟ فقال عليه السلام: لا. فقال السائل: ففوّض إليهم الأمر؟ فقال عليه السلام: لا. فقال السائل: فماذا؟ فقال الإمام الصادق عليه السلام: لطف من ربّك بين ذلك»[٤].

٤- قال الإمام علي بن موسىٰ الرضا عليه السلام حول معنىٰ الأمر بين الأمرين: إن الله عزّ وجل لم يُطَع بإكراه، ولم يُعصَ بغلبة، ولم يُهمِل العبادَ في ملكه، هو المالك لما ملّكهم والقادر علىٰ ما أقدرهم عليه، فإن ائتُمر العبادُ بطاعته لم يكن الله عنها صاداً ولا منها مانعاً، وإن ائتُمروا بمعصيته، فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل، وإن لم

---

(١) دلائل الصدق، محمد حسن المظفر: ج ١، إنا فاعلون، مناقشة المظفر، ص. ٤٤٠- ٤٤١.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج ٥، كتاب العدل والمعاد، أبواب العدل، ب ١، ح ١٨، ص ١٢.

(٣) الكافي، الشيخ الكليني: ج ١، كتاب التوحيد، باب: الجبر والقدر والأمر بين الأمرين، ح ١٣، ص ١٦٠.

(٤) المصدر السابق: ح ٨، ص ١٥٩.

يَحُل وفعلوه، فليس هو الذي أدخلهم فيه»[١].

٥- قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «لا تقولوا: وكلهم الله إلى أنفسهم، فتوهنوه، ولا تقولوا: أجبرهم على المعاصي فتظلموه، ولكن قولوا: الخير بتوفيق الله، والشر بخذلان الله، وكل سابق في علم الله»[٢].

٦- قال الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام حول معنى الأمر بين الأمرين: «هو الامتحان والاختبار بالاستطاعة التي ملّكنا الله وتعبدنا بها...»[٣][٤].

---

(١) التوحيد، الشيخ الصدوق: باب ٥٩: باب نفي الجبر والتفويض، ح ٧، ص ٣٥١.

(٢) الاحتجاج، الطبرسي: ج ١، احتجاجه عليه السلام في القضاء والقدر، ص ٤٩٣.

(٣) تحف العقول، الحسن بن علي الحراني: ما روي عن الإمام أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام، رسالته في الرد على أهل الجبر والتفويض، ص ٣٤٥.

(٤) علاء الحسون، العدل عند مذهب أهل البيت عليهم السلام، ص ١٧٨ وما بعدها.

المبحث الثاني:

نص رسالة الإمام الراشد الصابر أبي الحسن علي بن محمد عليهما السلام في طوال هذه المعاني في الرد على (اهل الجبر والتفويض، وإثبات العدل، والمنزلة بين المنزلتين).

من علي بن محمد، سلام عليكم وعلى من اتبع الهدى ورحمة الله وبركاته، فانه ورد عليّ كتابكم[1] وفهمتُ ما ذكرتم من اختلافكم في دينكم، وخوضكم في القدر، ومقالة من يقول منكم بالجبر، ومن يقول بالتفويض، وتفرقكم في ذلك وتقاطعكم، وما ظهر من العداوة بينكم ثمّ سألتموني عنه وبيانه لكم، وفهمت ذلك كلّه.

اعلموا ـ رحمكم الله ـ انّا نظرنا في الآثار وكثرة ما جاءت به الأخبار، فوجدناها عند جميع من ينتحل الإسلام ممن يعقل عن الله جلّ وعزّ لا تخلو من معنيين: إمّا حق فيتبع، وإمّا باطل فيجتنب، وقد اجتمعت الأمة قاطبة لا اختلاف بينهم إنّ القرآن حقّ لا ريب فيه عند جميع أهل الفرق، وفي حال اجتماعهم مقرون بتصديق الكتاب وتحقيقه، مصيبون مهتدون، وذلك بقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تجتمع أمّتي على ضلالة[2] »، فأخبر أنّ جميع ما اجتمعت عليه الأمة كلّها حق، هذا اذا لم يخالف بعضها بعضاً، والقرآن حقّ لا اختلاف في تنزيله وتصديقه، فاذا شهد القرآن بتصديق خبر وتحقيقه وأنكر الخبر طائفة من الأمة لزمهم الإقرار به ضرورة حين اجتمعت في الأصل على تصديق الكتاب، فإن [هي] جحدت وأنكرت لزمها الخروج من الملة. فأول خبر يُعرف تحقيقه من الكتاب وتصديقه والتماس شهادته عليه خبر ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله، ووجد بموافقة الكتاب وتصديقه بحيث لا تخالفه أقاويلهم؛ حيث قال: «إني مخلف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي ـ أهل بيتي ـ لن تضلّوا ما تمسكتم

---

(١) رواها الطبرسي في الاحتجاج مجملاً تحت عنوان رسالته عليه السلام إلى أهل الأهواز حين سألوه عن الجبر والتفويض. سنن ابن ماجة ٢ / ١٣٠٣.

(٢) سنن ابن ماجة ٢ / ١٣٠٣.

بهما، وانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»[١] ، فلما وجدنا شواهد هذا الحديث في كتاب الله نصاً، مثل قوله جلّ وعزّ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[٢]. وروت العامة في ذلك أخباراً لأمير المؤمنين عليه السلام انّه تصدق بخاتمه وهو راكع فشكر الله ذلك له وأنزل الآية فيه[٣]. فوجدنا رسول الله صلى الله عليه وآله قد أتى بقوله: «من كنت مولاه فعليّ مولاه»[٤] وبقوله: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى الّا انه لا نبيّ بعدي»[٥] ، ووجدناه يقول: «عليّ يقضي ديني وينجز موعدي، وهو خليفتي عليكم من بعدي»[٦].

فالخبر الأول الذي استنبطت منه هذه الأخبار خبر صحيح مجمع عليه لا اختلاف فيه عندهم، وهو أيضاً موافق للكتاب، فلما شهد الكتاب بتصديق الخبر، وهذه الشواهد الأُخرُ لزم على الأمة الاقرار بها ضرورة؛ اذ كانت هذه الأخبار

---

(١) روي حديث الثقلين بطرق عديدة جداً وبصيغ مختلفة، راجع مسند احمد بن حنبل: ج ٣ / ١٤ و١٧ و٢٦ و٥٩، وصحيح مسلم: ج٤ / ١٨٧٤ ح٣٧، وسنن الترمذي، ج٥ / ٦٦٢ و٦٦٣ ح ٣٧٨٦، وكنز العمال: ج ١٣ / ١٠٤، ح ٣٦٣٤٠.

(٢) سورة المائدة آية ٦٠، ٦١.

(٣) الزيلعي، تخريج الأحاديث والآثار، ١ / ٤٠٩.

(٤) بحار الأنوار ٣٧ / ١٠٨ـ ٢٥٣، والغدير ١ / ٢١٤. وفرائد السمطين ١ / ٦٤. ونهج الحق ص ١٧٣. ١ - في فرائد السمطين ١ / ٧٧، الباب ١٣ في فضل صوم يوم عيد الغدير وما له من الأجر الجزيل والثواب الوافر الكثير بإسناده... إلى أن قال: لما أخذ النبي صلى الله عليه وآله بيد علي عليه السلام فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره». فقال له: عمر بن الخطاب: بخ بخ لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم.

(٥) أورد السيد الجليل البصير والمتتبع الخبير السيد هاشم البحراني قدس سره في غاية المرام مئة حديث من طرق العامة وسبعين حديثاً من طرف الخاصة في حديث المنزلة فراجع س ١٠٩ إلى ص ١٢٦ منه.

(٦) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢/ ٦٥٠ ح ١١٠٨، ومسند أحمد بن حنبل / ١١١، والعمدة ص٨٧ ح ١٠٤.

شواهدها من القرآن ناطقة، ووافقت القرآن والقرآن وافقها، ثمّ وردت حقائق الأخبار من رسول الله صلى الله عليه وآله عن الصّادقين عليهم السلام، ونقلها قوم ثقات معروفون، فصار الاقتداء بهذه الأخبار فرضاً واجباً على كلّ مؤمن ومؤمنة، لا يتعداه الا أهل العناد، وذلك إنّ أقاويل آل رسول الله صلى الله عليه وآله متصلة بقول الله، وذلك مثل قوله في محكم كتابه: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا**﴾[1]، ووجدنا نظير هذه الآية قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «من آذىٰ عليّا فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذىٰ الله، ومن آذىٰ الله يوشك ان يُنتقم منه»[2]، وكذلك قوله صلى الله عليه وآله: «من أحب عليّا فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحبّ الله»، ومثل قوله صلى الله عليه وآله في بني وليعة: «لأبعثن إليهم رجلاً كنفسي، يحب الله ورسوله ويحبه اللهُ ورسوله، قم يا عليّ فسر اليهم»[3]، وقوله صلى الله عليه وآله يوم خيبر: «لابعثنّ اليهم غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كرّاراً غير فرار، لا يرجع حتّىٰ يفتح الله عليه». فقضىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله بالفتح قبل التوجيه فاستشرف لكلامه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، فلّما كان من الغد دعا عليّا عليه السلام فبعثه إليهم فاصطفاه بهذه المنقبة، وسمّاه كرّاراً غير فرّار، فسمّاه الله محباً لله ولرسوله، فأخبر انّ الله ورسوله يحبانه. وانّما قدّمنا هذا الشرح والبيان دليلاً على ما أردنا، وقوّةً لما نحن مبيّنوه من أمر الجبر والتفويض والمنزلة بين المنزلتين، وبالله العون والقوّة، وعليه نتوكل في جميع أمورنا.

فانّا نبدأ من ذلك بقول الصّادق عليه السلام: «لا جبر ولا تفويض ولكنْ منزلة بين

---

(١) الاحزاب ٥٧.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣/ ٢٤٥، الاستيعاب ٣/ ٢٠٤، المناقب (الخوارزمي): ٣٢٨٠/ ٣٤٤.

(٣) موسوعة الإمام المهدي، مؤسسة ولي عصر ٣ / ٢٥١. بنو وليعة - كسفينة -: حي من كندة. وقد مضت هذه القضية أيضاً في احتجاجات الإمام الرضا عليه السلام في الاصطفاء مع العلماء في مجلس المأمون.

المنزلتين»[١]، وهي صحّة الخِلقَة وتخلية السّرب[٢] والمهلة في الوقت، والزاد مثل الرّاحلة، والسبب المهيّج للفاعل على فعله، فهذه خمسة أشياء جمع به الصّادق عليه السلام جوامع الفضل، فاذا نقص العبد منها خلّة كان العمل عنه مطروحاً بحسبه، فأخبر الصّادق عليه السلام بأصل ما يجب على النّاس من طلب معرفته، ونطق الكتاب بتصديقه، فشهد بذلك محكمات آيات رسوله؛ لأنّ الرسول صلى الله عليه وآله وآله عليهم السلام لا يعدون شيئاً من قوله وأقاويلهم عليهم السلام حدود القرآن، فاذا وردت حقائق الأخبار، والتُمِسَتْ شواهدها من التنزيل فوُجِدَ لها موافقاً، وعليها دليلاً كان الاقتداء بها فرضاً، لا يتعداه الّا أهل العناد كما ذكرنا في أوّل الكتاب.

ولمّا التمسنا تحقيق ما قاله الصّادق عليه السلام من المنزلة بين المنزلتين، وإنكاره الجبر والتفويض، وجدنا الكتاب قد شهد له وصدّق مقالته في هذا.

وخبر عنه أيضا موافق لهذا أنّ الصّادق عليه السلام سئل هل أجبر الله العباد على المعاصي؟ فقال الصّادق عليه السلام: هو أعدل من ذلك. فقيل له: فهل فوّض إليهم؟ فقال عليه السلام: هو أعز وأقهر لهم من ذلك[٣]. وروي عنه انّه قال: «النّاس في القدر على ثلاثة أوجه: رجل يزعم انّ الأمر مفوّض اليه فقد وهّن الله في سلطانه فهو هالك. ورجل يزعم انّ الله جلّ وعزّ أجبر العباد على المعاصي وكلّفهم ما لا يطيقون، فقد ظلّم اللهَ في حكمه فهو هالك. ورجل يزعم انّ الله كلّف العباد ما يطيقون ولم يكلّفهم ما لا يطيقون، فاذا أحسن حمد الله، وإذا أساء استغفر الله فهذا مسلم بالغ»[٤]، فأخبر عليه السلام: إنّ من تقلّد الجبر والتفويض ودان بهما فهو على خلاف الحقِّ، فقد شرحتُ الجبر الذي مَن دان به يلزمه الخطأ، وإنّ الذي يتقلد التفويض يلزمه الباطل، فصارت المنزلة بين المنزلتين

(١) المجلسي، بحار الانوار، ٥ / ٧٠.

(٢) البحراني، الدرر النجفية ٣ / ١٠.

(٣) النوري، خاتمة المستدرك، ١ / ٢٧٧.

(٤) الصدوق، التوحيد ٣٦١.

بينهما.

ثمّ قال (ع): وأضربُ لكلّ باب من هذه الأبواب مثلا يقرّب المعنى للطالب، ويسهل له البحث عن شرحه، تشهد به محكمات آيات الكتاب، وتحقق تصديقه عند ذوي الألباب، وبالله التوفيق والعصمة.

فأمّا الجبر الذي يلزم من دان به الخطأ، فهو قول من زعم انّ الله جلّ وعزّ أجبر العباد على المعاصي وعاقبهم عليها. ومن قال بهذا القول فقد ظلّمَ الله في حكمه وكذّبه، وردّ عليه قوله: ﴿**وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾[1]. وقوله: ﴿**ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**﴾[2]. وقوله: ﴿**إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾[3]، مع آيٍ كثيرة في ذكر هذا، فمن زعم انّه مجبر على المعاصي فقد أحال بذنبه على الله، وقد ظلّمه في عقوبته، ومن ظلّم الله فقد كذّب كتابه، ومن كذّب كتابه فقد لزمه الكفر باجتماع الأمة، ومثل ذلك مثل رجل ملك عبداً مملوكاً لا يملك نفسه ولا يملك عرضاً من عرض الدنيا، ويعلم مولاه ذلك منه فأمره على علم منه بالمصير الى السّوق لحاجة يأتيه بها، ولم يملّكه ثمن ما يأتيه به من حاجته، وعلم المالك أنّ على الحاجة رقيباً لا يطمع أحد في أخذها منه الّا بما يرضى به من الثمن، وقد وصف مالكُ هذا العبد نفسه بالعدل والنّصفة وإظهار الحكمة ونفي الجور، وأوعد عبده إن لم يأته بحاجته أن يعاقبه على علم منه بالرقيب الذي على حاجته أنّه سيمنعه، وعلم أنّ المملوك لا يملك ثمنها ولم يملّكه ذلك، فلما صار العبد الى السوق وجاء ليأخذ حاجته التي بعثه المولى لها وجد عليها مانعاً يمنع منها الا بشراء وليس يملك العبد ثمنها، فانصرف الى مولاه خائباً بغير قضاء حاجته، فاغتاظ مولاه من ذلك وعاقبه عليه، أليس يجب في عدله وحكمه أن لا يعاقبه وهو يعلم أنّ عبده لا يملك

(١) الكهف، ٤٩.

(٢) آل عمران، ١٨٢.

(٣) يونس، ٤٤.

عرضاً من عروض الدنيا ولم يملّكه ثمن حاجته؟ فإن عاقبه عاقبه ظالماً متعدياً عليه، مبطلاً لما وصف من عدله وحكمته ونَصفَتِهِ، وإن لم يعاقبه كذّب نفسه في وعيده إيّاه حين أوعده بالكذب والظّلم اللذين ينفيان العدل والحكمة ـ تعالى عمّا يقولون علوّاً كبيراً ـ فمن دان بالجبر او بما يدعو الى الجبر فقد ظلم الله ونسبه الى الجور والعدوان؛ اذ أوجب على من أجبر[ه] العقوبة.

ومن زعم انّ الله أجبر العباد فقد أوجب على قياس قوله: إن الله يدفع عنهم العقوبة، ومن زعم أنّ الله يدفع عن أهل المعاصي العذاب فقد كذّب الله في وعيده حيث يقول: ﴿**بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[١]. وقوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا**﴾[٢]. وقوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾[٣]، مع آي كثيرة في هذا الفنّ، فمن كذّب وعيد الله يلزمه في تكذيبه آية من كتاب الله الكفر، وهو ممن قال الله: ﴿**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾[٤]، بل نقول: إنّ الله جلّ وعزّ جازى العباد على أعمالهم، ويعاقبهم على أفعالهم بالاستطاعة الّتي ملّكهم إيّاها، فأمرهم ونهاهم بذلك، ونطق كتابه: ﴿**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾[٥]. وقال جلّ ذكره: ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ**

---

(١) البقرة، ٨١.

(٢) النساء، ١٠.

(٣) النساء، ٥٦.

(٤) البقرة، ٨٥.

(٥) الانعام، ١٦٠.

خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾[1]. وقال: **﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾**[2]، فهذه آيات محكمات تنفي الجبر ومن دان به. ومثلها في القرآن كثير اختصرنا ذلك لئلا يطول الكتاب، وبالله التوفيق.

وأمّا التفويض الذي أبطله الصادق عليه السلام وخطّأ من دان به وتقلده فهو قول القائل: (إنّ الله جلّ ذكره فوّض الى العباد اختيار أمره ونهيه وأهملهم). وفي هذا كلام دقيق لمن يذهب الى تحريره ودقّته، والى هذا ذهبت الأئمة المهتدية من عترة الرسول صلى الله عليه وآله فإنهم قالوا: لو فوّض اليهم على جهة الإهمال لكان لازماً له رضا ما اختاروه واستوجبوا به الثّواب، ولم يكن عليهم فيما جنوه العقاب، اذا كان الإهمال واقعاً، وتنصرف هذه المقالة على معنيين: إمّا أن يكون العباد تظاهروا عليه فألزموه قبول اختيارهم بآرائهم ضرورةً كَرِهَ ذلك أم أحبّ، فقدٍ لزمه الوهن، او يكون عزّ وجلّ عَجَزَ عن تعبّدهم بالأمر والنهي على إرادته كرهوا او أحبّوا ففوض أمره ونهيه اليهم وأجراهما على محبتهم، اذ عجز عن تعبدهم بإرادته، فجعل الاختيار اليهم في الكفر والإيمان.

وَمَثَلُ ذلك مَثَلُ رجلٍ ملك عبداً ابتاعه ليخدمه ويعرف له فضل ولايته ويقف عند أمره ونهيه، وادّعى مالك العبد انّه قاهر عزيز حكيم، فأمر عبده ونهاه، ووعده على اتباع أمره عظيمَ الثّواب، وأوعده على معصيته أليم العقاب، فخالف العبد إرادة مالكه ولم يقف عند أمره ونهيه، فأيّ أمر أمره او أيّ نهي نهاه لم يأته على إرادة المولى، بل كان العبد يتبع إرادة نفسه واتباع هواه، ولا يطيق المولى أن يرده الى اتباع أمره ونهيه والوقوف على إرادته، ففوض اختيار أمره ونهيه اليه، ورضيَ منه بكلّ ما فعله على إرادة العبد لا على إرادة المالك وبعثه في بعض حوائجه، وسمّى له الحاجة، فخالف

(١) آل عمران، ٢٨.

(٢) غافر ١٧.

على مولاه، وقصد لإرادة نفسه، واتّبع هواه، فلّما رجع الى مولاه نظر الى ما أتاه به فاذا هو خلاف ما أمره به، فقال له: لِمَ أتيتني بخلاف ما أمرتك؟ فقال العبد: اتّكلت على تفويضك الأمر اليّ فاتبعت هوايَ وإرادتي؛ لان المفوَّض اليه غير محظورٍ عليه، فاستحال التفويض، اوَ ليسَ يجب على هذا السبب إمّا ان يكون المالك للعبد قادراً يأمر عبده باتباع أمره ونهيه على إرادته لا على إرادة العبد، ويملّكه من الطاقة بقدر ما يأمره به وينهاه عنه، فاذا امره بأمر ونهاه عن نهيٍ عرّفه الثواب والعقاب عليهما، وحذّره ورغّبه بصفة ثوابه وعقابه؛ ليعرف العبد قدرة مولاه بما ملّكه من الطّاقة لأمره ونهيه وترغيبه وترهيبه، فيكون عدله وانصافه شاملاً له، وحجته واضحة عليه للاعذار والانذار، فاذا اتّبع العبد أمر مولاه جازاه، وإذا لم يزدجر عن نهيه عاقبه، او يكون عاجزاً غير قادر ففوّض أمره اليه، أحسن أم أساء، أطاع أم عصى، عاجز عن عقوبته وردِّه الى اتباع أمره، وفي اثبات العجز نفي القدرة والتأله وإبطال الامر والنهي والثواب والعقاب ومخالفة الكتاب، اذ يقول: ﴿**وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ**﴾[١] ، وقوله عزّ وجلّ: ﴿**اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾[٢] وقوله: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ**﴾[٣] وقوله: ﴿**وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**﴾[٤] ، وقوله: **(واطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تولوا عنه وانتم تسمعون)**[٥].

فمن زعم انّ الله تعالى فوض امره ونهيه الى عباده فقد اثبت عليه العجز، وأوجب عليه قبول كلِّ ما عملوا من خير وشر، وأبطل أمر الله ونهيه ووعده ووعيده

---

(١) سورة الزمر آية ٦.

(٢) سورة آل عمران آية ٩٧.

(٣) سورة الذاريات آية ٥٦، ٥٧.

(٤) سورة النساء آية ٤٠.

(٥) مضمون مأخوذ من الآية الواردة في سورة الأنفال آية ٢٠ لا لفظها.

لعلّة ما زعم انّ الله فوّضها اليه؛ لانّ المفوّض اليه يعمل بمشيئته، فان شاء الكُفْرَ او الايمان كان غير مردود عليه ولا محظور، فمن دان بالتفويض على هذا المعنى فقد ابطل جميع ما ذكرنا من وعده ووعيده وأمره ونهيه، وهو من اهل هذه الآية: ﴿**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾[1]، تعالى الله عمّا يدين به اهل التفويض عُلُّواً كبيراً.

لكن نقول: إنّ الله عزّ وجلّ خلق الخلق بقدرته، وملّكهم استطاعةً تعبدَهُم بها، فأمرهم ونهاهم بما أراد[2]، فقبل منهم اتّباع أمره ورضيَ بذلك لهم، ونهاهم عن معصيته، وذمّ من عصاه وعاقبه عليها، ولله الخيَرَة في الامر والنهي، يختار ما يريد ويأمر به، وينهى عمّا يكره ويعاقب عليه بالاستطاعة التّي ملّكها عباده لاتباع أمره واجتناب معاصيه؛ لأنه ظاهر العدل والنَّصفة والحكمة البالغة؛ بالغ الحجة بالأعذار والنذار، واليه الصّفوة، يصطفي من عباده من يشاء لتبليغ رسالته واحتجاجه على عباده، اصطفى محمداً صلى الله عليه وآله وبعثه برسالاته الى خلقه، فقال من قال من كفّار قومه حسداً واستكباراً: ﴿**لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**﴾[3] يعني بذلك أُمَيَّة بن ابي الصَّلْتِ وابا مسعود الثَّقفيَّ[4]، فأبطل الله اختيارهم ولم يجز لهم

---

(١) سورة البقرة آية ٨٥.

(٢) في الاحتجاج: (وملكهم استطاعة ما تعبدهم به من الأمر والنهي).

(٣) سورة الزخرف آية ٣١. وقال الطبرسي في تفسيره: (يعنون بالقريتين مكة والطائف، وتقدير الآية على رجل عظيم من القريتين، أي من إحدى القريتين، فحذف المضاف).

(٤) وكذا في الاحتجاج، ولكن الظاهر أن المراد بالرجل العظيم هو الذي كان من إحدى القريتين، كالوليد بن المغيرة من مكة وأبي مسعود الثقفي من الطائف كما في التفسير، فليس أمية بن أبي الصلت وأبو مسعود الثقفي من القريتين؛ لأنهما كانا من أهل الطائف فيكون كلاهما مثالاً للرجل العظيم الذي كان من إحدى القريتين أي الطائف، لا من القريتين يعني مكة والطائف. فعلى أي نحو كان فالرجلان كانا عظيمي القدر عند قومهما وذوي الأموال الجسيمة فيهما، فزعموا أن من كان كذلك

آراءَهم؛ حيث يقول: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي

أولى بالنبوة من غيره. وكان الوليد بن المغيرة عم أبي جهل كان شيخاً كبيراً مجرباً من دهاة العرب، يتحاكمون إليه في الأمور، وينشدونه الاشعار، فما اختاره من الشعر كان مختاراً، وكان له عبيد عشرة عند كل عبد ألف دينار يتجر بها، وملك القنطار أي جلد ثور مملوءاً ذهباً. كان الوليد أحد المستهزئين الخمس الذين كفى الله شرهم، وهو الذي جاء قريش عنده فقالوا له: يا عبد شمس، ما هذا الذي يقول محمد أسحر أم كهانة أم خطب؟ فقال: دعوني اسمع كلامه. فدنا من رسول الله صلى الله عليه وآله وهو جالس في الحجر، فقال: يا محمد، أنشدني شعرك. فقال: ما هو بشعر ولكنه كلام الله الذي به بعث أنبياءه ورسله، فقال: اتل. فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم. فلما سمع الرحمن استهزأ منه وقال: تدعو إلى رجل باليمامة يسمى الرحمن! قال: لا ولكني ادعو إلى الله وهو الرحمن الرحيم. ثم افتتح حم السجدة فلما بلغ إلى قوله: (فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) وسمعه اقشعر جلده وقامت كل شعرة في بدنه وقام ومشى إلى بيته ولم يرجع إلى قريش، فقيل: صبا عبد شمس إلى دين محمد، فاغتمت قريش وغدا عليه أبو جهل فقال: فضحتنا يا عم. قال: يا ابن أخ ما ذاك وإني على دين قومي، ولكن سمعت كلاماً صعباً تقشعر منه الجلود، قال: أفشعر هو؟ قال: ما هو بشعر. قال: فخطب؟ قال: لا، إن الخطب كلام متصل، وهذا كلام منثور لا يشبه بعضه بعضاً، له طلاوة قال: فكهانة هو؟ قال: لا. قال: فما هو؟ قال: دعني أفكر فيه، فلما كان من الغد، قالوا: يا عبد شمس ما تقول؟ قال: قولوا: هو سحر، فإنه أخذ بقلوب الناس فأنزل الله تعالى: (ذرني ومن خلقت وحيداً - إلى قوله -: عليها تسعة عشر). وجاء يوماً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: اقرأ علي، فقال: (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون)، فقال: أعد؟ فأعاد، فقال: والله له الحلاوة والطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمعذق، وما هذا بقول بشر. وأما أمية بن أبي الصلت الثقفي كان من أهل الطائف، وكان من أكبر شعراء الجاهلية، وأغلب شعره متعلق بالآخرة، وكان ينظر في الكتب المتقدمة ويقرؤها، وحرم الخمر وشك في الأوثان، ورغب عن عبادتها والتمس الدين وأخبر أن نبياً يخرج. قد أظل زمانه، وكان يؤمل أن يكون ذلك النبي، فلما بعث النبي وبلغ خبره كفر به حسداً وقال: كنت أرجو أن أكونه. كان أبوه عبيد الله بن ربيعة المكنى بأبي الصلت وأمه رقية بنت عبد الشمس، مات في الطائف، ومما قال في مرض موته:

كل عيش وإن تطاول دهرا منتهى أمره إلى أن يزولا
ليتني كنت قبل ما قد بدا لي في رؤوس الجبال أرعى الوعولا

وروي أنه استنشد رسول الله صلى الله عليه وآله أخته شعره من بعد موته فأنشدته:

لك الحمد والنعماء والفضل ربنا ولا شي أعلى منك جداً وأمجدا

وهي قصيدة طويلة حتى أتت على آخرها، ثم أنشدته قصيدته التي فيها:

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾[1]، ولذلك اختار من الامور ما أحب ونهى عمّا كرهَ، فمن أطاعه أثابه، ومن عصاه عاقبه، ولو فوَّضَ اختيار امره الى عباده لأجاز لقريش اختيار أُمَيَّةَ بن ابي الصَّلْتَ وابي مسعود الثقفيِّ، اذ كانا عندهم أفضل من محمد صلى الله عليه وآله فلمّا أدّب الله المؤمنين بقوله: **﴿لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾**[2]، فلم يُجِزْ لهم الاختيار بأهوائهم ولم يقبل منهم الّا اتِّباع امره واجتناب نهيه على يديّ من اصطفاه، فمن أطاعه رشد، ومن عصاه ضلَّ وغوى، ولزمته الحجة

وقف الناس للحساب جميعا فشقي معذب وسعيد

إلى غير ذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: آمن شعره وكفر قلبه. وأنزل الله فيه (**واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا** – إلى قوله –: **وأنفسهم كانوا يظلمون**).

وأبو مسعود هو عروة بن مسعود الثقفي كان من أهل الطائف وأحد السادة الأربعة في الإسلام: « بشر بن هلال العبدي، عدي بن حاتم الطائي، سراقة بن مالك المدلجي، عروة بن مسعود الثقفي.

كان أبو مسعود عاقلاً لبيباً، وهو الذي أرسلته قريش يوم الحديبية، فعقد معه الصلح وهو كافر، ثم أسلم سنة تسع من الهجرة بعد رجوع النبي صلى الله عليه وآله من الطائف، واستأذن النبي صلى الله عليه وآله في الرجوع إلى قومه، فقال: إني أخاف أن يقتلوك، فقال: إن وجدوني نائماً ما أيقظوني. فأذن له رسول الله صلى الله عليه وآله، فرجع إلى الطائف ودعا قومه إلى الإسلام ونصح لهم فعصوه واسمعوه الأذى، حتى إذا طلع الفجر قام في غرفة من داره، فأذّن وتشهد فرماه رجل بسهم فقتله، ولما بلغ النبي صلى الله عليه وآله قتله قال: مثل عروة مثل صاحب يس دعا قومه إلى الله فقتلوه. وهو جد أعلى لعلي بن الحسين عليهما السلام المقتول بكربلا من قبل أمّه، كانت أمه ليلى بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي. وهو الذي روي عنه تعظيم الصحابة للنبي حين رجع من عند النبي إلى أصحابه يوم الحديبية، فقال: يا قوم، لقد وفدت على الملوك، وفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً صلى الله عليه وآله، إذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كانوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيما له.

(١) سورة الزخرف آية ٣٢.

(٢) سورة الأحزاب آية ٣٦.

بما ملَّكه من الاستطاعة لاتباع أمره واجتناب نهيهِ، فمن أجل ذلك حَرَمَهُ ثوابه وأنزل به عقابه؛ وهذا القول بين القولين ليس بجبرٍ ولا تفويضٍ، وبذلك أخبر أمير المؤمنين صلوات الله عليه عباية بن ربعيّ الاسدي[1] حين سأله عن الاستطاعة الّتي بها يقوم ويقعد ويفعل، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: سألت عن الاستطاعة تملكها من دون الله او مع الله؟ فسكت عباية، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: قل يا عباية، قال: وما أقول؟ قال عليه السلام: إنْ قلتَ: انّك تملكها مع الله قتلتك، وإن قلت: تملكها دون الله قتلتك، قال عباية: فما أقول يا أمير المؤمنين؟ قال عليه السلام: تقول: انك تملكها بالله الّذي يملكها من دونك، فإنْ يُمَلِّكْها ايّاك كان ذلك من عطائه، وان يسلبكها كان ذلك من بلائه، هو المالك لما ملّكك، والقادر على ما عليه أقدركَ، أما سمعت الناس يسألون الحوْلَ والقوّة حين يقولون: (لا حول ولا قوة الا بالله)؟. قال عباية: وما تأويلها يا أمير المؤمنين؟ قال عليه السلام: لا حول عن معاصي الله الّا بعصمة الله، ولا قوّة لنا على طاعة الله الا بعون الله. قال: فوثب عباية فَقَبَّل يديه ورجليه.

ورُوِيَ عن المؤمنين عليه السلام حين أتاه نجدة يسأله عن معرفة الله، قال: يا أمير المؤمنين بماذا عرفت ربك؟ قال عليه السلام: بالتمييز الذي خولني، والعقل الذي دلني، قال: أَفَمجبولٌ أنت عليه؟ قال: لو كنت مجبولاً ما كنت محموداً على إحسان، ولا مذموماً على إساءة، وكان المحسن أولى باللائمة من المسيء، فعلمت انّ الله قائم باقٍ وما دونه حدَث حائل زائل، وليس القديم الباقي كالحدث الزائل. قال نجدة: أجدُك أصبحت حكيماً يا أمير المؤمنين. قال: أصبحت مخيراً؛ فإن أتيتُ السيئة [بـ] مكان الحسنة فأنا المُعاقب عليها.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام انّه قال لرجلٍ سأله بعد انصرافه من الشّام فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرنا عن خروجنا الى الشام بقضاء وبقدر؟ قال عليه السلام: نعم يا شيخ؛ ما

---

(١) هو عباية بن عمرو بن ربعي الأسدي، من أصحاب أمير المؤمنين والحسن عليهما السلام، بل من خواصهما عليهما السلام ومعتمد عليه.

علوتم تَلْعَةً[١] ولا هبطتم وادياً الا بقضاء وقدرٍ من الله. فقال الشيخ: عند الله احتسب عنائي يا أمير المؤمنين؟ قال عليه السلام: مَهْ يا شيخ، فانّ الله قد عظّمَ أجركم في مسيركم وأنتم سائرون، وفي مقامكم وأنتم مقيمون، وفي انصرافكم وانتم منصرفون، ولم تكونوا في شيءٍ من أموركم مكرهين ولا اليه مضطرين، لعلّك ظننت انّه قضاءٌ حتمٌ وقدرٌ لازم، لو كان ذلك كذلك لَبَطَلَ الثّواب والعقاب، ولسقط الوعد والوعيد، ولما أُلزِمَتِ الاشياء أهلها على الحقائق؛ ذلك مقالة عَبَدَةِ الأوثان وأولياء الشيطان، إنّ الله جلّ وعزّ أمر تخييراً، ونهى تحذيراً، ولم يُطَع مكرهاً، ولم يُعْصَ مغلوباً، ولم يخلق السماوات والارض وما بينهما باطلاً، ذلك ظنّ الذين كفروا، فويلٌ للذين كفروا من النار. فقام الشيخ فقبّل رأس أمير المؤمنين عليه السلام وأنشأ يقول:

أنت الإمام الّذي نرجو بطاعته ... يوم النّجاة من الرحمان غفرانا

أوضحتَ من ديننا ما كان مُلتَبِساً ... جزاك ربك عنّا فيه رضواناً[٢]

فليس معذرةٌ في فعل فاحشةٍ ... قد كنت راكِبَها ظلماً وعصيانا

فقد دلَّ امير المؤمنين عليه السلام على موافقة الكتاب، ونفي الجبر والتفويض اللذينِ يلزمان مَن دان بهما، ويتقلدهما الباطل والكفر وتكذيب الكتاب، ونعوذ بالله من الضلالة والكفر، ولسنا ندين بجبرٍ ولا تفويض، لكنّا نقول بمنزلةٍ بين المنزلتين، وهو الامتحان والاختبار بالاستطاعة التي ملّكنا الله وتعبَّدَنا بها على ما شهد به الكتاب ودان به الأئمة الأبرار من آل الرسول صلوات الله عليهم.

ومَثَلُ الاختبار بالاستطاعة مَثَلُ رجلٍ مَلكَ عبدا وملك مالاً كثيراً أحبّ أن يختبر عبده على علم منه بما يؤول اليه، فملّكه من ماله بعض ما أحبّ ووفقه على أمور عرّفها العبد، فأمره أن يصرف ذلك المال فيها، ونهاه عن اسباب لم يحبها، وتقدم

---

(١) التلعة: ما علا من الأرض.

(٢) رواه الكليني في الكافي ج ١ ص ١٥٦، وفيه: (جزاك ربك بالإحسان إحسان).

اليه أن يجتنبها ولا ينفق من ماله فيها، والمال يتصرف في أيِّ الوجهين، فصرف المال أحدهما في اتِّباع أمر المولىٰ ورضاه، والآخرُ صرفه في اتِّباع نهيه وسخطه، وأسكنه دار اختبارٍ أعلمه انّه غير دائم له السكنىٰ في الدار، وأن له داراً غيرها وهو مخرجه اليها، فيها ثواب وعقاب دائمان، فإن أنفذ العبد المال الذي ملّكه مولاه في الوجه الّذي أمره به جعل له الثواب الدائم في تلك الدار التي أعلمه أنه مُخرجه اليها، وإنْ أنفق المال في الوجه الّذي نهاه عن إنفاقه فيه جعل له ذلك العقاب الدائم في دار الخلود، وقد حدَّ المولىٰ في ذلك حدّاً معروفاً، وهو المسكن الّذي أسكنه في الدار الأولىٰ، فاذا بلغ الحدُّ استبدل المولىٰ بالمال وبالعبد علىٰ أنه لم يزل مالكاً للمال والعبد في الأوقات كلِّها، إلا أنه وعد أن لا يسلبه ذلك المال ما كان في تلك الدار الاولىٰ الىٰ ان يستتم سكناه فيها، فوفىٰ له؛ لانّ من صفات المولىٰ: العدل والوفاء والنَّصَفَةَ والحكمةَ، اوَ ليس يجب إنْ كان ذلك العبدُ صَرَفَ ذلك المالَ في الوجه المأمور به أن يفيَ له بما وعَدَهُ من الثواب، وتفضلَ عليه بأنِ استعمله في دارٍ فانية وأثابه علىٰ طاعته فيها نعيماً دائماً في دارٍ باقيةٍ دائمةٍ، وإن صرف العبد المال الذي ملّكهُ مولاه ايّام سكناه تلك الدّارَ الاولىٰ في الوجه المنهيِّ عنه وخالف أمر مولاه كذلك تجب عليه العقوبةُ الدائمة الّتي حذَّره إياها، غير ظالمٍ له لما تقدم اليه وأعلمه وعرَّفهُ وأوجب له الوفاء بوعده ووعيده، بذلك يُوصفُ القادر القاهر.

وأمّا المولىٰ فهو الله جلَّ وعزَّ، وأمّا العبد فهو ابن آدم المخلوق، والمال قُدرَةُ الله الواسعة، ومحنته إظهارُ[ه] الحكمةَ والقدرةَ، والدار الفانية هي الدنيا، وبعض المال الّذي ملَّكه مولاه هو الاستطاعة الّتي مَلَّكَ ابن آدم، والأمور الّتي أمر الله بصرف المال اليها هو الاستطاعة لاتِّباع الانبياء والإقرار بما أوردوه عن الله جلَّ وعزَّ، واجتناب الأسباب الّتي نهىٰ عنها هي طُرُقُ إبليسَ، وأمّا وعده فالنعيمُ الدائم وهي الجنة، وأمّا الدّار الفانية فهي الدنيا، وأمّا الدار الأخرىٰ فهي الدّار الباقية وهي الآخرة، والقول بين الجبر والتفويض هو الاختبار والامتحان والبلوىٰ بالاستطاعة الّتي ملّكَ العبد.

وَشَرْحُها في الخمسة الأمثال الّتي ذكرها الصّادق عليه السلام[١] أنّها جمعت جوامع الفضل، وأنا مفسرها بشواهد من القرآن والبيان إنْ شاء الله.

تفسير صحة الخلقة

أمّا قول الصادق عليه السلام فإنّ معناه كمال الخلق للإنسان، وكمال الحواس، وثبات العقل، والتمييز، وإطلاق اللسان بالنطق؛ وذلك قول الله: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**﴾[٢]. فقد أخبر عزّ وجلّ عن تفضيله بني آدم على سائر خلقه من البهائم والسباع ودواب البحر والطير وكل ذي حركة تدركه حواسّ بني آدم بتمييز العقل والنطق، وذلك قوله: ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**﴾[٣] وقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ**﴾[٤]، وفي آيات كثيرة.

فأول نعمة الله على الإنسان صحة عقله وتفضيله على كثير من خلقه بكمال العقل وتمييز البيان، وذلك أنّ كل ذي حركة على بسيط الأرض هو قائم بنفسه بحواسه، مستكمل في ذاته، ففضل بني آدم بالنطق الذي ليس في غيره من الخلق المدرك بالحواس، فمن أجل النطق ملك الله ابن آدم غيره من الخلق حتى صار آمراً ناهياً، وغيره مسخّر له، كما قال الله: ﴿**كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ**﴾[٥]، وقال: ﴿**وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ**

---

(١) أي صحة الخلقة، وتخلية السرب، والمهلة في الوقت، والزاد، والسبب المهيج.

(٢) سورة الإسراء آية ٧٠.

(٣) سورة التين آية ٤.

(٤) سورة الانفطار الآيات: ٦ و٧ و٨.

(٥) سورة الحج آية ٣٨.

حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾[١]. وقال: **﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾**[٢]، فمن أجل ذلك دعا الله الإنسان إلى اتباع أمره وإلى طاعته بتفضيله إياه باستواء الخلق وكمال النطق والمعرفة، بعد أن ملكهم استطاعة ما كان تعبدهم به بقوله: **﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾**[٣]. وقوله: **﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾**[٤] وقوله: **﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾**[٥]، وفي آيات كثيرة، فإذا سلب من العبد حاسّة من حواسّه رفع العمل عنه بحاسته، كقوله: **﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ﴾**[٦] الآية ، فقد رفع عن كل من كان بهذه الصفة الجهاد وجميع الأعمال التي لا يقوم بها، وكذلك أوجب على ذي اليسار الحج والزكاة لما ملكه من استطاعة ذلك، ولم يوجب على الفقير الزكاة والحج، قوله: **﴿وَلِلهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾**[٧] وقوله في الظهار: **﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ** ـ إلى قوله:

---

(١) سورة النحل آية ١٤، وقوله: (لتأكلوا). اهـ. أي لتصطادوا منه السمك وتأكلوا لحمه. وقوله: (حلية تلبسونها) أي: اللؤلؤ والمرجان أنتم ونساؤكم تزيّنون بها.

(٢) سورة النحل آية ٨. والدفء: السخانة، وهي ما يستدفأ به من اللباس المعمول من الصوف والوبر فيقي البرد. وقوله: (ولكم فيها جمال) أي: لكم فيها مع ما تقدم ذكره تجمل وتزين عند الناظرين إليها حين تريحون وحين تسرحون، أي: في هذين الوقتين: وقت ردها من مراعيها ووقت تسريحها إليها، فالرواح: رجوعها بالعشي من المراعي، والسراح: مسيرها إلى مراعيها بالغداة.

(٣) سورة التغابن آية ١٦.

(٤) سورة البقرة آية ٢٨٦.

(٥) سورة الطلاق آية ٧.

(٦) سورة النور آية ٦٠. وسورة الفتح آية ١٧.

(٧) سورة آل عمران آية ٩١.

ـ **فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا**﴾[١]. كل ذلك دليل على ان الله تبارك وتعالى لم يكلف عباده إلا ما ملكهم استطاعته بقوة العمل به ونهاهم عن مثل ذلك، فهذه صحة الخلقة.

وأمّا قوله: تخلية السرب[٢]، فهو الذي ليس عليه رقيب يحظر عليه ويمنعه العمل بما أمره الله به، وذلك قوله فيمن استضعف وحظر عليه العمل فلم يجد حيلة ولا يهتدي سبيلاً، كما قال الله تعالى: ﴿**إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا**﴾[٣] ، فأخبر أن المستضعف لم يخل سربه، وليس عليه من القول شيء إذا كان مطمئن القلب بالإيمان.

وأما المهلة في الوقت، فهو العمر الذي يمتع الإنسان من حدّ ما تجب عليه المعرفة إلى أجل الوقت، وذلك من وقت تمييزه وبلوغ الحلم إلى أن يأتيه أجله، فمن مات على طلب الحق ولم يدرك كماله فهو على خير، وذلك قوله: ﴿**وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ**﴾ الآية[٤] ، وإن كان لم يعمل بكمال شرايعه لعلة ما لم يمهله في الوقت إلى استتمام أمره، وقد حظر على البالغ ما لم يحظر على الطفل إذا لم يبلغ الحلم في قوله: ﴿**وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ**﴾ الآية [٥]، فلم يجعل عليهن حرجاً في إبداء الزينة للطفل، وكذلك لا تجري عليه الأحكام.

وأما قوله: الزاد فمعناه الجدة[٦] والبلغة التي يستعين بها العبد على ما أمره الله

---

(١) سورة المجادلة آية ٤، ٥.

(٢) السرب ـ بالفتح والسكون ـ: الطريق، يقال: «فلان مخلّى السرب» أي غير مضيق عليه.

(٣) سورة النساء آية ٩٨.

(٤) سورة النساء آية ١٠٠.

(٥) سورة النور آية ٣١.

(٦) الجدة – بالكسر –: الغنى والقدرة.

به، وذلك قوله: (**ما على المحسنين من سبيل**) الآية[١]، ألا ترىٰ أنه قبل عذر من لم يجد ما ينفق وألزم الحجة كل من أمكنه البلغة والراحلة للحج والجهاد وأشباه ذلك، وكذلك قبل عذر الفقراء وأوجب لهم حقاً في مال الأغنياء بقوله: ﴿**للفقراء الذين احصروا في سبيل الله**﴾ الآية [٢]، فأمر بإعفائهم ولم يكلفهم الاعداد لما لا يستطيعون ولا يملكون.

وأما قوله في السبب المهيج، فهو النية التي هي داعية الإنسان إلىٰ جميع الأفعال، وحاستها القلب[٣]، فمن فعل فعلاً وكان بدين لم يعقد قلبه علىٰ ذلك لم يقبل الله منه عملاً إلا بصدق النية؛ ولذلك أخبر عن المنافقين بقوله: ﴿**يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ**﴾[٤]، ثم أنزل علىٰ نبيه صلى الله عليه وآله توبيخاً للمؤمنين ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾ الآية[٥]، فإذا قال الرجل قولاً واعتقد في قوله دعته النية إلىٰ تصديق القول بإظهار الفعل، وإذا لم يعتقد القول لم تتبين حقيقته، وقد أجاز الله صدق النية وإن كان الفعل غير موافق لها لعلة مانع يمنع إظهار الفعل في قوله: ﴿**إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ**﴾[٦]، وقوله: ﴿**لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ**﴾[٧]. فدلّ القرآن وإخبار الرسول صلى الله عليه وآله أن القلب مالك لجميع الحواس يصحح أفعالها، ولا يبطل ما يصحح القلب شيء.

فهذا شرح جميع الخمسة الأمثال التي ذكرها الصادق عليه السلام أنها تجمع

---

(١) سورة التوبة آية ٩١.

(٢) سورة البقرة آية ٢٧٣.

(٣) في بعض النسخ [وحاسنه العقل]. وحاسنه أي غالبه في الحسن. أو لاطفه وعامله بالحسنىٰ.

(٤) سورة آل عمران آية ١١٦.

(٥) سورة الصف آية ٢.

(٦) سورة النحل آية: ١٠٦.

(٧) سورة البقرة آية ٢٢٥.

المنزلة بين المنزلتين، وهما الجبر والتقويض، فإذا اجتمع في الانسان كمال هذه الخمسة الأمثال وجب عليه العمل كملاً لما أمر الله عز وجلّ به ورسوله، وإذا نقص العبد منها خلّة كان العمل عنها مطروحاً بحسب ذلك.

فأما شواهد القرآن على الاختبار والبلوى بالاستطاعة التي تجمع القول بين القولين فكثيرة، ومن ذلك قوله: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ**﴾(١)، وقال: ﴿**سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ**﴾(٢). وقال: ﴿**الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ**﴾(٣).

وقال في الفتن التي معناها الاختبار: ﴿**وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ** ـ الآية﴾(٤)، وقال في قصة موسى عليه السلام: ﴿**فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ**﴾(٥)، وقول موسى: ﴿**إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ**﴾(٦) أي: اختبارك.

فهذه الآيات يقاس بعضها ببعض ويشهد بعضها البعض.

وأما آيات البلوي بمعنى الاختبار قوله: ﴿**لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آَتَاكُمْ**﴾(٧)، وقوله: ﴿**ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ**﴾(٨)، وقوله: ﴿**إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ**

---

(١) سورة محمد آية ٣٣، أي: لنعاملكم معاملة المختبر، وذلك بأن نأمركم بالجهاد حتى نعلم من امتثل الأمر بالجهاد والصبر على دينه ومشاق ما كلف به. وقوله: (ونبلو أخباركم) أي: نظهرها ونكشفها امتحاناً لكم ليظهر للناس من أطاع ما أمره الله به ومن عصى ومن لم يمتثل.

(٢) سورة الأعراف آية ١٨١. والقلم آية ٤٤.

(٣) سورة العنكبوت آية ١.

(٤) سورة ص آية ٣٣.

(٥) سورة طه آية ٨٧.

(٦) سورة الأعراف آية ١٥٤.

(٧) سورة المائدة آية ٤٨. والانعام من ١٦٥.

(٨) سورة آل عمران آية ١٥٢.

الْجَنَّةِ﴾[١]، وقوله: ﴿**خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا**﴾[٢]، وقوله: ﴿**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ**﴾[٣]، وقوله: ﴿**وَلَوْ يَشَاءُ اللهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ**﴾[٤]، وكل ما في القرآن من بلوىٰ هذه الآيات التي شرح أولها فهي اختبار، وأمثالها في القرآن كثيرة. فهي إثبات الاختبار والبلوىٰ: إن الله جل وعز لم يخلق الخلق عبثاً، ولا أهملهم سدىٰ، ولا أظهر حكمته لعباً، وبذلك أخبر في قوله: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا**﴾[٥].

فإن قال قائل: فلم يعلم الله ما يكون من العباد حتىٰ اختبرهم؟ قلنا: بلىٰ، قد علم ما يكون منهم قبل كونه، وذلك قوله: ﴿**وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ**﴾[٦]، وإنما اختبرهم ليعلمهم عدله ولا يعذبهم إلا بحجة بعد الفعل، وقد أخبر بقوله: ﴿**وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا**﴾[٧]، وقوله: ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا**﴾[٨]، وقوله: ﴿**رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ**﴾[٩]، فالاختبار من الله بالاستطاعة التي ملكها عبده، وهو القول بين الجبر والتفويض، وبهذا نطق القرآن وجرت الأخبار عن الأئمة من آل الرسول صلى الله عليه وآله.

---

(١) سورة القلم آية ١٧.

(٢) سورة الملك آية ٢.

(٣) سورة البقرة آية ١٢٣.

(٤) سورة محمد آية ٥. وقوله: (لانتصر) أي: لانتقم منهم باستئصال، ولكن يريد أن يبلوكم أي ليمتحن بعضكم ببعض فيظهر المطيع من المعاصي.

(٥) سورة المؤمنون آية ١١٠.

(٦) سورة الأنعام آية ٢٨.

(٧) سورة طه آية ١٣٤.

(٨) سورة الإسراء آية ١٦.

(٩) سورة النساء اية ١٦٣.

فإن قالوا: ما الحجة في قول الله: (**يهدي من يشاء ويضل من يشاء**) وما أشبهها؟ قيل: مجاز هذه الآيات كلها على معنيين:

أما أحدهما فإخبار عن قدرته، أي إنه قادر على هداية من يشاء وضلال من يشاء، وإذا أجبرهم بقدرته على أحدهما لم يجب لهم ثواب ولا عليهم عقاب على نحو ما شرحنا في الكتاب.

والمعنى الآخر: إن الهداية منه تعريفه كقوله: ﴿**وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ** «أي عرفناهم» **فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى**﴾[١٠]، فلو أجبرهم على الهدى لم يقدروا أن يضلوا.

وليس كلما وردت آية مشتبهة كانت الآية حجة على محكم الآيات اللواتي أمرنا بالأخذ بها، من ذلك قوله: (**منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتة وابتغاء تأويله وما يعلم**) الآية[١١]، وقال: ﴿**فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ** ـ أي أحكمه وأشرحه ـ **أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾[١٢]، وفقنا الله وإياكم إلى القول والعمل لما يحب ويرضى، وجنبنا وإياكم معاصيه بمنه وفضله، والحمد لله كثيراً كما هو أهله، وصلى الله على محمد وآله الطيبين، وحسبنا الله ونعم الوكيل[١٣].

المبحث الثالث: المضامين المعرفية

مطلع الرسالة يبين أنها جواب عن رسالة وجهت إليه عليه السلام، وبحسب ابن شعبة الحراني: أن مرسل هذه الرسالة مجهول، الا أن الطبرسي ـ وهو ممن نقلوا هذه الرسالة ـ

---

(١٠) سورة فصلت آية ١٧.

(١١) سورة آل عمران آية ٧.

(١٢) سورة الزمر آية ١٩.

(١٣) ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ٤٧٥.

ذكر أنها كانت جواباً لرسالة من أهل الأهواز وجهت للإمام الهادي عليه السلام، وهذا نصه: (مما أجاب به أبو الحسن علي بن محمد العسكري في رسالته إلى أهل الأهواز حين سألوه عن الجبر والتفويض[1].، وذلك حين وقع الخلاف فيما بينهم أثر انتشار عقيدة الجبر والتفويض، فتعادوا وتفرقوا شيعاً فيما بينهم، فأجابهم الإمام عليه السلام في رسالة وضح فيها حقيقة الأمر وبين فساد هذه العقيدة الدخيلة، مستدلاً بالنصوص الشرعية من القرآن والسنة، وهما مرجعان فكريان ومعرفيان يلجأ إليهما عند نشوب الخلاف بين المسلمين، فالآيات القرآنية التي استدل بها الإمام عليه السلام اثنتان وثلاثون سورة بتسع وخمسين آية هي: (سورة البقرة الآية: ٢٨٦، ٢٥٥، ٢٧٣، ٧٦، ٧٩، ١٣٢. سورة آل عمران الآية: ١٦٦، ٧، ٢٨، ٩١، ٩٧، ١٥٢. سورة النساء الآية: ١٠٠، ١٠١، ١٦٣، ٥٩، ١١، ٤٠. سورة المائدة الآية: ٥٥، ٤٨. سورة محمد الآية: ٢٣٥. سورة الأنعام الآية: ١٢٨، ١٦٠. سورة الحج الآية ٣٦، ١٠. سورة الأنفال الآية: ٢٠. سورة الأحزاب الآية: ٣٦، ٥٧. سورة الأعراف الآية: ١٥٤، ١٨١. سورة الكهف الآية: ٤٧. سورة النحل الآية: ١٠٦، ١٤، ٨. سورة يونس الآية: ٤٥. سورة التغابن الآية: ١٦. سورة الذاريات الآية: ٥٦. سورة الطلاق الآية: ٧. سورة الزخرف الآية: ٣٠، ٣١. سورة النور الآية: ٣١، ٦٠. سورة الاسراء الآية: ١٦، ٧٢. سورة المجادلة الآية: ٤، ٥. سورة التين الآية: ٤. سورة التوبة الآية: ٩١. سورة الانفطار الآية: ٦. سورة الصف الآية: ٢. سورة العنكبوت الآية: ١. سورة ص الآية: ٣٣. سورة المؤمنون الآية: ١١٠. سورة طه الآية: ١٣٤، ٨٧. سورة فصلت الآية: ١٧. سورة القلم الآية: ١٧. سورة الزمر الآية: ١٩. سورة الملك الآية: ٢).

واستدل بالروايات المأثورة عن النبي الخاتم، وهي حوالي: تسع روايات عن النبي منها: لا تجتمع أمتي على ضلالة، إني مخلف فيكم الثقلين، من كنت مولاه، أنت مني بمنزلة هارون من موسى، علي يقضي ديني، من آذى علياً فقد آذاني، من أحب

(١) الطبرسي، الاحتجاج، ٢/ ٢٥١.

علياً فقد احبني، لابعثن إليهم رجلاً كنفسي، لأبعثن إليهم غداً رجلاً يحب الله... .

واستدل برواية عن أمير المؤمنين عليه السلام حين سئل عن الاستطاعة، وحين أتىٰ نجدة يسأله عن معرفته، وحين قال لرجل سأله بعد انصرافه من الشام.

وعن صادق الأئمة عليهم السلام ذكر روايته، وهي: لا جبر ولا تفويض. وما سئل عنه: هل أجبر الله العباد علىٰ المعاصي، الناس في القدر علىٰ ثلاثة أوجه.

يتبين انه من تأمل هذه الرسالة يكتشف عدة حقائق منها جزالة الجواب وكفايته علىٰ الرغم من ضبابية السؤال وتعقيده.

لقد أجاد الإمام عليه السلام في توظيف الآيات القرآنية والروايات المأثورة عن النبي وآل بيته في بيان فساد عقيدة من قال بالجبر والتفويض، وفي الوقت نفسه بين صحة ما ذهب إليه الامام الصادق عليه السلام وباقي الأئمة عليهم السلام في القول بالمنزلة بين المنزلتين.

لقد أسست هذه الرسالة مفاهيم علمية متعددة منها ما يتعلق بعلم التفسير كمفهوم (الجري)، ومفهوم التفسير بالمأثور، وتفسير القرآن بالقرآن، ومرجعية أهل البيت عليهم السلام في التفسير، ومنها ما يتعلق بعلم الحديث مثل مفهوم (العرض) أي عرض الروايات علىٰ القرآن فما وافق القرآن يؤخذ به وما خالفه يضرب عرض الجدار، وكذلك مرجعية أهل البيت في علم الحديث، ومنها ما يتعلق بعلم الكلام، وهو مفهوم المنزلة بين المنزلتين، وهذا يؤكد مرجعية أهل البيت عليهم السلام الفكرية.

وهذا الحل المنطقي للموقف تدعمه النصوص المتواترة الدالة علىٰ وضع النبي صلى الله عليه وآله المبدأ مرجعية أهل البيت عليهم السلام في مختلف الجوانب الفكرية للرسالة، ووجود تفصيلات خاصة لدىٰ أهل البيت عليهم السلام تلقوها عن النبي صلى الله عليه وآله في مجالات التفسير والفقه وغيرهما.

أما النصوص التي تمثل مبدأ مرجعية أهل البيت عليهم السلام في الجوانب الفكرية للرسالة فهي كثيرة نذكر عدة نصوص منها:

الأول: حديث الثقلين، وقد جاء بصيغ عديدة، نذكر منها ما رواه الترمذي في صحيحه بسنده عن أبي سعيد والأعمش، عن حبيب بن ثابت، عن زيد بن أرقم، قالا: « قال رسول الله صلىٰ الله عليه [وآله] وسلّم: «إني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الاخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلىٰ الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتىٰ يردا علىٰ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[١].

الثاني: حديث الأمان، فقد روىٰ الحاكم في مستدرك الصحيحين بسنده عن ابن عباس، قال: (قال رسول الله صلىٰ الله عليه [وآله] وسلّم: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس». قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد، كما ذكر ابن حجر في صواعقه وصححه[٢].

الثالث: حديث السفينة، فقد روىٰ الحاكم في المستدرك وغيره كثير، أن النبي صلى الله عليه وآله كان يقول: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»[٣].

---

(١) صحيح الترمذي ٢: ٣٠٨. وقد روي حديث الثقلين بأسانيد وطرق عديدة عن مجموعة من الصحابة والتابعين، مثل زيد بن ارقم وزيد بن ثابت وأبي سعيد الخدري وحذيفة بن أسيد الغفاري وعلي بن أبي طالب وأبي هريرة، كما جاء هذا الحديث بصيغ متعددة حيث رواه الترمذي ومسلم في صحيحيهما والحاكم في مستدرك الصحيحين، وأحمد بن حنبل في مسنده، وأبو نعيم في حلية الأولياء، والهيثمي في مجمعه، وابن حجر في صواعقه، والمتقي في كنز العمال، والطبراني في الكبير، وابن الأثير الجزري في أسد الغابة، وابن جرير في تهذيب الآثار، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، وغيرهم كثيرون، وقال السمهوري علىٰ ما روىٰ عنه المناوي في فيض الغدير: وفي الباب ما يزيد علىٰ عشرين من الصحابة، وقال ابن حجر في صواعقه: ولهذا الحديث طرق كثيرة عن بضعة وعشرين صحابياً لا حاجة لنا ببسطها. راجع فضائل الخمسة في الصحاح الستة ٢: ٥٢ - ١٠.

(٢) مستدرك الصحيحين ٣: ١٤٩، والصواعق: ١٤٠.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣: ٣٤٣، وقال إنه حديث صحيح علىٰ شرط مسلم، ورواه أيضا بطريق آخر عن حنش، عن أبي ذر الغفاري في ٣: ١٦، وذكره المتقي في كنز العمال، وابن جرير والهيثمي

الرابع: حديث الحق، فقد روىٰ الترمذي في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «رحم الله عليا، اللهم أدر الحق معه حيث دار»[١]، كما روي هذا الحديث بصيغ أخرىٰ منها: «علي مع الحق والحق مع علي ولن يفترقا حتىٰ يردا علىٰ الحوض يوم القيامة»[٢].

الخامس: حديث القرآن، فقد روىٰ الحاكم في المستدرك وغيره أن النبي قال: «علي مع القرآن والقرآن مع علي ولن يفترقا حتىٰ يردا علىٰ الحوض»[٣].

السادس: حديث الحكمة، فقد روىٰ الترمذي في صحيحه وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «أنا دار الحكمة وعلىٰ بابها»، وقد شرح المناوي في هامش فيض القدير كلمة (علي بابها): أي علي بن أبي طالب عليه السلام هو الباب الذي يدخل منه إلىٰ الحكمة[٤].

السابع: حديث المدينة، فقد روىٰ الحاكم في المستدرك وغيره عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب». قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد[٥].

الثامن: حديث الاختلاف، فقد روىٰ الحاكم في المستدرك وغيره: أن النبي صلى الله عليه وآله قال العلي عليه السلام: «أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه بعدي». قال: هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين[٦].

والبزار والطبراني في الكبير والأوسط والصغير وأبو نعيم في الحلية، وأحمد بن حنبل والخطيب البغدادي والسيوطي والمناوي والمحب الطبري وغيرهم، راجع فضائل الخمسة ٢: ٦٤ - ٦٦.

(١) الترمذي ٢: ٢٩٨.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ١٤: ٣٢١، راجع تفصيل الرواة في الفضائل الخمسة ٢: ١٢٢-١٢٤.

(٣) مستدرك الصحيحين ٣: ١٢٤، وفضائل الخمسة ٢: ١٢٦.

(٤) الترمذي ٢: ٢٩٩ ورواه غيره. انظر فضائل الخمسة: ٢٧٩-٢٨٠.

(٥) مستدرك الصحيحين ٣: ١٢٦، انظر فضائل الخمسة: ٢٨١ ـ ٢٨٣.

(٦) المصدر السابق ٣: ١٢٢، وانظر فضائل الخمسة ٢: ٢٨٤ - ٢٨٥.

التاسع: حديث السؤال، فقد روىٰ جماعة من المحدثين منهم المتقي في كنز العمال، وابن سعد في طبقاته، وابن جرير في تفسيره، وابن حجر في تهذيب التهذيب، وابن عبد البر في الاستيعاب وغيرهم بألفاظ مختلفة أن علي بن أبي طالب (واللفظ للمتقي في كنز العمال)، قال: «سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيء يكون إلىٰ يوم القيامة إلا حدثتكم، سلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا أنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار، أم في سهل نزلت أم في جبل...»[1].

إضافة إلىٰ هذه الأحاديث وأمثالها الكثيرة، نجد أن الصحابة في عصر الخلافة الأولىٰ كانوا يرجعون إلىٰ علي عليه السلام في مختلف القضايا المهمة والمستعصية، وخصوصا في مجال تفسير القرآن والقضاء ومعرفة الشريعة، حيث وردت النصوص الكثيرة، والتي صححها أصحاب الحديث، تؤكد هذا الموقف العملي من الصحابة وهذه الحقيقة الناصعة، فقد روىٰ البخاري في كتاب التفسير من صحيحه في باب قوله تعالىٰ: ﴿**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا**...﴾[2] بسنده عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، حديثا قال فيه: قال عمر: (وأقضانا علي...). ورواه بقية رجال الحديث مثل الحاكم في المستدرك، وأحمد بن حنبل في مسنده و... [3].

(كما روىٰ ابن ماجة في صحيحه حديثا بسندين عن انس بن مالك قال فيه: إن النبي قال: «وأقضاهم علي بن أبي طالب»، وفي رواية أخرىٰ للحاكم صحيحة علىٰ شرط الشيخين، أن ابن مسعود كان يقول: (إن اقضي أهل المدينة علي بن أبي طالب).

وقد روىٰ أبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود قال: (إن القرآن نزل علىٰ سبعة أحرف ما منها حرف إلا له ظهر وبطن، وان علي بن أبي طالب عليه السلام عنده علم الظاهر

---

(١) كنز العمال: ١: ٢٢٨، راجع أيضا فضائل الخمسة ٢: ٢٦٦ – ٢٦٧.

(٢) البقرة: ١٠٦.

(٣) راجع فضائل الخمسة ٢: ٢٩٦ – ٢٩٨.

والباطن)[١]، وقد كان يعترف بهذه الحقيقة حتىٰ أعداء علي عليه السلام، أمثال الطاغية الحجاج بن يوسف الثقفي، حيث يقول: (إننا لم ننقم علىٰ علي قضاءه، قد علمنا أنّ علياً كان أقضاهم)[٢]، وقد رجع أبو بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، وحتىٰ معاوية بن أبي سفيان بالرغم من العداء القائم بينهما، وكذلك الكثير من كبار الصحابة، مثل عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله وعبد الله بن عمر وغيرهما ممن كان يرجعون ـ أو يدلون الناس علىٰ الرجوع إلىٰ علي عليه السلام ـ في عدد كبير من القضايا ذكرها كبار رجال أهل الحديث والتاريخ، أمثال البخاري وأحمد بن حنبل ومالك بن أنس وابن داود والحاكم والبيهقي وغيرهم، وخصوصا في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب[٣].

لقد كانت هذه المرجعية حقيقة قائمة علىٰ مستوىٰ الواقع العملي لدىٰ الخلفاء وبعض أهل المعرفة من الصحابة، ولكنها كانت عند الضرورة ومواطن الإحراج والإشكال، ولم يتم الاعتراف بها ـ مع الأسف الشديد ـ علىٰ المستوىٰ الرسمي للخلافة والحكم لأسباب متعددة لا مجال لذكرها في هذا البحث[٤]، الأمر الذي جعل الباب مفتوحاً أمام الصحابة والتابعين أو غيرهم ـ حتىٰ الأدعياء ـ أن يمارسوا العملية التفسيرية للقرآن الكريم، من خلال المستوىٰ العام لفهم القرآن الكريم.

وقد ظهرت معالم الخلل في هذا الانفتاح الواسع علىٰ مرجعية الصحابة، دون التمييز بين هذه الخصائص الفريدة التي كان يختص بها أهل البيت عليهم السلام، وفي

(١) حلية الأولياء ١: ٦٥.

(٢) راجع فضائل الخمسة ٢: ٢٩٦ – ٢٩٨.

(٣) المصدر السابق ٢: ٣٠٦ – ٣٤٤.

(٤) لقد حاول الأمويون أعداء أهل البيت عليهم السلام بعد ذلك أن يعمقوا حالة الانحراف في الأمة، من خلال إصرارهم علىٰ طرح الأدعياء من الصحابة كمرجع للأمة في الشؤون الدينية، في الوقت الذي أخذوا يطاردون كل من يذكر عليا، أو يذكر الاخذ من علي عليه السلام، كما تشير إلىٰ ذلك الوقائع والاحداث والنصوص التاريخية، واستجاب لهذا الخط الانحرافي العباسيون، بسبب الشعور بالخوف من غلبة وظهور أبناء علي عليه السلام علىٰ الساحة السياسية، إذا ارتبطت الأمة بهم فكرياً ومذهبيا.

مقدمتهم علي عليه السلام وبين بقية الصحابة الذين تناولوا القليل من العلم، فضلا عن أولئك الأشخاص الذين لم يكونوا في الحقيقة من أصحاب النبي، وإنما كانوا من الأدعياء، الذين حاولوا أن يتسلقوا هذا الموقع الروحي المقدس بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله فألصقوا أنفسهم به.

ولعل خير ما يصور لنا بدايات هذا الخلل، ووجود هذين المستويين من التفسير ما رواه الكليني والصدوق وغيرهما، عن سليم بن قيس الهلالي، عن علي عليه السلام، قال سليم: (قلت لأمير المؤمنين عليه السلام: إني سمعت من سلمان والمقداد وأبي ذر شيئاً من تفسير القرآن وأحاديث عن نبي الله صلى الله عليه وآله غير ما في أيدي الناس، ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم، ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن، ومن الأحاديث عن نبي الله صلى الله عليه وآله أنتم تخالفونهم فيها وتزعمون بأن ذلك كله باطل، أفترى الناس يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمدين ويفسرون القرآن بآرائهم؟ قال فأقبل علي فقال: قد سألت فافهم الجواب: إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً وصدقاً وكذباً... وحفظاً ووهماً، وقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله على عهده حتى قام خطيباً، فقال: أيها الناس قد كثرت علي الكذابة، فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، ثم كذب عليه من بعده، وإنما أتاكم الحديث من أربعة ليس لهم خامس: رجل منافق يظهر الإيمان، متصنع بالإسلام، لا يتأثم ولا يتحرج أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمداً، فلو علم الناس أنه منافق كذاب لم يقبلوا منه ولم يصدقوه، ولكنهم قالوا: هذا صحب رسول الله ورآه وسمع منه. وهم لا يعرفون حاله، وقد أخبره الله عن المنافقين بما أخبره، ووصفهم بما وصفهم، فقال عز وجل: ﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ...** ﴾[1] ثم بقوا بعده... فهذا أحد الأربعة. ورجل سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يحفظه على وجهه ووهم فيه، ولم يتعمد كذباً، فهو في يده يقول به ويعمل به ويرويه فيقول: انا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله فلو علم المسلمون انه وهم لم

(١) المنافقون: ٤.

يقبلوه، ولو علم هو أنه وهم لرفضه. ورجل ثالث سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً أمر به، ثم نهى عنه وهو لا يعلم، أو سمع ينهى عن شيء، ثم أمر به وهو لا يعلم، فحفظ منسوخه ولم يحفظ الناسخ، ولو علم أنه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه. وآخر رابع لم يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله، مبغض للكذب خوفاً من الله، وتعظيماً لرسول الله صلى الله عليه وآله لم يسه، بل حفظ ما سمع على وجهه، فجاء به كما سمع، لم يزد فيه ولم ينقص منه، وعلم الناسخ من المنسوخ، فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ، فإن أمر النبي صلى الله عليه وآله ناسخ ومنسوخ وخاص وعام ومحكم ومتشابه، قد كان يكون من رسول الله الكلام له وجهان، كلام عام وكلام خاص مثل القرآن. وقال الله عز وجل في كتابه: ﴿... **مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**...﴾[1] فيشتبه على من لم يعرف ولم يدر ما عنى الله به ورسوله، وليس كل أصحاب رسول الله كان يسأله عن الشيء فيفهم، وكان منهم من لا يسأله ولا يستفهمه، حتى كانوا يحبون أن يجيء الأعرابي والطارئ، فيسأل رسول الله صلى الله عليه وآله حتى يسمعوا، وقد كنت أدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله كل يوم دخلة، وكل ليلة دخلة فيخليني فيها أدور معه حيث دار، وقد علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري، فربما كان في بيتي يأتيني رسول الله صلى الله عليه وآله، وكنت إذا دخلت عليه بعض منازله أخلاني، وأقام عني نساءه فلا يبقى عنده غيري، وإذا أتاني للخلوة معي في منزلي لم تقم عني فاطمة ولا أحد من بنيّ، وكنت إذا سألته أجابني، وإذا سكتّ عنه وفنيت مسائلي ابتدأني، فما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها علي فكتبتها بخطي، وعلمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها وخاصها وعامها، ودعا الله أن يعطيني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله تعالى، ولا علماً أملاه علي وكتبته منذ دعا الله لي بما دعا، وما ترك شيئاً علمه الله من حلال ولا حرام، ولا أمر ولا نهي، كان أو يكون، ولا كتاب منزل على أحد قبله من طاعة أو

---

(١) الحشر: ٧.

معصية إلا علمنيه وحفظته، فلم أنس حرفاً واحدا[1].

(١) الكافي ١: ٦٢. الحديث ١. و (ظ) محمد باقر الحكيم، علوم القرآن، ١٥٥ وما بعدها.

الخاتمة وتحديد النتائج

١- مضامين الرسالة تؤشر مستويات الفتن والشبهات الفكرية التي سادت في المرحلة التي عاشها الإمام الهادي عليه السلام.

٢- كذلك تؤشر الرسالة ومضامينها جهود الإمام الهادي عليه السلام في مواجهة التحديات الفكرية المنحرفة.

٣- أكدت الرسالة على كمال مقدرة الإمام عليه السلام المعرفية وبراعة أسلوبه الحجاجي والاستدلالي في توجيه وصياغة العلوم نحو الحقيقة والصواب.

٤- أشارت الرسالة الى حقيقة كونية وتشريعية، الا وهي مرجعية أهل البيت عليهم السلام الفكرية وضرورة اتباعهم وأخذ العقائد والعلوم منهم.

٥- تضمنت الرسالة علوماً شتى منطقية وإسلامية.

٦- كشفت الرسالة التواصل المعرفي بين الإمام عليه السلام وبين الناس عن طريق توجيه الأسئلة والإجابة عنها.

٧- أماطت الرسالة اللثام عن أبعاد سياسية وراء بعض العقائد وتوظيفها سياسياً من أجل السلطة والحكم.

٨- كشفت الرسالة عن التكامل المعرفي بين الأئمة عليهم السلام وإن كلامهم واحد، وعقيدتهم واحدة، فتجد أن الإمام علياً الهادي عليه السلام استدل كثيراً بأقوال وأفعال آبائه وأجداده عليهم السلام.

٩- استشعار الإمام عليه السلام الخطر الذي يهدد عقيدة المسلمين من بعض الفئات والنظريات، فواجهها بكل صلابة وتحدٍّ.

١٠- مضامين الرسالة المعرفية كثيرة، ويحتاج إلى فرص بحثية أخرى من أجل دراستها وبيانها.

١١- توظيف الإمام عليه السلام لعلوم الشريعة المتعددة، كعلوم القرآن والكلام وغيره في مواجهة التحديات الفكرية المنحرفة.

١٢- حصر الخلاف فكرياً وجدلياً، واستعمال آليات المعرفة والحجج المنطقية للوصول الى الحقيقة والابتعاد عن العنف والخصام والاقتتال من أجل الاقتناع.

١٣- يوصي البحث بضرورة دراسة تراث الأئمة عليهم السلام دراسة عصرية بعيدة عن التخندق الطائفي والمذهبي من أجل عرض شخصياتهم ومحاسن كلامهم لأتباعهم.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- الاحتجاج للطبرسي، مؤسسة الأعلمي، ومؤسسة أهل البيت عليهم السلام، طبع (١٤٠١هـ. ق).

٢- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، بهامش الإصابة، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٣٢٨هـ.

٣- بحار الأنوار للعلامة المجلسي، مؤسسة دار الوفاء، بيروت، الطبعة الثالثة المصحّحة (طبع ١٤٠٣ هـ. ق).

٤- تحف العقول، الحسن بن علي الحراني، جماعة المدرسين- قم المقدسة.

٥- تخريج الأحاديث والآثار لجمال الدين الزيلعي (نشر دار ابن خزيمة- الرياض سنة ١٤١٤ هـ) و (ط دار المعرفة).

٦- تصحيح اعتقادات الإمامية، الشيخ المفيد، تحقيق: حسين دركاهي، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤١٤- ١٩٩٣ م، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان.

٧- التوحيد للصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

٨- التوحيد، دروس السيد كمال الحيدري، علي كسّار، قم.

٩- حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني، دار الكتاب العربي (طبع ١٤١٧ هـ. ق).

١٠- مستدرك الوسائل: ميرزا حسين النوري الطبرسي، ط/ مؤسسة آل البيت عليهم السلام- قم، سنة ١٤٠٧هـ.

١١- الدرر النجفية للبحراني، أوفست مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

١٢- دلائل الصدق للشيخ محمد حسن المظفر، المطبوع في القاهرة، ١٣٩٦ ق.

١٣- سنن ابن ماجة، للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، دار إحياء التراث العربي (١٣٩٥ هـ. ق).

١٤- سنن الترمذي لمحمد بن عيسىٰ بن سورة الترمذي، دار الفكر بيروت (طبع ١٤٠٠ هـ.ق).

١٥- شرح الأصول الخمسة: القاضي عبد الجبار المعتزلي- ط القاهرة.

١٦- صحيح مسلم: لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، طبع مؤسسة عز الدين، بيروت، الطبعة الأولىٰ (١٩٠٧ هـ. ق).

١٧- الصواعق المحرقة لأحمد بن حجر الهيتمي الشافعي، نشر مكتبة الهدىٰ، أوفست طهران (طبع ١٣١٢ هـ. ق).

١٨- العدل عند مذهب أهل البيت، علاء الحسون، مركز الأبحاث العقائدية، ٢٠٠٠.

١٩- العمدة لابن البطريق، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، الطبعة الأولىٰ (طبع ١٩٠٧ هـ. ق).

٢٠- غاية المرام، ابن ميثم البحراني، ط ١، ١٤٤٦ هـ بيروت.

٢١- الغدير للعلامة الأميني، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثالثة (طبع ١٣٨٧ هـ . ق).

٢٢- فرائد السمطين، مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولىٰ، (١٣٩٨ هـ. ق).

٢٣- فضائل الصحابة لأبي عبد الله أحمد بن حنبل، جامعة أم القرىٰ ومؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ (١٤٠٣ هـ. ق).

٢٤- الكافي لثقة الإسلام الكليني، دار الكتب الإسلاميّة طهران (طبع ١٣٨٨ ق).

٢٥- الكامل في التاريخ، لابن الأثير، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤٠٧ هـ. ق).

٢٦- كنز العمال للمتقي الهندي، نشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة (١٤٠٥ هـ. ق).

٢٧- لسان العرب لابن منظور، نشر أدب الحوزة، الطبعة الثالثة (١٤٠٥ هـ. ق).

٢٨- محاضرات في أصول الفقه، السيّد الخوئي، ط١، ١٤٤٢ هـ النجف.

٢٩- علوم القرآن والسيد محمد باقر الحكيم، الطبعة: الثالثة سنة الطبع: ربيع الثاني ١٤١٧، المطبعة: مؤسسة الهادي، قم، الناشر: مجمع الفكر الإسلامي.

٣٠- المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، دار المعرفة، بيروت.

٣١- مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار الفكر، بيروت.

٣٢- المصطلحات الإسلامية، مرتضى العسكري، ط١، ١٩٨٩، بيروت.

٣٣- المناقب للخوارزمي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، الطبعة الأولى (١٤١٤ هـ. ق).

٣٤- مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب، المطبعة العلمية، قم.

٣٥- المواقف في علم الكلام: القاضي عبد الرحمن الأبجي - ط عالم الكتب.

٣٦- موسوعة الإمام المهدي، مؤسسة ولي عصر.

٣٧- تفسير العين، العميد محمد حسين الطباطبائي، ت ١٤٠٢هـ، دار الكتب الإسلامية، طهران.

٣٨- نهج الحق وكشف الصدق، للعلاقة الحلي، طبع مؤسسة دار الهجرة قم ١٤٠٧هـ.

٣٩- هداية الأمة إلى معارف الأئمة عليهم السلام، محمد جواد بن الحسن بن الحسين الخراساني (١٣٣١-١٣٩٧هـ)، نشر: مؤسسة البعثة - قم ١٤١٦هـ.



البحث الخامس

المسائل العقائدية

في فكر الإمام الهادي عليه السلام

دراسة تحليلية

أ.م.د عباس فضل حسين

جامعة المثنى

كلية التربية/ قسم التاريخ



ملخص البحث:

تُعدُّ المسائل العقائدية من أخطر القضايا الفكرية التي شغلت المجتمع الإسلامي، في كل العصور، لما لها من ارتباط وثيق بالدين الإسلامي، وما كان يطرح فيه من أسئلة وأفكار حول وجود الله وتوحيده، ومكانه سبحانه، إلى درجة أنْ ظهرت تيارات تدعي أنها إسلامية سارت بالناس بمذاهب شتى اقتبست بعضها أفكاراً هدامة ترتبط بثقافات شعوب أخرى دخيلة على الإسلام.

وازاء ذلك قام الإمام الهادي عليه السلام بدور فكري مهم في محاربة البدع والخرافات والأفكار الضالة المرتبطة بالتوحيد الإلهي.. معتمداً بذلك على القرآن الكريم، والأحاديث الشريفة من أئمة أهل البيت عليهم السلام، في توضيح الوحدانية الخالصة لله سبحانه، بحسب ما جاء عنه في كتابه المجيد.

كما تناول الإمام الهادي عليه السلام الحديث عن واحدة من أهم القضايا الفكرية التي عانى منها المجتمع الإسلامي وهي القضاء والقدر، والجبر والتفويض... تلك الأفكار التي ساهمت السلطات الحاكمة في الترويج لها كونها تخدم أغراضها السياسية، بدحض تلك الأفكار بتأييده لما ورد عن الإمامين أمير المؤمنين والصادق عليهما السلام في هذا المجال.

وقد قسم البحث إلى أربعة مطالب أساسية: المطلب الأول تحدّث عن القضاء والقدر في فكر الإمام الهادي عليه السلام. والمطلب الثاني تطرّق إلى الجبر والتفويض في فكر الإمام الهادي عليه السلام. فيما جاء المطلب الثالث عن التجسيم وموقف الإمام الهادي عليه السلام.

المقدمة:

تمثل العقيدة جانباً مهماً في حياة المسلمين لارتباطها الوثيق بأساسيات دينهم ومعتقداتهم وعباداتهم، وخاصةً القضايا التي تمس سلوكيات الإنسان وعمله في جانب الخير والشر، وفقاً للإرادة الإلهية المقدسة.

ولعل أهم تلك القضايا وأكثرها تاثيراً في الإسلام، القضاء والقدر والجبر والتفويض والتجسيم، وهي تساؤلات طرحت في الساحة الفكرية من قبل تيارات متنوعة تبحث فيها محاولة الوصول إلى جواب شافي، وإنَّ هذه الإجابات تنوّعت بين من تمثل الإسلام الصحيح بكل مفاهيمه وبين الإنحراف العقائدي والنيل من الذات الإلهية المقدسة عن سوء قصد أو تعمد.

فكان لا بدَّ من وجود شخصية إسلامية تتصدى بقوة لكل الانحرافات التي سنذكرها لاحقاً في ثنايا البحث، فكان الإمام الهادي عليه السلام نموذجاً حياً لكل من ساهم في إبراز الوجه الحقيقي للإسلام الصحيح كما جاء به نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله، مستمداً من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ومن سيرة آبائه الأئمة عليهم السلام طريقاً لتوضيح تلك المفاهيم.

أولاً: القضاء والقدر:

أخذت قضية القضاء والقدر حيزاً مهماً في التراث الإسلامي، شغلت بال المسلمين في مختلف عصورهم الإسلامية، وذهبوا فيها مذاهب شتى كان في معظمها نتيجة طبيعية للاختلاط الثقافي مع شعوب البلاد المفتوحة التي دخلت في الإسلام، وبدأ أصحابها يطرحون أفكاراً كان الحديث عنها محدوداً وهامشياً في عصور الإسلام الأولى.

والحقُّ أن الفكر الإسلامي نظر إلى القضاء والقدر بأنه ضمن منظومة الإرادة الإلهية التي هي من تحدد الوجهة العامة لهما وتأثيرهما على الإنسانية، فالخطاب القرآني

تحدّث عن القضاء والقدر في آيات عديدة تدور حول ضرورة الحتمية الإلهية في توجيهها توجيهياً يتوجب على الإنسان المسلم الإيمان بها في الخير والشر وفي الشدة والرخاء.

وقد حذّر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أصحابه والمسلمين من الخوض في مثل هذه القضايا، وأنْ يحتكم الجميع إلى القرآن الكريم الذي أوضح الطريقة المثلى في تحديد الموقف من القضاء والقدر، فقد جاء في الحديث، أنّ الرسول صلى الله عليه وآله رأى أصحابه يوماً يتنازعون في القدر فغضب غضباً شديداً حتى أحمرّ وجهه فقال: «أبهذا أمرتم أم بهذا أرسلت إليكم، إنما هلك الذين من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمتُ عليكم ألا تنازعوا فيه»[١]، كما ورد عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه»[٢]، وقال أيضاً فيما يرويه عن ربه سبحانه وتعالى: «من لم يرض بقضائي، ولم يؤمن بقدري، فليلتمس إلهاً غيري»[٣]، وجاء أيضاً عنه صلى الله عليه وآله قوله: «من زعم أن الله يأمر بالسوء والفحشاء فقد كذب على الله، ومن زعم أن الخير والشر بغير مشية الله فقد أخرج الله من سلطانه، ومن زعم أن المعاصي بغير قوة الله فقد كذب على الله، ومن كذب على الله أدخله الله النار»[٤].

ومما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام حول القدر والقضاء قوله: «ألا إن القدر سرٌّ من سرّ الله وستر من ستر الله، وحرز من حرز الله، مرفوع في حجاب الله، مطوي عن خلق الله، مختوم بخاتم الله، سابق في علم الله، وضع الله عن العباد علمه، ورفعه فوق شهاداتهم، لأنهم لا ينالونه بحقيقته الربانية، ولا بقدرته الصمدانية ولا بعظمته

(١) الترمذي، سنن الترمذي، جـ٤، ص٤٤٣.

(٢) الشيخ الصدوق، التوحيد، ص٣٨٠.

(٣) الإربلي، كشف الغمة، جـ٣، ص٨١.

(٤) الحر العاملي، الفصول المهمة، جـ١، ص٢٣٢.

النورانية، ولا بعزته الوحدانية، لأنه بحر زاخر موّاج خالص لله تعالى، عمقه ما بين السماء والأرض، عرضه ما بين المشرق والمغرب، أسود كالليل الدامس، كثير الحيات والحيتان، يعلو مرة ويسفل أخرى، في قعره شمس تضئ لا ينبغي أن يطلع إليها إلا الواحد الفرد، فمن تطلع عليها، فقد ضاد الله في حكمه، ونازعه في سلطانه، وكشف عن سره وستره، وباء بغضب من الله، ومأواه جهنم وبئس المصير»[1]، وأيضاً مما روي عنه عليه السلام قوله: «الأعمال على ثلاثة أحوال: فرائض وفضائل ومعاصي، وأما الفرائض فبأمر الله عزَّ وجلَّ، وبرضى الله وقضاء الله وتقديره ومشيته وعلمه، وأما الفضائل فليست بأمر الله ولكن برضى الله وبقضاء الله وبقدر الله وبمشيته وبعلمه، وأما المعاصي فليست بأمر الله، ولكن بقضاء الله وبقدر الله وبمشيته وبعلمه، ثم يعاقب عليها»[2].

وسأل رجل أمير المؤمنين عليه السلام عن القدر فقال: «بحر عميق فلا تلجه، ثم سأله ثانية عن القدر فقال عليه السلام: طريق مظلم فلا تسلكه، ثم سأله ثالثة عن القدر فقال عليه السلام: سر الله فلا تكلفه، قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أما إذا أبيت فإني سائلك، أخبرني أكانت رحمة الله للعباد قبل أعمال العباد أم كانت أعمال العباد قبل رحمة الله؟! قال: فقال له الرجل: بل كانت رحمة الله للعباد قبل أعمال العباد، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: قوموا فسلّموا على أخيكم فقد أسلم وقد كان كافرا، قال: وانطلق الرجل غير بعيد، ثم انصرف إليه فقال له: يا أمير المؤمنين أبالمشية الأولى نقوم ونقعد ونقبض ونبسط؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: وإنك لبعد في المشية أما إني سائلك عن ثلاث لا يجعل الله لك في شيء منها مخرجاً: أخبرني أخلق الله العباد كما شاء أو كما شاؤوا؟ ! فقال: كما شاء، قال عليه السلام: فخلق الله العباد لما شاء أو لما شاؤوا؟ ! فقال: لما شاء، قال عليه السلام: يأتونه يوم القيامة كما شاء أو كما شاؤوا؟ قال: يأتونه كما شاء،

---

(١) الشيخ الصدوق، الاعتقادات، ص٣٥؛المجلسي، بحار الأنوار، جـ٥، ص٩٧.

(٢) الشيخ الصدوق، الخصال، ص١٦٨.

قال عليه السلام: قم فليس إليك من المشية شيء»[١].

ومرَّ أمير المؤمنين عليه السلام بجماعة بالكوفة وهم يختصمون بالقدر، فقال لمتكلّمهم: «أبالله تستطيع؟ أم مع الله؟ أم من دون الله تستطيع؟ فلم يدرِ ما يرد عليه، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إن زعمت أنك بالله تستطيع فليس إليك من الأمر شيء، وإن زعمت أنك مع الله تستطيع فقد زعمت أنك شريك معه في ملكه، وإن زعمت أنك من دون الله تستطيع فقد ادعيت الربوبية من دون الله تعالى فقال:يا أمير المؤمنين لا بل بالله أستطيع، فقال: أما إنك لو قلت غير هذا لضربت عنقك»[٢].

لكن شهد القرن الثاني الهجري والقرون اللاحقة جدلاً واسعاً حول القضاء والقدر، هل لهما علاقة بأفعال الإنسان أم أنها كلها من صنع الله، أم أن الله سبحانه وتعالى كان يصدر منه الخير وأن الشر يأتي من فعل البشر[٣]، وقد ساعدت أفعال السلطة الحاكمة في تفشي هذه الظاهرة بسبب محاربتها للفكر الإسلامي الأصيل الذي يمثله خط أئمة أهل البيت عليهم السلام، الذين تصدوا بقوة لهذه الانحرافات بالإستناد إلى الموروث الذي يمتلكونه من القرآن والسنة النبوية الشريفة التي وصلت إليهم نقيةً صافية مثلت مرتكزاً لحفظ الدين الإسلامي الحنيف[٤].

ولا بدَّ من القول بأن التكلّم بالقضاء والقدر فيما يعرف لاحقاً باسم القدرية[٥]،

---

(١) الشيخ الصدوق، التوحيد، ص٣٦٥، الحر العاملي، الفصول المهمة، جـ١، ص٢٥٣.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، جـ٥، ص٣٩.

(٣) ينظر: الأشعري، الإبانة، ص١٥.

(٤) ينظر: المجلسي، العقائد، ص٣٣٣.

(٥) القدرية: اسم يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى، ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل، جـ١، ص٤٣.

ظهرت مبكراً في البصرة أيام بني أمية[١] على يد معبد الجهني[٢]، وغيلان الدمشقي[٣]، وقد وردت في بعض النصوص أن رجلاً سأل الإمام زين العابدين عليه السلام عن القدر ومقدرة الله سبحانه فوصف من يخوض بهكذا أمور بأنهم ضعاف العقول وليس لهم رأي سديد فقال عليه السلام: «إن أصحاب القدر حملوا مقدرة الله على ضعف رأيهم قالوا، لِمَ، ولا ينبغي أن يقال لله لِمَ»[٤]، وهذا النص مهم جداً لأنه فيه معاني عظيمة تدل على فهم أئمة أهل البيت عليهم السلام لمغزى الخضوع المطلق لله سبحانه وتعالى وحث الناس على اتباع هذا الطريق الصحيح، لأن الله هو الخالق وهو المتحكم بعباده وهو لا يُسأل عن ما يفعلُ وهم يُسألون.

وروي «أنه جاء رجل من أهل البصرة فسأل عن محمد بن علي بن الحسين بن علي عليهم السلام، فقيل هو ذاك الغلام قال: فجئت إليه قال: فقلت يا سيدي: إني وافد أهل البصرة إليك، وذلك أن القدر قد فشى في البصرة، وقد ارتد أكثر الناس وأريد أن أسالك عنه، قال: سلْ، فقلت: أحببت الخلوة، فقام ومشى معي حتى خلا، فقال لي: سلْ، قال قلت: الخبر؟، قال لي: «اكتب: علمَ وقضى وقدّر وشاء، وأراد ورضي وأحب، قال: قلت زدني قال: فقال لي: هكذا أخرج إلينا، سل، قال: قلت: الشر؟

(١) البغدادي، الفرق بن الفرق، ص١٧؛ شرح أصول الاعتقاد، جـ٣، ص٧٥٠.

(٢) معبد الجهني: البصري اختلف في اسم أبيه وجده وقيل: إنه ابن عبد الله بن عكيم الجهني، وقيل: ابن خالد، وقيل: ابن عبد الله بن عُويمر، روى عن: عمر، وعثمان، وحذيفة، والصَّعب بن جَثَامة، وعمران بن الحصين، أول من تكلّم بالقدر، صلبه عبد الملك بن مروان سنة ٨٠هـ، ينظر:ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص٣٠٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ٤، ص١٨٧.

(٣) غيلان الدمشقي: غيلان بن أبي غيلان وهو: غيلان بن يونس ويقال ابن مسلم أبو مروان القدري، أصله قبطي، من مصر، كان أبوه قد أسلم وصار من موالي عثمان بن عفان، ولد وعاش في مدينة دمشق التي نُسب إليها، وارتحل في طلب العلم فدرس عند العلماء ونزل المدن الإسلامية وتبع معبد الجهني في عقيدته، صلبه هشام بن عبد الملك سنة ١٠٦هـ، ينظر:ابن قتيبة، المعارف، ص٦٢٦:؛ابن عساكر، تاريخ دمشق، جـ٤٨، ص١٨٦.

(٤) ابن العمراني الشافعي، الانتصار في الرد على المعتزلة، جـ٢، ص٥١٩.

قال: اكتب: علمَ وقضىٰ وقدر وشاء وأراد ولم يرض ولم يحب، قال: قلت: زدني، قال: هكذا أخرج إلينا. قال الرجل: فرجعت إلىٰ البصرة فنصب لي منبر في المسجد الجامع، فاجتمع الناس فقرأت عليهم ما كتب، فرجع أكثر الناس»[1]. وهذا النص الطويل يوضح إلىٰ أي حدٍّ وصل الناس في العصر الأموي من الخوض في قضايا القدر والقضاء، بدرجة تفشي هذه الظاهرة في البصرة علىٰ نطاق واسع.

وروي أن رجلاً من الشيعة جاء إلىٰ الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام، فقال: «إن القدرية يقولون لنا إنكم كفار قال: فقال له: «اكتب: إنَّ الله لا يطاع قهراً، وإن الله لا يعصىٰ قهراً، فإذا أراد الله الطاعة كانت، وإذا أراد المعصية كانت فإن عذب بحق، وإن عفا فبالفضل»[2].

وطرح المعتزلة[3] آراءهم، في نفي الشر من أفعال العباد إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، فقد وردَ أنهم قالوا: (إن الباري تعالىٰ حكيم عادل، لا يجوز أن يضاف إليه شر ولا ظلم، ولا يجوز أن يريد من العباد خلاف ما يأمر، ويحتم عليهم شيئاً ثم يجازيهم عليه، فالعبد هو الفاعل للخير والشر، والإيمان والكفر، والطاعة والمعصية، وهو المجازي علىٰ فعله. والرب تعالىٰ أقدره علىٰ ذلك كله. وأفعال العباد محصورة في الحركات، والسكنات، والاعتمادات والنظر، والعلم. قال: ويستحيل أن يخاطب العبد بأفعال وهو لا يمكنه أن يفعل، ولا هو يحس من نفسه الاقتدار والفعل. ومن أنكره فقد أنكر الضرورة ...)[4].

وذهب المعتزلة إلىٰ أن الله لا يوصف بالقدرة علىٰ الشرور والمعاصي وليست

---

(١) المصدر نفسه، جـ٢، ص٥١٩-٥٢٠؛اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة، جـ٤، ص٦٨٤.

(٢) المصدر نفسه، جـ٢، ص٥٢٠.

(٣) المعتزلة: فرقة كلامية إسلامية ظهرت في بداية القرن الثاني الهجري علىٰ يد واصل بن عطاء، ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل، جـ١، ص٤٩.

(٤) الشهرستاني، الملل والنحل، جـ١، ص٤٧.

من مقدرة الله، ولهذا السبب اطلق عليهم البعض القدرية[١]، في العصر العباسي الأول[٢]، فقد ورد أنهم (اثبتوا للعبد قدرة توجه الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى، ونفوا أنْ تكون الأشياء بقدر الله وقضائه)[٣].

واطلق المعتزلة على بقية المذاهب الإسلامية تسمية القدرية لأنهم «تجعلون الأشياء جارية بقدر من الله..»[٤].

وأزاء هذه الاختلافات العقائدية التي سببت حيرة الناس وضلالهم عن الإسلام الصحيح الناصع البياض الذي أمرنا الله سبحانه وتعالى باتباعه، فكانت معضلة فكرية شائكة تعمقت في المجتمع الإسلامي خاصة في العصر العباسي الأول، وبالذات عصر المأمون ومن جاء بعده من خلفاء بني العباس الذين تبنوا رسمياً وسياسياً فكر الاعتزال، وإجبار الناس على اتباع هذا الخط تحت حكم القوة والقهر والقتل والمطاردة لمن يقف بوجههم[٥].

و هذا الأمر دفع الإمام الهادي عليه السلام إلى مواجهة هذا الانحراف من خلال توضيح المفهوم الإسلامي الصحيح عن القضاء والقدر مما جاء عن الله سبحانه في كتابه المجيد ومما ورد عن آبائه عليهم السلام من أحاديث تعالج هذا الموضوع معالجة حيوية تنجي الإنسان المسلم من العقاب الإلهي والحذر من التجاوز على الذات الإلهية من خلال طرح أفكارٍ لا تمس تلك الذات المقدسة، فقد ورد عنه عليه السلام، وصفاً لما يجب عليه الإنسان المسلم من معرفة وحدانية الله سبحانه قوله: « الإقرار بأنه لا إله غيره،

---

(١) ينظر: إبراهيم العمرجي، معتزلة بغداد، ص٤٢.

(٢) سهيل قاشا، المعتزلة، ثورة الفكر الإسلامي الحر، ص١٧٠.

(٣) ابن الأثير، جامع الأصول، جـ١٠، ص١٢٨.

(٤) ابن الأثير، المصدر نفسه، جـ١٠، ص١٢٨.

(٥) ينظر: إبراهيم العمرجي، المعتزلة في بغداد، ص٥٨-٦٨.

ولا شبيه له ولا نظير وأنه قديم مثبت موجود غير فقيد وأنه ليس كمثله شيء»[١].

وجاء عنه عليه السلام في وصف علم الله السابق بالأشياء قبل حدوثه قوله: « الحمد لله بما هو كائن من قبل أن يدين له من خلقه دائنٌ فاطر السموات والأرض، مؤلف الأسباب بما جرت به الأقلام ومضت به الاحتام من سابق علمه ومقدر حكمه»[٢]

وأزاء إشكالية أثارتها الجماعات الضالة حول العلاقة بين مشيئة الله سبحانه في القضاء والقدر ومقدار علمه، بيّن الإمام الهادي عليه السلام ذلك بوضوح الموقف الإسلامي النقي بقوله وقد سئل عن علم الله قال: «عَلِم وشاء، وأراد وقدّر، وقضىٰ وأمضىٰ، فأمضىٰ ما قضىٰ، وقضىٰ ما قدّر وقدر ما أراد، فبعلمه كانت المشيئة وبمشيئته كانت الإرادة وبإرادته كان التقدير وبتقديره كان القضاء، وبقضائه كان الإمضاء، والعلم مقدم علىٰ المشيئة، والمشيئة ثانية، والإرادة ثالثة، والتقدير واقع القضاء بالإمضاء، فلله تبارك وتعالىٰ البداء فيما علم متىٰ شاء وفيما أراد، لتقدير الأشياء فإذا أوقع القضاء بالإمضاء فلا بداء، فالعلم في المعلوم قبل كونه»[٣]، واستعرض الإمام عليه السلام بدقة أكثر في توضيح ذلك قائلاً: «فبالعلم علم الأشياء قبل كونها وبالمشيئة عرف صفاتها وحدودها وإنشاءها قبل إظهارها وبالإرادة ميّز أنفسها في ألوانها وصفاتها قدر أقواتها وعرف أولها وآخرها»[٤]. ويتضح أن علم الله سبحانه وإرادته وتكوينه للأشياء كانت سابقة للوقوع أي حدث، فالعلم الإلهي بكل شيء قبل تكوين الأشياء، وبمشيئته سبحانه عرف صفاتها ومميزاتها قبل ظهورها، وبإرادته تعالىٰ ميّزت تلك الأشياء صفاتها وأشكالها، ومن ثم قدر أرزاقها وله العلم بأولية الأشياء ونهايتها.

---

(١) الكليني، الكافي، جـ١، ص٨٦ ؛الحر العاملي، الفصول المهمة، جـ١، ص١٣٤.

(٢) الكليني، الكافي، جـ٥، ص٣٧٢؛ المجلسي، مرآة العقول، جـ٢٠، ص٩٤؛ الفيض الكاشاني، الوافي، جـ٢١، ص٣٩٥؛

(٣) الشيخ الصدوق، التوحيد، ص٣٣٤-٣٣٥؛الكليني، الكافي، جـ١، ص١٤٦.

(٤) الشيخ المفيد، اوائل المقالات، جـ٤، ص٥٢.

وعلى ما يبدو فإن هناك تساؤلات أُثيرت في زمن الإمام الهادي عليه السلام حول العلاقة بين الإرادة الإلهية والمشيئة الإلهية والتقدير الإلهي في القضاء والقدر، وأيهما أسبق في فعل الله سبحانه للحدث قبل حدوثه أو بعد حدوثه أو أثناء الحدوث، خاصة مع وجود مصطلح البداء، وهل يتعارض ذلك مع الإحاطة الربانية بكل شيء، فجاء جواب الإمام الهادي عليه السلام بقوله: «متقدم على المشيئة والمشيئة ثانية والإرادة ثالثة والتقدير واقع القضاء بالإمضاء، فلله تبارك وتعالى البداء فيما علم متى شاء وفيما أراد لتقدير الأشياء فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بداء»[1]، وهنا يتضح بأن الإمام الهادي يشير إلى أن البداء لا يحدث أثناء وقوع القضاء، بل إنَّ ذلك يكون قبل وقوعه، ضمن تقدير الله سبحانه للأشياء ضمن منظومة العلم الرباني الشامل بالكون، وأن هذا التقدير يكون واقعاً على القضاء، يأتي بعد الإرادة والمشيئة وعلم الله السابق قبل حدوث الحدث.

ويشرح الإمام الهادي عليه السلام العلاقة بين القضاء والبداء بقوله: «القضاء بالإمضاء هو المبرم من المفعولات ذوات الأجسام المدركات بالحواس من ذوي لون وريح ووزن وكيل، وما دبَّ ودرج من إنس وجن وطير وسباع، وغير ذلك مما يدرك بالحواس»[2]، بمعنى أن القضاء الماضي الذي يقضيه الله سبحانه وتعالى يكون نهائياً ومبرماً بالأجسام المحسوسة، التي وردت تفاصيلها بهذه الرواية، ويشاهدها الناس عياناً، مما نسميه الحوادث بأنها قضاء وقدر، ثم قال عليه السلام: «فلله تبارك وتعالى فيه البداء مما لا عين له فإذا وقع العين المفهوم المدرك فلا بداء والله يفعل ما يشاء»[3]، وجاء

---

(١) الحلي، مختصر بصائر الدرجات، ص١٤٢.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، جـ٥، ص١٠٢؛الطباطبائي، الميزان، جـ١٣، ص٧٢.

(٣) الكليني، الكافي، جـ١، ص١٤٩؛ المجلسي، روضة المتقين، جـ٣، ص٤٣٦؛ الفيض الكاشاني، الوافي، جـ١، ص٥١٨.

أيضاً عنه عليه السلام قوله: «إن لله المشية يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء»[١].

ويضع الإمام الهادي عليه السلام، التفسير الإسلامي الواضح فيما يتعلَّق بقضايا القدر والقضاء بقوله: «ثم إن هذه الأمور كلها بيد الله جلَّ وعزَّ تجري إلى أسبابها ومقاديرها، فأمر الله يجري إلى قدره وقدره يجري إلى أجله، وأجله يجري إلى كتابه ولكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب»[٢].

ثانياً: الجبر والتفويض:

تمثل الجبر[٣] والتفويض من المسائل الفكرية التي خاض فيها علماء الكلام المسلمين بمختلف نحلهم ومذاهبهم الكلامية والفقهية، في محاولة للإجابة على سؤال طرح ولا زال يطرح بقوة هل أن أفعال العبد من الخير والشر هي جبرٌ من الله سبحانه أجبر عباده عليها أم أن الله سبحانه قد فوّض للعباد حرية الاختيار بين الخير والشر دون تدخل الإرادة الإلهية.

ولكل فريق أدلة يسوقها لدعم وجهة نظره معتمداً على نصوص قرآنية وأحاديث نبوية، إلى درجة أنهم قد انحرفوا عن جادة الصواب لأن القول بجبرية فعل الإنسان ينافي عدل الله سبحانه وتعالى في عقاب المذنبين لأنهم فعلوا ذلك خلاف رغبتهم وأنهم مجبروين على ذلك، وهذا محال إطلاقاً، كما أن القول بالتفويض يخرج الإنسان من دائرة عبوديته إلى التحكم بأفعاله، وهذا يصطدم بإرادة الله سبحانه هو له الملك وله الكبرياء والعزة في الوجود ويثبت العجز في ملكه سبحانه وتعالى وهو

---

(١) العياشي، تفسير العياشي، جـ٢، ص٢١٥.

(٢) الكليني، الكافي، جـ٥، ص٣٧٣.

(٣) الجبر: هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى، والجبرية أصناف. فالجبرية الخالصة: هي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرةً على الفعل أصلاً، والجبرية المتوسطة: هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً، فأما من أثبت للقدرة الحادثة أثراً ما في الفعل، وسمّى ذلك كسباً، فليس بجبري. ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل، جـ١، ص٨٥.

تجاوز واضح على الله العظيم.

وتزعم الجبرية: «أَن العَبْد مجبور لَا يَسْتَطِيع الْحَرَكَة نَحْو الْخَيْر وَالشَّر باخْتِيَارِهِ وإرادته ويستدلون على ذَلِك بِكَثِير من نُصُوص الْكتاب وَالسّنة الَّتِي يَزْعمُونَ أَنَّهَا تدل على مَذْهَبهم فِي الْجَبْر»[٤]: مِنْهَا:

قَوْله تَعَالَى ﴿**وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ من يشإ الله يضلله وَمن يَشَأْ يَجعله على صِرَاط مُسْتَقِيم**﴾[٥]، وَقَوله عزَّ وجلَّ ﴿**ذَلِك هدى الله يهدي بِهِ من يَشَاء من عباده وَلَو أشركوا لحبط عَنْهُم مَا كَانُوا يعْملُونَ**﴾[٦]، وَقَوله سبحانه: ﴿**وَالله يَدْعُو إِلَى دَار السَّلَام وَيهْدِي من يَشَاء إِلَى صِرَاط مُسْتَقِيم**﴾[٧]، وَقَوله تعالى: ﴿**وَمَا أرسلنَا من رَسُول إِلَّا بِلِسَان قومه ليبين لَهُم فيضل الله من يَشَاء وَيهْدِي من يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيز الْحَكِيم**﴾[٨]، وَيَقُول عز وَجل: ﴿**وَلَو شَاءَ الله لجعلكم أمة وَاحِدَة وَلَكِن يضل من يَشَاء وَيهْدِي من يَشَاء ولتسألن عَمَّا كُنْتُم تَعْمَلُونَ**﴾[٩]، وَيَقُول عزَّ وَجلَّ: ﴿**وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ الله من يهدي الله فَهُوَ المهتد وَمن يضلل فَلَنْ تَجِد لَهُ وليا مرشدا**﴾[١٠]، وَقَوله سبحانه: ﴿**مَن يهدي الله فَهُوَ المهتد وَمن يضلل فَأُولَئِك هم الخاسرون**﴾[١١] وقوله تعالى: ﴿**وَلَقَد ذرأنا لِجَهَنَّم كثيرا من الْجِنّ وَالْإِنْس لَهُم قُلُوب**

---

(٤) الأشعري، الإبانة، ص١٩٠-١٩١.

(٥) سورة الأنعام، الآية ٣٩.

(٦) سورة الأنعام الآية ٨٨.

(٧) سورة يونس، الآية ٢٥.

(٨) سورة إبراهيم الآية ٤.

(٩) سورة النحل، الآية ٩٣.

(١٠) سورة الكهف، الآية١٧.

(١١) سورة الأعراف، الآية ١٧٨.

لَا يفقهُونَ بهَا وَلَهُم أعين لَا يبصرون بهَا وَلَهُم آذان لَا يسمعُونَ بهَا أُولَئِكَ كالأنعام بل هم أضلّ أُولَئِكَ هم الغافلون﴾[1]، وَقَوله تعالىٰ: ﴿**ألم تَرَ أَنا أرسلنَا الشَّيَاطِين على الْكَافرين تؤزؤهم أزا**﴾[2]، وَقَوله تَعَالىٰ: ﴿**واستفزز من اسْتَطَعْت مِنْهُم بصوتك وأجلب عَلَيْهِم بخيلك ورجلك وشاركهم فِي الْأَمْوَال وَالْأَوْلَاد وعدهم وَمَا يعدهم الشَّيْطَان إِلَّا غرُورًا**﴾[3] الىٰ غير ذَلِك من الآيَات القرآنية الَّتِي تزْعم الجبرية أَنَّهَا تدل علىٰ الْجَبْر وَلَيْسَ للْعَبد اخْتِيَار وَلَا مَشِيئَة فِي كل مَا يفعل.

فيما كان أهل التفويض علىٰ العكس تماماً من هؤلاء فهم (زَعَمُوا أَنهم موكلون إِلَىٰ أنفسهم إِنَّهُم يقدرُونَ علىٰ الْخَيْر كُله بالتفويض الَّذِي يذكرُونَ دون توفيق الله وهداه)[4]، وقالوا كذلك: (إن الله ـ سبحانه ـ فوّض الأعمال إلىٰ العباد وجعل لهم الاستطاعة إلىٰ كل ما كلفوا فهم يستطيعون الكفر والإيمان جميعاً وليس لله ـ سبحانه ـ في أعمال العباد مشيئة وليس أعمال العباد مخلوقة لله فبرئت منه)[5].

وكل الفريقين غرق في أوهام الضلال، وفسر العقيدة الإسلامية بعقله القاصر عن الفهم الحقيقي لمعاني الآيات القرآنية التي اعتمد عليها أهل الجبر، كما أن أهل التفويض شطحوا عن الصواب بنفي التأثير الرباني علىٰ أفعال العباد وهي بكل تأكيد تعني الوهن في سلطان الله سبحانه وهذا محال الوقوع، والنهج الإسلامي الصحيح حول الجبر والتفويض هو بين أمرين يعني بدون جبر وبدون تفويض[6].

وقد سئل الإمام الهادي عليه السلام برأيه عن الجبر والتفويض فكتب كتاباً طويلاً

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٧٩.

(٢) سورة مريم، الآية٨٣.

(٣) سورة الإسراء، الآية ٦٤.

(٤) أبو الحسين الملطي، التنبيه، ص١٧٤.

(٥) الأشعري، مقالات الإسلاميين، جـ١، ص٨٨.

(٦) ينظر: ابن شعبة الحرّاني، تحف العقول، ص٢٩٣.

يوضح فيه موقف أئمة أهل البيت عليهم السلام منهما، مستشهداً بآراء أمير المؤمنين عليه السلام[١] وآراء الإمام جعفر الصادق عليه السلام[٢].

ولعل ذكر الإمام الهادي لآراء آبائه عليهم السلام في هذه القضية لكي يؤكد للناس استمرارية النور المحمدي الواحد الصحيح الذي لا يتبدل إطلاقاً لكونه مقتبساً من النور الإلهي المبارك، هذا من جانب ومن جانب آخر، فإن التأكيد على آراء الأئمة السابقين عليهم السلام، يكشف للقارىء أن هذه القضية كانت قديمة أُثيرت أكثر من مرة وبطرق متعددة حاول فيها البعض إشباع التساؤل الإنساني عن المعصية والثواب وكيفية حدوثها وهل للأمر علاقة بالله سبحانه أم أنها ترتبط ارتباطاً بالعبد نفسه.

بدأ الإمام الهادي عليه السلام باستعراض رائع لحال الناس منذ ظهور الإسلام إلى عصره، واضع بنظر الاعتبار الأهمية القصوى للقرآن الكريم بكونه مرجعاً هاماً لا يمكن الاختلاف عليه، فضلاً عن السنة النبوية الشريفة[٣]، فقال عليه السلام جواباً على ما يبدو أنها رسالة أُرسلت إليه حول هذا الموضوع: «سلام عليكم وعلى من اتبع الهدى ورحمة الله وبركاته فإنه ورد عليَّ كتابكم وفهمت ما ذكرتم من اختلافكم في دينكم وخوضكم في القدر ومقالة من يقول منكم بالجبر ومن يقول بالتفويض وتفرقكم في ذلك وتقاطعكم وما ظهر من العداوة بينكم ثم سألتموني عنه وبيانه لكم وفهمت ذلك كله»[٤]، والنص يشير بوضوح إلى الأهواء المختلفة والصراعات الفكرية المحتدمة في عصر الإمام الهادي عليه السلام، بظهور التقاطع والعداء بين الناس حول هذا الموضوع الحيوي الهام.

---

(١) ينظر: ابن شعبة الحرّاني، تحف العقول، ص٢٩٣.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٩٥.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٩١.

(٤) المصدر نفسه، ص٢٩١.

ثم ذكر الإمام الهادي عليه السلام الأسس التي يجب على المسلمين الاعتماد عليها لمعرفة الحقيقة الإسلامية الناصعة للدين الحنيف، وهي القرآن والعترة النبوية الشريفة، مستعرضاً في نص طويل تلك المعاني العظيمة من الترابطية الوثيقة بين الكتاب والعترة وبين النبي الكريم صلى الله عليه وآله وبين أمير المؤمنين عليه السلام، ومن ثم الأئمة الهداة من بعده عليهم السلام، من أجل انتقاء الأخبار الصحيحة وأخذ الحقيقة من الصادقين المكلّفين بحفظ الدين وأهله فقال: «اعلموا رحمكم الله إنا نظرنا في الآثار وكثرة ما جاءت به الأخبار فوجدناها عند جميع من ينتحل الإسلام ممن يعقل عن الله عزَّ وجلَّ لا تخلو من معنيين: إما حق فيتبع وإما باطل فيجتنب، وقد أجمعت الأمة قاطبة لا اختلاف بينهم أن القرآن حق لا ريب فيه عند جميع أهل الفرق وفي حال اجتماعهم مقرون بتصديق الكتاب وتحقيقه، مصيبون مهتدون وذلك قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تجتمع أمتي على ضلالة»[1]، فأخبر أن جميع ما اجتمعت عليه الأمة كلها حق، هذا إذا لم يخالف بعضها بعضاً، والقرآن حق لا اختلاف بينهم في تنزيله وتصديقه فإذا شهد القرآن بتصديق خبر وتحقيقه وأنكر الخبر طائفة من الأمة لزمهم الإقرار به ضرورة حين اجتمعت في الأصل على تصديق الكتاب فإن جحدتْ وأنكرتْ لزمها الخروج عن الملة»[2].

وفي هذا النص يحدد الإمام عليه السلام القرآن الكريم كمعيار حكمي عند الاختلاف في الأخبار والآثار والواردة حول أي قضية يتعرّض لها المسلمون في مختلف عصورهم التاريخية، وبالتالي فإن من يخالف هذا النهج الإسلامي يكون خارج الملة الإسلامية، ولا تكون لآرائه أو أفكاره أي قيمة دينية أو اعتبارية.

ثم انتقل الإمام الهادي عليه السلام إلى جزئية أخرى مهمة في مجال نقل الأخبار من مضانها الصحيحة وأخذ المعلومة من منبعها الصافي، والنهل من منبع الماء الجاري النقي للشريعة الإسلامية، بقوله عليه السلام: «فأول الخبر يعرف تحقيقه من الكتاب وتصديقه

(١) اخرجه ابن ماجه، سنن ابن ماجة، جـ٢، ص١٣٠٣.

(٢) ابن شعبة الحرّاني، تحف العقول، ص٢٩١.

والتماس شهادته عليه خبر ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله ووجد بموافقة الكتاب وتصديقه بحيث لا تخالفه أقاويلهم، حيث قال: «إني مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ـ أهل بيتي ـ لن تضلوا ما تمسكتم بهما وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»[١]، فلما وجدنا شواهد هذا الحديث في كتاب الله نصاً مثل قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ، وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**﴾[٢]»[٣].

ثم ذكر الإمام عليه السلام الأهمية المركزية لأهل البيت عليهم في الأمة الإسلامية، وبالذات جده أمير المؤمنين عليه السلام، في إطار تمهيده للحديث عن الجبر والتفويض، فجاءت أحاديث نبوية تشيد بالإمام علي عليه السلام، بقوله: «وروت العامة في ذلك أخباراً لأمير المؤمنين عليه السلام أنه تصدق بخاتمه وهو راكع فشكر الله ذلك له، وأنزل الآية فيه[٤]، فوجدنا رسول الله صلى الله عليه وآله قد أتى بقوله: من كنت مولاه فعلي مولاه[٥]، وبقوله: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي[٦]، ووجدناه يقول: علي يقضي

---

(١) أخرجه الترمذي، سنن الترمذي، جـ٥، ص٦٦٢؛ ابن أبي شيبة، المصنف، جـ١، ص١٠٨؛ أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة، جـ٢، ص٧٧٩؛ ابن أبي عاصم، السنة، جـ٢، ص٣٥١؛ النسائي، السنن الكبرى، جـ٧، ص٣١٠؛ الطبراني، المعجم الأوسط، جـ٤، ص٣٣.

(٢) سورة المائدة الآية ٥٥-٥٦.

(٣) ابن شعبة الحرّاني، تحف العقول، ص٢٩١.

(٤) ينظر: مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، جـ٥، ص٢٤٧؛ الطبري، تفسير الطبري، جـ١٠، ص٤٢٥؛ السمرقندي، تفسير السمرقندي، جـ١، ص٤٠٠.

(٥) أخرجه، الترمذي، سنن الترمذي، جـ٥، ص٦٣٣؛ ابن ماجة، سنن ابن ماجة، جـ١، ص٤٥؛ ابن أبي شيبة، المصنف، جـ٦، ص٣٦٦.

(٦) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، جـ٥، ص١٩؛ مسلم، صحيح مسلم، جـ٤، ص١٨٧٠؛ الحميدي، مسند الحميدي، جـ١، ص١٨٩؛ البزار، مسند البزار، جـ٣، ص٥٩.

ديني وينجز موعدي وهو خليفتي عليكم من بعدي[١]»[٢].

فالقرآن الكريم في نظر الإمام الهادي عليه السلام، هو المعيار الأول في تمحيص الأخبار والآثار الواردة في كل القضايا الاختلافية، ثم وضع الأحاديث النبوية الصادقة عن النبي صلى الله عليه وآله وعترته أهل بيته عليهم السلام، بالمقام الثاني في التأكيد على أنها هي طرق النجاة للإنسان في دنياه وآخرته، فقال عليه السلام: «فالخبر الأول الذي استنبطت منه هذه الأخبار خبر صحيح مجمع عليه لا اختلاف فيه عندهم، وهو أيضاً موافق للكتاب، فلما شهد الكتاب بتصديق الخبر وهذه الشواهد الأُخر، لزم على الأمة الإقرار بها ضرورةً إذ كانت هذه الأخبار شواهدها من القرآن ناطقة ووافقت القرآن والقرآن وافقها، ثم وردت حقائق الأخبار من رسول الله صلى الله عليه وآله عن الصادقين عليهم السلام، ونقلها قوم ثقات معروفون فصار الاقتداء بهذه الأخبار فرضاً واجباً على كل مؤمن ومؤمنة لا يتعداه إلا أهل العناد»[٣].

ويستمر الإمام الهادي عليه السلام بذكر مركزية الأئمة عليهم السلام في مشروعه لتوضيح الجبر والتفويض بقوله: «وذلك أنَّ أقاويل آل رسول الله صلى الله عليه وآله متصلة بقول الله وذلك مثل قوله في محكم كتابه: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا**﴾[٤]، ووجدنا نظير هذه الآية قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «من آذىٰ علياً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذىٰ الله ومن آذىٰ الله يوشك ان ينتقم منه»[٥]، وكذلك قوله صلى الله عليه وآله: «من أحب علياً فقد أحبني ومن أحبني فقد أحبَّ الله»[٦]، ومثل قوله صلى الله عليه وآله في بني

(١) أخرجه أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة، جـ٢، ص٦٥٠؛البزار، مسند البزار، جـ١٣، ص١٩٣.

(٢) ابن شعبة الحرّاني، تحف العقول، ص٢٩٢.

(٣) الطبرسي، الاحتجاج، جـ٢، ص٢٥٢.

(٤) سورة الأحزاب، الآية ٥٧.

(٥) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، جـ٣، ص٢٤٥؛ابن عبد البر، الاستيعاب، جـ٣، ص٢٠٤.

(٦) أخرجه الطبراني، المعجم الكبير، جـ٢٣، ص٣٨٠؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، جـ٩، ص١٣٢؛ الحاكم

وليعة[١]: «لأبعثنّ إليهم رجلًا كنفسي يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، قم يا علي فسر إليهم»[٢]، وقوله صلى الله عليه وآله: يوم خيبر[٣] «لأبعثنّ إليهم غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار لا يرجع حتىٰ يفتح الله عليه»[٤]، فقضىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله بالفتح قبل التوجيه فاستشرف لكلامه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فلما كان من الغد دعا علياً عليه السلام فبعثه إليهم فاصطفاه بهذه المنقبة، وسمّاه كراراً غير فرار فسمّاه محباً لله ولرسوله، فأخبر أن الله ورسوله يحبانه وإنما قدمنا هذا الشرح والبيان دليلاً علىٰ ما أردناه وقوة لما نحن مبينوه من أمر الجبر والتفويض والمنزلة بين المنزلتين وبالله العون والقوة وعليه نتوكل في جميع أمورنا»[٥].

وهذا النص المهم يحمل أبعاداً مهمة في التأكيد علىٰ عمق الانتماء العقائدي بين ما يطرحه الإمام عليه السلام حول الجبر والتفويض وبين امتدادها بالمنبع النبوي الأصيل لعصر النبي صلى الله عليه وآله وعصر الإمام علي عليه السلام، وأن ما سيطرحه من رأي من الأئمة عليهم السلام حول هذا الموضع الشائك يخرج من المشكاة النبوية نفسها.

النيسابوري، المستدرك، جـ٣، ص١٤١.

(١) بني وليعة: هم بنو معد يكرب بن وليعة بن شرحبيل بن معاوية بن حجر الكندي، وفدوا علىٰ النبي صلى الله عليه وآله ثم ارتدوا عن الإسلام، ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٢٨.

(٢) أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة، جـ٢، ص٥٧١؛ النسائي، السنن الكبرىٰ، جـ٧، ص٤٣٤؛ ابن المغازلي، مناقب علي، ص١٧٠.

(٣) خيبر: وهي ناحية علىٰ ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام، يطلق هذا الاسم علىٰ الولاية وتشتمل هذه الولاية علىٰ سبعة حصون ومزارع ونخل كثير، وأسماء حصونها: حصن ناعم وعنده قتل مسعود ابن مسلمة ألقيت عليه رحىٰ، والقموص حصن أبي الحقيق، وحصن الشّقّ، وحصن النّطاة، وحصن السّلالم، وحصن الوطيح، وحصن الكتيبة، وأما لفظ خيبر فهو بلسان اليهود الحصن، ولكون هذه البقعة تشتمل علىٰ هذه الحصون سمّيت خيابر، وقد فتحها النبي، صلىٰ الله عليه وسلم، كلها في سنة سبع للهجرة، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٢، ص٤٠٩.

(٤) ابن عساكر، تاريخ دمشق، جـ٤١، ص٢١٩.

(٥) ابن شعبة الحرّاني، تحف العقول، ص٢٩٢.

ولكي يجيب الإمام الهادي عليه السلام عن الجبر والتفويض، طرح رأي جده الإمام الصادق عليه السلام حول هذا الموضوع وخاصة قوله: «لا جبر ولا تفويض ولكن منزلة بين المنزلتين وهي صحة الخلقة وتخلية السرب والمهلة في الوقت والزاد في مثل الراحلة والسبب لمهيج للفاعل على فعله»[١]، كما أشار الإمام إلى أهمية هذه الأشياء الخمسة وإنَّ انعدام واحدة منها يجعل العمل مطروحاً عنه[٢].

ثم قال الإمام الهادي عليه السلام: «فأخبر الصادق عليه السلام بأصل ما يجب على الناس من طلب معرفته ونطق الكتاب بتصديقه فشهد بذلك محكمات آيات رسوله لأن الرسول صلى الله عليه وآله عليهم السلام لا يعدو شيء من قوله وأقاويلهم حدود القرآن فإذا وردت الحقائق والتمست شواهدها من التنزيل فوجد لها موافقاً وعليها دليلاً، كان الاقتداء بها فرضاً لا يتعداه إلا أهل العناء»[٣].

وبذلك فإن رأي الإمام الصادق عليه السلام حول الجبر والتفويض وإنكاره لهما وأنَّ الأمر لا يتعدى المنزلة بين المنزلتين، كان مطابقاً لما ورد في القرآن الكريم وصدق بمقالته الذكر الحكيم[٤].

كما ورد ذَكَرَ الإمام الهادي عليه السلام روايةً أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام حول الجبر، مفادها: إن الإمام الصادق عليه السلام سئل هل أجبر الله العباد على المعاصي؟ فقال عليه السلام: «هو أعدل من ذلك، فقيل له فهل فوّض إليهم، فقال هو أعزّ وأقهر لهم من ذلك»[٥].

وتبنى الإمام الهادي عليه السلام موقف الصادق عليه السلام في تحديده لأصناف الناس

---

(١) ابن شعبة الحرّاني، تحف العقول، ص٢٩٣.

(٢) الطبرسي، الاحتجاج، جـ٢، ص٤٨٦.

(٣) ابن شعبة الحرّاني، تحف العقول، ص٢٩٣.

(٤) ينظر: الطبرسي، الاحتجاج، جـ٢، ص٤٨٦.

(٥) ابن شعبة الحرّاني، تحف العقول، ص٢٩٣.

وآرائهم في الجبر والتفويض، فقد روىٰ عن الصادق عليه السلام قوله: « الناس في القدر علىٰ ثلاثة أوجه، رجل يزعم أن الأمر مفوّض إليه، فقد وهن الله في سلطانه، فهو هالك، ورجل يزعم أن الله جلَّ وعزَّ، أجبر العباد علىٰ المعاصي وكلّفهم ما لا يطيقون، فقد ظلم الله في حكمه فهو هالك، ورجل يزعم أن الله كلّف العباد ما يطيقون ولم يكلّفهم ما لا يطيقون فإذا احسن حمد الله وإذا أساء استغفر الله فهذا مسلم بالغ»[١]، وعلّق الإمام الهادي علىٰ هذا النص بقوله: « فأخبر [يعني الصادق عليه السلام] إن من تقلّد الجبر والتفويض ودان بهما فهو علىٰ خلاف الحق، فقد شرحت الجبر الذي من دان به يلزمه الخطأ وأن الذي يتقلّد التفويض يلزمه الباطل، فصارت المنزلة بين المنزلتين بينهما»[٢].

ويتحدّث الإمام الهادي عليه السلام عن الجبر بنفس ما ورد عن جده الإمام الصادق عليه السلام، وبنفس الطرح، بأن من يقول بأن الله سبحانه أجبر عباده علىٰ المعصية ثم عاقبهم عليها، فهو ظالم له سبحانه، ومكذب بمحكم آياته، مثل قوله تعالىٰ: ﴿**وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾[٣]، وقوله سبحانه: ﴿**ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**﴾[٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿**ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**﴾[٥]، وقوله عزَّ من قائل: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**﴾[٦]، فإن من زعم أنه مجبر علىٰ إرتكاب المعصية فقد أحال ذنبه علىٰ الله سبحانه وقد ظلمه في

---

(١) الشيخ الصدوق، التوحيد، ص٣٦٠-٣٦١.

(٢) ابن شعبة الحرّاني، تحف العقول، ص٢٩٣.

(٣) سورة الكهف، الآية ٤٩.

(٤) سورة آل عمران، الآية ١٨٢.

(٥) سورة الأنفال الآية ٥١.

(٦) سورة فصلت الآية ٤٦.

عقوبته[١]، ويعطي الإمام عليه السلام نتائج هذا الاعتقاد الخاطىء بقوله: «ومن ظلم الله فقد كذب كتابه ومن كذب كتابه فقد لزمه الكفر باجتماع الأمة»[٢].

ويعطي عليه السلام مثالاً تطبيقاً من واقع الحياة الإنسانية، فتحدّث عن رجل ملك عبداً مملوكاً لا يملك نفسه ولايملك أي شيء من الدنيا ويعلم مولاه بذلك، ومع ذلك أمره بالذهاب إلى السوق لحاجة يأتيه بها، وهو لا يملك ثمنها، وهو يعلم بأن على الحاجة رقيباً لا يستطيع أخذها دون قبوله بالثمن، وهو يصف عبده بالعدل والإنصاف وإظهار الحكمة ونفي الجور والظلم، ومع ذلك توعد العبد بأشدّ العقاب إذا لم يأته بتلك الحاجة مع علمه بعدم قدرته على ذلك لوجود رقيب عليها، وإنَّ العبد المملوك يعلم جيداً أنه لا يملك الثمن وأن مالكه لم يمكنه من ذلك، فلما ذهب هذا العبد إلى السوق وجاء ليأتي بتلك الحاجة التي بعثه عليها مولاه، وجد عليها مانعاً إلا بشراء وليس معه ثمنها، فانصرف هذا العبد خائباً إلى مولاه بغير قضاء حاجته فاغتاظ بذلك وعاقبه عليها[٣].

ويسأل الإمام الهادي عليه السلام في أعقاب هذ المثال بقوله: «أليس يجب في عدله وحكمه أنْ لا يعاقبه وهو يعلم أن عبده لا يملك عرضاً من عروض الدنيا ولم يملّكه ثمن حاجته فإن عاقبه ظالماً متعدياً عليه مبطلاً لما وصف من عدله وحكمته ونصفته وإنْ لم يعاقبه كذب نفسه في وعيده إياه حين أوعده بالكذب والظلم اللذين ينفيان العدل والحكمة تعالى الله كما يقولون علواً كبيراً»[٤].

ويستطرد الإمام عليه السلام في حديثه عن الجبر والتفويض بقوله: «فمن دان بالجبر أو

---

(١) ينظر: ابن شعبة الحرّاني، تحف العقول، ص٢٩٣.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، جـ٥، ص٧١.

(٣) ينظر: ابن شعبة الحرّاني، تحف العقول، ص٢٩٤.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار، جـ٥، ص٧١.

بما يدعو إلى الجبر فقط ظلم الله ونسبه إلى الجور والعدوان، إذا أوجب على من أجبره العقوبة ومن زعم أن الله دفع عن أهل المعاصي العذاب فقد كذّب الله في وعيده...»[١]، ويعطي الإمام عليه السلام أمثلة من القرآن الكريم، تعارض بشدة من يدعي إجبار العباد على المعصية من قبل الله سبحانه وتعالى، في قوله تعالى: ﴿**بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[٢]، وقوله سبحانه: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا**﴾[٣]، وقوله سبحانه: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾[٤].

ثم قال الإمام عليه السلام: «مع آي كثيرة في هذا الفن ممن كذّب وعيد الله ويلزمه في تكذيبه آية من كتاب الله الكفر، وهو ممن قال الله: ﴿**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾[٥]، بل تقول: إن الله جلَّ وعزَّ جازى العباد على أعمالهم ويعاقبهم على أفعالهم بالاستطاعة التي ملّكهم إياها، فأمرهم ونهاهم بذلك ونطق كتابه: ﴿**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾[٦]، وقال جلَّ ذكره: ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ**

---

(١) ابن شعبة الحرّاني، تحف العقول، ص٢٩٤.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٨٠.

(٣) سورة النساء، الآية ١٠.

(٤) سورة النساء، الآية ٥٦.

(٥) سورة البقرة، الآية ٨٥.

(٦) سورة الأنعام، الآية ١٦٠.

﴿رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لاَ ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[٢]، فهذه آيات محكمات تنفي الجبر ومن دان به ومثلها في القرآن كثير اختصرنا ذلك لئلا يطول الكتاب وبالله التوفيق»[٣].

ثم عرج الإمام الهادي عليه السلام بعد ذلك نحو توضيح موقف الإمام الصادق عليه السلام من مسألة التفويض فقال: «وأما التفويض الذي أبطله الصادق عليه السلام وأخطأ من دان به وتقلّده فهو قول القائل: إنَّ الله جلَّ ذكره فوّض إلى العباد اختيار أمره ونهيه وأهملهم، في هذا كلام دقيق لمن يذهب إلى تحريره ودقته، وإلى هذا ذهبت الأئمة المهتدية من عترة الرسول صلى الله عليه وآله فإنهم قالوا: لو فوّض إليهم على جهة الإهمال لكان لازماً له رضا ما اختاروه واستوجبوا منه الثواب، ولم يكن عليهم فيما جنوه العقاب إذا كان الإهمال واقعاً»[٤]، ويضيف الإمام الهادي عليه السلام قائلاً: «وتنصرف هذه المقالة على معنيين: إما أن يكون العباد تظاهروا عليه فألزموه قبول اختيارهم بآرائهم ضرورة كره ذلك أم أحبَّ فقد لزمه الوهن، أو يكون عزَّ وجلَّ عجز عن تعبدهم بالأمر والنهي عن إرادته كرهوا أو أحبوا ففوّض أمره ونهيه إليهم وأجراهما على محبتهم إذ عجز عن تعبدهم بإرادته فجعل الاختيار إليهم في الكفر والإيمان»[٥].

ويتضح من النصين السابقين، مدى الدقة في طرح الهادي عليه السلام، حول التفويض، وناقش الموضوع من كل أبعاده، وانحصرت بين موقفين وكلاهما لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تصدر من الله سبحانه، لأن فيه العجز والوهن في حكم الله وهذا محال الحدوث إطلاقاً.

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٣٠.

(٢) سورة غافر، الآية١٧.

(٣) ابن شعبة الحرّاني، تحف العقول، ص٢٩٥.

(٤) المصدر نفسه، ص٢٩٥.

(٥) الطبرسي، الاحتجاج، جـ٢، ص٤٨٦.

ويضرب الإمام الهادي عليه السلام مثالاً حياً لتقريب المعنى إلى أذهان الناس، فأشار إلى وجود رجل اشترى عبداً ليخدمه، وعرف له فضل ولايته عليه ويقف عند أمره ونهيه، وأن مالك العبد إدعى أنه قاهر عزيز حكيم، فكان يأمر عبده وينهاه، وأعطاه الوعد إنْ اتبع ما يقول إن له عظيم الثواب، وإن له العقاب الشديد إذا خالف ما يريده منه سيده، ومع كل ذلك فان العبد خالف إرادة مالكه ولم يطبق أمره ونواهيه، بل كان يتبع ارادة نفسه واتابع هواه، ولا يطيق المولى ان يرده إلى اتباع أمره ونهيه، والوقوف على ارادته، ففوض اختيار امره ونهيه إليه ورضي منه بكل ما فعله على إرادة العبد لا على اردة المالك، فكانت النتيجة أن بعثه في إحدى حوائجه وسمّى له الحاجة[1] «فخالف على مولاه وقصد لإرادة نفسه واتبع هواه فلما رجع إلى مولاه نظر إلى ما أتاه به فإذا هو خلاف ما أمره به فقال له: لم أتيتني بخلاف ما أمرتك؟ فقال العبد: اتكلتُ على تفويضك الأمر إليَّ فاتبعت هواي وإرادتي لأن المفوض إليه غير محظور عليه فاستحال التفويض»[2].

وفي هذا المثال المتقدم، يشير الإمام الهادي بأدلة عقلية على استحالة وجود التفويض في حكم الله وسلطانه، لأن في ذلك يعني إبطال الثواب والعقاب، وأن ذلك يخالف السنن الإلهية في الكون، ويطرح عليه السلام هذا السؤال في تعليقه على المثال الذي ضربه للسيد الذي فوّض عبده بالاختيار فجاء بخلاف رغبته، فقال: « أو ليس يجب على هذا السبب إما أن يكون المالك للعبد قادراً يأمر عبده باتباع أمره ونهيه على إرادته، لا على إرادة العبد، ويملكه من الطاقة بقدر ما يأمره به وينهاه عنه، فإذا أمره بأمر ونهاه عن نهي عرّفه الثواب والعقاب عليهما، وحذّره ورغبه ثوابه وعقابه ليعرف العبد قدرة مولاه بما ملّكه من الطاقة لأمره ونهيه وترغيبه وترهيبه، فيكون عدله وإنصافه شاملاً له وحجته واضحة عليه للإعذار والإنذار، فإذا اتبع العبد أمر

(١) ابن شعبة الحرّاني، تحف العقول، ص٢٩٥.

(٢) الطبرسي، الاحتجاج، جـ٢، ص٤٨٦.

مولاه جازاه وإذا لم يزدجر عن نهيه عاقبه أو يكون عاجزاً غير قادر ففوّض أمر إليه أحسن أم أساء، أطاع أم عصىٰ عاجز عن عقوبته وردّه إلىٰ اتباع أمره»[١].

ويربط الإمام عليه السلام بين هذا التفويض وبين إثبات العجز الذي ينفي القدرة والتأله وإبطال الأمر والنهي والثواب والعقاب ومخالفة الكتاب، ويسرد مجموعة من الآيات القرآنية التي تصب في هذا المجال، كقوله تعالىٰ: ﴿**إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور**﴾[٢]، وقوله سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾[٣]، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ، مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ**﴾[٤]، وقوله جلَّ ذكره: ﴿**وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا**﴾[٥]، وقوله عزَّ من قائل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ**﴾[٦]»[٧].

لذلك فإن من يقول بأن الله تعالىٰ فوض أمره ونهيه إلىٰ عباده فقد أثبت عليه العجز وأوجب عليه قبول كل ما عملوا من خير أو شر وأبطل أمر الله ونهيه ووعده

---

(١) ابن شعبة الحرّاني، تحف العقول، ص٢٩٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، جـ٥، ص٧٣.

(٢) سورة الزمر الآية ٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٠٢.

(٤) سورة الذاريات، الآية ٥٦-٥٧.

(٥) سورة النساء، الآية ٣٦.

(٦) سورة الأنفال، الآية ٢٠.

(٧) ابن شعبة الحرّاني، تحف العقول، ص٢٩٦.

ووعيده، فهو ما يقول الإمام عليه السلام: «لعله ما زعم أن الله فوضها إليه لأن المفوض إليه يعمل بمشيئته فإن شاء الكفر أو الإيمان كان غير مردود عليه ولا محظور، فمن دان بالتفويض على هذا المعنى فقد أبطل جميع ما ذكرنا من وعده ووعيده وأمره ونهيه وهو من أهل هذه الآية: ﴿**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾[١]، تعالى الله عما يدين به أهل التفويض علواً كبيراً»[٢].

وبعد كل ما تقدم من الأدلة الناصعة التي ذكرها الإمام الهادي عليه السلام، نجده يوضح وجهة نظره حول الموضوع ضمن السياق القرآني الصحيح، وما ورد من صحيح الأثر عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، فيقول عليه السلام: «إن الله عزَّ وجلَّ خلَق الخلْق بقدرته وملّكهم استطاعة تعبدهم بها، فأمرهم ونهاهم بما أراد فقبل منهم اتباع أمره ورضي بذلك لهم، ونهاهم عن معصيته وذم من عصاه وعاقبه عليها، ولله الخيرة في الأمر النهي يختار ما يريد ويأمر به وينهى عما يكره ويعاقب عليه بالاستطاعة التي ملّكها عباده لاتباع أمره واجتناب معاصيه لأنه ظاهر العدل والنصفة والحكمة البالغة بالغ الحجة بالإعذار والإنذار»[٣].

ويضرب الإمام عليه السلام مثالاً حياً بالبعثة النبوية الشريفة وكيف أن كفار قريش بدؤا يقترحون على الله من يرسله إليهم، فقال عليه السلام: «أصطفى محمداً صلى الله عليه وآله وبعثه برسالاته إلى خلقه فقال من قال من كفار قومه حسداً واستكباراً: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[٤]، يعني بذلك امية بن أبي الصلت[٥]

---

(١) سورة البقرة، الآية ٨٥.

(٢) ابن شعبة الحرّاني، تحف العقول، ص٢٩٦.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٩٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، جـ٥، ص٧٤.

(٤) سورة الزخرف، الآية ٣١.

(٥) أمية بن أبي الصلت: أميّة بن أبي الصّلت بن أبي ربيعة بن عبد عوف بن عقدة بن غيرة بن قسيّ، وقسيّ

وأبا مسعود الثقفي[١]، فأبطل الله اختيارهم ولم يجز لهم آراءهم حيث يقول: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾[٢]، ولذلك اختار من الأمور ما أحبَّ ونهى عما كره فمن أطاعه أثابه ومن عصاه عاقبه ولو فوض اختيار أمره إلى عباده لأجاز لقريش اختيار أمية بن أبي الصلت وأبي مسعود الثقفي، إذ كانا عندهم أفضل من محمد صلى الله عليه وآله»[٣].

ثم يؤكد الإمام عليه السلام بأن الله سبحانه أدب عباده المؤمنين بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾[٤]، وبذلك فإن الله سبحانه لم يجز لهم الاختيار بأهوائهم ولم يقبل منهم إلا اتباع أمره واجتناب نهيه على يدي من اصطفاه فمن أطاعه رشد ومن عصاه ضلّ وغوى ولزمته الحجة بما ملّكه من الاستطاعة لاتباع أمره واجتناب نهيه فمن أجل ذلك حرمه ثوابه وأنزل به عقابه، وهذا القول بين القولين ليس بجبر ولا تفويض»[٥].

هو ثقيف بن منبّه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان، وقد كان قرأ الكتب المتقدمّة من كتب الله جلَّ وعزَّ، ورغب عن عبادة الأوثان، وكان يخبر بأنّ نبيّاً يبعث قد أظلّ زمانه، ويؤمّل أن يكون ذلك النبيّ، فلمّا بلغه خروج رسول الله صلّى الله عليه وسلم وقصّته كفر حسداً له، توفي في السنة الخامسة من الهجرة، ينظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، جـ١، ص٤٥٣-٤٥٥.

(١) أبو مسعود الثقفي: عروة بن مَسْعُود بْن مُعَتّب بْن مَالِك بْن كعب بْن عمرو بْن سعد بْن عوف بْن ثقيف بْن منبه بْن بَكْر بْن هوازن بْن عكرمة بْن خَصَفَة بْن قيس عيلان الثقفي، أحد عظماء ثقيف، ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، جـ٤، ص٣٠؛الصفدي، الوافي بالوفيات، جـ١٩، ص٣٦٠.

(٢) سورة الزخرف الآية ٣٢.

(٣) ابن شعبة الحرّاني، تحف العقول، ص٢٩٧.

(٤) سورة الأحزاب الآية ٣٦.

(٥) ابن شعبة الحرّاني، تحف العقول، ص٢٩٧.

ويستشهد الإمام الهادي عليه السلام بما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في حواره مع عباية بن ربعي الأسدي[١]، حين سأله عن الاستطاعة التي بها يقوم ويقعد ويفعل فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «سألت عن الاستطاعة، تملكها من دون الله أو مع الله؟ فسكت عباية، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: قل يا عباية ! قال: وما أقول ؟قال عليه السلام: إن قلت: إنّك تملكها مع الله قتلتك، وإن قلت: تملكها دون الله قتلتك. قال عباية: فما أقول يا أمير المؤمنين!؟ قال عليه السلام: تقول إنّك تملكها بالله الذي يملكها من دونك، فإن يملّكها إيّاك كان ذلك من عطائه، وإن يسلبكها كان ذلك من بلائه، هو المالك لما ملّكك، والقادر على ما عليه أقدرك، أما سمعت الناس يسألون الحول والقوّة حين يقولون: لا حول ولا قوّة إلّا بالله قال عباية: وما تأويلها يا أمير المؤمنين؟! قال عليه السلام: لا حول عن معاصي الله إلّا بعصمة الله، ولا قوّة لنا على طاعة الله إلّا بعون الله، قال: فوثب عباية فقبّل يديه ورجليه»[٢].

ثم قال الإمام الهادي عليه السلام: «فقد دل أمير المؤمنين عليه السلام على موافقة الكتاب ونفي الجبر والتفويض اللذين يلزمان من دان بهما وتلّقدهما الباطل والكفر وتكذيب الكتاب ونعوذ بالله من الضلالة والكفر ولسنا ندين بجبر ولا تفويض لكنا نقول بمنزلة بين المنزلتين وهو الامتحان والاختبار بالاستطاعة التي ملّكنا الله وتعبدنا بها على ما شهد به الكتاب ودان به الأئمة الأبرار من آل الرسول صلوت الله عليهم»[٣].

ثم يختتم الإمام الهادي عليه السلام رسالته بتوضيح مفصل للجبر والاختيار في القرآن الكريم من خلال ذكر شواهد قرآنية تدل على الاختبار والبلوى والاستطاعة والتي تجمع بين القولين، من ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ**

---

(١) عباية بن ربعي الأسدي: من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ومن الرواة عنه، ينظر: الشيخ الطوسي، رجال الطوسي، ص٣٣.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، جـ٧٥، ص٥٢.

(٣) ابن شعبة الحرّاني، تحف العقول، ص٢٩٨.

﴿وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾[١]، وقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢]، وقوله عزَّ من قائل: ﴿الم، أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[٣]، ثم ذكر الإمام الهادي عليه السلام آيات قرآنية في مجال الفتن التي معناها الاختبار، في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾[٤]، وقوله سبحانه: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾[٥]، وقوله تعالى على لسان نبيه موسى عليه السلام: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾[٦]، ويعلّق عليها الإمام الهادي عليه السلام قائلاً: « فهذه الآيات يقاس بعضها ببعض ويشهد بعضها لبعض»[٧].

وأما آيات البلوى بمعنى الاختبار فقد جاءت في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[٨]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تُحَسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[٩] وقوله عزّ من قائل: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا

---

(١) سورة محمد، الآية ٣١.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٨٢.

(٣) سورة العنكبوت، الآية ١-٢.

(٤) سورة ص الآية ٣٤.

(٥) سورة طه، الآية ٨٥.

(٦) سورة الأعراف، الآية ١٥٥.

(٧) ابن شعبة الحرّاني، تحف العقول، ص٣٠٢.

(٨) سورة المائدة، الآية ٤٨.

(٩) سورة آل عمران، الآية ١٥٢.

لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾[١] وقوله عزَّ وجلَّ: **﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾**[٢] وقوله تعالىٰ: **﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾**[٣]، وقوله سبحانه: **﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾**[٤].

ثم قال الإمام الهادي عليه السلام: «وكل ما في القرآن من بلوىٰ هذه الآيات التي شرح أولها فهي اختبار وأمثالها في القرآن كثيرة فهي إثبات الاختبار والبلوىٰ: إنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يخلق الخلق عبثاً ولا أهملهم سدىٰ ولا أظهر حكمته لعباً وبذلك أخبر في قوله: **﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾**[٥]، فإن قال قائل: فلم يعلم الله ما يكون عباده حتىٰ اختبرهم؟ قلنا: بلىٰ قد علم ما يكون منهم قبل كونه وذلك في قوله: **﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾**[٦]، وإنما اختبرهم ليعلمهم عدله ولا يعذبهم إلا بحجة بعد الفعل»[٧].

وذكر الإمام الهادي عليه السلام الآيات التي توضح أن الله سبحانه جعل الاختبار بالاستطاعة ومنها قوله تعالىٰ: **﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا**

---

(١) سورة القلم، الآية ١٧.

(٢) سورة الملك، الآية ٢.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٢٤.

(٤) سورة محمد، الآية ٤.

(٥) سورة المؤمنون، الآية ١١٥.

(٦) سورة الأنعام الآية٢٨.

(٧) ابن شعبة الحرّاني، تحف العقول، ص٣٠٣.

﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾[١]، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[٢]، وقوله عزَّ من قائل: ﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[٣]، وعقب عليه قائلاً: «فالاختبار من الله بالاستطاعة التي ملّكها عبده وهو القول بين الجبر والتفويض وبهذا نطق القرآن وجرت الأخبار عن الأئمة من آل الرسول صلى الله عليه وآله»[٤].

ثالثاً: التجسيم:

يعد التجسيم من الظواهر الفكرية التي حاول أصحابها معرفة طبيعة الذات الإلهية المقدسة، بطرق وأساليب غير صحيحة عقائدياً، وذات أبعاد شركية وفيها إساءات متعمدة لله سبحانه؛ لأنها تجعل له محدودية المكان والزمان تعالى الله عما يقول هؤلاء علواً كبيراً[٥]، وهذا يشير إلى تأثر هؤلاء بمحيطهم الثقافي والديني الموجود بين سكان البلاد المفتوحة التي عرفت بعقائد قديمة قائمة على التجسيم وحلول الأرواح، فضلاً عن الأثر الذي تركه أهل الكتاب في التعاليم الإسلامية، فقد وردت عدة نصوص في التوراة والإنجيل توضح التجسيم بصورة جليّة واضحة وهي اشتملت على التجسيم والتشبيه في الذات الإلهية والصفات[٦]، وقد أشار ابن حزم[٧] لذلك بقوله: «في أول ورقة من توراة الْيَهُود الَّتِي عِنْد ربانيهم وعانانيهم وعيسوبهم حَيْثُ

(١) سورة طه، الآية ١٣٤.

(٢) سورة النساء، الآية ١٦٥.

(٣) سورة الإسراء، الآية١٥.

(٤) ابن شعبة الحرّاني، تحف العقول، ص٣٠٣.

(٥) ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل، جـ١، ص١٣٣.

(٦) ينظر: عبد الفتاح اليافعي، التجسيم والمجسمة، ص٢٨٩-٢٩٥.

(٧) الفصل في الملل، جـ١، ص٩٤-٩٥.

كَانُوا فِي مَشَارِق الأَرْض وَمَغَارِبهَا لَا يَخْتَلِفُونَ فِيهَا على صفة وَاحِدَة لَو رام أَن يزِيد فِيهَا لَفْظَة أَو ينقص أُخْرَى لافتضح عِنْد جَمِيعهم مبلغة ذَلِك إِلَى أَحْبَارهم الَّذين كَانُوا أَيَّام ملك الهارونية لَهُم قبل الخراب الثَّانِي بدهر يذكرُونَ أَنَّهَا مبلغة ذَلِك من أُولَئِكَ إِلَى عذراء الْوراق الهاروني فَفِي صدرها قَالَ الله تَعَالَى اصْنَع بِنَاء آدم كصورتنا كشبهنا»، ويعود السبب إلى تحريفهم للكتب المقدسة وسوء فهمهم للنصوص الواردة فيها.

وقد تسرّب هذا الفكر المنحرف إلى المسلمين بفضل مسلمة أهل الكتاب الذين بثوا أفكارهم من كتبهم السابقة ومنها الروايات الأسرائيلية التي تفيد التجسيم، والتشبيه، فتأثر بها بعض المسلمين فقد ورد عن بعض أئمة التجسيم أنه: «يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذي يوافق كتبهم وكان مشبهاً، شبّه الرب بالمخلوقين»[١].

ناهيك عن التفسير الظاهري لبعض الآيات القرآنية التي توحي للقارىء بأنها تثبت التجسيم لله سبحانه وتعالى مثل قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾[٢]، ويدل على سوء فهم واضح للمسلمين في العصور اللاحقة بسبب عدم فهم أساليب اللغة العربية من جانب ومن جانب آخر أنهم يفهمون الآيات والأحاديث المتشابهة التي توهم التجسيم والتشبيه متأثرين بأهل الكتاب[٣].

وتنوّعت مقالات المجسمة وأهل التشبيه في معرفة الذات الإلهية المقدسة وصفاتها وتشبيهها بالمخلوقين من العباد، بشكل مختلف، إذ أن كل فريق يستند إلى مجموعة من الأدلة التي يعتمد عليها في دعم قوله، فقد ورد عن بعضهم قولهم:

---

(١) ابن حبان، المجروحين، جـ٣، ص٢٤.

(٢) سورة الفتح، الآية ١٠.

(٣) ينظر: عبد الفتاح اليافعي، التجسيم والمجسمة، ص٣٠٠.

«يزعمون أن معبودهم جسم وله نهاية وحدٌّ طويل عريض عميق طوله مثل عرضه وعرضه مثل عمقه لا يوفي بعضه على بعض ولم يعينوا طولاً غير الطويل وإنما قالوا: «طوله مثل عرضه» على المجاز دون التحقيق وزعموا أنه نور ساطع له قدر من الأقدار في مكان دون مكان كالسبيكة الصافية يتلألأ كاللؤلؤة المستديرة من جميع جوانبها ذو لون وطعم ورائحة ومجسة لونه هو طعمه وطعمه هو رائحته ورائحته هي مجسته وهو نفسه لون ولم يعينوا لوناً ولا طعماً هو غيره وزعموا أنه هو اللون وهو الطعم وأنه قد كان لا في مكان ثم حدث المكان بأن تحرّك البارئ فحدث المكان بحركته فكان فيه وزعم أن المكان هو العرش»[1]، ويضيف هؤلاء أيضاً: «إن ربه جسم ذاهب جاء فيتحرك تارة ويسكن أخرى ويقعد مرة ويقوم أخرى وأنه طويل عريض عميق لأن ما لم يكن كذلك دخل في حدِّ التلاشي، قال: فقلت له: فأيما أعظم إلهك أم هذا الجبل وأومأت إلى أبي قبيس قال: فقال: هذا الجبل يوفي عليه أي هو أعظم منه»[2]، وقال آخر: «يزعم أن الله جلَّ وعزَّ إنما يعلم ما تحت الثرى بالشعاع المتصل منه الذاهب في عمق الأرض ولولا ملابسته لما وراء ما هناك لما دري ما هناك وزعم أن بعضه يشوب وهو شعاعه وأن الشوب محال على بعضه ولو زعم هشام أن الله تعالى يعلم ما تحت الثرى بغير اتصال ولا خبر ولا قياس كان قد ترك تعلّقه بالمشاهدة وقال بالحق»[3]، ويزعم آخرون: «أن ربهم ليس بصورة ولا كالأجسام وإنما يذهبون في قولهم إنه جسم إلى أنه موجود ولا يثبتون البارئ ذا أجزاء مؤتلفة وأبعاض متلاصقة ويزعمون أن الله -عزَّ وجلَّ- على العرش مستوٍ بلا مماسة ولا كيف»[4].

وجاء عن اخرين قولهم: إن ربهم على صورة الإنسان ويمنعون أن يكون

---

(١) الأشعري، مقالات الإسلاميين، ص٤٤.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٤-٤٥.

(٣) المصدر نفسه، ص٤٥.

(٤) المصدر نفسه، ص٤٥.

جسماً»[١]، وورد أيضاً: «زعموا أن ربهم على صورة الإنسان وينكرون أن يكون لحماً ودماً ويقولون هو نور ساطع يتلألأ بياضاً وأنه ذو حواس خمس كحواس الإنسان له يد ورجل وأنف وأذن وعين وفم وأنه يسمع بغير ما يبصر به وكذلك سائر حواسه متغايرة عندهم»[٢]، وقال آخرون: «يزعمون أن رب العالمين ضياء خالص ونور بحت وهو كالمصباح الذي من حيث ما جئته يلقاك بأمر واحد وليس بذي صورة ولا أعضاء ولا اختلاف في الأجزاء وأنكروا أن يكون على صورة الإنسان أو على صورة شيء من الحيوان»[٣].

وقال بعض المجسمة: «إن البارئ كان قبل أن يخلق الخلق ليس بعالم ولا قادر ولا سميع ولا بصير ولا مريد ثم أراد، وإرادته عندهم حركته فإذا أراد كون شيء تحرّك فكان الشيء لأن معنى أراد تحرّك وليست الحركة غيره وكذلك قالوا في قدرته وعلمه وسمعه وبصره إنها معانٍ وليست غيره وليست بشيء لأن الشيء هو الجسم»[٤]، وأضاف هؤلاء بأن: «له يدان ورجلان ووجه وعينان وجنب يذهبون إلى الجوارح والأعضاء»[٥].

وإنَّ هذه الأقاويل التي أوردنا بعضاً منها تدل على ضحالة الفهم الخاطئ للعقيدة الإسلامية والتوحيد الخالص المنزه لله سبحانه عن التشبه بعباده، وهي تثبت العجز والمحدودية في الوجود الإلهي، وهذا يناقض الاحادة الربانية بالكون.

ولا بدَّ من التأكيد أن آراء التجسيم لم تقتصر على مذهب دون آخر ولا على فرقة إسلامية دون أخرى، بل هي منتشرة في كل الفرق الإسلامية، بظهور أشخاص

(١) الأشعري، مقالات الإسلاميين، ص٤٥-٤٦، الذهبي، العرش، ص١٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٦؛البغدادي، الفرق بين الفرق، ص٥١.

(٣) المصدر نفسه، ص٤٦.

(٤) المصدر نفسه، ص١٧٠.

(٥) المصدر نفسه، ص١٧٣.

ينسبون إليها انحرفوا عن جادة الطريق الحق[١].

وقد تصدىٰ الفكر الإسلامي الأصيل لمثل هذا الانحراف العقائدي بكل السبل والوسائل المتاحة، من آيات قرآنية مجدية أنزلها الله سبحانه في كتابه العظيم توضح أبعاد التوحيد الخالص لله سبحانه وتنفي عنه التجسيم والتشبيه بالمخلوقين، فقد وردت عدة آيات قرآنية في هذا المجال ولعل منها: قوله تعالىٰ: ﴿**فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[٢]، وقوله سبحانه: ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، اللهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾[٣]، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿**اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾[٤]، وقوله عزَّ من قائل: ﴿**هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾[٥]، الىٰ غير ذلك من عشرات الآيات المباركات التي توضح وحدانية الله وتفرّده بالوجود.

وجاء عن النبي الكريم وأهل بيته عليهم السلام العديد من الأحاديث التي تنزه الله سبحانه وتصفه بما هو حق له مستندين إلىٰ القرآن الكريم في أدلتهم.

ورد أن يهودياً جاء إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله فقال: «يا محمّد إنّي سائلك عن أشياء تلجلج في صدري منذ حين فإنْ أنت أجبتني عنها أسلمت علىٰ يدك، قال صلى الله عليه وآله: سلْ يا أبا عمارة، فقال: يا محمّد صف لي ربّك فقال صلى الله عليه وآله: إنّ الخالق لا يوصف إلّا بما وصف به نفسه وكيف يوصف الخالق الذي يعجز الحواس أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحدّه والأبصار عن الإحاطة به، جلّ عمّا يصفه الواصفون، نأىٰ في قربه، وقرب

(١) ينظر: عبد الفتاح اليافعي، التجسيم والمجسمة، ص٣١١-٣٢٢.

(٢) سورة الشورىٰ، الآية ١١.

(٣) سورة الإخلاص، الآيات١-٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية ٢.

(٥) سورة الحديد، الآية٣.

في نأيه كيّف الكيفيّة فلا يقال له كيف، وأيّن الأين فلا يقال له أين، منقطع الكيفوفيّة والأينونيّة، فهو الأحد الصّمد كما وصف نفسه، والواصفون لا يبلغون نعته لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، قال: صدقت يا محمّد أخبرني عن قولك: إنّه واحد لا شبيه له أليس الله واحد والإنسان واحد فوحدانيّته أشبهت وحدانيّة الإنسان، فقال صلى الله عليه وآله: الله واحد واحدي المعنىٰ، والإنسان واحد ثنوي المعنىٰ جسم وعرض وبدن وروح، فإنما التشبيه في المعاني لا غير»[1].

وقد حاجج أمير المؤمنين عليه السلام اليهود حينما سألوه عن الله سبحانه فقد ورد: «...يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْبَابِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ عَلِيٌّ: عَلَيَّ بِهِمْ، فَلَمَّا وَقَفُوا بَيْنَ يَدَيْهِ قَالُوا لَهُ: يَا عَلِيُّ صِفْ لَنَا رَبَّكَ هَذَا الَّذِي فِي السَّمَاءِ، كَيْفَ هُوَ، وَكَيْفَ كَانَ، وَمَتَىٰ كَانَ، وَعَلَىٰ أَيِّ شَيْءٍ هُوَ؟ فَاسْتَوَىٰ عَلِيٌّ جَالِسًا وَقَالَ: مَعْشَرَ الْيَهُودِ اسْمَعُوا مِنِّي، وَلَا تُبَالُوا أَنْ لَا تَسْأَلُوا أَحَدًا غَيْرِي، إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الْأَوَّلُ لَمْ يَبْدُ مِمَّا، وَلَا مُمَازَجُ مَعِيَّا، وَلَا حَالٌّ وَهُمَّا، وَلَا شَبَحٌ يُتَقَصَّىٰ، وَلَا مَحْجُوبٌ فَيُحْوَىٰ، وَلَا كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ فَيُقَالُ: حَادِثٌ، بَلْ جَلَّ أَنْ يُكَيِّفَ الْمُكَيِّفَ لِلْأَشْيَاءِ كَيْفَ كَانَ، بَلْ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزُولُ لِاخْتِلَافِ الْأَزْمَانِ، وَلَا لِتَقَلُّبِ شَانٍ بَعْدَ شَانٍ، وَكَيْفَ يُوصَفُ الْأَشْبَاحِ، وَكَيْفَ يُنْعَتُ بِالْأَلْسُنِ الْفِصَاحِ، مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْأَشْيَاءِ فَيُقَالُ: بَائِنٌ، وَلَمْ يَبِنْ عَنْهَا فَيُقَالُ: كَائِنٌ، بَلْ هُوَ بِلَا كَيْفِيَّةٍ، وَهُوَ أَقْرَبُ مِنْ حَبَلِ الْوَرِيدِ، وَأَبْعَدُ فِي الشَّبَهِ مِنْ كُلِّ بَعِيدٍ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ شُخُوصُ لَحْظَةٍ، وَلَا كُرُورُ لَفْظَةٍ، وَلَا ازْدِلَافُ رَبْوَةٍ، وَلَا انْبِسَاطُ خُطْوَةٍ، فِي غَسَقِ لَيْلِ دَاجٍ، وَلَا إِدْلَاجِ لَا يَتَغَشَّىٰ عَلَيْهِ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ، وَلَا انْبِسَاطُ الشَّمْسِ ذَاتِ النُّورِ، بِضَوْئِهَا فِي الْكُرُورِ، وَلَا إِقْبَالُ لَيْلٍ مُقْبِلٍ، وَلَا إِدْبَارُ نَهَارٍ مُدْبِرٍ، إِلَّا وَهُوَ مُحِيطٌ بِمَا يُرِيدُ مِنْ تَكْوِينِهِ، فَهُوَ الْعَالِمُ بِكُلِّ مَكَانٍ، وَكُلِّ حِينٍ وَأَوَانٍ، وَكُلِّ نَهَايَةٍ وَمُدَّةٍ، وَالْأَمَدُ إِلَى الْخَلْقِ مَضْرُوبٌ، وَالْحَدُّ إِلَى غَيْرِهِ مَنْسُوبٌ، لَمْ يَخْلُقِ الْأَشْيَاءَ مِنْ أُصُولٍ أَوَّلِيَّةٍ، وَلَا بِأَوَائِلٍ كَانَتْ قَبْلَهُ بَدِيَّةً، بَلْ خَلَقَ مَا خَلَقَ فَأَقَامَ خَلْقَهُ، وَصَوَّرَ مَا صَوَّرَ

(١) حبيب الله الهاشمي، منهاج البراعة، جـ١١، ص٦٣.

فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ، تَوَحَّدَ فِي عُلُوِّهِ، فَلَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ امْتِنَاعٌ، وَلَا لَهُ بِطَاعَةِ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ انْتِفَاعٌ، إِجَابَتُهُ لِلدَّاعِينَ سَرِيعَةٌ، وَالْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرَضِينَ لَهُ مُطِيعَةٌ، عَلِمُهُ بِالْأَمْوَاتِ الْبَائِدِينَ كَعِلْمِهِ بِالْأَحْيَاءِ الْمُتَقَلِّبِينَ، وَعِلْمُهُ بِمَا فِي السَّمَوَاتِ الْعُلَى كَعِلْمِهِ بِمَا فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، وَعِلْمُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، لَا تُحَيِّرُهُ الْأَصْوَاتُ، وَلَا تَشْغَلُهُ اللُّغَاتُ، سَمِيعٌ لِلْأَصْوَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ، بِلَا جَوَارِحَ لَهُ مُؤْتَلِفَةٍ، مُدْبِرٌ بَصِيرٌ عَالِمٌ بِالْأُمُورِ، حَيٌّ قَيُّومٌ. سُبْحَانَهُ كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا بِلَا جَوَارِحَ وَلَا أَدَوَاتٍ، وَلَا شَفَةٍ وَلَا لَهَوَاتٍ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ تَكْيِيفِ الصِّفَاتِ، مَنْ زَعَمَ أَنَّ إِلَهَنَا مَحْدُودٌ، فَقَدْ جَهِلَ الْخَالِقَ الْمَعْبُودَ، وَمَنْ ذَكَرَ أَنَّ الْأَمَاكِنَ بِهِ تُحِيطُ، لَزِمَتْهُ الْحِيرَةُ وَالتَّخْلِيطُ، بَلْ هُوَ الْمُحِيطُ بِكُلِّ مَكَانٍ، فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا أَيُّهَا الْمُتَكَلِّفُ لِوَصْفِ الرَّحْمَنِ، بِخِلَافِ التَّنْزِيلِ وَالْبُرْهَانِ، فَصِفْ لِي جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ هَيْهَاتَ أَتَعْجَزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِكَ، وَتَصِفُ الْخَالِقَ الْمَعْبُودَ، وَأَنْتَ تُدْرِكُ صِفَةَ رَبِّ الْهَيْئَةِ وَالْأَدَوَاتِ، فَكَيْفَ مَنْ لَمْ تَأْخُذْهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ، لَهُ مَا فِي الْأَرَضِينَ وَالسَّمَوَاتِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ»[1].

وجاء عن أمير المؤمنين عليه السلام في حواره مع يهودي قوله: «فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ مَسْأَلَةٍ قَالَ سَلْ عَمَّا شِئْتَ قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَتَى كَانَ رَبُّنَا قَالَ لَه يَا يَهُودِيُّ إِنَّمَا يُقَالُ مَتَى كَانَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ فَكَانَ مَتَى كَانَ هُوَ كَائِنٌ بِلَا كَيْنُونِيَّةٍ كَائِنٍ كَانَ بِلَا كَيْفٍ يَكُونُ بَلَى يَا يَهُودِيُّ ثُمَّ بَلَى يَا يَهُودِيُّ كَيْفَ يَكُونُ لَه قَبْلٌ هُوَ قَبْلَ الْقَبْلِ بِلَا غَايَةٍ ولَا مُنْتَهَى غَايَةٍ ولَا غَايَةَ إِلَيْهَا انْقَطَعَتِ الْغَايَاتُ عِنْدَه هُوَ غَايَةُ كُلِّ غَايَةٍ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّ دِينَكَ الْحَقُّ وأَنَّ مَا خَالَفَه بَاطِلٌ»[2].

وجاء عن الإمام الحسين عليه السلام قوله: «إن من وضع دينه على القياس لم يزل الدهر في الارتماس، مائلاً عن المنهاج، ظاعنا في الإعوجاج ضالاً عن السبيل، قائلاً غير الجميل، يا ابن الأزرق أصف إلهي بما وصف به نفسه وأعرفه بما عرف به نفسه،

(١) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، جـ١، ص٧٢-٧٣.

(٢) الشيخ الصدوق، التوحيد، ص٧٧.

لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس، فهو قريب غير ملتصق، وبعيد غير متقص، يوحد، ولا يبعض، معروف بالآيات، موصوف بالعلامات، لا إله إلا هو الكبير المتعال»[١].

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «سبحان من لا يعلم أحد كيف هو إلا هو، ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، لا يحدّ، ولا يحس، ولا يجس ولا يمس، ولا تدركه الحواس، لا يحيط به شيء، لا جسم، ولا صورة، ولا تخطيط، ولا تحديد»[٢]، وجاء عنه عليه السلام قوله في معرض ردّه عن سؤال أحد الزنادقة عن وجود الله: «وجود الأفاعيل دلت على أن صانعاً خلقها، ألا ترى أنك إذا نظرت إلى بناء مشيد مبني علمت أن له بانياً وإن كنت لم ترَ الباني ولم تشاهده قال: فما هو؟ قال: شيء بخلاف الأشياء أرجع بقولي إلى إثبات معنى وإنه شيء بحقيقة الشيئية غير أنه لا جسم ولا صورة ولا يحس ولا يجس، ولا تدركه الحواس الخمس لا تدركه الأوهام ولا تنقصه الدهور ولا تغيره الأزمان»[٣]، وقد ردَّ الإمام الصادق عليه السلام على مروجي التجسيم بقوله: «وَيْحَه أمَا عَلِمَ أَنَّ الْجِسْمَ مَحْدُودٌ مُتَنَاه والصُّورَةَ مَحْدُودَةٌ مُتَنَاهِيَةٌ فَإِذَا احْتَمَلَ الْحَدَّ احْتَمَلَ الزِّيَادَةَ والنُّقْصَانَ وإِذَا احْتَمَلَ الزِّيَادَةَ والنُّقْصَانَ كَانَ مَخْلُوقاً قَالَ قُلْتُ فَمَا أَقُولُ قَالَ لَا جِسْمٌ ولَا صُورَةٌ وهُوَ مُجَسِّمُ الأَجْسَامِ ومُصَوِّرُ الصُّوَرِ لَمْ يَتَجَزَّأْ ولَمْ يَتَنَاه ولَمْ يَتَزَايَدْ ولَمْ يَتَنَاقَصْ لَوْ كَانَ كَمَا يَقُولُونَ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْخَالِقِ والْمَخْلُوقِ فَرْقٌ ولَا بَيْنَ الْمُنْشِئِ والْمُنْشَأِ لَكِنْ هُوَ الْمُنْشِئُ فَرْقٌ بَيْنَ مَنْ جَسَّمَه وصَوَّرَه وأَنْشَأَه إِذْ كَانَ لَا يُشْبِهُه شَيْءٌ ولَا يُشْبِه هُوَ شَيْئاً»[٤].

---

(١) الشيخ الصدوق، التوحيد، ص٨٨.

(٢) المصدر نفسه، ص٩٨؛ الحر العاملي، الفصول المهمة، جـ١، ص١٨٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، جـ٣، ص٢٩٠.

(٣) الحر العاملي، الفصول المهمة، جـ١، ص١٣٢.

(٤) الكليني، الكافي، جـ١، ص١٠٦.

وجاء عن الإمام الكاظم عليه السلام قوله: «إنَّ الله لا يشبهه شيء، أي فحش أو خناء أعظم من قول من يصف خالق الأشياء بجسم، أو صورة، أو بخلقة، أو بتحديد وأعضاء، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً»(١).

وسار الإمام الهادي عليه السلام في طريق آبائه الأئمة الهداة عليهم السلام في بيان التوحيد الخالص وتنزيه الله سبحانه وتعالى عن كل ما لا يليق بمقامه العظيم، فقد ورد عنه عليه السلام قوله: «إلهي تاهت أوهام المتوهمين وقصر طرف الطارفين، وتلاشت أوصاف الواصفين، واضمحلت أقاويل المبطلين عن الدرك لعجيب شأنك، أو الوقوع بالبلوغ إلى علوك، فأنت في المكان الذي لا يتناهى ولم تقع عليك عيون بإشارة ولا عبارة، هيهات ثم هيهات، يا أولي، يا وحداني، يا فرداني، شمخت في العلو بعزَّ الكبر، وارتفعت من وراء كل غورة ونهاية بجبروت الفخر»(٢).

وكتب إليه بعض الناس حول ما أُشيع من أقوال المجسمة طالبين منه رأيه فقال عليه السلام: «دع عنك حيرة الحيران واستعذ بالله من الشيطان ليس القول ما قال الهشامان(٣)»(٤)، وفي نص آخر قال عليه السلام: «ما لكم ولقول هشام انه ليس منا من زعم أن الله عزَّ وجلَّ جسم ونحن منه براء في الدنيا والآخرة، ...، إن الجسم محدّث والله محدّثه ومجسمه»(٥)، وسأله آخر عن القول بالجسم فقال عليه السلام: «سبحان من ليس كمثله

(١) المجلسي، بحار الأنوار، جـ٣، ص٣٠٣.

(٢) الشيخ الصدوق، التوحيد، ص٦٦.

(٣) يقصد بهما هشام بن الحكم الكوفي وهشام الجواليقي نسب إليهما آراء في التجسيم تخالف مذهب أهل البيت عليهم السلام ينظر: الحر العاملي، الفصول المهمة، جـ١، ص١٨٧؛المجلسي، بحار الأنوار، جـ٣، ص٢٨٨.

(٤) الشيخ الصدوق، التوحيد، ص٩٧.

(٥) الشيخ الصدوق، الأمالي، ص١٦٧؛المجلسي، بحار الأنوار، جـ٣، ص٢٩١.

شيء لا جسم ولا صورة»[١].

ويعلل الإمام الهادي عليه السلام طبيعة الجسم وأنه لا يمكن أن ينسب الله إلى الجسمية فقال: «كلّ جسم يتغذّىٰ إلّا خالق الأجسام، الواحد الأحد، منشيء الأشياء، ومجسّم الأجسام، وهو السميع العليم، تبارك الله عمّا يقول الظالمون، وعلا علوّاً كبيراً»[٢].

ويستطرد الإمام الهادي عليه السلام في توضيح معاني الوحدانية الخالصة لله سبحانه وتعالىٰ بقوله: «إنّ الله جلّ جلاله لا يوصف إلّا بما وصف به نفسه، فأنىٰ يوصف الذي يعجز الحواسّ أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحدّه، والأبصار أن تحيط به، جلّ عمّا يصفه الواصفون، وتعالىٰ عمّا ينعته الناعتون، نأىٰ في قربه وقرب في نأيه، فهو في نأيه قريب، وفي قربه بعيد، كيّف الكيف فلا يقال: كيف. وأيّن الأين. فلا يقال: أين، إذ هو منقطع الكيفيّة والأينيّة، الواحد الأحد جلّ جلاله وتقدست أسماؤه»[٣].

وقد أجاب الإمام عليه السلام عن سؤال يتعلّق برؤية الله سبحانه فقال: «لا تجوز الرؤية ما لم يكن بين الرائي والمرئي هواء ينفذه البصر، فإذا انقطع الهواء عن الرائي والمرئي لم تصح الرؤية وكان في ذلك الاشتباه لأن الرائي متىٰ ساوىٰ المرئي في السبب الموجب بينهما في الرؤية وجب الاشتباه وكان ذلك التشبيه لأن الأسباب لا بدَّ من اتصالها بالمسببات»[٤].

وكتب إليه أحد شيعته عليه السلام قائلاً: «جعلني الله فداك يا سيدي، قد روي لنا: أن الله في موضع دون موضع علىٰ العرش استوىٰ وأنه ينزل كل ليلة في النصف الأخير

---

(١) الشيخ الصدوق، التوحيد، ص٩٨.

(٢) المسعودي، إثبات الوصية، ص١٩٩.

(٣) الإمام الهادي، مسند الإمام الهادي، ص٩١؛المجلسي، بحار الأنوار، جـ٥٠، ص١٧٧.

(٤) الكليني، الكافي، جـ١، ص٩٧.

من الليل إلى السماء الدنيا، وروي أنه ينزل عشية عرفة ثم يرجع إلى موضعه، فقال بعض مواليك في ذلك: إذا كان في موضع دون موضع فقد يلاقيه الهواء ويتكنف عليه والهواء جسم رقيق يتكنف على كل شيء بقدره، فكيف يتكنف عليه جلَّ ثناؤه على هذا المثال»[١] فكتب إليه الإمام الهادي عليه السلام قائلاً: «علمُ ذلك عنده وهو المقدر له بما هو أحسن تقديراً، واعلم أنه إذا كان في السماء الدنيا فهو كما هو على العرش، والأشياء كلها له سواء علماً وقدرة وملكاً وإحاطة»[٢].

وقد أيّد الإمام الهادي عليه السلام قول أحد مواليه: «إني أقول إن الله تعالى واحد ليس كمثله شيء، خارج من الحدّين: حدّ الإبطال، وحدّ التشبيه، وإنه ليس بجسم ولا صورة ولا عرض ولا جوهر، بل هو مجسم الأجسام، ومصور الصور، وخالق الأعراض والجواهر، ورب كل شيء ومالكه وخالقه، وجاعله ومحدثه»[٣].

وقد جاء في قنوت الإمام الهادي عليه السلام قوله: «يا من تفرّد بالربوبية وتوحد بالوحدانية يا من أضاء باسمه النهار وأشرقت به الأنوار وأظلم بأمره حندس الليل...، أسالك اللهم باسمك الذي خشعت له السماوات والأرض وأحييت به موات الأشياء وأمت به جميع الأحياء»[٤].

وجاء أيضاً عنه عليه السلام في حوار مع أحد مواليه قائلاً: «كل جسم مغذي بغذاء إلا الخالق الرزاق، فإنه جسم الأجسام، وهو ليس بجسم ولا صورة، لم يتجزأ، ولم يتناه، ولم يتزايد، ولم يتناقص، مبرء من ذات ما ركب في ذات من جسمه، وهو اللطيف الخبير السميع البصير الواحد الأحد الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، منشيء الأشياء، ومجسم الأجسام، ومصور الصور، لو كان كما يقول المشبهة لم يعرف

(١) الكليني، الكافي، جـ١، ص١٢٥.

(٢) المجلسي، مرآة العقول، جـ٢، ص٦٦.

(٣) الشيخ الصدوق، الأمالي، ص٤١٩.

(٤) ابن طاووس، مهج الدعوات، ص٦١.

الخالق من المخلوق، ولا الرازق من المرزوق، ولا المنشيء من المنشأ لكنه المنشيء، فرق بين من جسمه وصوره وشيئه وبينه، إذ كان لا يشبهه شيء. قلت: فالله واحد والإنسان واحد، فليس قد تشابهت الوحدانية؟ فقال: أحلت ثبتك الله، إنما التشبيه في المعاني فأما في الأسماء فهي واحدة، وهي دلالة على المسمّى، وذلك أن الإنسان وإن قيل واحد فإنه يخبر أنه جثة واحدة وليس باثنين، والإنسان نفسه ليس بواحد، لأن أعضاءه مختلفة، وألوانه مختلفة غير واحدة، وهو أجزاء مجزأة ليس سواء دمه غير لحمه، ولحمه غير دمه، وعصبه غير عروقه، وشعره غير بشره. وسواده غير بياضه، وكذلك سائر جميع الخلق، فالإنسان واحد في الاسم، لا واحد في المعنى والله جلّ جلاله واحد لا واحد غيره، ولا اختلاف فيه، ولا تفاوت، ولا زيادة، ولا نقصان، فأما الإنسان المخلوق المصنوع المؤلّف، فمن أجزاء مختلفة وجواهر شتى غير أنه بالاجتماع شيء واحد، قلت: فقولك: اللطيف فسره لي، فإني أعلم أن لطفه خلاف لطف غيره للفصل، غير أني أحبُ أن تشرح لي، فقال: يا فتح إنما قلت: اللطيف للخلق اللطيف ولعلمه بالشيء اللطيف، ألا ترى إلى أثر صنعه في النبات اللطيف وغير اللطيف، وفي الخلق اللطيف من أجسام الحيوان من الجرجس والبعوض وما هو أصغر منهما مما لا يكاد تستبينه العيون، بل لا يكاد يستبان لصغره الذكر من الأنثى، والمولود من القديم، فلما رأينا صغر ذلك في لطفه واهتدائه للسفاد والهرب من الموت والجمع لما يصلحه بما في لجج البحار، وما في لحاء الأشجار والمفاوز والقفار وإفهام بعضها عن بعض منطقها، وما تفهم به أولادها عنها، ونقلها الغذاء إليها، ثم تأليف ألوانها حمرة مع صفرة وبياض مع حمرة علمنا أن خالق هذا الخلق لطيف، وأن كل صانع شيء فمن شيء صنع، والله الخالق اللطيف الجليل خلق وصنع لا من شيء»[1].

(١) الشيخ الصدوق، التوحيد، ص٦٣.

خاتمة البحث:

يمكننا أن نستخلص مما تقدم ما يلي:

١- سار الإمام الهادي عليه السلام على نهج آبائه الأئمة الهداة عليهم السلام في التأصيل الصحيح للعقيدة الإسلامية كما جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وأقوال الأئمة عليهم السلام، خاصة في طرحه البناء في التصدي للقضايا العقائدية الجدلية الموجودة في عصره عليه السلام، فكانت جهوده وأجوبته ضمن الاطار الإسلامي الصحيح.

٢- كتب الإمام الهادي عليه السلام عن القضاء والقدر في اطار تصديه للأفكار المنحرفة التي خرجت عن الدين الإسلامي، من خلال التأكيد على أنهما من الله سبحانه وتعالى، ويجري بعلمه وتدبيره ومعرفته، وأنه علم وقضاء وقدر وإمضاء بإذن الله الواحد الأحد.

٣- جعل الإمام الهادي عليه السلام القضاء والقدر ضمن دائرة التحكم الإلهي المطلق بحيثيات الوجود، وهو ما دلّ عليه القرآن الكريم بكثير من آياته المباركة، وأعطى تفاصيل مهمة عن القضاء وأنواعه بين المبرم وبين من يبدي به الله سبحانه بما يريده عزَّ وجلَّ.

٤- أجاب الإمام الهادي عليه السلام على تساؤلات الناس حول الجبر والتفويض برسالة طويلة استعرضناها في ثنايا البحث، معتمداً على آراء الإمامين أمير المؤمنين والصادق عليهما السلام في دعم أقواله عليه السلام، ضمن المنهج القرآني المبارك.

٥- استشهد الإمام الهادي عليه السلام بعشرات الآيات القرآنية التي تنفي الجبر على أفعال العباد لأن ذلك يناقض عدل الله وحكمته سبحانه، في مقابل طرحه لآيات أخرى تؤكد أن الإنسان هو المخير وصاحب القرار الأخير في تحديد مصيره بين العصيان والطاعة وما يتبعها من العقاب والثواب، وهو ما أسماه الإمام عليه السلام القول بين قولين.

٦- وضع الإمام الهادي عليه السلام للناس، الطريق الصحيح لانتقاء الأخبار الصحيحة والمرويات الصادقة عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، وأن ذلك هو المثال الأنسب لتوضيح الموقف الإسلامي الواضح من الجبر والتفويض.

٧- تطرّق الإمام الهادي عليه السلام إلى التجسيم والمجسمة، من خلال تفنيد الاطروحات الدخيلة على الفكر الإسلامي الصحيح، والعقيدة الحقة القائمة على تنزيه الله سبحانه وتعالى عن الجسم والصورة والتشبيه بالخلق، وفقاً للمنهج القرآني الصريح في هذا المجال.

٨- أعطى الإمام الهادي عليه السلام أوصافاً للذات الإلهية المقدسة تنمُّ عن توحيد خالص، وتنزيه كامل لله سبحانه وتعالى عن كل ما ينقص من قدره عزَّ وجلَّ.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

أولاً: المصادر:

- ابن الأثير، علي بن محمد الجزري(ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م):

١- أسد الغابة في معرفة الصحابة (تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت/ ١٩٩٤م).

٢- جامع الأصول في أحاديث الرسول (تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، بشير عيون، ط١، بيروت/ ١٩٧٢م).

- الإربلي، علي بن عيسى(ت٦٩٣هـ/):

٣- كشف الغمة في معرفة الأئمة(ط٢، دار الأضواء، بيروت/ ١٩٨٥م).

- الأشعري، علي بن إسماعيل(٣٢٤هـ/) :

٤- الإبانة عن أصول الديانة (تحقيق: فوقية حسين محمود، ط١، دار الأنصار، القاهرة/ ١٣٩٧هـ).

٥- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين (تحقيق: نعيم زرزور، ط١، المكتبة العصرية، بيروت / ٢٠٠٥م).

- البخاري، محمد بن إسماعيل(ت٢٥٦هـ/ ٨٦٩م):

٦- صحيح البخاري المسمّى (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وآله وسننه وأيامه) (تحقيق: محمد زهير ناصر، ط١، دار الاطواق، دمشق، ١٤٢٢هـ/ ١٩٩٧م).

- البزار، أحمد بن عمرو(ت٢٩٢هـ):

٧- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار(تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وآخرون، ط١، مكتبة الحكم والعلوم، المدينة المنورة/ ٢٠٠٨م).

- البغدادي، عبد القاهر بن طاهر (ت٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م):

٨- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية (ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت/ ١٩٧٧م).

- الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك (ت٢٧٩هـ/ ٨٨٠م):

٩- سنن الترمذي، (تحقيق: مجموعة من الباحثين، ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر/ ١٩٧٥م).

- الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م):

١٠- المستدرك على الصحيحين (تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت/ ١٩٩٠م).

- ابن حبان، محمد بن حبان(ت٣٥٤هـ/ ٩٦٥م):

١١- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين(تحقيق: محمود إبراهيم زايد، ط١، دار وعي، حلب/ ١٣٩٦هـ).

- الحر العاملي، محمد بن الحسن (ت١١٠٤هـ/ ١٦٩٢م):

١٢- الفصول المهمة في أصول الأئمة (تحقيق: محمد بن محمد الحسين النائيني، دون مطبعة، قم/ ١٣٧٦هـ).

- ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد بن سعيد (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م):

١٣- جمهرة أنساب العرب، (ط٢، مراجعة، لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت/ ٢٠٠٣م).

١٤- الفصل في الملل والأهواء والنحل (مكتبة الخانجي، القاهرة/ د.ت).

- الحلي العاملي، الحسن بن سليمان (ت٨٠٢هـ):

١٥- مختصر بصائر الدرجات (تحقيق: مشتاق صالح المظفر، ط١، منشورات مكتبة المجلسي، دور شهر، إيران/ ١٤٣٠هـ).

- الحميدي، أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسىٰ بن عبيد الله القرشي الأسدي(ت٢١٩هـ/ ٨٣٤م):
١٦- مسند الحميدي، (تحقيق:حسن سليم أسد، ط١، دار السقا، دمشق/ ١٩٩٦م).
- ابن حنبل، أحمد بن محمد(ت٢٤١هـ/):
١٧- فضائل الصحابة (تحقيق: وصي الله محمد، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت / ١٩٨٣م).
- ابن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة(ت٢٤٠ه/ ٨٥٣م):
١٨- تاريخ خليفة بن خياط (تحقيق: أكرم العمري، ط٢، دار القلم، دمشق / ١٣٩٧هـ).
- الذهبي، محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م):
١٩- سير أعلام النبلاء، (دار الحديث، القاهرة/ ٢٠٠٦م).
٢٠- العرش (تحقيق: محمد بن خليفة، ط٢، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة/ ٢٠٠٣م).
- السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد (ت٣٧٣هـ/ ٩٨٣م):
٢١- تفسير المسمّىٰ بـ (بحر العلوم) (تحقيق: علي محمد معوض، واخرون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت/ ١٩٩٣م).
- ابن شهر آشوب، محمد بن علي(ت٥٨٨هـ/ ١١٩٢م):
٢٢- مناقب آل أبي طالب(المطبعة العلمية، قم/ د.ت).
- ابن أبي شيبة: عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان (ت٢٣٥هـ/ ٨٤٩م):
٢٣- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، (تحقيق:كمال يوسف الحوت، ط١، مكتبة ابن رشد، الرياض/ ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).
- ابن شعبة الحرّاني، الحسن بن علي بن الحسين(ت في ق ٤هـ):

٢٤- تحف العقول عن آل الرسول (ط١، دار الكاتب العربي، بيروت/ ٢٠٠٨م).
- الشهرستاني، محمد بن عبدالكريم (ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م):
٢٥- الملل والنحل (تصحيح: أحمد فهمي محمد، ط ٨، دار الكتب العلمية، بيروت/ ٢٠٠٩).
- الشيخ الصدوق، محمد بن علي(ت٣٨١هـ/ ٩٩١م):
٢٦- الاعتقادات(مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم/ ١٤١٣ه).
٢٧- التوحيد(تحقيق: هاشم الحسيني، دار المعرفة، بيروت/ ١٣٨١هـ).
٢٨- الخصال(تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم/ ١٣٦٢هـ).
- الصفدي، خليل بن ايبك بن عبد الله(ت٧٦٤هـ/ ١٣٤٥م):
٢٩- الوافي بالوفيات(تحقيق: أحمد الارناؤوط، وتركي مصطفىٰ، دار إحياء التراث العربي، بيروت/ ٢٠٠٠م).
- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي،(ت٣٦٠هـ/ ٩٧٠م)
٣٠- المعجم الأوسط، (لاط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسين، دار الحرمين، القاهرة / د.ت).
٣١- المعجم الكبير، (تحقيق:حمدي عبدالمجيد السلفي، ط٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة / د.ت).
- الطبرسي، أحمد بن علي(ق ٦هـ):
٣٢- الاحتجاج (ط١، انتشارات الشريف الرضي، طهران/ ١٣٨٠هـ).
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد(ت٣١٠ه/ ٩٢٢م):
٣٣- تفسير الطبري، المسمّىٰ بـ (جامع البيان في تأويل آي القرآن) (تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٠م).
- الطوسي، محمد بن الحسن(ت٤٦٠ه/ ١٠٦٧م):

٣٤- رجال الطوسي(تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين التابعة، قم / ١٣٧٣هـ).
- ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو(ت٢٨٧هـ/ ٩٠٠م):
٣٥- السنة (تحقيق: محمد ناصر، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت/ ١٤٠٠هـ).
- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري(ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م):
٣٦- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، دار الجيل، بيروت/ ١٩٩٢م).
- ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله(ت٥٧١هـ/ ١١٧٥م):
٣٧- تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت/ ١٩٩٥م).
- ابن العمراني الشافعي، يحيى بن أبي الخير(ت٥٥٨ه):
٣٨- الانتصار في الردّ على المعتزلة القدرية الأشرار(تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف، ط١، اضواء السلف، الرياض، ١٩٩٩م).
- العياشي، محمد بن مسعود(ت٣٢٠هـ/ ٩٣٢م):
٣٩- تفسير العياشي(ط١، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم/ ١٤٢١هـ).
- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم(ت٢٧٦هـ/ ٨٨٠م):
٤٠- الشعر والشعراء، (دار الحديث، القاهرة/ ١٤٢٣هـ).
٤١- المعارف، (تحقيق: ثروت عكاشة، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة/ ١٩٩٢م).
- اللالكائي، هبة الله بن الحسين(٤١٨هـ/):
٤٢- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة(تحقيق: أحمد بن سعد، ط٢، دار طيبة، السعودية/ ٢٠٠٣م).

- الكليني، محمد بن يعقوب(ت٣٢٩هـ/ ٩٤٠م):
٤٣- الكافي (ط١، منشورات الفجر، بيروت/ ٢٠٠٧م).
- ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٣هـ/ ٨٨٦م):
٤٤- سنن ابن ماجة (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د، ت)
- المسعودي، علي بن الحسين(ت ٣٤٦هـ/):
٤٥- إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام(دار الأضواء، بيروت/ د.ت).
- مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري(٢٦١هـ/ ٨٧٤م):
٤٦- صحيح مسلم المسمّى(المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت / د.ت).
- ابن المغازلي، علي بن محمد(ت٤٨٣هـ/):
٤٧- مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام (تحقيق: تركي بن عبد الله الوداعي، ط١، دار الآثار، صنعاء/ ٢٠٠٣م).
- مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي(ت١٥٠هـ/ ٧٦٧م):
٤٨- تفسير مقاتل بن سليمان (تحقيق: عبد الله محمود شحاته، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت/ ٢٠٠٤م).
- ابو الحسين الملطي، محمد بن أحمد (ت٣٧٧هـ/):
٤٩- التنبيه والردّ على أهل الأهواء والبدع (تحقيق: محمد زاهد، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة/ د.ت).
- الشيخ المفيد، محمد بن محمد(ت٤١٣ه):
٥٠- أوائل المقالات (د.ط، د.مكط، د.ت).
- الإمام الهادي، علي بن محمد:

٥١- مسند الإمام الهادي عليه السلام(جمع وترتيب: الشيخ عزيز الله العطاردي، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، قم/ ١٤١٠هـ).
- الهيثمي، علي بن أبي بكر سليمان(ت٨٠٧هـ/ ١٤١٠م):
٥٢- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (تحقيق: حسام القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة/ ١٩٩٤م).
- النسائي، أحمد بن شعيب بن علي(ت٣٠٣هـ/ ٩١٥م):
٥٣- السنن الكبرىٰ (تحقيق: حسن عبد المنعم، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت / ٢٠٠١م).
- أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق (ت ٤٣٠هـ/ ١٠١٨م):
٥٤- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (مطبعة السعادة، مصر/ ١٩٧٤م).
- ياقوت الحموي، ياقوت بن عبدالله الرومي(ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م):
٥٥- معجم البلدان، (ط٢، دار صادر، بيروت/ ١٩٩٥م).

ثانياً: المراجع:

- العلّامة الطباطبائي، محمد حسين:
٥٦- الميزان في تفسير القرآن (تصحيح الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت/ د، ت).
- العمرجي، أحمد شوقي إبراهيم:
٥٧- معتزلة بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية من خلافة المأمون حتىٰ وفاة المتوكل علىٰ الله(١٩٨هـ-٢٤٧هـ/ ٨١٣-٨٦١م) (مكتبة مدبولي، القاهرة / ٢٠٠٠م).
- الفيض الكاشاني، محمد محسن:
٥٨- كتاب الوافي (ط١، مكتبة أمير المؤمنين علي عليه السلام، أصفهان/ ١٣٧٠ه).
- قاشا، الأب سهيل:

٥٩- المعتزلة ثورة الفكر الإسلامي الحر (مطبعة التنوير، بيروت/ ٢٠٠٩م).

- المجلسي، محمد باقر(ت١١١١هـ/ ١٦٩٩م):

٦٠- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية، قم/ ١٣٨٨هـ).

٦١- روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه (نشر: محمد حسين، بنياد فرهتك اسلامي، كوشانبور، د.ت).

٦٢- العقائد (تحقيق: حسين دركاهي، ط١، مؤسسة الهدىٰ للنشر، قم/ ١٤٢٠هـ).

٦٣- مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول (دار الكتب الإسلامية، طهران / ١٣٦٨).

- الميرزا الهاشمي، حبيب الله الخوئي:

٦٤- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (تهذيب: إبراهيم الميانجي، ط٤، المكتبة الإسلامية، طهران/ ١٣٧٨هـ).

- اليافعي، عبد الفتاح بن صالح:

٦٥- التجسيم والمجسمة (ط١، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت/ ٢٠١٠).



البحث السادس

مناظرات واحتجاجات

الإمام علي الهادي عليه السلام

دراسة تحليلية

أ.م. د. محمد عباس نعمان الجبوري

أ .م .د. عادل عبد الجبار

جامعة بابل

كلية الدراسات القرآنية



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه المصطفى محمد محبوب الملايين وآله الطيبين الطاهرين.

الثقلان اللذان لن يفترقا أبداً هما القرآن الكريم وعترة النبي صلى الله عليه وآله وأوصياؤه عليهم السلام، فالقرآن الكريم كتاب هداية لا ريب فيه حبل الله تعالى الممدود والذي كل من تمسك به نجا، كذلك العترة الطاهرة، فأحدهما كتاب صامت والآخر كتاب ناطق، فعلى الجميع التمسك بهما حتى يمتثلوا لقول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، فالعروة الوثقى هم أهل بيت النبوة عليهم السلام، ومجلس القرآن وترجمانه، وتفسير القرآن الكريم لا يؤخذ إلا منهم. فسيرة أهل البيت هي السيرة الواقعية، ودراسة حياتهم السياسية والفكرية والتفسيرية بشكل معمق تميط اللثام عن حركة الإسلام الأصيل، وتكشف للأمة عن المعدن الثمين، وجهادهم السياسي الكبير، وتراثهم الفكري النافع، نحن نعلم علم المتيقن، إن ما طرحوا من أفكار، كان هدفه بالدرجة الأولى توعية الأمة وتحريك طاقتها باتجاه ايجاد وتصعيد الوعي الرسالي. فأهل البيت هم أعلام الهداية والمصابيح لإنارة الدرب للسالكين المؤمنين بولايتهم، فكانوا بحق الأدلاء على الله تعالى والموجهين لنيل مرضاته والمستقرين في أمر الله والذائبين في الشوق إليه والسابقين إلى تسلّق قمم الكمال.

فالكتابة عن الإمام الهادي عليه السلام وما يتصل بمشروعه السياسي وتراثه الفكري الخصب ومشروعه الإصلاحي يلزمنا أن نتتبع سيرته المضيئة والمنيرة تتبعاً دقيقاً في

ضوء استقراء ما صدر عنه عليه السلام وهو يمارس دوره المطلوب ونشاطه التوجيهي بكل دقة وحذر. فقد سعى الإمام عليه السلام بجدية في تربية العلماء والفقهاء، إلى جانب ذلك أخذ يرفد المسلمين بالعطاء الفكري والتفسيري والديني المتمثل بالعقائد والفقه والأخلاق .

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسم إلى مقدمة وثلاثة مطالب وخاتمة، كان المطلب الأول: الجانب الفقهي التشريعي، حيث عرضت الكثير من المسائل الفقهية والتشريعية على الإمام عليه السلام بالإضافة إلى ما صدر عنه، منها ما تعلّق بالعبادات والمعاملات والعقود وغيرها .

أما المطلب الثاني: فقد كرّس لتفسير القرآن الكريم من جانب الإمام عليه السلام وتبيان المعاني الثمينة التي يحتاجها كل مسلم.

وقد شمل المطلب الثالث: استقراء النصوص المتصلة بالجانب الكلامي والتي حُتِم على الإمام الهادي عليه السلام أن يطرحها حتى يبصر المؤمنين بها والتي لها جنبة متصلة بالتوحيد وصفات الله تعالى وامتناع رؤيته واستحالة التجسيم.

توطئة

كان للإمام الكثير من المناظرات والاحتجاجات العلمية في جميع الجوانب منها على سبيل المثال في الجانب الفقهي والجانب التفسيري والجانب الكلامي، وبما أن الإمام علياً الهادي عليه السلام إمام الأمة وأحد الأئمة الاثني عشر الذي عصمهم الله تعالى من كل خطأ ونسيان وشملهم بالرعاية التكوينية وقد أودع تعالى علمه فيهم، وعلى ضوء ذلك لا بدَّ أن يكون لهم الدور الكبير في رسم سياسة الأمة حتى يكون لهذا الإسلام خطه الأصيل، والذي يشرق وينير درب المؤمنين، فالمناظرات والاحتجاجات التي تصدر عن الإمام الهادي عليه السلام كان لها الأثر الكبير في حلِّ الكثير من المسائل التشريعية والفكرية والكلامية التي تهم المسلمين.

المطلب الأول

الجانب الفقهي التشريعي

لقد لجأ إليه في حلِّ تلك المسائل أعدىٰ أعدائه وأشدهم حقداً عليه وخاصة من الحكام العباسيين والذين يعملون بما يجيب عليه الإمام عليه السلام؛ لأن في قرارة أنفسهم أن جوابه هو الجواب الصحيح، علماً أن الكثير من تلك المسائل كانت تثار أو تطرح في المجالس العلمية أو أمام الملوك العباسيين، وكان هدف بعض من يدعون بالعلم من حاشية ملوك بني العباس من تلك الأسئلة لإحراج الإمام عليه السلام ولإسقاطه والتشهير به وإظهار عجزه إلا أن ردّه عليه السلام علىٰ الأسئلة كان رداً محكماً، تذهل من أجوبته العقول كيف لا تذهل وهو من بيت زُق العلم فيه زقاً.

لقد انصرف الإمام أبو الحسن عليه السلام عن السياسة والسياسيين إلىٰ دين جده صلى الله عليه وآله عن طريق الدفاع عن أصوله وفروعه، فناظر المشككين والملحدين بالأسلوب الهادئ الرصين المدعوم بالحس والمنطق، ولم يجتمع إليه أحد من أولئك إلا وخرج مقتنعاً مؤمناً يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته، وفيما يعود للتشريع كان الرواة والعلماء يراجعونه فيما يشتبه عليهم عن طريق الكتابة، ولعل السر في ذلك أن محدثي الشيعة الذين كانوا يتدارسون فقه الأئمة، ويقررونه، انتشروا في طول البلاد وعرضها، وكان لمدينة قم النصيب الأكبر في ذلك من أولئك الرواة ومن مؤلّفات أصحاب الصادقين عليهم السلام، هذا بالإضافة إلىٰ أن السلطات الحاكمة كانت تضيق علىٰ الأئمة وتراقب جميع تصرّفاتهم، وتحرّكاتهم وتجمع عليهم أنفاسهم، وقد فرضت عليهم الإقامة الجبرية في عواصم الحكم للحدِّ من التجمعات حولهم بل من الاتصال بهم لذا فإن الرواة والعلماء كانوا يتصلون في الغالب بالأئمة الثلاثة: الجواد، والهادي، والعسكري عليهم السلام بالمراسلة، ولو تتبعنا كلَّ واحد منهم نجد عشرات المرويات بهذا الطريق في مختلف الأبواب والمواضيع الفقهية.

روىٰ الكليني في المجلد الرابع من الكافي عن محمد بن يحيىٰ بسنده إلىٰ أيوب بن نوح أنه قال: «كتبت إلىٰ أبي الحسن الثالث عليه السلام عن قومٍ سألوني عن الفطرة، ويسألوني أن يحملوها إليك، وقد بعث إليك هذا الرجل عام أولَ، وسألني أن أسألك، فنسيت ذلك، وقد بعث إليك العام عن كل رأس من عيالي بدرهم علىٰ قيمة تسعة أرطال بدرهم، فرأيك جعلني الله فداك؟ فكتب عليه السلام: الفطرة قد كثر السؤال عنها، وأنا أكره كل ما أدىٰ إلىٰ الشهرة فاقطعوا ذكر ذلك، واقبض ممن دفع لها، وامسك ممن لم يدفع»[1].

وروىٰ بسنده أيضاً إلىٰ محمد بن رجاء الأرجاني أنه قال: «كتبت إلىٰ الطيب عليه السلام إني كنت في المسجد الحرام فرأيت ديناراً فأهويت إليه فإذا أنا بآخر ثم بحثت الحصىٰ فإذا أنا بثالث فأخذتها وعرّفتها ولم يعرفها أحد، فما ترىٰ في ذلك؟ فكتب عليه السلام: فهمت ما ذكرت من أمر الدنانير فإن كنت محتاجاً فتصدق بثلثها، وإن كنت غنياً فتصدق بالكل»[2].

وكان يجيب مستلاً ذلك كله من كتاب الله تعالىٰ وهو منهج سار عليه أهل البيت عليهم السلام وميزتهم عن سواهم، . فعندما اختلف الفقهاء عند المتوكل في الحدِّ علىٰ يهودي فجر بامرأة مسلمة فكتب المتوكل إلىٰ الإمام علي الهادي عليه السلام يسأله عن الحكم في هذه القضية فأجابه بما يأتي:

عن جعفر بن رزق الله قال: قدم إلىٰ المتوكل رجل نصراني فجر بامرأة مسلمة، فأراد أن يقيم عليه الحدّ فأسلم .

فقال يحيىٰ بن أكثم: قد هدم إيمانه شركه وفعله، وقال بعضهم: يضرب ثلاثة حدود، وقال بعضهم: يفعل به كذا وكذا.

---

(١) الكافي، الكليني ٤ / ١٧٤.

(٢) المصدر نفسه ٤/ ٢٢٩.

فأمر المتوكل بالكتاب إلى أبي الحسن العسكري وسؤاله عن ذلك. فلما قرأ الكتاب كتب عليه السلام: «يضرب حتى يموت، فأنكر يحيى وأنكر فقهاء العسكر ذلك، فقالوا: يا أمير المؤمنين سلّه عن ذلك فإنه شيء لم ينطق به كتاب، ولم تجئ به سنة. فكتب إليه: إن الفقهاء قد أنكروا هذا، وقالوا: لم تجئ به سنة ولم ينطق به كتاب، فبين لنا لم أوجبت علينا الضرب حتى يموت؟ فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿**فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا**﴾[1] فأمر به المتوكل فضرب حتى مات»[2] وكان إسلامه باطلاً لأنه أراد دفع الحدِّ عنه بإظهار خلاف ما يبطن به من الكفر لم ينفعه ذلك وأقيم حدّ الله عليه ورغم أنفه وبطلت حيلته.

هناك الكثير من الأحكام التي استنبطها الإمام علي الهادي عليه السلام من القرآن الكريم فقد سأله المتوكل عن نذر نذره بنص قاله: (لأتصدقن بدنانير كثيرة) فلما تحقق متعلق نذره سأل في ذلك الفقهاء فاختلفوا فبعث إلى الإمام عليه السلام فأجابه وكما جاء في الرواية الآتية: «أخبرني الأزهري، حدثنا أبو أحمد عبيد الله بن محمد المقرئ، حدثنا محمد بن يحيى النديم، حدثنا الحسين بن يحيى قال: اعتلَّ المتوكل في أول خلافته، فقال، لئن برئت لأتصدقن بدنانير كثيرة، فلما برئ جمع الفقهاء فسألهم عن ذلك فاختلفوا، فبعث إلى علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر فسأله فقال: يتصدق بثلاثة وثمانين ديناراً فعجب قوم من ذلك، وتعصب قوم عليه، وقالوا: تسأله يا أمير المؤمنين من أين له هذا؟ فردَّ الرسول إليه فقال له قل لأمير المؤمنين في هذا الوفاء بالنذر، لأن الله تعالى قال: ﴿**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ**﴾[3] فروى أهلنا جميعاً أن المواطن في الوقائع والسرايا والغزوات كانت ثلاثة وثمانين موطناً، وأن يوم حنين

---

(١) سورة غافر: ٨٤ - ٨٥.

(٢) الاحتجاج، الشيخ الطوسي٥/ ٢٥٥.

(٣) سورة التوبة: ٢٥.

كان الرابع والثمانين، وكلما زاد أمير المؤمنين في فعل الخير كان أنفع له، وأجر عليه في الدنيا والآخرة»[١].

وكان خلفاء بني العباس يستعملون كتاباً من غير المسلمين كما حصل أن المتوكل كان له كاتبٌ نصرانيٌ يحبه حباً جماً ويكنيه (أبو نوح) فأنكر عليه جماعة من الفقهاء أن يكنيه، معتقدين أنه لا يجوز أن يكنى غير المسلم وكما جاء في الرواية الآتية: «قيل: نادى المتوكل يوماً كاتباً نصرانياً: أبا نوح، فأنكروا كنى الكتابيين، فاستفتى فاختلف عليه، فبعث إلى أبي الحسن فوقع عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ**﴾[٢] فعلم المتوكل أنه يحلّ ذلك لأن الله قد كنى الكافر»[٣]. آخذاً بما قاله الإمام علي الهادي عليه السلام.

وفي مجلس الواثق وغيره من ملوك بني العباس، الكثير من المسائل الغامضة تطرح ولا يوجد لها من يعطي الجواب الصحيح، فيُرسل إلى أبي الحسن عليه السلام فيكون جوابها حاضراً عنده ويقتنع بالجواب كلُ من وُجد في المجلس رغم بغضهم له.

ونقل الخطيب البغدادي مسألة فقهية طرحت في مجلس الواثق وقد رويت كما يلي: «أخبرنا محمد بن أحمد بن رزق، أخبرنا محمد بن الحسن بن زياد المقرئ النقاش، حدثنا الحسين بن حماد المقرئ - بقزوين - حدثنا الحسين بن مروان الأنباري، حدثني محمد بن يحيى المعاذي قال: قال يحيى بن أكثم في مجلس الواثق - والفقهاء بحضرته من حلق رأس آدم حين حج؟ فتعايى القوم عن الجواب، فقال الواثق: أنا أحضركم من ينبئكم بالخبر، فبعث إلى علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فأحضر فقال: يا أبا الحسن من حلق رأس آدم؟

---

(١) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي: ١٢/ ٥٦.

(٢) سورة المسد: ١.

(٣) بحار الأنوار، المجلسي ١٠/ ٣٩١.

فقال: سألتك [بالله] يا أمير المؤمنين إلا أعفيتني، قال: أقسمت عليك لتقولن قال: أما إذا أبيت فإن أبي حدثني عن جدي عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أمر جبريل أن ينزل بياقوتة من الجنة، فهبط بها فمسح بها رأس آدم فتناثر الشعر منه، فحيث بلغ نورها صار حرماً»[١].

كثيرة المسائل التي أجاب عنها الإمام علي الهادي عليه السلام في الفقه والتي نقلها المحدثون منها أسئلة يحيى بن أكثم

روى العيّاشيّ في تفسيره، بالإسناد قال: التقى موسى بن محمّد بن عليّ بن موسى ويحيى بن أكثم، فسأله عن مسائل، قال: فدخلت على أخي، عليّ بن محمّد عليهما السلام إذ دار بيني وبينه من المواعظ حتّى انتهيت إلى طاعته، فقلت له: جعلت فداك، إنّ ابن أكثم سألني عن مسائل أفتيه فيها، فضحك، ثمّ قال: هل أفتيته فيها؟ قلت: لا.

قال: ولم؟ قلت: لم أعرفها. قال: وما هي؟ قلت[٢]

وقد أفتى عليه السلام في قبول شهادة المرأة وحدها ولكن بشروط وكما يلي:

روى الشيخ المفيد رحمه الله:... «قال موسى بن محمّد بن عليّ بن موسى: كتب إليّ يحيى بن أكثم يسألني عن عشر مسائل، أو تسع، فدخلت على أخي عليه السلام... قال عليه السلام: وما هي ؟قلت: كتب إليّ:.. وأخبرني عن شهادة امرأة جازت وحدها وقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ**﴾...

قال عليه السلام:... وأمّا شهادة المرأة التي جازت وحدها فهي جائز شهادتها مع الرضا، وإن لم يكن رضا فلا أقلّ من امرأتين تقوم مقامها بدل الرجل للضرورة، لأن الرجل لا يمكنه أن يقوم مقامها، فإن كانت وحدها قُبل قولها مع يمينها»[٣].

---

(١) تاريخ بغداد/ ١٢/ ٥٦.

(٢) مجمع البيان، الطبرسي ٧/ ٢٥١.

(٣) الاختصاص، الشيخ المفيد: ١٩.

فقد عرضت على الإمام علي الهادي عليه السلام المسائل العويصة حسب ما يعتقد المتوكل وزبانيته فكانت الأجوبة لطمة على وجوههم ... السؤال عن كيفية معرفة الخنثى..

وروي عن أبي الحسن الثالث عليه السلام، أنه سأله يحيى بن أكثم عن هذ المسألة، وقال له: من ينظر إلى المبال الرجل أو المرأة؟ فإن نظر الرجل، فإنه لا يؤمن أن يكون الشخص امرأة، ولا يحل له النظر إلى فرجها. وإن نظرت امرأة، فلا يؤمن أيضاً أن يكون الشخص رجلاً، وليس لها أن تنظر إلى فرج رجل ليس بذي محرم لها ولا زوج.

فأجاب عليه السلام، بأن قال: «ينظر قوم عدول، يأخذ كل واحد منهم مرآة وتقوم الخنثى خلفهم عريانة، فينظرون في المرآة، فيرون شبحاً فيها، فيحكمون عليه»[١].

وسئل عليه السلام عن رجل نظر إلى راع نزا على شاة فكان جوابه كما يلي:

«وأما الرجل الناظر إلى الراعي وقد نزا على شاة فإنْ عرفها ذبحها وأحرقها وإنْ لم يعرفها قسمها الإمام نصفين وساهم بينهما فإنْ وقع السهم على أحد القسمين فقد أقسم النصف الآخر ثم يفرّق الذي وقع عليهم السهم نصفين ويقرع بينهما فلا يزال كذلك حتى تبقى اثنتان فيقرع بينهما فأيهما وقع السهم عليها ذبحت وأحرقت وقد نجا سايرهما»[٢].

وسئل عليه السلام عن صلاة الفجر لِمَ يُجهر فيها بالقراءة، وهي من صلاة النهار، وإنما يجهر في صلاة الليل.

فقال عليه السلام: «وأما صلاة الفجر فالجهر فيها بالقراءة، لأن النبي صلى الله عليه وآله كان يغلس بها فقراءتها من الليل»[٣].

---

(١) النهاية في مجرد الفقه والفتاوى، الشيخ الطوسي٦٧٧.

(٢) تحف العقول، بن شعبة الحرّاني٣٥٣.

(٣) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب ٤/ ٤٣٦.

وقد سئل عليه السلام: لِمَ بشّر أمير المؤمنين علي عليه السلام قاتل ابن صفية بالنار؟ ولِمَ لم يقتله؟ فقال: «وأمّا قول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: بشّر قاتل ابن صفيّة بالنار. لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: بشّر قاتل ابن صفيّة بالنار، وكان ممّن خرج يوم النهروان ولم يقتله أمير المؤمنين عليه السلام بالبصرة، لأنّه علم أنّه يقتل في فتنة النهروان»[1].

أما السؤال الذي عرض عليه عليه السلام لِمَ فرّق أمير المؤمنين علي عليه السلام المدبرين أهل الجمل وصفين؟ فكان جوابه للتعريف بالحكم في عصاة أهل التوحيد.

وأما قولك: «علي قتل أهل صفين مقبلين ومدبرين وأجاز على جريحهم ويوم الجمل لم يتبع موليا ولم يجز على جريح ومن ألقى سيفه آمنه ومن دخل داره آمنه فإن أهل الجمل قتل إمامهم ولم يكن لهم فئة يرجعون إليها وإنما رجع القوم إلى منازلهم غير محاربين ولا محتالين ولا مخلفين ولا منابذين وقد رضوا بالكف عنهم فكان الحكم فيهم رفع السيف والكف عن أذاهم إذا لم يطلبوا عليه أعواناً وأهل صفين يرجعون إلى فئة مستعدة وإمام لهم منتصب يجمع لهم السلاح من الدروع والرماح والسيوف ويستعد لهم العطاء ويهيئ لهم الأنزال ويتفقد جريحهم ويجبر كسيرهم ويداوي جريحهم ويحمل رجلتهم ويكسو حاسرهم ويردهم فيرجعون إلى محاربتهم وقتالهم لا يساوي بين الفريقين في الحكم ولولا علي عليه السلام وحكمه لأهل صفين والجمل لما عرف الحكم في عصاة أهل التوحيد لكنه شرح ذلك لهم فمن رغب عرض على السيف أو يتوب من ذلك»[2].

ومسألة الرجل الذي أقرَّ باللواط على نفسه .فكان سؤال ابن أكثم للإمام علي الهادي عليه السلام، قال: أخبرني عن رجل أقرَّ باللواط على نفسه، أيحدّ أم أن يدرأ عنه الحد؟ فقد أجاب الإمام عليه السلام قال: «وأما الرجل الذي أقرَّ باللواط فإنه أقرَّ بذلك متبرعاً من

(١) الإختصاص، الشيخ المفيد: ٩٥.

(٢) المصدر نفسه: ٩٥.

نفسه، ولم تقم عليه بينة، ولا أخذه سلطان، وإذا كان الإمام الَذي من الله أن يعاقب في الله فله أن يعفو في الله، أما سمعت الله يقول لسليمان: ﴿**هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾[١] فبدأ بالمَنّ قبل المنع».

فلما أتم الإمام عليه السلام كلامه في الإجابة عن عويصات ابن أكثم، إملاءً عل ابن السكيت، حمله ابن السكيت إلى ابن الأكثم، وقرأها ابن الأكثم على المتوكل، ويظهر من الخبر أنهم أو المتوكل كان يهمه بعد هذا أن يُحضر الإمام عليه السلام بمحضر عام أو شبه عام، ، ولذا قال له ابن أكثم: ما نحب أن تسأل هذا الرجل عن شيء بعد المسائل هذه فإنه لا يرد عليه شيء بعدها إلا وهو دونها فيظهر به علمه، وفي ظهور علمه تقوية للرافضة[٢].

هناك الكثير من المسائل الفقهية التي سئل عنها الإمام علي الهادي عليه السلام من قبل أصحابه ومواليه والتي أخذوا بها وأصبحت دليل عملهم ومرجعهم في الأحكام الشرعية منها:

«روى أبو تراب الروياني قال:سمعت أبا حماد الرازي يقول:دخلت على علي بن محمد عليه السلام بسرّ من رأى فسألته عن أشياء من الحلال والحرام فأجابني فيها»[٣].

وروى إسحاق بن عبد الله العلوي العريضي قال: اختلف أبي وعمومتي في الأربعة الأيام التي تصام في السنة فركبوا إلى مولانا أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام وهو مقيم بصريا قبل مصيره إلى سرّ من رأي، فقالوا جئناك يا سيدنا لأمر اختلفنا فيه، فقال: نعم ! جئتم تسألوني عن الأيام التي تصام في السنة فقالوا: ما جئناك إلا لهذا، فقال عليه السلام: اليوم السابع عشر من ربيع الأول، وهو اليوم الذي ولد فيه رسول

---

(١) سورة ص: ٢٩.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب٣/ ٥٠٩.

(٣) مستدرك الوسائل، ميرزا حسين النوري الطبرسي ١٧/ ٣٢١.

الله صلى الله عليه وآله، واليوم السابع والعشرون من رجب، وهو اليوم الذي بعث الله فيه رسول الله صلى الله عليه وآله، واليوم الخامس والعشرون من ذي القعدة، وهو اليوم الذي دحيت فيه الأرض واستوت سفينة نوح على الجودي، فمن صام ذلك اليوم كان كفارة سبعين سنة، واليوم الثامن عشر من ذي الحجة وهو يوم الغدير يوم نصب فيه رسول الله صلى الله عليه وآله علياً أمير المؤمنين علماً، ومن صام ذلك اليوم كان كفارة ستين عاماً»[1].

ومسألة لقطة الحرم خاصة، فلا يجوز لملتقطها أن يخلطها بماله قبل السنة ولا بعدها، بل يتصدق بها بعد السنة، فإن جاء صاحبها خيّره بين أجرها أو غرمها إن عرفها، وإن كانت به حاجة إليها تصدق بثلثها وكان الثلثان في ذمته لصاحبها إن جاء، والقول في الثلث الذي تصدق به كالقول فيها كلها لو تصدق بها .والدليل على ذلك، بما رواه محمد بن رجاء الخياط قال: «كتبت إلى الإمام علي الهادي عليه السلام إني كنت في المسجد الحرام فرأيت ديناراً فأهويت إليه لأخذه فإذا أنا بآخر ثم نحيت الحصا فإذا أنا بثالث فأخذتها فعرفتها فلم يعرفها أحد فما تأمرني في ذلك جعلت فداك؟ قال: فكتب إلي: قد فهمت ما ذكرت من أمر الدينارين فإن كنت محتاجاً فتصدق بالثالث، وإن كنت غنياً فتصدق بالكل»[2].

وسئل الإمام علي الهاي عليه السلام: هل يجوز السجود على القراطيس والكواغد المكتوب عليها: فقال: يجوز وكما ورد في الرواية الآتية:

قال الشيخ الصدوق: سأل داود بن أبي زيد أبا الحسن الثالث عليه السلام «عن القراطيس والكواغذ المكتوبة عليها هل يجوز عليها السجود؟ فكتب: يجوز»[3].

وقد عرضت على الإمام علي الهادي عليه السلام مسألة المغمى عليه يوماً أو أكثر هل

---

(١) مصباح المتهجد/ الشيخ الطوسي/ ٨٢٠.

(٢) تهذيب الأحكام / الطوسي ٦/ ٣٩٥.

(٣) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق ١/ ٢٧٠.

يقضي ما فاته من صوم أو صلاة فكان جواب الإمام عليه السلام كما ورد في الرواية الآتية: «روى محمد بن علي بن محبوب عن علي بن محمد بن سليمان قال: كتبت إلى الفقيه أبي الحسن العسكري عليه السلام أسأله عن المغمى عليه يوماً أو أكثر هل يقضي ما فاته من الصلاة أم لا؟ فكتب عليه السلام: لا يقضي الصوم ولا يقضي الصلاة»[1].

لا يشترط الضمان على المشتري أو الدلال إذا لم يكن هناك تفريط منه أو واضعاً شرطاً على ذمته بالضمان والدليل على ذلك ما ورد في الرواية الآتية:

ما رواه الكليني عن محمد بن جعفر أبو العباس الكوفي، عن محمد بن عيسى بن عبيد، وعن علي بن إبراهيم، عن علي بن محمد القاساني قال: «كتبت إليه يعني أبا الحسن الثالث عليه السلام وأنا بالمدينة سنة إحدى وثلاثين ومائتين: جعلت فداك رجل أمر رجلاً يشتري له متاعاً أو غير ذلك فاشتراه فسرق منه أو قطع عليه الطريق، من مال من ذهب المتاع، من مال الآمر أو من مال المأمور؟ فكتب سلام الله عليه: من مال الآمر»[2].

---

(١) الاستبصار، الشيخ الطوسي ١/ ٤٥٨.

(٢) الكافي، الكليني ٥/ ٣١٤ .

المطلب الثاني

الجانب التفسيري

آلت المرجعية الدينية بعد وفاة الإمام محمد الجواد عليه السلام إلى الإمام علي الهادي عليه السلام وقد تصدىٰ للمجالات العلمية تفسيراً وإفتاءً وتحديثاً وبياناً لحدود الله تعالىٰ وفرائضه وما تختلف فيه الأمة، وكان في كل ذلك المفزع الذي يلجأ إليه العلماء والملوك الذين يدّعون الخلافة مهما كان شكل العلاقة بينهم .

كل المسلمين يعلمون جيداً مهما كانت علاقتهم بالأئمة المعصومين، أن أئمة أهل البيت هم حملة القرآن الكريم، فقد حلّ في بيوتهم، وهو الأساس الأول في توجهاتهم، فالقرآن الكريم نصٌّ خالد صالح لكل زمان ومكان .

والأئمة المعصومون منهجهم خاص في تفسير وتحليل القرآن الكريم ويفهمه كل من عاشرهم وتتبع أحاديثهم والغالب علىٰ تفسيرهم هو تفسير القرآن بالقرآن

فقد سئل الإمام علي الهادي عليه السلام عن معاني بعض الآيات القرآنية وتفسيرها من ذلك قوله تعالىٰ: ﴿**قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**﴾[1] فهل نبي الله محتاج إلىٰ علم آصف فردَّ الإمام علىٰ ذلك بقوله عليه السلام:

سألت عن قول الله عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿**قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ**﴾ فهو آصف بن برخيا ولم يعجز سليمان عن معرفة ما عرف آصف، لكنه أحبَّ أن يعرّف أمته من الجن والإنس أنه الحجة من بعده وذلك من علم سليمان أودعه آصف بأمر الله ففهمه الله ذلك لئلا يختلف في إمامته ودلالته كما فهم سليمان في حياة داود ليعرض إمامته ونبوته من بعده لتأكيد الحجة علىٰ الخلق»[2].

---

(١) سورة النمل: ٤٠.

(٢) الاختصاص، الشيخ المفيد / ٩٣.

وعن قوله تعالى: ﴿**وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا**﴾[١] فقال الإمام علي الهادي عليه السلام: «أما سجود يعقوب وولده ليوسف فإن السجود لم يكن ليوسف كما أن السجود من الملائكة لآدم، لم يكن لآدم، إنما كان منهم طاعة لله وتحية لآدم فسجود يعقوب وولده شكراً لله تعالى باجتماع شملهم، ألم تر أنه يقول في شكره في ذلك الوقت: « ﴿**رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ**﴾[٢] – إلى آخر الآية ـ[٣]. وسئل عن قوله تعالى: ﴿**فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ**﴾[٤] من المخاطب بالآية؟

فإن كان النبي فقد شك، وإن كان المخاطب غيره فعلى من أنزل الكتاب؟ فأجاب الإمام عليه السلام: «وإن المخاطب بذلك رسول الله، ولم يكن في شك مما أنزل الله إليه ولكن قالت الجهلة: كيف لم يبعث نبيّاً من الملائكة؟ ولِمَ لَمْ يفرّق بينه وبين الناس في الاستغناء عن المأكل والمشرب والمشي في الأسواق، فأوحى الله إلى نبيه: ﴿**فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ**﴾ بمحضر من الجهلة هل بعث الله نبياً قبلك إلّا وهو يأكل الطعام والشراب ولك بهم أسوة يا محمّد، وإنّما قال: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ﴾ ولم يكن في شك، ولكن للنصفة»[٥].

وقد فسر الإمام علي الهادي عليه السلام قوله تعالى: ﴿**فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾[٦] فقال: «ولو قال: تعالوا نبتهل فنجعل لعنة الله عليكم لم يكونوا يجيبوا إلى المباهلة،

---

(١) سورة يوسف: ١٠٠.

(٢) سورة يوسف: ١٠١.

(٣) تحف العقول، ابن شعبة الحرّاني / ٤٧٨.

(٤) سورة يونس: ٩٤.

(٥) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب٣/ ٥٠٧.

(٦) سورة آل عمران: ٦١.

وقد علم الله أن نبيه مؤدّ عنه رسالته وما هو من الكاذبين، وكذلك عرف النبي صلى الله عليه وآله بأنه صادق في ما يقول ولكن أحبّ أن ينصف من نفسه»[١].

الإمام علي الهادي عليه السلام سئل عن تفسير الأبحر السبعة فأجاب:

«أما قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٢]» فهو كذلك لو أن أشجار الدنيا أقلام والبحر مداد يمده سبعة أبحر مداً حتى انفجرت الأرض عيوناً كما انفجرت في الطوفان لنفدت قبل أن تنفد كلمات الله عزَّ وجلَّ وهي: عين الكبريت وعين اليمن وعين برهوت وعين الطبرية وحمة ماسيدان وتدعى المنيات وحمة إفريقية تدعى سيلان وعين باحروان، ونحن الكلمات التي لا تدرك فضائلنا ولا تستقصى»[٣].

واستعمالُ الإمام علي الهادي عليه السلام الاستدلالَ العقلي الذي يسنده النص القرآني فيزيل اللبس الذي قد يراه بعض الناس كان واضحاً فيما تقدم في الآيات الشريفة التي فسرها.

وفسر الإمام علي الهادي عليه السلام قوله تعالى: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً﴾[٤] عندما أشكل معناها على بعضهم فقالوا:كيف يزوج الله عباده الذكران وقد عاقب قوماً فعلوا ذلك؟.

فأجاب عليه السلام بما يزيل الشبهة ويثبت الحكم ويوضح المعنى. فقال:

«وأمّا قوله: «﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً﴾ أي يولد له ذكورٌ، ويولد له إناث، يقال لكلّ اثنين مقرنين زوجان، كلّ واحد منهما زوج، ومعاذ الله أن يكون عنى الجليل

---

(١) تفسير العياشي ١/ ١٧٦.

(٢) سورة لقمان: ٢٧.

(٣) مناقب آل أبي طالب ٣/ ٥٠٨.

(٤) سورة الشورى: ٥٠.

ما لبّست به على نفسك، تطلب الرخص لارتكاب المآثم ﴿**وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ يَلْقَ أثاماً * يُضاعَفُ لَهُ العَذابُ يَوْمَ القَيامَةِ وَيَخْلُدْ فيهِ مُهاناً**﴾[١] إن لم يتب»[٢].

الإمام أبو الحسن الثالث عليه السلام كان يفسر لأصحابه ومواليه كل ما يرد إليه من آيات قرآنية حصل عندهم إشكال في تفسيرها وكما يلي:

«العياشي بإسناده عن حمدويه، عن حمد بن عيسى قال: كتب إبراهيم ابن عنبسة - يعني إلى علي بن محمد عليه السلام: - إن رأى سيدي ومولاي أن يخبرني عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ**﴾[٣]، فما الميسر جعلت فداك؟ فكتب: كل ما قومر به فهو الميسر، وكل مسكر حرام»[٤].

وسئل الإمام الهادي عليه السلام عن تفسير قوله تعالى: ﴿**وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ**﴾[٥] وكان جوابه عليه السلام واضحاً وكما يلي: «وأما الجنة ففيها من المأكل والمشرب والملاهي ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وأباح الله ذلك لآدم، والشجرة التي نهى الله آدم عنها وزوجته أن يأكلا منها شجرة الحسد عهد الله إليهما أن لا ينظر إلى من فضل الله على خلائقه بعين الحسد فنسي وأكل، ونظر بعين الحسد ولم يجد له عزماً»[٦].

الإمام علي الهادي عليه السلام يستشهد بقوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ**﴾[٧] عندما أمر المعتصم ومن بعده المتوكل بحفر بئر بالبطائية وكما جاء في

(١) سورة الفرقان: ٦٨ - ٦٩.

(٢) تحف العقول ٤٨٠.

(٣) سورة البقرة: ٢١٩.

(٤) تفسير العياشي / ١٠٦، ووسائل الشيعة: ١٧/ ٣٥٢.

(٥) سورة الأعراف: ٢٢.

(٦) مناقب آل أبي طالب ٤/ ٤٥٣.

(٧) سورة الأحقاف: ٢١.

الرواية الآتية: «وقوله: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ والأحقاف بلاد عاد من الشقوق إلى الاجفر وهي أربعة منازل .قال: حدثني أبي قال أمر المعتصم أنْ يحفر بالبطائية (البطانية) بئر فحفروا ثلاثمائة قامة فلم يظهر الماء فتركه ولم يحفره فلما ولي المتوكل أمر أن يحفر ذلك البئر أبداً حتى يبلغ الماء، فحفروا حتى وضعوا في كل مائة قامة بكرة حتى انتهوا إلى صخرة فضربوها بالمعول فانكسرت فخرج منها ريح باردة فمات من كان بقربها. فأخبروا المتوكل بذلك فلم يعلم بذلك ما ذاك، فقالوا: سل ابن الرضا عن ذلك وهو أبو الحسن علي بن محمد عليهما السلام فكتب إليه يسأل عن ذلك ؟فقال أبو الحسن عليه السلام تلك بلاد الأحقاف وهم قوم عاد الذين أهلكهم الله بالريح الصرصر»[1].

وروى محمد بن الحسن في (المجالس والأخبار): عن جماعة، عن أبي المفضل، عن عبد الله بن محمد بن عبيد، عن أبي الحسن علي بن محمد بن الرضا، عن آبائه، عن علي عليهم السلام قال - في حديث -: «إن من الغرة بالله أن يصرَّ العبد على المعصية ويتمنى على الله المغفرة قال: وسمع أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً يقول: اللهم إني أعوذ بك من الفتنة. قال: أراك تتعوذ من مالك وولدك، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[2] ولكن قل: اللهم إني أعوذ بك من مضلات الفتن»[3].

والإمام علي الهادي عليه السلام فسر قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾[4] وكما ورد في الرواية الآتية:

وروى الشيخ الصدوق رحمه الله عن أبيه، قال: حدّثنا محمّد بن يحيى، عن محمّد بن أحمد، أنّ أحمد بن هلال قال: «سألت أبا الحسن الأخير عليه السلام عن التوبة النصوح ما

(١) تفسير القمي ٢٨٩.

(٢) سورة التغابن: ١٥.

(٣) أمالي الطوسي ٥٨٠.

(٤) سورة التحريم: ٨.

هي؟ فكتب عليه السلام: أن يكون الباطن كالظاهر، وأفضل من ذلك»[١] ومن اتبع الأئمة عليهم السلام لا يضلُّ ولا يشقىٰ وكما جاء في الرواية الآتية عن الإمام علي الهادي عليه السلام.

محمّد بن يعقوب الكلينيّ رحمه الله: «... عن عليّ بن عبد الله قال: «سأله رجل عن قوله تعالىٰ: ﴿**فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى**﴾[٢] قال عليه السلام: من قال بالأئمّة، واتّبع أمرهم، ولم يجز طاعتهم»[٣].

ورد في تأويل آية النور عن الإمام أبي الحسن الثالث عليه السلام قوله ما يلي:

الطبرسيّ رحمه الله: عن العبّاس بن هلال قال: «سألت أبا الحسن [عليّ بن محمّد عليهما السلام] عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿**اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالاَرْضِ**﴾[٤]؟

فقال عليه السلام: هادي من في السماوات، وهادي من في الأرض»[٥].

الله سبحانه وتعالىٰ ذمّ العامة وكما جاء في رواية الشيخ الطوسي:

قال: «أخبرنا جماعة، عن أبي المفضل، قال: حدثنا عبيد الله ابن محمد بن عبيد بن ياسين بن محمد بن عجلان التميمي العابد، قال: سمعت سيدي أبا الحسن علي بن محمد ابن الرضا عليهم السلام بسرّ من رأىٰ، يقول: الغوغاء قتلة الأنبياء، والعامة اسم مشتق من العمىٰ، ما رضي الله لهم أن شبههم بالإنعام حتىٰ قال: ﴿**بَلْ هُمْ أَضَلُّ**﴾»[٦].

وجوب الزكاة في الجاموس مثل زكاة البقر وقد أكد ذلك الرواية الآتية عن الإمام علي الهادي عليه السلام :

---

(١) معاني الأخبار، الصدوق ١٧٤.

(٢) سورة طه: ١٢٣.

(٣) الكافي ١/ ٤١٤.

(٤) سورة النور: ٣٥.

(٥) الإحتجاج ٢/ ٤٨٧.

(٦) سورة الفرقان: ٤٤.

عن محمد بن مسعود العياشي في تفسيره: عن أيوب بن نوح بن دراج، قال: سألت أبا الحسن الثالث عليه السلام، عن الجاموس، وأعلمته أن أهل العراق يقولون: إنه مسخ، فقال: أما سمعت قول الله: ﴿**وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ**﴾»[1].

(١) تفسير العياشي/ ٣٨٠١.

المطلب الثالث

الجانب الفكري للإمام علي الهادي عليه السلام وما يتعلّق بالجانب الكلامي

اهتم الإمام علي الهادي عليه السلام بالدفاع عن العقيدة الإسلامية الصحيحة، ومن أهم ما تطرق إليه الأئمة عليهم السلام هو التوحيد: تلك الصفة التي يتصف بها الخالق عزّ وجل والتي يعني تنزيهه سبحانه عن الشرك، ويتجلّى التوحيد على صعيدي ذاته تعالى، فليس له شريك في ذاته وأفعاله، فلا خالق إلا الله تعالى، ولا رب ولا مدبر سوى الله تعالى، فقد أكد الإمام علي عليه السلام أن أول الدين هو معرفة الخالق والتصديق به وكمال هذا التصديق هو توحيد الباري عزَّ وجلَّ فالإخلاص له يدلُّ على كمال توحيده[1].

وسوف أتناول ما قاله الإمام الهادي عليه السلام عن حقيقة التوحيد وبروايات متعددة:

فقد ورد في الاحتجاج: «سئل أبو الحسن علي بن محمد عليهما السلام عن التوحيد فقيل له: لم يزل الله وحده لا شيء معه ثم خلق الأشياء بديعاً واختار لنفسه أحسن الأسماء أو لم تزل الأسماء والحروف معه قديمة؟ فكتب: لم يزل الله موجوداً، ثم كون ما أراد، لا رادَّ لقضائه، ولا معقب لحكمه، تأهب أوهام المتوهمين، وقصر طرف الطارفين، وتلاشت أوصاف الواصفين، واضمحلت أقاويل المبطلين عن الدرك لعجيب شأنه والوقوع بالبلوغ على علو مكانه فهو بالموضع الذي لا يتناهى، وبالمكان الذي لم تقع عليه الناعتون بإشارة ولا عبارة هيهات هيهات»[2].

وروى محمّد بن يعقوب الكلينيّ رحمه الله: «... بشر بن بشّار النيسابوريّ قال: كتبت إلى الرجل عليه السلام: إنّ من قبلنا قد اختلفوا في التوحيد، فمنهم من يقول: (هو) جسم، ومنهم من يقول: (هو) صورة .

فكتب عليه السلام إليّ: «سبحان من لا يحدّ ولا يوصف، ولا يشبهه شيء، وليس

(١) نهج البلاغة / الإمام علي عليه السلام: ١/ ٥١.

(٢) الاحتجاج ٢/ ٤٨٥.

كمثله شيء وهو السميع البصير»[١].

وقد شرح المازندراني قول الإمام علي الهادي عليه السلام وأزال ما فيه من غموض فقال ما يلي: «كتب إليَّ: سبحان من لا يحدّ بالجسميّة والصورة لأنَّ التحديد بهما مستلزم للتجزية والتكثّر والمقدار المنافية للوجوب الذَّاتي وعدم الافتقار (ولا يوصف) لأنَّ الصفة مغايره للموصوف لقيام الموصف بالذات وقيام الصفة بالغير فلو وصف كان الواجب إمّا نفس المجموع أو نفس الموصوف فعلى الأوَّل يلزم افتقاره إلى الجزء وعلى الثاني يلزم افتقاره إلى الغير وكلُّ ذلك محالٌ. (ولا يشبهه شيء) لاستحالة اتّصافه بصفة الإمكان وتوابعه»[٢].

وسئل الإمام علي الهادي عليه السلام عن ما يجزي من معرفة التوحيد فكان جوابه عليه السلام كما ورد في هذه الرواية:

«حدثنا محمد بن علي ماجيلويه رحمه الله، قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن مختار بن محمد بن مختار الهمداني، عن الفتح بن يزيد الجرجاني عن أبي الحسن عليه السلام، قال: سألته عن أدنى المعرفة، فقال: الإقرار بأنه لا إله غيره ولا شبه له ولا نظير وأنه قديم مثبت موجود غير فقيد وأنه ليس كمثله شيء»[٣].

وأكد الإمام أبو الحسن الثالث عليه السلام على أن الله تعالى هو الواحد الأحد خالق هذا الكون ليس له ولد ولم يولد وهذا ما نجده في الرواية الآتية:

«حدثنا محمد بن علي ماجيلويه رضي الله عنه قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم عن المختار بن محمد بن المختار الهمداني عن الفتح بن يزيد الجرجاني عن أبي الحسن عليه السلام قال: سمعته يقول في الله عزَّ وجلَّ: هو اللطيف الخبير السميع البصير

---

(١) الكافي١/ ١٠٢.

(٢) شرح أصول الكافي ص٢١٢.

(٣) التوحيد، الصدوق٢٨٣.

الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد منشيء الأشياء ومجسم الأجسام ومصور الصور لوكان كما يقولون لم يعرف الخالق من المخلوق ولا المنشيء من المنشأ لكنه المنشيء فرق بين من جسمه وصوره وأنشاءه إذ كان لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء»[1].

والله سبحانه وتعالى عالمٌ بكل شيء حتى قبل أن يخلق تلك الأشياء وقد خلقها تعالى لغاية أو فائدة هو تعالى عالمها فلما سئل الأمام الهادي عليه السلام عن ذلك أجاب وحسب ما ورد في الرواية الآتية:

«حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى العطار رضي الله عنه، قال: «حدثنا سعد بن عبد الله، عن أيوب بن نوح أنه كتب إلى أبي الحسن عليه السلام يسأله عن الله عزَّ وجلَّ أكان يعلم الأشياء قبل أن خلق الأشياء وكونها، أو لم يعلم ذلك حتى خلقها وأراد خلقها وتكوينها، فعلم ما خلق عندما خلق وما كون عندما كون ؟فوقع عليه السلام بخطه: لم يزل الله عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء كعلمه بالأشياء بعد ما خلق الأشياء»[2].

وفي عصر الإمام علي الهادي عليه السلام اشتدت فيها المناظرات والحجاج العقلي أجاب أبو الحسن الثالث عليه السلام عن كل ما يرده من مسائل حول الله سبحانه وتعالى: «حدثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رحمه الله، قال: «حدثنا محمد بن يعقوب، عن الحسين بن محمد بن عامر، عن معلى بن محمد، قال: سئل العالم عليه السلام كيف علم الله؟ قال: علم، وشاء، وأراد، وقدر، وقضى، وأبدى فأمضى ما قضى، وقضى ما قدر، وقدر ما أراد، فبعلمه كانت المشية، وبمشيته كانت الإرادة، وبإرادته كان التقدير، وبتقديره كان القضاء، وبقضائه كان الإمضاء، فالعلم متقدم المشيئة والمشيئة ثانية، والإرادة ثالثة، والتقدير واقع على القضاء بالإمضاء، فلله تبارك

(١) عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق١/ ١١٧.

(٢) التوحيد، الشيخ الصدوق ١٤٥.

وتعالىٰ البداء فيما علم متىٰ شاء وفيما أراد لتقدير الأشياء، فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بداء، فالعلم بالمعلوم قبل كونه، والمشية في المنشأ قبل عينه، والإرادة في المراد قبل قيامه، والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيلها عياناً وقياماً، والقضاء بالإمضاء هو المبرم من المفعولات ذوات الأجسام المدركات بالحواس من ذي لون وريح ووزن وكيل وما دبَّ ودرج من إنس وجن وطير وسباع وغير ذلكم ما يدرك بالحواس، فلله تبارك وتعالىٰ فيه البداء مما لا عين له، فإذا وقع العين المفهوم المدرك فلا بداء، والله يفعل ما يشاء، وبالعلم علم الأشياء قبل كونها، وبالمشية عرف صفاتها وحدودها وأنشأها قبل إظهارها وبالإرادة ميّز أنفسها في ألوانها وصفاتها وحدودها، وبالتقدير قدر أوقاتها وعرف أولها وآخرها، وبالقضاء أبان للناس أماكنها ودلهم عليها، وبالإمضاء شرح عللها وأبان أمرها، وذلك التقدير العزيز العليم»[1].

وصاحب تفسير الميزان وضح قول الإمام علي الهادي عليه السلام بحيث أصبح المعنىٰ واضحاً ومن جملة ما قال: (الذي ذكره عليه السلام من ترتب المشية علىٰ العلم والإرادة علىٰ المشية وهكذا ترتب عقلي بحسب صحة الانتزاع).

وفيه بإسناده عن ابن نباتة قال: «إنّ أمير المؤمنين عليه السلام عدل من عند حائط مائل إلىٰ حائط آخر فقيل له: يا أمير المؤمنين تفرُّ من قضاء الله؟ قال: أفرُّ من قضاء الله إلىٰ قدر الله عزَّ وجلَّ[2].

وأقول: وذلك أن القدر لا يحتم المقدر فمن المرجو أن لا يقع ما قدر أما إذا كان القضاء فلا مدفع له، والروايات في المعاني المتقدمة كثيرة من طرق أئمة أهل البيت عليهم السلام»[3].

---

(١) الكافي ١/ ١٤٨.

(٢) الاعتقادات في دين الأمامية، الشيخ الصدوق ٣٨.

(٣) الميزان، محمد حسين الطباطبائي ١٣/ ٧٥.

وسئل عليه السلام عن رؤية الله تعالى فأجاب متلمساً الدليل العقلي:

حديث أحمد بن إسحاق، وقد كتب إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام، يسأله: عن الرؤية؟

فكتب جوابه: «ليس تجوز الرؤية ما لم يكن بين الرائي والمرئي هواء ينفذه البصر، فمتى انقطع الهواء وعدم الضياء، لم تصح الرؤية، وفي وجوب اتصال الضياء بين الرائي والمرئي وجوب الاشتباه، والله يتعالى عن الاشتباه فثبت أنه سبحانه لا تجوز عليه الرؤية بالأبصار». فهذا قول أبي الحسن عليه السلام وحجته في نفي الرؤية، وعليها اعتمد جميع من نفى الرؤية من المتكلّمين[١].

وقد شجع الإمام علي الهادي عليه السلام أصحابه على التسلّح بأدوات الكلام والحجاج لقطع الخصوم، وقد قدر كثيراً من كان يظهر من أصحابه في المناظرة على خصومه ويشيد بعلمهم ويقدمهم على بني هاشم في الفضل ويجيب من يعاتبه في ذلك: «أخبروني عنه قال: ﴿**يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾[٢]؟ أو قال: يرفع الذين أوتوا شرف النسب درجات؟ أوليس قال الله: ﴿**هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[٣] فكيف تنكرون رفعي لهذا لما رفعه الله؟ ! إن كسر هذا (لفلان) الناصب بحجج الله التي علّمه إياها، لأفضل له من كل شرف في النسب»[٤].

ولما كثر القول في عصر الإمام عليه السلام في الجبر والتفويض والمنزلة بين المنزلتين، كُتب للإمام في ذلك، فأجاب برسالة موسعة ردّ فيها على القائلين بالجبر وأثبت العدل

---

(١) الحكايات / الشيخ المفيد ٨٦.

(٢) سورة المجادلة: ١١.

(٣) سورة الزمر: ٩.

(٤) التفسير المنسوب للإمام العسكري: ص٣٥١.

وأنكر التفويض كما يفهمونه واستدل في كل ما أجاب به بالقرآن الكريم وما ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في شرح هذه المسائل والتمس بعد ذلك تقريب الجواب بالدليل العقلي فكان يضرب لكل قول مثلاً يقرّب به المعنى لطالبه، ويسهل له البحث عن شرحه.

النتائج التي توصل إليها البحث

أولاً: الإمام علي الهادي عليه السلام هو المعدن الثمين معدن النبوة والرسالة التي أهداها الله تعالىٰ للبشرية جمعاء، هو الفرع الذي خرج من بيت النبوة الطاهر المطهر وقد جسد للبشرية طريق الرسول الكريم خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وحوىٰ كل المكارم والمآثر المفعمة بالعطاء والهدايا الربانية تاركاً كل شيء في الحياة، مؤثراً رضا الخالق عزَّ وجلَّ، وهو يعلم علم اليقين أنه محاط بالعناية الإلهية.

ثانياً: كلّ مؤمن في هذا الكون يدرك أن أهل البيت هم ورثة العلم النبوي لما تركوه من أثر فكري واسع في جميع مجالات الحياة. منها في ميدان الفقه المستنبط من القرآن الكريم حيث احتاجه المؤمنون وعلماء عصرهم. لذلك لم يحتاجوا عليهم السلام لأي مخلوق وإنما الغير بأمس الحاجة لهم فكانت فتواهم هي الأصلح والأفضل والأحسن من بين فتاوي غيرهم، فقد رجع إليهم أشد الأعداء بغضاً لهم ولم يقتصر ذلك علىٰ محبيهم ومواليهم. فكان كل إمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام مدرسة، يغترف من علومها ومعارفها الناس جميعهم، فكانوا بحق مدرسة فكرية متنقلة، فتركوا شتىٰ المصنفات في مختلف المعرفة والعلوم.

ثالثاً: أهل البيت عليهم السلام هم أحد الثقلين، ومنهم الإمام الهادي عليه السلام فقد ترك تراثاً فكرياً واسعاً في مجال علم التفسير ومعاني القرآن الكريم فكان تفسيره بحق النورَ الساطعَ الذي كشف مراد الله تعالىٰ، حتىٰ أن تفسيره حيّر مناوئيه وجعلهم يرجعون إليه مرة ثانية ليعطيهم دليل ما استند عليه في تفسيره أو في فتواه لذلك كان محلّ إعجاب من استمع إليه.

رابعا: لقد أعطىٰ الإمام الهادي عليه السلام رأياً صائباً وواضحاً معتمداً علىٰ ما أفصح به آباؤه من آراء فيما يخص الجبر والتفويض والمنزلة بين المنزلتين فقد أنكر علىٰ القائلين بالجبر وأثبت العدل وأنكر التفويض وأسند كل إجاباته بالقرآن الكريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

خير ما نبتدئ به القرآن الكريم

١. الاحتجاج المؤلِّف: أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الشيخ الطبرسي (الوفاة: ٥٤٨ هـ) المجموعة: مصادر الحديث الشيعية ـ القسم العام، تعليق وملاحظات: السيد محمد باقر الخرسان، سنة الطبع: ١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م الناشر: دار النعمان للطباعة والنشر - النجف الأشرف.

٢. الاختصاص، أبو عبد الله محمد بن النعمان العكبري الملقب بالشيخ المفيد(ت: ٤١٣هـ)، المجموعة: مصادر الحديث الشيعية ـ القسم العام، تحقيق: علي أكبر الغفاري، السيد محمود الزرندي، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤١٤هـ - ١٩٩٣ م، المطبعة والناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ـ لبنان.

٣. الاستبصار فيما اختلف فيه من الأخبار، المؤلّف: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي(ت ٤٦٠هـ)، المجموعة: مصادر الحديث الشيعية ـ قسم الفقه، تحقيق وتعليق: السيد حسن الموسوي الخرسان، المطبعة: الناشر: دار الكتب الإسلامية ـ طهران.

٤. الاعتقادات في دين الإمامية، الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق: عصام عبد السيد، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م المطبعة والناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ـ لبنان.

٥. الأمالي، الشيخ الطوسي(ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٤هـ، المطبعة والناشر: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع قم.

٦. بحار الأنوار، محمد باقر العلّامة المجلسي (ت ١١١١هـ) تحقيق: محمد الباقر

البهبودي، عبد الرحيم الرباني الشيرازي، الطبعة الثالثة المصححة، سنة الطبع: ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م المطبعة والناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.

٧. تاريخ بغداد أو مدينة السلام، الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.

٨. تحف العقول عن آل الرسول صلّى الله عليهم، الشيخ الثقة الجليل الأقدم أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني (ت:ق٤هـ) عنى بتصحيحه والتعليق عليه: علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية ١٣٦٣هـ- ش ١٤٠٤هـ ق مؤسسة النشر الإسلامي التابعة، لجماعة المدرسين بقم المشرفة إيران.

٩. تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي (ت ٣٢٩هـ)، تصحيح وتعليق وتقديم: السيد طيب الموسوي الجزائري، الطبعة: الثالثة، سنة الطبع: صفر ١٤٠٤هـ، الناشر: مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر - قم - إيران.

١٠. تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي (ت ٣٢٠هـ) تحقيق: الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي المطبعة ولناشر: المكتبة العلمية الإسلامية - طهران.

١١. تفسير الإمام العسكري عليه السلام، المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام (ت ٢٦٠هـ) تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ربيع الأول ١٤٠٩هـ، المطبعة: مهر ـ قم المقدسة، الناشر: مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف ـ قم المقدسة.

١٢. التوحيد، أبو جعفر محمد علي بن الحسين بن بابويه القمي الملقب بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ) صححه وعلّق عليه، المحقق البارع السيد هاشم الحسيني الطهراني، ط٨، ١٤٢٣هـ، منشورات جماعة المدرسين في لحوزة العلمية، في قم المقدسة.

١٣. تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) تحقيق وتعليق: السيد حسن

الموسوي الخرسان، الطبعة الرابعة، سنة الطبع: ١٣٦٥ ش، المطبعة: خورشيد الناشر: دار الكتب الإسلامية – طهران.

١٤. شرح أصول الكافي الجامع، محمد صالح المازندراني (ت ١٠٨١هـ)مع تعاليق الميرزا أبو الحسن الشعراني، ضبط وتصحيح، السيد علي عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع.

١٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، (ت ٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق وتقديم: الشيخ حسين الأعلمي، سنة الطبع: ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، المطبعة: مطابع مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ـ لبنان، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ـ لبنان.

١٦. الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق المعروف بالشيخ الكليني (ت ٣٢٩هـ) تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة: الثالثة، سنة الطبع: ١٣٦٧ ش، المطبعة: حيدري، الناشر: دار الكتب الإسلامية ـ طهران.

١٧. مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن المعروف بالشيخ الطبرسي، (ت ٥٤٨ هـ)، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، المطبعة والناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت ـ لبنان.

١٨. مستدرك الوسائل، ميرزا حسين النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠هـ) تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، المطبعة والناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ بيروت ـ لبنان.

١٩. مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ) الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١١ هـ– ١٩٩١م، المطبعة والناشر: مؤسسة فقه الشيعة ـ بيروت ـ لبنان.

٢٠. معاني الأخبار، الشيخ الصدوق(ت٣٨١هـ) تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، سنة الطبع: ١٣٧٩ - ١٣٣٨ ش، المطبعة والناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٢١. مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨ هـ) تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، سنة الطبع: ١٣٧٦هـ- ١٩٥٦م، المطبعة والناشر: مطبعة الحيدرية - النجف الأشرف.

٢٢. من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ) تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري المطبعة: والناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفة.

٢٣. الميزان، محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ) المطبعة والناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفة (د. ط)، (د. ت).

٢٤. نهج البلاغة. الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام (ت٤٠هـ) شرح محمد عبده، ط١، بيروت، ١٤٣٠هـ - ٢٠١٠م.

٢٥. النهاية في مجرد الفقه والفتاوى، الشيخ الطوسي(ت ٤٦٠هـ) المطبعة والناشر: انتشارات قدس محمدي - قم(د.ت)، (د.ط)

٢٦. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ) تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤١٤هـ، المطبعة: مهر.



البحث السابـع

الدور الفكري للإمام علي الهادي عليه السلام

الفرق الفكرية انموذجاً

الشيخ الدكتور ثائر العُقيلي

باحث في التاريخ الإسلامي



المقدَّمة

تعد دراسة التاريخ الإسلامي عموماً وتاريخ أئمة أهل البيت عليهم السلام خصوصاً من أهم المحاور المفصلية التي ينبغي تسليط الأضواء عليها في منظومة الفكر الإسلامي، للعديد من الأسباب، يأتي في مقدمتها محاولات الفهم الحقيقي لسيرة المعصوم الفكرية والعملية، وذلك من خلال منهج فكري وعلمي قائم على أساس الدراسة المستفيضة لسيرتهم عليهم السلام، وفي الحقيقة أننا نجد أن المناهج متعددة في دراستهم، وربما أهم تلك المناهج المنهج الكلي ثم المنهج التجزيئي وغير ذلك من المناهج الأخرى.

وإن دراسة سيرة الإمام علي الهادي عليه السلام تُعدُّ دراسة مفصلية في دراسة سيرة الأئمة عليهم السلام، كونها تمثل مرحلة تحول فكري مهم في منظومة أهل البيت عليهم السلام، وذلك في أهم القضايا الفكرية وخصوصاً غيبة الإمام المهدي عليه السلام، والتي بدأ عصر التمهيد العملي من عصره عليه السلام.

ومن المؤسف القول إنَّ سيرة الأئمة المتأخرين ابتداءً من سيرة الإمام علي الهادي عليه السلام تحتاج إلى العديد من الدراسات كونها تمتاز في قلة الدراسات، ومن هذا المنطلق جاء هذا البحث الموسوم (الدور الفكري للإمام علي الهادي عليه السلام الفرق الفكرية أنموذجاً)، لتسليط الضوء على جانب من الجوانب المهمة من سيرة الإمام علي الهادي عليه السلام ونحن في هذا البحث سوف ندرس مبحثين مهمين هما:

الأول: نشأة الإمام علي الهادي عليه السلام العلمية.

الثاني: الدور الفكري للإمام علي الهادي عليه السلام تجاه الفرق الفكرية في عصره.

واتخذنا المنهج التحليلي في هذا البحث وليس المنهج السردي الذي لا ينسجم مع طبيعة البحث التاريخي، الذي يهدف للوقوف على الحقائق التاريخية. كما أن البحث اعتمد على عدد من المصادر الأولية والمراجع الثانوية، وذلك بحسب متطلّبات البحث.

المبحث الأول

نشأة الإمام علي الهادي عليه السلام العلمية.

١ - نشأة الإمام العلمية.

نشأ الإمام الهادي عليه السلام في كنف أبيه الإمام الجواد عليه السلام منذ ولادته حتى استشهاد أبيه ولم تتجاوز هذه النشأة ثمانية أعوام، نال فيها كل جوانب التربية الروحية والعلمية تأهيلاً له واستعداداً لما سوف يناط به من أعباء ليتحمل مسؤوليات الإمامة من بعده، فضلاً عن الرعاية والتسديد الإلهيين له عليه السلام التي كانت تحيط به، رغم أن مصادرنا التاريخية لم تذكر لنا نصوصاً تبين لنا الملامح الخاصة أو العامة لهذه النشأة والتي يمكننا إرجاع أسبابها إلى طبيعة الظروف السياسية المحيطة بالإمام الجواد عليه السلام فضلاً عن أنه قد يكون منشأها خاصاً أي من داخل بيت الإمام الجواد عليه السلام لكونها ملابسات شخصية الأمر الذي يخلق منها مادة تاريخية يصعب رصدها للتدوين التاريخي.

وإن قلة النصوص لا يمكن أن تقف حائلاً دون محاولتنا لتلمس أسس تلك النشأة وأبرز جوانبها. ومن بين أبرز تلك النصوص ما أشارت إليه بعض الصفار حور نشأته عليه السلام: قائلاً حدثنا محمد بن عيسى بن قارون عن رجل كان رضيع أبي جعفر عليه السلام قال: «بينما أبو الحسن عليه السلام جالس عند مؤدب له يكنى أبو ذكريا وأبو جعفر عليه السلام عندنا ببغداد وأبو الحسن عليه السلام يقرأ من اللوح إلى مؤدبه...».

وهذا النص دون شك يحتاج إلى قراءة متأنية في عملية الفهم الأساسي له، ونحن هنا أمام عدد من الفرضيات هي:

الأولى: يجوز للإمام أن يتعلّم من معلم ما قبل تقلّده لمنصب الإمامة.

الثانية: تأويل هذا النص من خلال القول إن هذا التعليم صوري لأسباب سياسية هدفها الحفاظ على حياة الإمام عليه السلام.

الثالثة: القول بعدم صحة هذا النص كونه يتعارض من علم الأئمة الذي يحملونه صغاراً كانوا كباراً. كونهم مسددين من السماء في جميع أحوالهم، فلا يحتاجون إلى معلم خصوصاً أن هكذا مسؤوليات تقع على الإمام الحقيقي وهو في هذه الرواية الإمام الجواد عليه السلام لا تنحصر بما سمعوه من النبي بواسطة أو بدون واسطة بل أنهم كانوا يتمتعون أيضاً بنوع من العلوم غير العادية التي تفاض عليهم من طريق الإلهام أو التحديث... وبمثل هذا العلم بلغ بعض الأئمة الأطهار عليهم السلام مقام الإمامة في فترة طفولتهم وحيث كانوا يعلمون بكل شيء ولم يحتاجوا للتعلّم والدراسة لدى الآخرين.

لذلك نتبنى الأمر القول بصحة هذا النص ومن الجدير بالباحثين الوقوف لدارسة هكذا نصوص لورودها في مصادر مهمة في مدرسة أهل البيت عليهم السلام لمعرفة الصحيح منها أو الموضوع.

ومن النصوص الأخرى التي أشارت بعض المصادر إليها ما رواه المسعودي بإسناده عن الحميري، عن محمّد بن سعيد مولى لولد جعفر ابن محمّد قائلاً: (إنَّ المعتصم قام بإرسال عمر بن الفرج المرخجي إلى المدينة حاجاً بعد مضي أبي جعفر عليه السلام فأحضر جماعة من أهل المدينة والمخالفين والمعاندين لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لهم اختاروا لي رجلاً من أهل الأدب والقرآن والعلم لا يوالي أهل هذا البيت لأضمه إلى هذا الغلام وأوكله بتعليمه وأتقدم إليه بأن يمنع من الرافضة الذين يقصدونه ويقدسونه فسمّوا لي رجلاً من أهل الأدب يكنى أبا عبد الله ولقبه الجنيدي وعرفت أن السلطان أمره باختيار مثله وتوكيله بهذا الغلام قال: فكان الجنيدي يلتزم أبا الحسن في القصر بصرياً فإذا كان الليل أغلق الباب واقفله وأخذ المفاتيح إليه فمكثت على هذه مدة وانقطعت الشيعة عنه وعن الاستماع منه والقراءة عليه، ثم إني لقيته يوم الجمعة فسلّمت عليه وقلت له: ما حال هذا الغلام الهاشمي الذي نؤدبه؟ فقال منكراً عليَّ تقول الغلام ولا تقول الشيخ الهاشمي؟ أنشدك الله هل تعلّم بالمدينة أعلم

مني؟ فقلت لا. قال: فإني والله اذكر له الحزب من الأدب وأظن أني قد بلغت فيه فيملي عليَّ باباً فيه استفيده منه ويظن الناس أني أعلّمه وأنا والله منه... ثم لقيته بعد ذلك فسلّمت عليه وسألته عن خبره وحاله ثم قلت: ما حال الفتىٰ الهاشمي؟ فقال لي دعْ هذا القول عنك هذا والله خير أهل الأرض وأفضل من خَلَقَ الله... ثم مرَّتْ بي الليالي والأيام حتىٰ لقيته فوجدته قد قال بإمامته وعرف الحق وقال به) .

وإن هذا من أبرز الشواهد التاريخية التي تعكس لنا مدىٰ سعة وعمق كمال التنشيءة الفكرية للإمام عليه السلام حيث حاولت الخلافة بسياستها هذه إعادة بناء التنشيءة الفكرية لنشأة الإمام عليه السلام إلىٰ مسار يخدم مصالحها السياسية وهذه المحاولة الفاشلة تثبت جهل الخلافة العباسية بموارد علم الإمام عليه السلام. ولعل هذا النص من النصوص الاختيارية من قبل السلطة العباسية مع الإمام عليه السلام لجهلهم بعلمه ومنزلته العظيمة عند الله تعالىٰ، وهذا الأمر ليس بعيداً لجهل خلفاء بني العباس بذلك خصوصاً هذه المرحلة من الخلفاء، ومن الجدير بالإشارة إلىٰ أنواع العلم لمعرفة علم الإمام عليه السلام من أي نوع من أنواع العلوم. فالعلم ينقسم إلىٰ قسمين:

الأول: العلم الحصولي: ويعرف هذا النوع من العلم في كونه: (حضور المعلوم عند العالِم به من خلال صورته فهو لا يدركه من خلال ذاته بل عبر صورته الحاكية والكاشفة عنه، وهذا يعني وجود وسيط بين العالِم والمعلوم الخارجي) .

الثاني: العلم الحضوري: ويعرف هذا النوع من العلم في كونه: (حضور المعلوم لدىٰ النفس بنفس وجوده الخارجي لا بصورته كعلم الإنسان بنفسه وكذلك علمه بالمدركات الوجدانية كالجوع والعطش والألم) .

أما علم الإمام عليه السلام فهو من النوع الثاني إذ يشير العبادي إلىٰ ذلك بقوله: (إنما هو علم حضوري شهودي وليس من سنخ الحصولية) .

أشارت بعض المصادر إلىٰ (أن أبا جعفر (الإمام الجواد) عليه السلام أراد الخروج من

المدينة إلى العراق ومعاودتها أجلس أبا الحسن عليه السلام في حجره بعد النص عليه وقال: ما الذي تحب أن اهدي إليك من طرائف العراق؟ فقال عليه السلام سيفاً كأنه شعلة نار ثم التفت إلى موسى ابنه وقال له: ما تحب انت؟ فقال: فرس فقال عليه السلام: اشبهني أبو الحسن وأشبه هذا أمه) .

ويمكن أن يتبين لنا من هذا النص عدة أمور أهمها:

١- أشار النص إلى أن خروج الإمام الجواد عليه السلام إلى بغداد كان خروج عن عودة وليس الأخير لأن المصادر أثبتت خروجين للإمام الجواد عليه السلام كان الأول ما أشار إليه النص والثاني الذي خرج ولم يعُد به إلى المدينة، وروى هذا المعنى إسماعيل بن مهران في روايته حيث قال: (لما خرج أبو جعفر الإمام الجواد عليه السلام من المدينة إلى بغداد في الدفعة الأولى من خرجيته، قلت عند خروجه: جعلت فداك إني أخاف عليك في هذا الوجه فإلى من الأمر بعدك؟ فكرَّ بوجهه إليَّ ضاحكاً وقال: ليس الغيبة حيث ظننت في هذه السنة فلما أخرج به الثانية إلى المعتصم صرتُ إليه فقلت له: جعلت فداك أنت خارج فإلى من هذا الأمر من بعدك؟ فبكى حتى أخضلّت لحيته ثم التفت إليَّ فقال: عند هذه يخاف عليَّ، الأمر من بعدي إلى ولدي علي) .

وبعد الجمع بين النصين ندرك أن الخروج كان الأول والذي اختلفت فيه المصادر بين سنة ٢٠٢هـ / ٨١٧ م أو ٢٠٤هـ/ ٨١٩م، وعلى فرض صحة كلا التاريخين يكون الإمام الجواد عليه السلام لم يتزوج بعد.

٢- أشار النصُّ أن الإمام الجواد عليه السلام قد نصَّ على ولده الإمام الهادي عليه السلام وهذا بعيدٌ جداً بعد ما أشرنا إليه في الأمر الأول.

٣- أشار النصُّ في رغبة الإمام الجواد عليه السلام في جلب هدايا لولديه وهو أمر يظهر فيه بمظهر الإنسان العادي الذي يجلس ولديه ويكلّمهم حول الهدايا وكأنه خارج في سفر نزهة وليس في سفر سياسي يحمل التلويح بالقتل، وهو لا يصح على

إنسان عادي فكيف بالإمام المعصوم.

٤- يوحي النص أن الإمام الجواد عليه السلام كان في مجلس فيه عدة أفراد فسأل ولديه عما يرغبان من هدايا من العراق، فأجاب الإمام الهادي عليه السلام أنه يريد سيفاً كأنه شعلة نار وأجابه موسى أنه يريد فرساً فقال الإمام الجواد عليه السلام: (أشبهني أبو الحسن وأشبه هذا أمه) وفي ذلك نبز منه لزوجته يشعر بالانتقاص لها، وهو أمر لا ينسجم معه كإمام معصوم فضلاً عنها حيث عرفت بالصلاح والتقوى.

٥- وإذا أردنا أن نقف عند مفردة السيف والفرس، فنجد أن للسيف معنى ظاهرياً يحمل معاني القوة والشجاعة، ولا يستبعد أن له معنىً رمزياً أريد به الظروف السياسية الصعبة التي تواجهه في سامراء، فأما الفرس بلحاظ الهدف التوظيفي للنص والذي هو إظهار مكانة الإمام عليه السلام وقرينة (أشبه هذا أمه) يراد به حينئذٍ فرس اللهو، ومن هذه الملاحظات الأربع يتضح عدم صحة هذا النص.

٢- مكانته العلمية:

لا شك أن مكانة الإمام الهادي عليه السلام العلمية لا تقاس بها مكانة أخرى في عصره، لأن علوم الأئمة بما فيهم الإمام عليه السلام علوم لدنية منه سبحانه فضلاً عن العلم الإرثي الذي يرثونه عن النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام فالإمام هو عاشر أئمة أهل البيت عليهم السلام الأمر الذي يصور لنا مدى عظمة مكانته العلمية.

بالرغم من قلة الروايات التاريخية الدالة على مكانة الإمام العلمية إلا أنه يمكننا أن ندلل على مكانته من خلال دراسة مسار الروايات، التي تشير إلى هذا الجزئية ومن خلال آثاره الفكرية.

فبالنسبة إلى المسار الأول، لم تشر لنا الروايات التاريخية بأي نص يظهر لنا مكانته العلمية في عصر الخليفة المأمون، ولعل ذلك يرجع إلى وجود أبيه الإمام الجواد عليه السلام أو الظروف السياسية المحيطة به.

أما في عصر الخليفة المعتصم، فقد دلّت بعض المصادر على محاولة الخلافة العباسية في تغيير مسار توجه الإمام الإلهي جهلاً منهم به ومن جهة ومن أخرى جهلاً بما يمتلك من علوم لذا أرسلوا الجنيدي أعلم أهل المدينة ليقوم بهذه المهمة إلا أن الإمام عليه السلام أثبت مكانته العلمية حتى أقرَّ له الجنيدي بالإمامة(١).

أما مكانة الإمام عليه السلام العلمية في عصر الواثق، فقد أشارت بعض المصادر (أن يحيى ابن أكثم قال في مجلس الواثق والفقهاء بحضرته: من حلق رأس آدم حين حج؟ فتعايى القوم عن الجواب فقال الواثق أنا أحضر من ينبئكم بالخبر فبعث... فأحضره فقال له: يا أبا الحسن من حلق رأس آدم؟ فقال سألتك بالله يا أمير المؤمنين إلا أعفيتني قال: أقسمت عليك لتقولن، قال: أما إذ أبيت فإن أبي حدثني عن جدي عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أمر جبرئيل أن ينزل بياقوتة من الجنة فهبط بها فمسح بها رأس آدم فتناثر الشعر منه فحيث بلغ نورها صار حرماً)(٢). ويمكن أن يتبين لنا من هذا النص عدة أمور أهمها:

١- أن الإمام علياً الهادي عليه السلام تمَّ إشخاصه إلى سامراء في عصر المتوكل، وليس في عصر الواثق، وهذا لا يمكن تصوره إلا إذا قلنا إن هذا الاجتماع قد وقع في المدينة.

٢- أن النص أغفل ذكر مكان هذا المجلس فهل كان في سامراء أو المدينة؟ فالراجح أنه كانه في سامراء بقرينة ذكر الواثق بمجلسه فضلاً عن وجود القاضي يحيى بن أكثم أيضاً.

٣- من المحتمل وهو الراجح في حالة صحة الرواية كان المراد بالخليفة المتوكل وليس الواثق لإشخاص الإمام عليه السلام في عهده.

---

(١) إثبات الوصية: ٢٣٠-٢٣١؛ انظر كذلك الفراتي، المنتخب: ٣٠٧-٣٠٨؛ الطبسي، الإمام الجواد: ١٢٠-١٢١؛ مهران، الإمامة: ج٣/ ١٩٩؛ المجمع العالمي، أعلام الهداية: ج١٢/ ٨٠-٨٢؛ القرشي، حياة الإمام علي الهادي: ٢٤-٢٦.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ج١٢، ٥٦؛ الشامي، الدر النظيم: ٧١٢.

ويبدو أن هذا السؤال إعجازي من أجل إظهار الإمام في صورة العاجز أمام هكذا أسئلة، وليس من وراءها البحث عن العلم والمعرفة، وهناك عدد من القرائن على ذلك منها طرح السؤال جاء من يحيى بن أكثم فضلاً عن عجز جميع العلماء الحاضرين من الإجابة عن هكذا سؤال. إلا أن الإمام علياً الهادي عليه السلام قد أجاب فأفحم جميع الحاضرين.

وقد برزت مكانة الإمام عليه السلام العلمية في عصر الخليفة المتوكل العباسي بصورة أكبر وأعظم من أي فترة تاريخية أخرى، ولعل سبب ذلك يرجع إلى سياسة المتوكل تجاه الإمام عليه السلام ومحاولة إثبات عدم علميته للانتقاص منه فضلاً عن حاجة المتوكل في الرجوع إليه في بعض القضايا العلمية، فقد أشارت بعض المصادر أن المتوكل سأل ابن الجهم من أشعر الناس؟ فذكر شعراء الجاهلية والإسلام ثم إنه سأل أبا الحسن؟ فقال الحمّاني حيث يقول:

لقد فاخرتنا من قريش عصابة ... بمد خدود وامتـــداد أصابع

فلما تنازعنا المقال قـــضى لـنا ... عليهم بما نهوى نداء الصوامع

فإن رسـول الله أحـمد جـدنا ... ونحن بنوه كالنجوم الطـوالع[1]

وقال: وما نداء الصوامع يا أبا الحسن؟ قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله جدي أم جدك؟ فضحك المتوكل ثم قال: جدك لا ندفعك عنه[2].

ويبدو ترجيح الإمام لهذا الشاعر كان راجعاً إلى الأبعاد الإسلامية التي ذكرت في أبياته والتي أبرزها مظلومية أهل البيت عليهم السلام والتي تتمثل في تهميشهم السياسي فضلاً عن ربط الشاعر أبياته بكلمة التوحيد والنبوة والإمامة.

---

(١) الحماني، ديوان الحماني: ٨٠.

(٢) ابن شهر آشوب، مناقب: ج٤/ ٤٣٨-٤٣٩؛ اسفنديار، تاريخ طبرستان: ٢٢٨؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج٢٠/ ٣٢١؛ الأميني، أعيان الشيعة: ج٢/ ٥٨٤؛ القرشي، حياة الإمام الهادي: ٢٤١.

أشارت بعض المصادر قدم إلى المتوكل رجل نصراني فجر بامرأة مسلمة فأراد أن يقيم عليه الحدّ فأسلم، فقال يحيى ابن أكثم: الإيمان يمحو ما قبله وقال بعضهم يضرب ثلاثة حدود، وكتب المتوكل إلى علي بن محمد التقي يسأله فلما قرأ الكتاب كتب: «يضرب حتى يموت»؛ فأنكر الفقهاء ذلك فكتب إليه يسأل عن العلة فقال: «بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿**فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ**﴾[1] قال: فأمر المتوكل فضرب حتى مات»[2].

ويثبت هذا النص مرجعية الإمام عليه السلام فكرياً عند الخليفة العباسي وعند الفقهاء، حيث أخذ الخليفة بقوله دون سائر أقوال الفقهاء الآخرين، الأمر الذي يثبت مكانته العلمية، في قدرته على الاستدلال من أهم مصادر الاستدلال عند علماء المسلمين وهو القرآن الكريم.

وقد أشارت بعض المصادر إلى أن المتوكل قد راجع الإمام عليه السلام مستفتياً إياه في نذر قد نذره وحان أوان الوفاء به فقد أشارت إلى بعض المصادر أعتلَّ المتوكل في أول خلافته فقال: لئن برأت لأتصدقنّ بدنانير كثيرة فلما برأ جمع الفقهاء فسألهم عن ذلك، فاختلفوا فبعث إلى علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر فسأله فقال عليه السلام: تتصدق بثلاثة وثمانين ديناراً فعجب قوم من ذلك وتعصب قوم عليه وقالوا: تسأله يا أمير المؤمنين من أين له هذا؟ فردَّ الرسول إليه فقال: قل لأمير المؤمنين في هذا الوفاء بالنذر لأن الله تعالى قال: ﴿**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ**﴾[3]، فروى أهلنا جميعاً أن المواطن في الوقائع والسرايا والغزوات كانت ثلاثة وثمانين موطناً وإن يوم حنين

---

(١) سورة غافر: ٨٤.

(٢) ابن شهر آشوب، مناقب: ج٤ / ٤٣٧؛ وورود النص بصيغ أخرى: أنظر الطبرسي، الاحتجاج: ج٢/ ٤٩٧-٤٩٨؛ الكاشاني، معادن الحكمة: ج٢/ ٢٢٨؛ الطبسي، حياة الإمام الهادي: ١٠٧-١٠٨؛ البيشوائي، سيرة الأئمة: ٥٣٣.

(٣) سورة التوبة: ٢٥.

كان الرابع والثمانون وكلما زاد أمير المؤمنين في فعل الخير كان انفع له وأجدى عليه في الدنيا والأخرة)[١].

لقد سار المتوكل العباسي على نهج تمثل في إخضاع الإمام عليه السلام إلى مناظرات علمية مع فقهاء بلاط الخلافة هادفاً من وراء ذلك وضع الإمام عليه السلام في دائرة الإحراج والاختبار أو الإيقاع به للتخلّص منه ولعله أيضاً كان له هدفاً في خلْق موازنة بين فقهاء البلاط والإمام عليه السلام في محاولة دون استبدادهم ونفوذهم، ومن بين تلك المناظرات التي وقعت مع ابن السكيت، فقد أشارت بعض المصادر (قال المتوكل لابن السكيت اسأل ابن الرضا مسألة عوصاء بحضرتي فسأله فقال: لِمَ بعث الله موسى بالعصا؟ وبعث عيسى بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى؟ وبعث محمداً بالقرآن والسيف؟ فقال أبو الحسن عليه السلام بعث موسى بالعصا واليد البيضاء في زمان الغالب على أهله السحر فأتاهم من ذلك ما قهر سحرهم وبهرهم وأثبت الحجة عليهم، وبعث عيسى بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله فقهرهم وبهرهم وبعث محمداً بالقران والسيف في زمان الغالب على أهله السيف والشعر فأتاهم من القران الزاهر والسيف القاهر ما بهر به شعرهم وقهر سيفهم وأثبت الحجة عليهم فقال ابن السكيت فما الحجة الآن؟ قال: العقل يعرف به الكاذب على الله فيكذب فقال يحيى ابن أكثم: ما لابن السكيت ومناظرته وإنما هو صاحب نحو وشعر ولغة)[٢].

لعب يحيى بن أكثم دوره أيضاً إكمالاً في تحقيق أهداف المتوكل من وراء طرح الأسئلة المعقدة كما في تصورهم على الإمام عليه السلام إلا أن المصادر اختلفت في كيفية

---

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ج١٢/ ٥٦-٥٧؛ وورود النص بصيغ أخرى انظر الطبرسي، الاحتجاج: ج٢/ ٤٩٧؛ ابن الجوزي، تذكرة الخواص: ٣٢٢؛ الشامي، الدر النظيم: ٧٢٢؛ المرعشي، إحقاق الحق: ج١٢/ ٤٤٩؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج٢٠/ ٣٠٨.

(٢) ابن شهر آشوب، المناقب: ج٤/ ٤٣٤-٤٣٥؛ الكاشاني، معادن الحكمة: ج٢/ ٢٣٢؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج٢٠/ ٣٠٨-٣١٠.

طرحها، فروى الحرّاني عن موسى بن محمد أخو الإمام عليه السلام قوله: (لقيت يحيى بن أكثم في دار العامة، فسألني عن مسائل فجئت إلى أخي علي بن محمد عليهما السلام فقلت له: جعلت فداك إنَّ ابن أكثم كتب يسألني عن مسائل لأفتيه فيها فضحك عليه السلام ثم قال: فهل أفتيته؟ قلت: لا، لم أعرف)[١].

بينما روى المفيد نقلاً عن موسى أيضاً قوله: (كتب إليَّ يحيى بن أكثم يسألني عن عشر مسائل أو تسعة فدخلت على أخي فقلت له: جعلت فداك إن بن أكثم كتب إليَّ يسألني عن مسائل)[٢]، بينما نقل ابن شهر آشوب والمجلسي صورة أخرى في طرح مسائل يحيى بن أكثم على الإمام عليه السلام والتي جاءت بعد فراغ ابن السكيت جوابها وأمره أن يكتب)[٣]، ونجد قرينه في قولهما أيضاً على أن صاحب هذه الأسئلة هو يحيى ابن أكثم نفسه للمتوكل (ما نحب ان تسأل هذا الرجل عن شيء بعد مسائلي هذه)[٤].

والراجح أن يحيى بن أكثم قد وجّه هذه الأسئلة للإمام عليه السلام وليس لموسى لأنه يعلم جهله وعلم الإمام عليه السلام فضلاً عن أن هناك أهداف وراء هكذا أسئلة ترتبط بالإمام وليس بموسى.

ومن بين أبرز الأسئلة التي طرحها يحيى بن أكثم على الإمام عليه السلام سؤاله عن قول الله: ﴿**قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**﴾[٥]، نبي الله كان محتاجاً إلى علم آصف؟ وعن قوله ﴿**وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ**

---

(١) تحف العقول: ٣٥١.

(٢) الاختصاص: ٩١.

(٣) مناقب: ج٤/ ٤٣٥؛ بحار الأنوار: ج٢٠/ ٣٠٨.

(٤) مناقب: ج٤/ ٤٣٧؛ بحار الأنوار: ج٢٠/ ٣١٠.

(٥) سورة النمل: ٤٠.

سُجَّدًا﴾[١] **﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ﴾**[٢]، من المخاطب بالآية؟ فإن كان المخاطب النبي صلى الله عليه وآله فقد شك وإنْ كان غيره فعلى من إذن أنزل الكتاب...؟ قال عليه السلام: «أكتب إليه: قلتُ: وماذا اكتب؟ قال عليه السلام: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم وأنت فألهمك الله الرشد أتاني كتابك فامتحنتنا به من تعنتك لتجد إلى الطعن سبيلاً إن قصرنا فيها... سألت عن قول الله عزَّ وجلَّ: **﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾** فهو آصف بن برخيا ولم يعجز سليمان عليه السلام عن معرفة آصف لكنه صلوات عليه أحبَّ أن يعرّف أمته من الجن والإنس أنه الحجة من بعده وذلك من علم سليمان عليه السلام في حياة داود عليه السلام لتعرف نبوته وإمامته من بعده لتأكد الحجة على الخلق وأما سجود يعقوب عليه السلام وولده فكان طاعة لله ومحبة ليوسف عليه السلام كما أن السجود من الملائكة لآدم عليه السلام لم يكن لآدم وإنما كان ذلك طاعة لله... وأما قوله: **﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ﴾** فإن المخاطب به رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يكن في شك مما أنزل إليه ولكن قالت الجهلة: كيف لم يبعث الله نبياً من الملائكة إذ لم يفرق بين نبيه وبيننا في الاستغناء عن المأكل والمشرب والمشي في الأسواق فأوحى الله إلى نبيه: **﴿فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ﴾** بمحضر الجهلة. هل بعث الله رسولاً قبلك إلا وهو يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ولك بهم أسوة...)[٣].

لا شك في أن هذه الأسئلة كانت تحمل بعداً معقداً وصعوبة بالغة في الوقوف على أجوبتها، لهذا طرحت على الإمام عليه السلام من قبل يحيى بن أكثم لكي يمتحن الإمام بها، فإذا لم يُجب عليها طعن به وفي علمه، وقد أشار الإمام عليه السلام إلى هدف يحيى بن أكثم في مطلع كتابه الذي حمل أجوبة الأسئلة التي طرحها عليه. وكانت نتائج هذه

---

(١) سورة يوسف: ١٠٠.

(٢) سورة يونس: ٩٤.

(٣) الحرّاني، تحف العقول: ٣٥١-٣٥٢؛ المفيد، الاختصاص: ٩١-٩٣؛ ابن شهر آشوب، مناقب: ج٤/ ٤٣٥؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج٢٠/ ٣٠٨-٣٠٩.

الأسئلة والاختبارات وغيرها ممن سبقت من ابن السكيت تثبت علم الإمام عليه السلام ومكانته العلمية بين أوساط فقهاء البلاط العباسي. أما مكانة الإمام عليه السلام العلمية في فترة الخلفاء المتأخرين عن زمن إمامته وهم المنتصر والمستعين والمعتز فلم نجد روايات تاريخية تبين لنا مكانته العلمية في هذه الفترة إلا أننا عندما ندرس آثاره الفكرية نجد ذلك واضحاً وجلياً.

المبحث الثاني

وثانياً: الدور الفكري للإمام علي الهادي عليه السلام تجاه المدارس الفكرية في عصره.

شهد عصر الإمام علي الهادي عليه السلام الفكري حركة ديناميكية كان مبعثها التأُثيرات الفكرية التي سبقت عصره، وفي خضم التطورات الفكرية التي شهدها عصر المأمون الذي غدا عصر احتدام فكري بين فرق وجماعات ومذاهب ساهمت في تفصيل الموارد المعرفية الإنسانية، فكل فرقة من الفرق لها جذورها الاجتماعية ومتبنياتها الفكرية التي تسعى إلى الدفاع عنها وترسيخها في البيئة الفكرية التي شهدت تطوراً على المسار الفكري بتبني الدولة لفكر الاعتزال فغدا مذهب الدولة الرسمي، وهذا كان له انعكاسه السياسي والاجتماعي، وفي هذا الصراع الفكري كان للإمام عليه السلام دوره، كونه يمثل مرجعية فكرية تنشدها الاتباع وللوقوف على دور الإمام الفكري لا بدَّ من استعراض أهم هذه الفرق وموقف الإمام عليه السلام منها:

١- المعتزلة

لقد تباينت الآراء حول الجذور التاريخية لنشأة الاعتزال فذهب فريق إلى القول: إنَّ اعتزال واصل بن عطاء حلْقة الدرس التي كان يحضرها عند الحسن البصري، بعد أن نشب خلاف فيما بينهما حول مرتكب الكبيرة وقول واصل بن عطاء بالمنزلة بين المنزلتين، بينما ذهب فريق آخر إلى القول: إنهم اعتزلوا قول الأمة بأسرها حين قرروا أن الفاسق لا مؤمن ولا كافر[١].

وتكونت المعتزلة من مدرستين الأولى، عرفت بمدرسة البصرة والتي عُدَّ واصل بن عطاء مؤسسها والثانية مدرسة بغداد والتي يُعدُّ بشر بن المعتمر مؤسسها[٢]، والتي نحن بصدد الحديث عنها.

---

(١) الراوي، ثورة العقل: ٢٩.

(٢) الراوي، ثورة العقل: ٨٣؛ أمين، ضحى الإسلام: ج٣/ ١٠٢.

لقد تبنى الاعتزال أسساً وأصولاً خمسة لم تأت عن محض الصدفة، بل جاءت عن دراسة للعصر الفكري ومتبنيات الفرق الأخرى، والتي تمثلت في التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١].

ويبدو أن أصولهم الخمسة قد جمعت بين المباحث العقلية العقائدية كالتوحيد والعدل والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين والمباحث النقلية كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولقد كان رجالات المعتزلة ما قبل خلافة المأمون يمرون بظروف قاسية، ففي عصر أبيه هارون الرشيد كانوا في السجون[٢]، وتحت المراقبة والمطاردة[٣]، ولم يروا فترة أدركوا فيها الأمان إلا في عصره لاعتناقه مذهب الاعتزال.

لقد كان المحيط الفكري الذي عاش فيه المعتزلة محيطاً يحمل مساراً مغايراً عما هم يسيرون عليه، فأبحاث القدرة والإرادة والسمع والبصر والعلم والجلوس على العرش كلها أبحاث وصف بها الله سبحانه وتعالى ذاته، فكان اتباع مدرسة الحديث ومن سار على نهجهم من الفقهاء والمتكلّمين يرون وجوب الإيمان بها كما جاءت وعدم التعرض لتأويلها أو شرحها، وتفويض المعاني إلى الله[٤]، إلا أن المعتزلة تحدثت عن هذه الأبحاث جميعاً وعدم الوقوف عند أمر منها[٥]، ويرجع السبب في قدرتهم على ذلك دراستهم للفلسفة اليونانية واتصالهم بالفكر الفارسي والهندي[٦]. ومن بين أهم المسائل الكلامية التي تبنتها المعتزلة مسألة خلْق القرآن الذي كان السطح

---

(١) الراوي، ثورة العقل: ٣٣؛ أمين ضحى الإسلام: ج٣/ ٢٠-٢١؛ محمد عمارة، الفرق الإسلامية: ج٢/ ٤٦٦.

(٢) محمد عمارة، الفرق الإسلامية: ج٢/ ٥٠١.

(٣) الراوي، ثورة العقل: ٨٥؛ ضحى الإسلام: ج٣/ ١١٧.

(٤) أمين، ضحى الإسلام: ج٣/ ٣١.

(٥) الراوي، ثورة العقل: ٢٠٩.

(٦) محمد عمارة، الفرق الإسلامية: ج٢/ ٥٠٣.

الفكري وقت طرحها يقف موقف الرافض للخوض في نقاش هكذا أمر بصورة قطعية[١]، ويرى البعض أن فكرة القول بخلق القرآن التي قال بها المعتزلة وفرضتها الخلافة العباسية، لم تكن من ابتكاراتهم بل إن أول من قال بها هو الجعد بن درهم.

ويبدو أن لاعتناق المأمون العباسي، مذهب الاعتزال وجعله مذهباً رسمياً للدولة يعكس مساراً جديداً هدف المأمون من خلاله خدمة توجهاته السياسية الجديدة، لذا نجده سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٧م يظهر القول بخلق القرآن[٢]، وبعد ستة أعوام أي في سنة ٢١٨هـ/ ٨٣٣م كتب إلى إسحاق بن إبراهيم في امتحان القضاة والمحدثين في خلق القرآن[٣]، ولعل السبب الذي يقف وراء رغبة المأمون في امتحان القضاة والمحدثين، راجع إلى توفير قاعدة أساسية، يستند عليها لدعم مشروعه في جعل المجتمع يقول بخلق القرآن، مبتدئاً بأهل العلم ليكونوا أداة له في نشر القول بمسألة خلق القرآن، وإن تأخر الخليفة المأمون طيلة فترة السنوات الست، ما بين إعلان القول بإظهار القول بمسألة خلق القرآن سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٧م، وامتحان القضاة والمحدثين، سنة ٢١٨هـ/ ٨٣٣م، يرجع في البحث عن الظروف السياسية المناسبة وما في شك أن هذه الخطوة لم تكن غائبة عن ذهنية المأمون منذ البداية، لقد واجه المأمون أحمد بن حنبل، بقساوة بالغة على أثر رفضه القول بخلق القرآن حيث أمر بإرساله مقيداً بالحديد إليه في طرطوس[٤]، إلا أن منية المأمون حالت دون وصوله إليها[٥].

---

(١) أمين، ضحى الإسلام: ج٣/ ٣٣.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٧/ ٥١٠؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء: ٣٦٤؛ ابن العماد، شذرات الذهب: ج٢/ ٢٧.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٧/ ٥١٢؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء: ٣٦٥.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٧/ ٥٣٠.

(٥) السيوطي، تاريخ الخلفاء: ٣٦٩.

وبعد وفاة المأمون آلت الخلافة إلى أخيه المعتصم، الذي سار على نهج أخيه المأمون في الاستمرار في القول بخلق القرآن وامتحان الفقهاء في محاولة إجبار أحمد بن حنبل للقول بخلق القرآن، وعندما رفض ذلك أمر بضربه بالسياط[١] .

وبعد وفاة المعتصم سار الخليفة الواثق على سيرة أبيه وعمه المأمون في الاستمرار في امتحان الناس، ولقد كان عهده نقطة تحول حيث عمد على امتحان الأسرى حينما حصل على التبادل بين الخلافة العباسية والبيزنطيين سنة ٢٣١هـ/ ٨٤٥م، واعتبرت الخلافة من سواهم خارج عن الإسلام ممن لم يقل بخلق القرآن[٢].

ولما آلت الخلافة إلى المتوكل أنهى الصراع السياسي في القول بمسألة خلق القرقان حينما أمر بترك المباحثة والجدل وأمر المحدثين بالقول بالحديث وإظهار السنة والجماعة[٣]. وفي خضم هذه الصراعات الفكرية، كان للإمام الهادي عليه السلام موقفٌ فكريٌ حيث كتب إلى بعض شيعته في بغداد، يبين فيه ما يرى من الاختلاف في مسألة القول بخلق القرآن، وهذا يعكس لنا أهمية الأمر، فضلاً عن شعور الإمام عليه السلام بالظروف المحيطة بشيعته وخطورة المرحلة، حيث عمد هو بنفسه إلى الكتابة على خلاف ما عرف من قيام أتباعه بالكتابة إليه حيث كانوا هم يكتبون إليه، الأمر الذي يعكس سبقه في رصد المشاكل الفكرية ولقد جاء في ذلك الكتاب: «بسم الله الرحمن الرحيم، عصمنا الله وإياك من الفتنة فإن يفعل فأعظم بها نعمة وإلا يفعل فهي الهلكة، نحن نرى أن الجدال في القرآن بدعة اشترك فيه السائل والمجيب، فتعاطى السائل ما ليس له وتكلّف المجيب ما ليس عليه وليس الخالق إلا الله وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله لا تجعل له اسماً من عندك فتكون من الظالمين، جعلنا الله وإياك من الذين

---

(١) ابن الأثير، الكامل: ج٦/ ١٠؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء: ٣٩٤؛ ابن العماد، شذرات الذهب: ج٢/ ٤٥.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٨/ ١٢٣؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء: ٤٠١؛ حسن، تاريخ الإسلام: ج٣/ ٢٢٠.

(٣) المسعودي، مروج الذهب: ج٥/ ٥؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء: ٤٠٧.

يخشون ربهم بالغيب وهم منه مشفقون»[١].

١) إنَّ البحث في هذه المسألة يُعدُّ مصداقاً من مصاديق الفتنة الفكرية؛ لخطورتها على الملقي والمتلقي الذي يحاول توظيف الفكرة لأغراضه الشخصية أو السياسية أو الفكرية.

٢) عدَّ الإمام عليه السلام الجدلَ في القول بخلق القرآن بدعة قد اشترك فيها السائل والمجيب، وهنا نجد حكماً شرعياً للإمام وهو حرمة الجدل في المسألة منطلقاً في كونها بدعة.

٣) يشير الإمام عليه السلام إلى أنَّ مناقشة مثل هذه المسألة ليست من المسائل الاعتيادية، ضمن نطاق علم الكلام أو الفلسفة، فالسائل والمجيب، قد دخلا اتجاهاً ليس لهما أن يدخلا فيه، وإنما غاية ما يجب أن يقال فيها: إن القرآن كلام الله فلا تجعل له اسماً من عندنا لكي لا تكون من الظالمين، وإنما نصفه بما وصف فيه نفسه في آياته فنحن عندما نستقرئ القرآن لا نجد فيه وصفاً من حيث كونه مخلوقاً أو غير مخلوق.

ومن هذا النص نجد أن الإمام الهادي عليه السلام لا يقول بخلق القرآن أو عدمه، إنما جاء بطريق ثالث وهو أن القرآن كلام الله مع التوقف عن إضافة صفة معه من خلق ونحوه، وهذا نجد له إشارة في قوله: «لا نجعل له اسمًا من عندك»، وربما كان هذا الطريق ناتجاً من خطورة البحث في هذه المسألة والتي على محاذير فكرية كبيرة يجب الإعراض عنها وعدم البحث فيها، وليس من البعيد أن للظروف السياسية والفكرية مدخلية في رأي الإمام عليه السلام في هذه المسألة أيضاً.

---

(١) الصدوق، الأمالي: ٦٣٩؛ التوحيد: ٢٢٤؛ الشامي، الدر النظيم: ٧٣١؛ الكاشاني، علم اليقين: ج٢/ ٧٩٠؛ معادن الحكمة: ج٢/ ٢٢٣- ٢٢٤؛ الطبسي، حياة الإمام الهادي عليه السلام: ٢٥٠؛ المجمع العالمي، أعلام الهداية: ج١٢/ ٨٨.

٢- الواقفية

لقد كانت العديد من الفرق الظاهرة في السطح الفكري في عصر الإمام عليه السلام لها جذورها التأريخية السابقة على عصره، ومن بين تلك الفرق فرقة الواقفية، التي ظهرت بعد استشهاد الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام والتي تبنت العديد من الآراء منها أن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ارتفع إلى السماء كالمسيح بن مريم عليه السلام[١]. ومنها أيضاً أنه القائم من آل محمد وقد غاب كما غاب موسى بن عمران عليه السلام[٢]، ويرجح بعض الباحثين سبب ظهور هذه الفرقة إلى طمع قادتها بالأموال، التي جمعت عندهم على إثر إرسالهم من قبل الإمام موسى بن جعفر عليه السلام لجمع الحقوق الشرعية، من قبل الأتباع والموالين في العديد من الأمصار[٣]

لقد استمرت هذه الفرقة من حيث وجودها إلى زمن إمامة الإمام الهادي عليه السلام، فيشير النوبختي (فلقد لقب الواقفةَ بعضُ مخالفيها ممن قال بإمامة علي بن موسى الممطورة وغلب عليها هذا الاسم وشاع، وكان سبب ذلك أن علي بن إسماعيل، وقد اشتد الكلام بينهم ما أنتم إلا كلاب ممطورة...)[٤]، ويوضح القرشي هذا النعت بقوله: (تشبيهاً لهم بالكلاب التي أصابها المطر ومشت بين الناس فيتنجس بها كل من قرب منه)[٥].

وقد كتب للإمام عليه السلام أحد شيعته يسأله عن هذه الفرقة بقوله: «قد عرفت هؤلاء الممطورة أفأقنت عليهم في صلاتي قال: نعم أقنت عليهم في صلاتك»[٦].

---

(١) القرشي، حياة الإمام علي الهادي عليه السلام: ٣٣٧.

(٢) الحسني، سيرة الأئمة: ٣٥٨.

(٣) القرشي، حياة الإمام علي الهادي عليه السلام: ٣٣٧؛ الحسني سيرة الأئمة: ٢٦١.

(٤) النوبختي، فرق الشيعة: ؛ الحسني، سيرة الأئمة: ٣٦١.

(٥) القريشي، حياة الإمام علي الهادي: ٣٣٧.

(٦) الكشي، رجال الكشي: ج٦، ٥١٨

وعند دراسة هذا النص نجد أن الإمام عليه السلام يبين موقفه الفكري تجاه هذه الفرقة الضالة لابتعادها عن جوهر الإسلام، فنجده عليه السلام يجيب: «أقنت عليهم» والملفت في الجواب قوله: «أقنت» وهو فعل أمر يدل على الوجوب كما هو ثابت في محلّه، فلم يجب عليه السلام بعبارات الجواز. وهذا يعكس لنا خطورة هذه الفرقة في نظر الإمام عليه السلام.

ويبدو أن الإمام عليه السلام قد اتبع أسلوب المواجهة العملية مع رجال هذه الفرقة، حيث تشير المصادر أنه التقى بأحدهم والذي يعرف بسعيد الملاح، فروى بقوله: «دلني أبو الحسن وكنت واقفياً فقال لي: إلى كم هذه النومة أما لك أن تنتبه منها؟ فقدح في قلبي شيئاً وغشي عليَّ وتبعت الحق»[1].

روى ابن شهر آشوب أنَّ واقفياً كان في بلاط المتوكل العباسي، أقبل يريد الاستهزاء بالإمام عليه السلام عندما علم أن المتوكل قد أمر بعدم رفع الستار له عند دخوله عليه فأراد عليه السلام أن يقيم الحجة عليه، وليس بينهما سابق معرفة فقال له: «إن الله تعالى قال في سليمان: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾[2] ونبيك وأوصياء نبيك أكرم على الله تعالى من سليمان. فترك الوقف وقال بإمامته»[3].

يبدو من النصين السابقين أن الإمام عليه السلام قد سار بمنهج هداية هؤلاء الواقفة عن طريق الدليل الحسي ذات البعد الإعجازي، كونه ينسجم مع قناعتهم بغية إقامة الحجة عليهم أو هدايتهم لإتباع قول الحق.

٣- الصوفية

ترجع الصوفية إلى جذور تاريخية سابقة على عصر الإمام عليه السلام كمدرسة فكرية

---

(١) الكشي، رجال الكشي: ج٦/ ٥١٨؛ القرشي، حياة الإمام علي الهادي عليه السلام: ٣٣٧.

(٢) سورة ص: ٣٦.

(٣) المناقب: ج٤/ ٤٣٩، وورد بصيغ أخرى. انظر: الحر العاملي، إثبات الهداة: ج٣/ ٣٧٠؛ البحراني، مدينة المعاجز: ج٣/ ٢٨٨؛ القمي، منتهى الآمال: ٤٨٦.

من الفرق التي انتشرت في المجتمع الإسلامي. وبالرغم من قلة النصوص عن هذه الفرقة وموقف الإمام عليه السلام تجاهها إلا أننا نستطيع أن نرسم صورة واضحة عن معالم هذه الفرقة وموقف الإمام عليه السلام منها من خلال النص الآتي:

وروى محمد بن الحسين بن أبي الخطاب أنه قال: «كنت مع الإمام الهادي عليه السلام في مسجد المدينة إذ جاءت جماعة وفيهم أبو هاشم الجعفري وكان متكلّماً بارعاً وصاحب مكانة رفيعة عند الإمام، ثم دخلت من بعدهم ثلة من الصوفية فاعتزلوا جانباً وشكلوا حلقة وبدأوا بالتهليل فقال الإمام الهادي عليه السلام: لا تغتروا بهؤلاء فهم أولياء الشيطان وماحقو دعائم الدين احترفوا الزهد للراحة وتهجدوا لإيقاع الناس في الأغلال، ولم يتهلل هؤلاء سوى لخداع الناس ولم يقتصدوا في المأكل سوى لإغوائهم وبث الفرقة بينهم فأورادهم الرقص وأذكارهم الترنم لم يتبعهم إلا السفهاء، ولم يلحق بهم سوى الحمقى. من زار أحدهم حياً أو ميتاً لم يزر في الحقيقة إلا الشيطان ومن أعانهم فما أعان الا يزيد ومعاوية وأبا سفيان ثم تحدّث الإمام عن عداء الصوفية لأهل البيت وشبههم بالنصارى»[1].

وعند دراسة هذا النص نجد الإمام عليه السلام يبين موقفه كمرجعية فكرية تترصد كل ما هو مخالف للشريعة وروح الإسلام، وفرقة الصوفية هي حالة طارئة بعيدة عن الإسلام الحقيقي، وقد عمل هؤلاء الصوفية برنامجاً يحمل بعداً إعلامياً من خلال الاعتزال في جانب من المسجد والتهليل والزهد والتهجد، كل هذه الأعمال لخداع الناس كما أشار الإمام عليه السلام إلى ذلك، ويحدد عليه السلام صفات الناس المتبعين لهم حيث ينعتهم بالحمقى، الأمر الذي يعكس جهل هذه الفرقة خصوصاً في الجانب العقائدي الذي يستند على معاداة أهل البيت عليهم السلام.

---

(١) ذرائع اللسان: ج٢/ ٣٧؛ نقلاً عن: نجف، منهاج التحرك: ٧٥/ جعفريان، الحياة السياسية والفكرية: ج٢/ ١٦٢؛ رزق، دورس في سيرة النبي: ٢٦٤.

ويؤكد عليه السلام لأتباعه على أمر مهم وهو الابتعاد عن زيارة الحي منهم والميت ولعل قوله: للحي فيه شارة إلى رفض كل أنواع العلاقات الاجتماعية معهم، ولعل قوله: لميتهم فيه إشارة إلى عدم الحضور في تشييع جنائزهم وزيارة قبورهم، وجعل الزيارة للشيطان مما يعكس خطورة هذه الفرقة وجعل عليه السلام، معاونتهم إعانة لأبي سفيان ومعاوية ويزيد، وهذه الأسماء مصاديق بارزة في الظلم والابتعاد عن الحق، لذا جاء ذكرهم على لسانه عليه السلام.

٤- الغلاة.

لقد شكلت فرقة الغلو ظاهرة من الظواهر الفكرية في المجتمع الإسلامي، التي وجدت لها مناخاً مناسباً في فترة إمامة الإمام الهادي عليه السلام والتي لم تكن بالظاهرة الجديدة أو الطارئة بل لها جذورها التاريخية السابقة على عهده، والتي تظهر بصورة جلية كلما توفرت الأرضية المناسبة لها.

ومن الجدير بالإشارة أن هذه الفرقة كانت قد شكلت هذه الظاهرة في الوسط الشيعي والتي كان البعض منهم من أصحاب الإمام الهادي عليه السلام، والمصادر عن هذه الفرقة أشارت إلى كتب ترسل إلى الإمام عليه السلام ويرسل بدوره كتباً حولهم يبين موقفه تجاههم.

وأشارت بعض المصادر أنه كتب إليه عليه السلام من بعض شيعته كتاباً جاء فيه: «قوم يتكلّمون ويقرؤون أحاديث ينسبونها إليك وإلى آبائك عليهم السلام، ولا قبلوها لما فيها، وينسبون الأرض إلى قوم يذكرون أنهم من مواليك وهو رجل يقال له علي بن حسكة وآخر يقال له القاسم اليقطيني، من أقاويلهم إنهم يقولون: إن قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ**﴾[1]، معناها رجل، لا سجود ولا ركوع وكذلك الزكاة معناها ذلك الرجل لا عدد دراهم ولا إخراج مال وأشياء من الفرائض والسنن

(١) سورة العنكبوت: ٤٥.

والمعاصي تأويلها وصيروها على هذا الحد الذي ذكرت، فإن رأيت أن تبين لنا وأن تمن على مواليك بما فيه السلامة لمواليك ونجاتهم من هذه الأقاويل التي تخرجهم من الهلاك؟ فكتب عليه السلام: ليس هذه في ديننا فاعتزله»[١].

وعندما نقف لدراسة هذه النص نجد فيه إشارة إلى المستوى الفكري لدى الأتباع والموالين، الأمر الذي يعكس لنا الضعف في بنيتهم الفكرية حيث يظهرون بمظهر الحيرة والعجز أمام هكذا انحرافات، حيث يشير النص إلى هذا المعنى «أحاديث ينسبونها إليك وإلى آبائك فيها ما تشمئز منه القلوب ولا يجوز لنا ردها إذ كانوا يروون عن آبائك عليهم السلام»، الأمر الذي يصور لنا البيئة المناسبة لظهور هكذا انحرافات.

وإن أصحاب هذه الاتجاهات يدعون أنهم من الموالين، ويركزون في أقوالهم على أحاديث منسوبة وينكرون العديد من تشريعات الإسلام، كالصلاة والزكاة وبعض الفرائض والسنن، ولو جئنا إلى هذه العناوين الفكرية نجدها تعكس طبيعة المناخ العام في المجتمع، حيث نجد أن دعوتهم أنهم من الموالين جاءت لاستقطاب الجمع الشعبي لهم فنجد أحد المتصدين في هذا الاتجاه وهو القاسم اليقطيني الذي يعده الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الهادي عليه السلام وينعته بالغلو[٢].

ومن الجدير بالإشارة أن هؤلاء المغالين يمسون أهم تشريعات الإسلام، وهي الصلاة ونحوها ولا بدَّ من التساؤل عن ذلك فهل هو عن جهل أو مس من الجن أو الشيطان أو هناك خيوط سياسية تقف وراء ذلك خصوصاً، أن هذه الظاهرة برزت في الصف الشيعي والأرجح وجود قوى سياسية تحرك هكذا اتجاهات وتعمل على إحياء هكذا أمور كلما دعت الحاجة إليها.

---

(١) الكشي، رجال الكشي: ج٦/ ٥٦٥؛ العطاردي، مسند الإمام الهادي عليه السلام: ١٥١-١٥٢؛ الحسني، سيرة الأئمة: ٤٦٢- ٤٦٣؛ الطبسي، حياة الإمام الهادي عليه السلام: ٢٣٠-٢٣١.

(٢) رجال الطوسي: ٣٩.

ويبدو من جواب الإمام عليه السلام في توجيهاته إلى شيعته عدم الحاجة إلى اتخاذ إجراءات صارمة ضدهم، فأمرهم بالاعتزال فقط لعدم اتساع حركتهم وخطورتهم أو هم بحاجة إلى إجراءات صارمة إلا أن الظروف السياسية لم تكن مؤاتية حينئذ والأرجح السبب الثاني وليس الأول لعلم الإمام عليه السلام بطبيعة هكذا اتجاهات ومدى خطورتها على المسلمين، الأمر الذي يتعين على الإمام عليه السلام الدفاع فيه عن جوهر الإسلام.

وكُتِبَ إلى الإمام عليه السلام كتابٌ من بعض شيعته عن أحد الغلاة، وهو علي بن حسكة جاء فيه: «إنَّ علي بن حسكة يدعي أنه من أوليائك وأنك أنت الأول القديم، وأنه بابك ونبيك أمرته أن يدعو إلى ذلك، ويزعم أن الصلاة والزكاة والحج والصوم كل ذلك معرفتك ومعرفة من كان في مثل حال ابن حسكة فيما يدعي من البابية والنبوة فهو مؤمن كامل سقط عنه الاستعباد بالصلاة والصوم والحج وذكر جميع شرائع الدين إن معنى ذلك كله ما ثبت لك، ومال الناس إليه كثيراً فإن رأيت أن تمن على مواليك بجواب في ذلك تنجيهم من الهلكة»[1].

ويبدو من هذا النص بالمقارنة مع النص السابق، حدوث تطور فكري في توجهات الغلاة الفكرية وعلى رأسهم علي بن حسكة، حيث قال بإلوهية الإمام عليه السلام على هذا الكتاب وقد جاء فيه: «كذب ابن حسكة عليه لعنة الله وبحسبك أني لا أعرفه في موالي، ما له لعنه الله! فوالله ما بعث محمداً والأنبياء قبله إلا بالحنفية، والصلاة والزكاة والصيام والحج والولاية وما دعا محمد صلى الله عليه وآله إلا إلى الله وحده لا شريك له، وكذلك نحن الأوصياء من ولده عبيد الله لا نشرك به شيئاً، إن أطعناه رحمنا وإن عصيناه عذبنا، ما لنا على الله من حجة بل الحجة لله عزَّ وجلَّ علينا وعلى جميع

(١) الكشي، رجال الكشي: ج٦/ ٥٦٧؛ البيشواني، سيرة الأئمة: ٥٣٧؛ القرشي، حياة الإمام علي الهادي عليه السلام: ٣٣٢؛ العطاردي، مسند الإمام الهادي: ١٥٣؛ الحسني، سيرة الأئمة: ٤٦٣؛ الطبسي، حياة الإمام الهادي عليه السلام: ٢٣١-٢٣٢.

خلقه، أبرأ إلى الله ممن يقول ذلك وانتفي إلى الله من هذا القول، فاهجروهم لعنهم الله وألجئوهم إلى ضيق الطريق، فإن وجدت أحد منهم خلوة فاشدخ رأسه بالصخر)[١].

وعند دراسة جواب الإمام الهادي عليه السلام نجده ينسجم مع المتغيرات الجديدة التي تعكس شعور الإمام عليه السلام بخطورتهم، فنجده يثبت كذب ابن حسكة ويلعنه ويعلن البراءة منه ويعلن المقاومة الفعلية مع الغلاة بضربهم مع توفر الأمان للشيعة، حيث أشار إلى شدخ رؤوسهم عند ضيق الطرقات مما يشعر إما بقوة الغلاة أو وجود أطراف أخرى مساندة لهم الأمر الذي يدفعنا إلى استنتاج مفاده ضعف أتباعه ومواليه. وفي جانب آخر من جوانب الإمام عليه السلام نجده يتبع البعد الاستدلالي في الدفاع عن الإسلام أمام هذه الاتجاهات المنحرفة.

وتشير المصادر أن الإمام عليه السلام، قد بادر بإرسال كتاب إلى بعض شيعته يبين فيه موقفه من بعض كبار الشخصيات المغالية، ومن بين تلك الكتب ما جاء في أحدها: «لعن الله القاسم اليقطيني ولعن الله علي بن حسكة القمي إن شيطاناً يتراءى للقاسم فيوحي إليه زخرف القول غروراً»[٢].

ومن الشخصيات الأخرى التي أشارت إليها المصادر ممن أظهروا الغلو في عهده عليه السلام الفهري والقمي، وقد بادر الإمام بإرسال كتاب حولهم إلى أحد شيعته يبين فيه موقفه جاء فيه: «أبرأ إلى الله من الفهري والحسن بن محمد بن بابا القمي فأبرأ منهما فإني محذرك وجميع موالي وإني ألعنهما عليهما لعنة الله مستأكلين يأكلان بنا الناس فتانين مؤذين آذاهما الله أركسهما في الفتنة ركساً، يزعم ابن بابا أني بعثته نبياً وأنه باب عليه لعنة الله سخر منه الشيطان فأغواه فلعن الله من قبل منه ذلك، يا محمد إن قدرت

---

(١) الكشي، رجال الكشي:ج٦/ ٥٦٨.

(٢) الكشي، رجال الكشي: ج٦/ ٥٦٨؛ العطاردي، مسند الإمام علي الهادي عليه السلام:١٥٣- ١٥٤.

أن تشدخ رأسه بالحجر فافعل فإنه قد آذاني آذاه الله في الدنيا والآخرة»[١].

إن إرسال الإمام عليه السلام هذا الكتاب إلى أحد شيعته حول الفهري والقمي محذراً إياهم، يعكس لنا أعظم خطرها في نظره عليه السلام وقلة ذلك في نظر الأتباع وليس من البعيد أن الظروف السياسية كانت قد سمحت له في المبادرة في الكتابة للردّ على انحراف الغلاة وضلالهم، ويشير الشيخ الطوسي أن الفهري كان ملعوناً من قبل الإمام عليه السلام ويعدّه من أصحابه[٢].

ويتضح أن الإمام عليه السلام أكد على لعن القمي والفهري إلا أن القمي كان أكثر خطورة لأنه يدعي النبوة، وهو أيضاً ممن يعدّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الذين قالوا بالغلو[٣].

ومن بين أبرز الشخصيات التي أظهرت الغلو في فترة الإمام عليه السلام فارس بن حاتم القزويني ولقد أشارت بعض المصادر إليه وأبرزت موقف الإمام منه، الذي اتسم بالتدرج في اتباع سياسة التعامل معه، ومن بين أبرز تلك النصوص التي سوف نذكرها لندرسها جميعاً لنقف على موقف الإمام عليه السلام منه وهي كالآتي:

١- كتب أحد شيعته له يخبره بأمر فارس بن حاتم فكتب عليه السلام: «لا تحفلن به وإن أتاك فاستخف به»[٤].

٢- وكُتب للإمام عليه السلام من أحدُ شيعته في أمر فارس بن حاتم فكتب له: «كذبوه وهتكوه أبعده الله وأخزاه فهو كاذب في جميع ما يدعي ويصف، ولكن صونوا أنفسكم

---

(١) الكشي، رجال الكشي: ج٦/ ٥٦٨؛ العطاردي، مسند الإمام علي الهادي عليه السلام:١٥٣- ١٥٤.

(٢) رجال الطوسي: ٣٩٢.

(٣) المصدر نفسه: ٣٨٦.

(٤) الكشي، رجال الكشي: ج٦/ ٥٧٠؛ العطاردي، مسند الإمام علي الهادي عليه السلام: ١٥٤؛ الطبسي، حياة الإمام الهادي عليه السلام: ٢٣٥.

عن الخوض والكلام في ذلك وتوقوا مشاورته ولا تجعلوا له السبيل إلى طلب الشر كفانا مؤونته ومؤونة من كان مثله»[١].

٣- كتب للإمام عليه السلام في أمر فارس بن حاتم من أحد شيعته كتابٌ جاء فيه: «جعلت فداك، قبلنا أشياء تحكى عن فارس، والخلاف بينه وبين علي بن جعفر، حتى صار يبرأ بعضهم من بعض، فإن رأيت أن تمن علي بما عندك فيهما، وأيهما يتولى حوائجي قبلك حتى لا أعدوه إلى غيره، فقد احتجت إلى ذلك ، فعلت متفضلا إن شاء الله؟ فكتب: ليس عن مثل هذا يسأل، ولا في مثله يشك، قد عظم الله قدر علي بن جعفر ـ متعنا الله تعالى به ـ من أن يقايس إليه، فاقصد علي بن جعفر بحوائجك، واخشوا فارسا وامتنعوا من إدخاله في شيء من أموركم، تفعل ذلك أنت ومن أطاعك من أهل بلادك، فإنه قد بلغني ما يموه به على الناس، فلا تلتفتوا إليه إن شاء الله»[٢].

ويبدو أن تاريخ الخلافات بين علي بن جعفر وفارس بن حاتم كان في سنة ٢٤٨هـ/ ٨٤٩م[٣].

٤- روي أن الإمام عليه السلام لما قرر أن يقتل فارس بن حاتم القزويني وكان قد ضمن لقاتله الجنة[٤] فأوكل مهمة قتله لشخص يدعى جنيد، فروى عنه قوله: «فبعث إليَّ فدعاني فصرت إليه فقال: آمرك بقتل فرس بن حاتم فناولني دراهم من عنده وقال: اشتر بهذا سلاحاً فأعرضه عليَّ فذهبت فاشتريتُ سيفاً فعرضته عليه فقال: ردَّ هذا وخذ غيره قال: فرددته وأخذت ساطوراً فعرضته عليه فقال: هذا نعم. فجئت

(١) الكشي، رجال الكشي: ج٦/ ٥٧٠؛ القرشي، حياة الإمام الهادي عليه السلام: ٢٠١؛ العطاردي، مسند الإمام الهادي عليه السلام: ١٥؛ الطبسي، حياة الإمام الهادي عليه السلام: ٢٣٤.

(٢) الكشي، رجال الكشي: ج٦/ ٥٧٠؛ القريشي، حياة الإمام الهادي عليه السلام:٢٠١؛ العطاردي، مسند الإمام الهادي عليه السلام: ١٥٤؛ الطبسي، حياة الإمام الهادي عليه السلام: ٢٣٤.

(٣) الكشي، رجال الكشي: ج٦/ ٥٧٠؛ العطاردي، مسند الإمام علي الهادي عليه السلام:١٥٧- ١٥٨.

(٤) الكشي، رجال الكشي: ج٦/ ٥٧١.

إلى فارس وقد خرج من المسجد بين الصلاتين المغرب والعشاء فضربته على رأسه فصرعته وثنيت عليه فسقط ميتاً ووقعت الضجة فرميت الساطور بين يدي واجتمع الناس وأخذت إذ لم يوجد هناك أحد غيري فلم يروا معي سلاحاً ولا سكيناً وطلبوا الزقاق والدور فلم يجدوا شيئاً ولم ير أثر للساطور بعد ذلك»[1].

وبعد استعراضنا لهذه النصوص يجدر بنا الإشارة إلى أن فارس بن حاتم كان من أصحاب الإمام عليه السلام كما عدّه الشيخ الطوسي الذي ذكره بأوصاف اللعن والغلو[2]، وهذا يعكس لنا نقطة من نقاط قوة تحركات فارس بن حاتم كونه يمتلك مقومات تؤهله لاستقطاب الجموع الموالية من جهة ومن جهة أخرى أن صحبته للإمام عليه السلام لا بدَّ أن يكون لها أثر في بنيته الفكرية التي استفاد منها في إعلان دعوته لخداع الناس واستقطابهم.

ويبدو من مجمل دراسة النصوص أن الإمام عليه السلام كان ينحى منحى التدرّج في مواجهة فارس بن حاتم، وهذا التدرّج لم يأت من فراغ للأوضاع المحيطة بالإمام عليه السلام وأيضاً بفارس بن حاتم أثرا في ذلك، فنجد في النص الأول يوصي الإمام عليه السلام بالاستخفاف به بينما نجد لهجة الخطاب في النص الثاني تختلف، الأمر الذي يعكس خطورة تحركاته حيث نجد الإمام عليه السلام ينعته بالكذب والخزي ويطلب من شيعته مقاطعته والوقوف ضده في مساعيه المنحرفة، ويؤكد عليهم بالامتناع عن الحديث في هكذا مجالات كي لا يكونوا وسطاً دعائياً لتحركاته المنحرفة.

أما النص الرابع فنجد فيه اتخاذ الإمام عليه السلام القرار بقتله بعد أن نفدت كل وسائل عودته للصواب أو تحجيم خطورته، وقد أشرف بنفسه على عملية قتله الأمر

---

(١) الكشي، رجال الكشي: ج٦/ ٥٧١؛ ابن شهر آشوب، مناقب: ج٤/ ٤٤٩؛ الكاشاني، معادن الحكمة: ج٢/ ٢٣٠؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج٢٠/ ٣٢٩؛ العطاردي، مسند الإمام الهادي عليه السلام: ١٥٥-١٥٦؛ الشبستري، نور الهادي: ١٩٨-١٩٩.

(٢) رجال الطوسي: ٣٩٠.

الذي يعكس لنا أهمية التخلّص منه.

وبعد أن استعرضنا النصوص حول فرقة الغلو، وناقشناها نرىٰ من الأفضل الوقوف علىٰ بعض الأسئلة لنجيب عليها إتماماً للفكرة بأغلب جوانبها والتي أبرزها:

١- تاريخ ظهور الغلو في عهد الإمام عليه السلام؟ وهل كان هناك معاصرة في ظهورهم أم كانوا في فترات مختلفة؟

٢- الرقعة الجغرافية التي انتشر فيها الغلو؟

٣- هل كانت مواقف الإمام عليه السلام من فرقة الغلو قد وضعت حداً لهم بصورة كلية أو جزئية؟

٤- ما هي الدوافع التي أدت إلىٰ ظهور فرقة الغلو؟

وفي مقام الجواب عن السؤال الأول نجد أنَّ أقدمَ إشارة لدينا ترجع إلىٰ سنة ٢٤٨هـ / ٨٦٤م، والتي جاءت في كتاب وجه للإمام عليه السلام بتوثيق علي بن جعفر والإشارة إلىٰ انحراف فارس بن حاتم[١].

ويبدو من بعض النصوص أنّ جميع من قال بالغلو كان ظهورهم في فترة واحدة أو متقاربة جداً فقد سأل الإمام عليه السلام عن محمد بن الحسن بن بابا القمي فكتب عليه السلام: «ملعون هو وفارس تبرؤوا منهما لعنهما الله وضاعف علىٰ فارس»[٢]، الأمر الذي نستنتج منه معاصرة بن بابا القمي وفارس بن حاتم فضلاً عن معاصرة علي بن حسكة للقاسم اليقطيني وابن بابا القمي الذي كان أستاذهما[٣]، أما الفهري فقد كان معاصراً لابن بابا القمي فقد تبرأ منهما ولعنهما الإمام عليه السلام في كتاب واحد وجهه

(١) الكشي، رجال الكشي: ج٦/ ٥٧٣.

(٢) المصدر نفسه: ج٦/ ٥٧٤.

(٣) المصدر نفسه: ج٦/ ٥٩٦.

لبعض شيعته[١]، ومن هنا نصل إلى نتيجة واضحة وهي معاصرة جميع الذين أظهروا الغلو أحدهما للآخر.

أما الجواب للسؤال الثاني حول الرقعة التي انتشروا فيها الغلاة، فيبدو أنها كانت في قم قزوين وهذا نجده واضحاً، فعلي بن حسكة وابن بابا هما قميان وفارس بن حاتم القزويني كان من قزوين، كما هو واضح من لقبه وفي الجهات الجبلية منها وهذا نجده واضحاً في كتاب الإمام عليه السلام الذي وجهه لأحد شيعته يأمره بإذاعة انحراف فارس في الجهات الجبلية بين أتباعه[٢].

أما القاسم اليقطيني كان تلميذاً لعلي بن حسكة القمي فلا يستبعد أن يكون من قم أيضاً، أما الفهري ليس لدينا إشارة حوله إلا أن الرقعة الجغرافية التي ظهر فيها الغلو في تلك المناطق التي تعكس الأرضية المناسبة لانتشار هكذا انحرافات تدعونا لترجيح أنه من تلك المناطق أيضاً.

أما جواب السؤال الثالث، فيبدو أن الإمام عليه السلام قد وضع حدّاً لانحرافات الغلاة فقام بتحجيم انتشار أفكارهم المنحرفة بين الناس، ما عدا فارس بن حاتم الذي أمر بقتله وهذا نجده واضحاً في تاريخ ولده العسكري عليه السلام حيث لم يشكلوا ظاهرة في عصره مما يعكس نجاح الإمام عليه السلام في سياسته معهم.

وإن هذه الشخصيات التي أظهرت الغلو والذين أشرنا إليهم في دراستنا لم يكونوا الوحيدين في وسط المغالين بل كانوا أبرزهم.

أما جواب السؤال الرابع عن الدوافع التي أدت إلى ظهور فرقة الغلاة نستطيع أن نجمل ذلك بما يلي:

١- العامل النفسي: لقد أكد الإمام عليه السلام على هذا العامل والذي يتمثل في غواية

(١) الكشي، رجال الكشي: ج٦/ ٥٩٦.

(٢) المصدر نفسه ج٦/ ٥٧٢.

الشيطان للبعض منهم، فأشار إلى القاسم اليقطيني بقوله: «إن شيطاناً ترائى للقاسم فيوحي إليه زخرف القول غروراً»[١]، وأشار لابن بابا القمي بقوله: «سخر منه الشيطان فأغواه»[٢].

٢- العامل الاقتصادي: كان أغلب الذين ادعوا الغلو كما اتضح هم من أصحاب الإمام الهادي عليه السلام وبهذا يكونوا قد نالوا ثقة الأتباع والموالين، مما يجعل الناس يدفعون لهم الأموال لإرسالها للإمام عليه السلام إلا أنهم استحوذوا عليها ويبين الإمام عليه السلام هذا الأمر عند فارس بن حاتم القزويني بقوله: «إنه كذب علينا وسرق أموال موالينا»[٣].

٣- العامل الإعجازي: إن مشاهدة الذين ادعوا الغلو والكرامات والأخبار الغيبية للإمام عليه السلام دفعهم إلى عدم تفسيرها تفسيراً صحيحاً، مما أوقعهم بالانحراف الفكري وقولهم بالغلو.

٤- العامل السياسي: لقد تحرّكت الجهات السياسية العباسية على محاولة تشويه عقيدة الشيعة وتنفير الناس منهم كلما أدركت المناخ الفكري مناسباً لذلك[٤].

---

(١) الكشي، رجال الكشي: ج٦/ ٥٦٦.

(٢) المصدر نفسه

(٣) المصدر نفسه

(٤) اليعقوبي، دور الأئمة: ١٤٨.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر الأولية:

- ابن الأثير، عزّ الدين أبو الحسن علي بن محمد (ت٦٣٠هـ، ١٢٣٢م).

١- الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام، د ط، بيروت، ٢٠٠٦.

- الإربلي، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت ٦٩٢هـ، ١٢٩٢م)

٢- كشف الغمة في معرفة الأئمة، ط١، قم المقدسة، ١٤٢١هـ.

- أسفنديار، بهاء الدين محمد بن حسن (ت ٦٠٦هـ، ١٢٠٩م)

٣- تاريخ طبرستان، دط. دت.

- البحراني، هاشم بن سليمان الحسيني (ت١١٠٧هـ، ١٦٩٥م)

٤- حلية الأبرار في فضائل محمد وآله الأطهار، دط، بيروت، دت.

- الحر العاملي، محمد بن الحسن (ت١١٠٤هـ، ١٦٩٢م)

٥- إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، دط، دت.

- الحلي، عزّ الدين أو محمد بن سليمان بن محمد (ت ق ٨هـ)

٦- المستجاد من كتاب الإرشاد، تحقيق محمود البدري، ط١، ١٤١٧هـ.

- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ، ١٠٧٠م)

٧- تاريخ بغداد، تحقيق مصطفى عبد القادر عطار، ط١، بيروت، ١٩٩٧م.

- الحماني، علي بن محمد العلوي (ت ق ٣هـ)

٨- ديوان الحماني، تحقيق محمد حسين الأعرجي، ط، بيروت، ١٩٩٧م.

- سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر (ت٦٥٤هـ، ١٢٥٦م)

٩- تذكرة الخواص، دط، بيروت، دت.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ، ١٥٠٥م)

١٠- تاريخ الخلفاء، تحقيق إبراهيم صالح، ط٢، بيروت، ٢٠٠٣م.

- الشامي، الشيخ جمال الدين يوسف بن حاتم، (ت ق ٧هـ).

١١- الدر النظيم في مناقب الأئمة اللهاميم، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، ١٤٢٠هـ.

- ابن شهر آشوب، أبو جعفر محمد بن علي (ت ٥٨٨هـ ١١٩٢م)

١٢- مناقب آل أبي طالب، تحقيق يوسف البقاعي، ط٢، بيروت، ١٩٩١م.

- ابن الصباغ المالكي، علي بن محمد بن أحمد، (ت٨٥٥هـ، ١٤٥١م)

١٣- الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة، دط، النجف الأشرف، دت.

- الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسىٰ بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ، ٩٩١م)

١٤- الأمالي، تحقيق مركز الدراسات الإسلامية، ط١، قم المقدسة، ١٤١٧هـ.

١٥- التوحيد، ط٦، قم المقدسة، ١٤١٦هـ.

١٦- بصائر الدرجات في فضائل آل محمد، دط، قم المقدسة، ١٤٠٤هـ.

- الطبرسي، أبو علي بن الفضل بن الحسين (ت٥٤٨هـ، ١١٥٣م)

١٧- إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ، تحقيق مؤسسة آل البيت، ط١، قم المقدسة، ١٤١٧هـ.

- الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب (ت ٥٦٠هـ، ١١٦٤م)

١٨- الاحتجاج، تحقيق إبراهيم الهادي، والشيخ محمد الهادي، ط٥، طهران، ١٤٢٤هـ.

- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ، ٩٢٢م)

١٩- تاريخ الأمم والملوك، تحقيق عبد علي مهنا، ط١، بيروت، ١٩٩٨م.

- عبد الوهاب بن حسين (ت ق ٥هـ)

٢٠- عيون المعجزات، ط٤، بيروت، ٢٠٠٤م.

- ابن العماد الحنبلي، أبي الفلاح عبد الحسن (ت ١٠٨٩هـ، ١٦٧٨م)

٢١- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دط، دت.

- الفتّال، محمد الفتّال النيسابوري، (ت ٥٠٨هـ، ١١١٤م)

٢٢- روضة الواعظين، ط١ ، بيروت، ١٩٨٦م.

- الكاشاني، علم الهدىٰ محمد بن المحسن (ت ١١١٥هـ، ١٧٠٣م)

٢٣- علم اليقين في أصول الدين، تحقيق محمد بيدارفر، ط١، قم المقدسة، ١٤١٨هـ.

٢٤- معادن الحكمة في مكاتب الأئمة، د. ط. طهران، د.ت.

- الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق، (ت ٣٢٨هـ، ٩٣٩م).

٢٥- الأصول من الكافي، ط٣، طهران، ١٣٨٨م.

- المجلسي، الشيخ محمد باقر (ت١١١١هـ، ١٦٩٩م).

٢٦- بحار الأنوار، تحقيق محمود درياب، ط١، بيروت، ٢٠٠١م.

- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ، ٩٥٧م).

٢٧- إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب، دط. قم المقدسة، ١٩٩٦.

- مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط١، ١٤٢٢هـ.

- المفيد، محمد بن محمد النعمان، (ت ٤١٣هـ، ١٠٢٢م).

٢٨- الاختصاص، دط، قم المقدسة، دت.

٢٩- الإرشاد تحقيق حسين الأعلمي، ط٥، بيروت، ٢٠٠١م.

- النباطي، زين الدين أبو محمد علي بن يونس (ت ٨٧٧هـ، ١٤٧٢م)

٣٠- الصراط المستقيم إلى مستحقي القديم، تحقيق محمد باقر البهبودي، ط١٣٨٤،١م.

- النوبختي، أبو محمد الحسن بن السهل (ت ق ٣ هـ).

٣١- فرق الشيعة، دط، النجف الأشرف، ١٩٥٩م.

- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب (ت ٢٩٢هـ، ٩٠٥م).

٣٢- تاريخ اليعقوبي، ط١، قم، ١٤٢٥هـ.

ثالثاً: المراجع الثانوية

- أمين، أحمد

٣٣- ضحى الإسلام. ط١. بيروت، ٢٠٠٦ م.

- البيشوائي، مهدي.

٣٤- سيرة الأمة، دط، ١٤٢٥هـ.

- بيطار، زهر.

٣٥- الإمامة تلك الحقيقة القرآنية د، دط، بيروت، ٢٠٠١م.

- جعفريان، رسول.

٣٦- الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت، ع ط ١، بيروت، ١٩٩٤ م.

- الراوي، عبد الستار عزّ الدين.

٣٧- ثورة العقل، دط، ١٩٨٢م.

- رزق الشيخ خليل.

٣٨- دروس في سيرة النبي والأئمة الأطهار. ط١، ٢٠٠٠م.

- السبحاني جعفر.

٣٩- العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام (د ط، بيروت د ت).

- الشبستري، عبد الحسين.

٤٠- النور الهادي إلى أصحاب الإمام الهادي، ط١، قم المقدسة، ١٤٢١هـ.

- الطبسي، الشيخ محمد جواد.

٤١- حياة الإمام الهادي، دراسة وتحليل . دط، ١٤٢٦ هـ

- عمارة، محمد .

٤٢- الفرق الإسلامية، ضمن كتاب موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، ج٢، ط١، بيروت، ١٩٩٥م .

- العبادي، الشيخ علي حمود.

٤٣- علم الإمام، ط١، بيروت، ٢٠٠٩ م .

- العش، يوسف.

٤٤- محاضرات في تاريخ الخلافة العباسية، دط، ١٩٧٧م .

- الفراتي، فاضل.

٤٥- المنتخب من سيرة المعصومين. ط٢، ١٤٢٣هـ.

- القمي: الشيخ عباس بن محمد رضا .

٤٦- سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار، ط٢، ١٤١٦ هـ .

٤٧- منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل، دط ٢٠٠٣ م .

- المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام .

٤٨- أعلام الهداية، ط٢، قم المقدسة، ١٤٢٥ هـ.

- مهران، محمد بيومي .

٤٩- الإمامة وأهل البيت . ط٢، ١٩٩٥م .

- مؤسسة البلاغ .

٥٠- سيرة رسول الله وأهل بيته ط ٣، ٢٠٠٣ م .

- اليعقوبي، الشيخ محمد موسى .

٥١- دور الأئمة في الحياة الإسلامية، دط، النجف الأشراف، ١٤٢٥هـ.



البحث الثامن

موقف أهل البيت من الغلو

دراسة موضوعية

في ضوء معطيات سنة المعصومين عليهم السلام

الإمام الهادي عليه السلام إنموذجاً

م.د . مصطفى صالح الجعيفري

جامعة القادسية

كلية التربية



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة على أفضل السابقين وأشرف الأولين والآخرين محمد وعلى عترته الدرر الميامين .

أما بعد

فقد منَّ الله (عزَّ وجلَّ) على أهل هذه المعمورة بأن أرسل إليهم الأنبياء وشخّصَ لهم الأوصياء – من زمن أبي البشر عليه السلام وصولاً إلى سيد ولد آدم، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله؛ حرصاً من وقوع عباده في متاهات العقائد الفاسدة والمنحرفة؛ ولكي يهديهم سبل الحق، وطرق النجاة. فكانت هي النعمة الكبرى منه (عزَّ وجلَّ) علينا.

لكن – ومع شديد الأسف – سرعان ما تشقق عود هذه الديانات، وتفرّق أهلها، وسلكوا الباطل لعلةٍ وأخرى، حتى أصبح من المستحيل أن تخلو أي ديانة ـ سماوية أو وضعية – من الفرق والمذاهب والجهات والمسميات، مع لحاظ ادعاء كل واحدة منها، بأنها المتصلة بأصل الدين، وأنها عنوان الحق والحقيقة، ومن يخالفها فهو الباطل بعينه.

وان موضوع الغلو هذا، موضوع مشظ الأبعاد والجذور والمعاني والدلالات[1]، لذلك لزمنا تشخيص نوعية الفساد الذي سوف ندرسه، فعمدنا إلى إقرانه فيما يخص

(١) إن فساد العقيدة موضوع ينطبق على أتباع كل الديانات الوضعية والسماوية المحرفة، فهو يدخل في مضمار الديانة اليهودية والمسيحية والمجوسية والبوذية ...إلخ .

الغلو الذي يصل إلى حدِّ الشرك والكفر بالله ربِّ العالمين.

ملفتين الانتباه إلى أن الساحة الفكرية الإمامية، قد شهدت من رجالاتها صولات وجولاتٍ، تُرجِمت على هيئة بحوثٍ ودراساتٍ ـ واسعة الأفق؛ ومتعددة الزوايا –، فيما يخص موضوع الغلو والشرك والكفر، خصوصاً من جهة معناه، وأسبابه، وما إلى ذلك.

إن أهمية هذا الموضوع تنبع من أمور: فهو في الوهلة الأولى له مساس بالعقيدة الإسلامية عموماً والإمامية خصوصاً، مما يستوجب البيان عنه وإماطة اللثام عن حقيقيته.

وكان سبب اختيار البحث للموضوع هو أن هذا الموضوع يعدُّ جزئية خطيرة في الفكر الإسلامي مما يستلزم الوقوف عنده وبيان مخاطره.

أما ما تهدف إليه هذه الدراسة: هو إماطة اللثام عن حقيقة موقف أهل البيت من الذين غلو في حقهم حتى أوصلوهم ساحة الربوبية، فهل كان موقفهم القبول ام كان موقفهم الرد العنيف؟

مشكلة البحث تكمن في إثارة الشبهاتِ من قبل السلفية، بخصوص عمل الإماميّة بأحاديث الغلاة من دون مبالاة، زاعمين فوق هذا: أن علماء الإمامية يرفضون الأخذ بمرويات السنّة بتحريض من أئمتهم عليهم السلام، وهذا الادعاء أشعل فتيل النار في قلب الباحث مما دعاه إلى المضي لإماطة اللثام عن وجه الحقيقة (بعون الله تعالى)، ورفع اللبس الحاصل عن أذهان هؤلاء الإخوة.

التمهيد :

لقد ابتليت الطائفة الإماميّة - مع شديد الحزن والأسى - بالانقسامات الفكرية العقائدية، مما آل بها أن تتمزق إلى مذاهب وفرق، قد انطوت كلها تحت عنوان: «الشيعة» الذي هو في الاصطلاح، يُطلق على كل من فضّل علياً عليه السلام، وقدّمه على غيره بعد النبوة .

وتبَيَّنَ لنا بعد الاستقراء والبحث، أن فرق الشيعة (غير الإماميّة) قد توقفت عند سبعة عناوين فقط، سنذكرها مُرتَّبَةً بحسب الظهور:

أولاً ـ الغلاة. ثانياً ـ الكيسانية. وثالثاً ـ الزيدية. رابعاً ـ الناووسية. خامساً ـ الإسماعيلية. سادساً ـ الأفطحية. سابعاً ـ الواقفة.

والذي يهمنا من هذه الفرق هي الفرقة الأولى: فرقة المغالين.

تعريف الغلاة: الغلاة: هم الذين بالغوا في تعظيم بعض الأئمة عليهم السلام، رافعين لهم فوق منازل البشر. والغلاة مأخوذة من الغلو: وهو مصدر الفعل غلا يغلو، ومعناه - كما يقول الراغب: تجاوز الحد[1]. لذا فإن الغلو: مصطلح من مصطلحات العقيدة، يراد به الانحراف في الاعتقاد إلى حدِّ الإفراط، وقد أخذ من قوله تعالى: ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ**... ﴾.[2] الذي خوطب به المسيحيون لغلوهم في حق عيسى بن مريم عليه السلام برفعهم إياه من حبر العبودية إلى مستوى الربوبية، ثم استمر بالظهور حتى اخترق الأوساط الإسلامية، متجسداً بجماعات منها بعض فرق الشيعة التي

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات، ٦١٣، تحت مادة غلا.

(٢) سورة النساء: ١٧١.

غالت في حق عترة النبي محمد صلى الله عليه وآله على مستويات أبرزها: التشبيه[١]، والتناسخ[٢]،

(١) معنى التشبيه؛ أن تجدهم تارةً شبّهوا واحداً من الأئمة بالإله، وتارةً أخرى شبهوا الإله بالخلق، ينظر: الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، ١ / ١٧٣ .

(٢) التناسخ: مصطلح عقائدي يعرف بـ تجوال الروح، أو بـ تناسخ الأرواح، أو بـ تكرار المولد أو بـ «الولادة بعد الولادة»، وهو يبتني على أساس رجوع الروح بعد خروجها من جسد الإنسان إلى جسد آخر مباين له في الصورة والمادة، كأن تحل الروح في جنين عن طريق النطفة أو في بدن إنسان أو حيوان بالِغَين وقيل في النبات أيضاً، وذلك لأنها - الروح - لا تزال عليها ديون كثيرة من جهة علاقاتها بالآخرين لذلك كان لا بدَّ من إبقائها، فمن كان معاصيه أقل وطاعاته أكثر كانت صورته أحسن وآلامه أقل، ومن كان بالعكس فبالعكس، ولا يزال يكون الحيوان في الدنيا - في صورة بعد صورة ما دامت معه ذنوبه، أي أن الكفار تنتقل أرواحهم إلى أجساد الحيوانات المشوهة المذمومة كالقردة والخنازير، والمؤمنين تنتقل أرواحهم إلى أجساد طاهرة، فهذه حالهم إلى أبد الآبدين، وبناء على هذه المقولة فإن استقرار الروح في أحد الجسدين بعد عافية الصالحين والطالحين، فلا جنة ولا نار وهذا هو الباطل بعينه، لأنه يستلزم تتكرر الأدوار إلى ما لا نهاية، باعتبار أن القيامة عندهم هي خروج الروح من قالبه وولوجه في قالب آخر، وقد اعتقدت أكثر فرق الغلاة والمشبهة والمجسمة بالتناسخ وقالت به، وقد تبنى هذا المعنى الطبيب محمد بن زكريا الرازي في بعض كتبه قائلاً: لولا أنه لا سبيل إلى تخليص الأرواح من الأجساد المتصورة بالصورة البهيمية إلى الأجساد المتصورة بصورة الإنسان إلا بالقتل والذبح لما جاز قتل شيء من الحيوان أو ذبحه البتة.
ومن الجدير بالذكر أن هذا المعنى استورده بعض الشواذ كعبد الله بن سبأ المغالي الملعون، ينظر: العلّامة الحلي، الحسن بن يوسف، خلاصة الأقوال، ٢٧٣٠)، وغيره ممن يدعي الإسلام، من كتب اليونان والهند وأصول الديانة الهندوسية، وألصقوها بالمعصومين عليهم السلام لتحقيق مآربهم الشخصية، وذلك بقولهم: إن روح الله أو جزءاً من روح الله قد حلّت بأجساد المعصومين عليهم السلام وهذا الجزء ينقل من معصوم إلى معصوم بعملية التناسخ، وأن أرواح المعصومين تنتقل من أجسادهم عند موتهم لتحلّ في أجساد أصحابهم وأتباعهم الخلص، وهكذا تبقى أرواح المعصومين ولا تموت . ينظر: النوبختي، الحسن بن موسى، فرق الشيعة، ٣٦، ينظر: الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، ١/ ١٧٣، ينظر: الشلبي، أحمد، مقارنة الأديان، أديان الهند ٣٦ - ٦٥، ينظر: مركز الرسالة، الرجعة أو العودة إلى الحياة الدنيا بعد الموت، ٩٩، وينظر: السبحاني، جعفر، العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام»، ٢٣٤.
وكيفما كان فالذي يبدو: إن معنى التناسخ باطلٌ، وهو لا يمتُّ إلى الإسلام بأي صلة، ومن دان به فهو كافر بالله؛ لأنه ينكر ضرورة من ضرورات الإسلام وهو المعاد يوم القيامة.

حسب قول الشهرستاني [١] والبداء، والرجعة.

أما التشبيه والتناسخ فهما أمران يستلزمان فساد عقيدة متبنيهما مما لا شك فيه البتة.

لكن ما يدعو للنقاش هو إطلاق القول بأن الرجعة[٢]

وما يمال إليه أن هؤلاء قد قالوا بالتناسخ لأنهم لم يتمكنوا من تصور «المعاد» بصورته الصحيحة، لذا تجدهم أحلّوا «التناسخ» محلّه، واعتقدوا به، بدل الاعتقاد بالمعاد . والله أعلم .

وأخيراً يود الباحث أن يشير إلى أن بعض الكتّاب ينسبون جهلاً أو تنكيلاً هذه العقيدة إلى الإمامية، مع أن الإمامية قد استدلوا في كتب العقائد والأصول على كفر هذا المذهب، ووجوب البراءة منه، ينظر، مركز الرسالة والرجعة، ٩٩، وينظر، السبحاني، العقيدة الإسلامية، ٢٣٤.

(١) ينظر: الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، ١ / ١٧٣.

(٢) الرجعة: مصطلح عقائدي يؤمن به الشيعة، يستلزم عودة الإنسان إلى الحياة الدنيا بعد الموت قبل يوم القيامة، وهو عند الإمامية يعني، أن الله عزَّ وجلَّ: يُعيد قوماً من الأموات معاداً جسمانياً إلى الدنيا قبل يوم الحساب في صورهم التي كانوا عليها – أي رجوع الروح إلى نفس الجسم والبدن الأول –، مستلزماً أن يكون هذا الرجوع موقوتاً ومحدوداً كمّاً وكيفاً ولغرض تطبيق العدالة السماوية في الأرض قبل يوم المحشر، وذلك عند قيام مهدي آل محمد عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام المؤمل في أن يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً . هذا وإنّ الرجعة تُعتبر من ضروريات المذهب التي تستدعي وجوب الاعتقاد بها، لكن الاعتقاد بالتفاصيل والجزئيات غير واجب، مشيرين إلى أنه قد ورد في القرآن الكريم ما يثبت وقوع الرجعة إلى الدنيا لبعض الأموات، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ البقرة: ٢٤٣، ومعجزة إحياء عيسى عليه السلام للأموات، وعودة عزير بعد مائة عام من موته، وهلمَّ جراً، وكذلك جاء عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قوله: «ليس منا من لم يؤمن برجعتنا...» المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ٣٢٠ / ١٠٠، فضلاً عما أورده الحر العاملي في الباب الثاني من كتابه «الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة من وجود اثني عشر دليلاً على صحة الاعتقاد بالرجعة، وأخيراً نقول: إن مسألة الرجعة ليست مرتبطة بالإمكان والاستحالة، بقدر ما هي مرتبطة بالمبررات العملية الواقعية في ضرورة حصولها كما تقدم. ينظر: الطبسي، نجم الدين، الرجعة في أحاديث الفريقين، ٢٧، وينظر: مركز الرسالة، الرجعة أو العودة إلى الحياة الدنيا بعد الموت، ١٣ – ٢١، ٥٦ – ٦٣، وللاستزادة والتفصيل ينظر ما ألّفه مركز الرسالة، وهو

والبداء[١] من عقيدة الغلاة[٢]؟ وهذا مرفوض جملة وتفصيلًا؛ لأنهما - أي الرجعة

كتاب، الرجعة أو العودة إلى الحياة الدنيا بعد الموت.

ومما نود الإشارة إليه: أن هنالك وجه التقاءٍ بين الرجعة - الذي هو مظهر مصغر من القيامة النهائية الحقيقية الكبرى - وبين المعاد - الذي هو يوم القيامة العظمى - من حيث إن كليهما يتوقفان على عودة الروح إلى النفس البدن الدنيوي الأول وإن كان شراباً، مع وجود الفارق وهو أن الرجعة تكون قبل المعاد الذي هو يوم الحساب الأوفى.

(١) البداء - بالفتح - هو جواز النسخ في الشريعة الإسلامية - باتفاق المسلمين - بأن الله عزَّ وجلَّ «يُشرّع حكماً كالوجوب أو التحريم، ويُبلّغه نبيه صلى الله عليه وآله، وبعد أن يعمل النبي وأمته بموجبه، يرفع الله هذا الحكم وينسخه، ويجعل في مكانه حكماً آخر، لانتهاء الأسباب الموجبة للحكم الأول وبقاء استمراره، ومَثَلُه، تحول القبلة من المسجد الأقصى إلى الكعبة . هذا وقد اتفق المسلمون على عدم جواز النسخ في الطبيعيات؛ ولأنه يستلزم الجهل وتجدد العلم لله، وهذا هو البداء الباطل بعينه.

وقد قال فيه الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: من زعم أن الله عزَّ وجلَّ، يبدو له في شيء لم يعلمه أمس، فأبرأوا منه . فالبداء إظهار بعد إخفاء لا ظهور بعد خفاء وهنا فرق بين المثالين أرجو الالتفات ينظر: الشيخ المفيد، محمد بن النعمان، تصحيح اعتقادات الإمامية، ٦٥ - ٦٨، ينظر: الخوئي، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن، ٣٨٣.

(٢) نكتة معرفية أحياناً يقسم العلماء الغلو إلى قسمين، القسم الأول: الغلو الذي يستوجب الخروج من الإسلام، وهو موضوع البحث، والقسم الثاني: الغلو الذي لا يستوجب الكفر والخروج عن الإسلام، إنما يستوجب الذم؛ وذلك لسوء فهم، وقلة معرفة، وجهالة، وأن أصحاب هذا القسم: هم من اعتقدوا جازمين بألوهية الله ووحدانيته، مع عدم وجود الشريك له، وقالوا بخاتمية نبوة النبي محمد صلى الله عليه وآله، وهم بذلك لا يكفرون ولا يعتبرون أنجاساً. وإنْ قالوا ما قالوا بعصمتهم عليهم السلام... إذ إن العلماء في بعض الأحايين يسمون فاسدي العقيدة بالغلو؛ لتفريطهم في ما هو أصل من أصول المذهب، وعلى سبيل المثال - مع الفارق - كالقول بالرجعة التي هي تعد من أصول الإماميّة كما مرَّ.

نعم عنوان فساد العقيدة سوف يبقى مصاحباً لهم، وهم على ذلك محاسبون وموقوفون أمام الله جلّ وعلا، إلا أنه لا يستوجب تكفيرهم (ينظر: الكلباسي، محمد بن محمد إبراهيم، الرسائل الرجالية، ٣/ ٦١٢- ٦١٩، ينظر: الخميني، روح الله الموسوي، كتاب الطهارة، ٣ / ٣٣٨ - ٣٤١. ومن أراد التفصيل بصورة دقيقة عن هذا المعنى فلينظر المصدرين المتقدمين.)، وتكفير هذا القسم، إنما هو في الحقيقة حكم بلا دليل، لذلك تقع العهدة على من كفّرهم غداً أمام الله سبحانه، وذلك قوله تعالى: ﴿وقفوهم إنهم مسؤولونَ﴾ الصافات ٢٤.

أما عند فرق الغلاة عموماً فكثيرة، إذ أن منها المُخمّسة: وهم القائلون بوجود خمسة أشخاص، كانوا

والبداء - يُعتبران من ضرورات المذهب الإمامي في الاعتقاد .

موقف أهل البيت عليهم السلام عموماً والإمام الهادي عليه السلام خصوصاً من هؤلاء الغلاة:

لقد شهد التاريخ الإسلامي في قرونه الثلاثة الأولى حركات فكرية مغالية

موكلين بتدبير العالم من قبل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وهم: سلمان، وأبا ذر، والمقداد، وعمار بن ياسر، وعمر بن أمية الضمري (عمر أو عمرو بن أمية الضمري، هو مبعوث رسول الله صلى الله عليه وآله إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه، وكتب معه كتاباً كان فحواه، بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي .وقد عرف بجهاده بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد أخذ ذات مرة أسيراً، فلما أخبرهم أنه من مضمر، أطلقوه وجزوا ناصيته وأعتقوه .

وأن عُمر هذا قد أنزلوه منزلة الإله .ينظر: الشاهرودي، علي النمازي، مستدركات علم رجال الحديث، ٦/ ٢٦. وللتفصيل ينظر: ابن عساكر، علي بن الحسين، تاريخ مدينة دمشق، ٤٥ / ٤٢٠ - ٤٢٦)، وكذلك الحلوليون: وهم القائلون بحلول روح الإله في جسم الإمام، وهؤلاء مرجعهم إلى الغلاة .

وكذا النصيرية: الفرقة المذمومة المتخفية في ظل التقية، والتي نشأت بعد وفاة الإمام الهادي عليه السلام وقد ادعى مؤسسها محمد بن نصير النميري أنه نبي، وقد بعثه الإمام الهادي عليه السلام، وغيرهم (كالخطابية، والعلبائية، والكاملية، والبيانية، والغرابية، والمقنعية، والجناحية... إلخ. ينظر التفصيل الشاكري، حسين، موسوعة المصطفى والعترة، (٩ / ٥٨٢- ٥٩٢) .

مشيرون إلى مسألة معينة وهي أن الثقاة من الغلاة تندرج أخبارهم تحت بوتقة الحديث الموثق لاحتمالين: الأول: أنهم لم يقولوا بعصمة اثني عشر هاشمياً، بالإضافة إلى أنهم بالغوا في تعظيم بعض الأئمة عليهم السلام، رافعينهم فوق منازل البشر. ثانياً: أنهم قد قالوا بعصمة كل الأئمة، إلا أنهم قد بالغوا فقط في تعظيم بعض الأئمة عليهم السلام، رافعينهم فوق منازل البشر، ومثالهم: من غلا في حق الإمام الحسن العسكري. وهؤلاء - حسب نظر الباحث القاصر- يشبهون الفاسقين من الإمامية، من جهة أخذ أخبارهم، لأن هنالك جامع مشترك بينهما: وهو أن كليهما يقولان بعصمة اثني عشر هاشمياً، وأن كليهما مذمومان، وأن كليهما محاسبان أمام الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة نتيجة اقترافهم ما هو ليس بمشروع في الإسلام .

وفي كلا الاحتمالين يصير حديث هؤلاء الرواة مندرجة تحت الحديث الموثق. (تنبيه/ : إن الحديث الموثق هو الحديث الذي رواه الثقة سواء كان من رواة المذهب السني، أو من رواة فرق الشيعة . أضف إلى ذلك أن الشيخ الطوسي قد وضع شروطاً خاصة المحاكاة أخبار الغلاة التي سيأتي ذكرها لاحقاً في الفصل الثالث إن شاء الله (تعالى). أما رواة الغلاة، فيصل عددهم في كتب الرجال إلى تسعين راوياً تقريباً في كتب الحديث عامة .

قامت على ثلاثة اتجاهات:

أولاً: إضفاء صفة الألوهية على بعض الأشخاص، كالقول بألوهية النبي والإمام علي «صلوات الله عليهما»، وغيرهما .

ثانياً: إضفاء صفة النبوة على بعض الأشخاص، كالقول بنبوة الإمام علي عليه السلام، والقول بنبوة بيان بن سمعان التميمي .

ثالثاً: إسقاط التكاليف الشرعية، كما ذهب إلى ذلك بعضهم [١].

والمتتبع لكتب الإمامية يرى أن العلماء[٢] قد قالوا في أصحاب هذا القسم: إنهم كفرة أنجاس؛ لإنكارهم ضرورة من ضرورات الدين، وعلى أثر ذلك كان موقف الأئمة عليهم السلام من هؤلاء موقف السلب، إذ يتبين لمن تتبع أخبار المعصومين (صلوات الله عليهم) أنهم وقفوا إزاء هذا الاعتقاد مواقفاً متنوعة :

الموقف الأول: اللعن والبراءة منهم:

لا شك أن الغلو من الأمور التي جعلت الأئمة في موقف خاص، وتحت ضغط معين، يجعلهم عليهم السلام حذرين وقلقين مما تتعرّض إليه الأمة الإسلامية حينئذٍ، فقد ذكرت كتب التاريخ أن أبا الجارود[٣] لما أظهر بدعته بتأليه الأئمة عليهم السلام، تبرّأ

---

(١) كالصوفية مثلاً . ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ١٧٤ – ١٨٨.

(٢) ينظر: قول الشيخ المفيد في تصحيح الاعتقاد، ٢٣٨، وينظر: الشهيدان في شرح اللمعة الدمشقية، ٣/ ١٨٠، وينظر: قول اليزدي في العروة الوثقى، ١ / ٦٨، ونقل السيد الحكيم في مستمسك العروة الوثقى الإجماع على ذلك، ثم أردف قائلاً: ((وكذا الحال لو أريد من الغلو تجاوز الحد في صفات الأنبياء والأئمة مثل اعتقاد أنهم خالقون، أو رازقون، أو لا يغفلون، أو لا يشغلهم شأن عن شأن، أو نحو ذلك من الصفات)) . مستمسك العروة الوثقى، ١/ ٣٨٦.

(٣) هو زياد بن المنذر أبو الجارود الهمداني الكوفي الحوفي، تابعي زيدي المذهب، أعمى لم ير الدنيا قط، وإليه تنسب الجارودية من الزيدية، عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، لا شبهة في ذمه . ينظر: الطوسي، محمد بن الحسن، رجال الطوسي، ١٣٥، وينظر: العلّامة الحلي،

منه الإمام الباقر عليه السلام، وسمّاه سرحوباً[١]؛ للمبالغة في التنفير منه، ولعنه أيضاً الإمام الصادق عليه السلام، ولعن معه كثير النوّاء[٢]، وسالم بن أبي حفصة[٣]، وقال فيهم أيضاً: (كذابون مكذبون كفار، عليهم لعنة الله)[٤]، وهكذا لعنوا أبا الخطاب[٥] وغيرهم.

تعيين موقف الإمام الهادي عليه السلام هنا مثالاً:

إن من أبرز القضايا التي واجهها الإمام علي بن محمد الهادي في زمانه أيضاً كانت الغلو كما هو حال آبائه المتقدمين، بل أن هذه الحركة فعلاً كانت من العناصر المؤثرة في حركة التشيع والتي يمكن القول إن امتداداتها إلى اليوم موجودة، لذلك رأينا أن الإمام الهادي اتخذ موقفاً قاسياً من هذه الظاهرة العقدية، فأعلن عن التبري ممن يتمسك بهذا الاعتقاد المنحرف، حرصاً منه في تطهير الفكر الإسلامي وحمايته من افتراءات المغرضين والمنحرفين سواء الذين كان انحرافهم عن قصد أو جهل. وفعلاً

الحسن بن يوسف، خلاصة الأقوال، ٣٤٨ .

(١) هو اسم شيطان أعمى يسكن البحر . ينظر: الفيروز آبادي، محمد، القاموس المحيط، ١/ ٨٢ .

(٢) هو كثير بن كاروند النواء البتري – لأنه كان أبتر اليد–، الذي قال فيه الإمام الصادق عليه السلام: «اللهم إني إليك من كثير النواء أبرأ في الدنيا والآخرة.» المجلسي، بحار الأنوار، ٣٠ / ٢٤٢ لأنه أضلّ كثيراً ممن ضلّ من هؤلاء [أي الناس]، وذلك من خلال إنكاره إمامة الإمام علي عليه السلام حال خلافة الخلفاء الثلاث، مع إعطاء الأحقية لهم في الخلافة، وأنكر الرجعة . ينظر: العلّامة الحلي، خلاصة الأقوال ٣٩٠، وينظر: السبحاني، جعفر، بحوث في الملل والنحل، ٧/ ٤٥٤.

(٣) سالم بن أبي حفصة، زيدي بتري، كان يكذب على أبي جعفر عليه السلام، فلعنه الإمام الصادق عليه السلام. ينظر: ابن داود، الحسن بن علي الحلي، رجال ابن داود، ٢٤٧ .

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ٣٧ / ٣٢ .

(٥) هو محمد بن مقلاص الأسدي أبو زينب البزاز البراد الكوفي، أبو الخطاب، ملعون غال، وهو الذي ورد فيه أن قيل لأبي الحسن الرضا عليه السلام، جعلت فداك ما هذا الذي يسمع من أبيك أنه أمرنا بولاية أبي الخطاب ثم أمرنا بالبراءة منه ؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: «...إن أبا الخطاب كان ممن أعاره الله الإيمان، فلما كذب على أبي سلبه الله الإيمان». ينظر: الطوسي، محمد بن الحسن، رجال الطوسي، ٢٩٦، واختيار معرفة الرجال، ٥٨٤ .

هذا ما وجدناه في أيام الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام، حيث وجدنا أن الإمام ردَّ رداً قاسياً على بعض المنحرفين عقائدياً كأمثال: الحسن بن محمد بن بابا القمي، والقاسم ابن يقطين، وعلي بن حسكة، ومحمد بن نصير الفهري النميري وغيرهم.

فقد جاء في الأثر ما أورده الشيخ الطوسي عن سعد بن عبد الله، قال: حدثني سهل بن زياد الآدمي، عن محمد بن عيسى، قال: كتب إليَّ أبو الحسن العسكري عليه السلام ابتداءً منه: «لعن الله القاسم اليقطيني، والآخر علي بن حسكة القمي، إن شيطاناً يتراءى للقاسم فيوحي إليه زخرف القول غروراً»[1].

كما نقل الشيخ الطوسي أنه روى عبد الله بن جعفر الحميري قال: «كتب أبو الحسن العسكري عليه السلام إلى علي بن عمرو القزويني بخطه: «اعتقد فيما تدين الله تعالى به أن الباطن عندي حسب ما أظهرت لك فيمن استنبأت عنه، وهو فارس لعنه الله فإنه ليس يسعك إلا الاجتهاد في لعنه، وقصده ومعاداته، والمبالغة في ذلك بأكثر ما تجد السبيل إليه. ما كنت آمر أن يدان الله بأمر غير صحيح، فجد وشد في لعنه وهتكه، وقطع أسبابه، وصدَّ أصحابنا عنه، وإبطال أمره وأبلغهم ذلك مني، واحكه لهم عني، وإني سائلكم بين يدي الله عن هذا الأمر المؤكد، فويل للعاصي وللجاحد. وكتبت بخطي ليلة الثلاثاء لتسع ليال من شهر ربيع الأول سنة خمسين ومائتين، وأنا أتوكل على الله وأحمده كثيرا»[2].

وأيضاً أورد الشيخ الطوسي: محمد بن مسعود، قال: حدّثني عليّ بن محمد، قال: حدّثني محمد، عن محمد بن موسى، عن سهل بن خلف، عن سهيل بن محمّد: وقد اشتبه يا سيدي! على جماعة من مواليك أمر الحسن بن محمد بن بابا، فما الذي تأمرنا يا سيدي! في أمره، نتولّاه ام نتبرّء عنه؟ ام نمسك عنه؟ فقد كثر القول فيه،

(١) الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ٢ / ٨٠٤؛ النوري، خاتمة مستدرك الوسائل، ٤ / ١٤١ .هذا ما رواه الكشي في ترجمة القاسم اليقطيني من أنه من كبار الغلاة.

(٢) الشيخ الطوسي، الغيبة، ٣٥٣.

فكتب عليه السلام بخطه وقرأته: ملعون هو وفارس، تبرّؤا منهما، لعنهما الله، وضاعف ذلك على فارس[١] .

الموقف الثاني: الاستخفاف بهم والتحذير منهم:

لقد حاول الأئمة الطاهرون عليهم السلام إضعاف هذه الحركات المغالية في زمانهم بشتى الوسائل والطرق، فتارةً يستخفون بهم، وتارةً أخرى يحذرون منهم، فقد ورد أن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: ((إن المغيرة بن سعيد لعنه الله دسّ في كتب أصحاب أبي أحاديث لم يحدّث بها أبي، فاتقوا الله ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وآله، فإنا إذا حدّثنا قلنا: قال الله عزَّ وجلَّ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله»[٢]، ومثل ذلك تحذيرهم للناس من ابن كيّال[٣] لمّا وقفوا على بدعته .

تعيين موقف الإمام الهادي عليه السلام هنا مثالاً :

إن كل من يقرأ عن حياة الإمام الهادي عليه السلام يجد أن الإمام عليه السلام قد نوّه ونبّه وحذّر أصحابه وعموم المسلمين من الاتصال بهم، ومن كبار المغالين في عصر الإمام الهادي عليه السلام فارس بن حاتم الذي ذهب أكثر الرجاليين إلى وصفه بالغلو، فكان الإمام يحذّر كلما اتيحت له الفرصة لذلك .

فقد روى الكشي بسنده عن إبراهيم بن داود اليعقوبي[٤] قال كتبت إليه يعني

---

(١) الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ٢ / ٨١٠؛ النجفي، عبد الله الصالحي، موسوعة مكاتيب الأئمة ٢ / ٦١ . في لعن الإمام الهادي عليه السلام على فارس والحسن بن محمد بن بابا.

(٢) الكشي، محمد بن عمرو، رجال الكشي، ٢ / ٤٨٩، ح٤٠١ . وأغلب علماء الرجال وافقوا الكشي.

(٣) أتباع أحمد بن الكيال، الذي يميل للتناسخ، والذي على إثره تبرأ المعصومون منه، ولعنوه وأمروا شيعتهم بمنابذته وترك مخالطته ولما عرف الكيال ذلك منهم صرف الدعوة إلى نفسه وأدعى الإمامة أولاً، ثم أدعى أنه القائم ثانياً. ينظر: الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، ١/ ١٨١.

(٤) قد ورد في ترجمة إبراهيم بن داود اليعقوبي الذي ذكره الشيخ في رجال الجواد والهادي عليهما السلام .

أبا الحسن عليه السلام[١] أعلمه أمر فارس بن حاتم وكان قد ظهر منه الغلو فكتب: «لا تحفلن به وإن أتاك فاستخف به»[٢].

وكذلك روي أنّ قال موسى بن جعفر بن إبراهيم بن محمد أنه قال: كتبت إليه إلى الإمام الهادي – جعلت فداك قبلنا اشياء يحكى عن فارس والخلاف بينه وبين علي ابن جعفر، حتى صار يبرء بعضهم من بعض فإن رأيت أن تمنَّ عليَّ بما عندك فيهما وأيهما يتولى حوائجي قبلك حتى لا أعدوه إلى غيره فقد احتجت إلى ذلك، فعلت متفضلاً إن شاء الله .فكتب: «ليس عن مثل هذا يسأل ولا في مثله يشك، قد عظم الله قدر علي بن جعفر، منعنا الله تعالى عن أن يقاس إليه . فاقصد علي بن جعفر بحوائجك، واجتنبوا فارساً وامتنعوا من إدخاله في شيء من أموركم أو حوائجكم، تفعل ذلك أنت ومن أطاعك من أهل بلادك، فإنه قد بلغني ما تموه به على الناس، فلا تلتفتوا إليه إن شاء الله»[٣].

وقد حدثني الحسين بن الحسن بن بندار القمي، قال: حدثنا سهل بن زياد الآدمي، قال: كتب بعض أصحابنا إلى أبي الحسن العسكري عليه السلام: جعلت فداك يا سيدي إن علي بن حسكة يدعي أنه من أوليائك، وأنك أنت الأول القديم، وأنه بابك ونبيك أمرته أن يدعو إلى ذلك، ويزعم أن الصلاة والزكاة والحج والصوم كل ذلك معرفتك ومعرفة من كان في مثل حال ابن حسكة فيما يدعي من البابية والنبوة فهو مؤمن كامل سقط عنه الاستعباد بالصلاة والصوم والحج، وذكر جميع شرائع الدين أن معنى ذلك كله ما ثبت لك، ومال الناس إليه كثيراً، فإنّ رأيت أن تمنَّ على مواليك بجواب في ذلك تنجيهم من الهلكة . قال: فكتب الإمام الهادي عليه السلام: «كذب ابن حسكة عليه لعنة الله وبحسبك أني لا أعرفه في موالي ما له لعنه الله، فوالله ما بعث الله

(١) رأيت بعض الناقلين يرون أن أبا الحسن هو الإمام الرضا، لكن الصواب هو الإمام الهادي عليه السلام.

(٢) الأمين، أعيان الشيعة، ٢ / ١٣٨.

(٣) الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ٢/ ٨٠٧.

محمداً والأنبياء قبله إلا بالحنيفية والصلاة والزكاة والصيام والحج والولاية، وما دعى محمد صلى الله عليه وآله إلا إلى الله وحده لا شريك له. وكذلك نحن الأوصياء من ولده عبيد الله لا نشرك به شيئاً، إن أطعناه رحمنا، وإن عصيناه عذبنا، ما لنا على الله من حجة، بل الحجة لله عزَّ وجلَّ علينا وعلى جميع خلقه أبرء إلى الله ممن يقول ذلك وانتفي إلى الله من هذا القول، فاهجروهم لعنهم الله والجؤوهم إلى ضيق الطريق ...»[١].

الموقف الثالث: الردّ على مقالاتهم الباطلة :

ذكرت كتب الحديث أنه قيل للإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: قد «زعم أبو هارون المكفوف[٢] أنك قلت له: إن كنت تريد القديم فذاك لا يدركه أحد، وإن كنت تريد الذي خلق ورزق فذاك محمّد بن علي! يعني الباقر عليه السلام فقال الإمام الصادق عليه السلام: كذب عليَّ، عليه لعنة الله، والله ما من خالق إلا الله وحده لا شريك له، حق على الله أن يذيقنا الموت، والذي لا يهلك هو الله خالق وبارئ البرية»[٣]، وقول الإمام الصادق صلوات الله عليه: «لعن الله من أزالنا عن العبودية لله الذي خلقنا وإليه مآبنا، ومعادنا، وبيده نواصينا»[٤]، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «لعن الله من قال فينا ما لا نقوله في أنفسنا»[٥].

لذا بيّن الإمام الرضا عليه السلام حقيقة أخبار الغلو بقوله الشريف: «إن مخالفينا وضعوا أخباراً في فضائلنا وجعلوها على ثلاثة أقسام؛ أحدها: الغلو.

وثانيها: التقصير في أمرنا .

---

(١) الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ٢/ ٨٠.

(٢) قال الطوسي: مجهول. ينظر: الفهرست، ٣٣٨، والشاهرودي له رأي آخر .ينظر: الشاهرودي، علي النمازي، مستدركات علم رجال الحديث، ٨/ ٤٧٠.

(٣) الكشي، رجال الكشي، ٢ / ٤٨٨، ح ٣٩٨ .

(٤) المصدر نفسه، ٢ / ٤٨٩، ح ٤٠٠ .

(٥) المصدر نفسه، ج ٤٠١ .

وثالثها: التصريح بمثالب أعدائنا»[١] وكيفما كانوا، فقد بادوا وبادت معهم آراؤهم ولا يوجد اليوم منهم أحد إلا في بطون الكتب .

تعيين موقف الإمام الهادي عليه السلام هنا مثالاً :

إذ نقل الشيخ الطوسي في كتابه عن موسى قوله: كتب عروة إلى أبي الحسن عليه السلام في أمر فارس بن حاتم، فكتب: «كذّبوه واهتكوه أبعده الله وأخزاه فهو كاذب في جميع ما يدعي ويصف، ولكن صونوا أنفسكم عن الخوض والكلام في ذلك، وتوقوا مشاورته ولا تجعلوا له السبيل إلى طلب الشر كفانا الله مؤنته ومؤنة من كان مثله»[٢].

كما ورد في الأثر أن محمد بن مسعود، قال: حدثني علي بن محمد، قال: حدثني محمد بن أحمد، عن محمد بن عيسى، قال: قرأنا في كتاب الدهقان وخط الرجل في القزويني، وكان كتب إليه الدهقان يخبره باضطراب الناس في هذا الأمر وأن الموادعين قد أمسكوا عن بعض ما كانوا فيه لهذه العلة من الاختلاف، فكتب: «كذّبوه واهتكوه أبعده الله وأخزاه كاذب في جميع ما يدعي ويصف، ولكن صونوا أنفسكم عن الخوض والكلام في ذلك وتوقوا مشاورته ولا تجعلوا له السبيل إلى طلب الشر، كفى الله مؤنته ومؤنة من كان مثله»[٣].

وروى أيضاً محمد بن مسعود، قال: حدثني محمد بن نصير، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى، كتب إليه في قوم يتكلّمون ويقرؤون أحاديث ينسبونها إليك وإلى آبائك فيها ما تشمأز فيها القلوب، ولا يجوز لنا ردّها إذا كانوا يروون عن آبائك عليهم السلام، ولا قبولها لما فيها، وينسبون الأرض إلى قوم يذكرون أنهم من مواليك وهو رجل يقال له: علي بن حسكة، وآخر يقال له: القاسم اليقطيني . من أقاويلهم: إنهم

---

(١) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا، ٢ / ٢٧٢ .

(٢) الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ٢ / ٨٠٦.

(٣) الخوئي، معجم رجال الحديث، ١٤ / ٢٦٨.

يقولون: إن قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾[١] معناها رجل. لا سجود ولا ركوع، وكذلك الزكاة معناها ذلك الرجل لا عدد درهم ولا إخراج مال، وأشياء من الفرائض والسنن والمعاصي تأولوها وصيّروها على هذا الحدّ الذي ذكرت. فإن رأيت أن تبين لنا وأن تمنَّ على مواليك بما فيه السلامة لمواليك ونجاتهم من هذه الأقاويل التي تخرجهم إلى الهلاك. فكتب عليه السلام: «ليس هذا ديننا فاعتزله»[٢].

الموقف الرابع: الضرب وإهدار الدم :

إن الأئمة الطاهرين عليهم السلام قد اتخذوا موقفاً صارماً تجاه من يسعى إلى تحريف الدين وتغيير اعتقادات الناس، ولعل هذا كان واضحاً في حياة الإمام الهادي حين أصدر بعض القرارات والأحكام بحق من يخالف أحكام الشرع وأصول الاعتقاد الإسلامي.

تعيين موقف الإمام الهادي عليه السلام هنا مثالاً:

فنجد أنَّ الإمام الهادي عليه السلام أظهر موقفاً صارماً من ابن بابا القمي وغيره من الذين ادعوا أن الإمام الهادي عليه السلام هو الرب الخالق للكون، وأنه بعث ابن حسكة ومحمد بن نصير الفهري وابن بابا وغيرهم أنبياء يدعون الناس إليه، بل إنَّ الإمام علي الهادي عليه السلام طالب بقتلهم، وقد كان محمد بن نصير النميري يدّعي أنه نبي بعثه الإمام الهادي عليه السلام، وكان يضيف فوق هذا أن يقول بالتناسخ والغلو في الإمام علي الهادي عليه السلام، ويقول فيه بالربوبيّة، مما حدا بالإمام أن يتخذ بحقهم قراراً يوافق حجم المصيبة التي جاؤوا بها وذلك من خلال الروايات الآتية:

فقد ورد عن الحسين بن الحسن بن بندار القمي، قال: حدثنا سهل بن زياد الآدمي، قال: كتب بعض أصحابنا إلى أبي الحسن العسكري عليه السلام: جعلت فداك يا

---

(١) سورة العنكبوت: ٤٥.

(٢) الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ٢ / ٨٠٣ .

سيدي إن علي بن حسكة يدعي أنه من أوليائك، وأنك أنت الأول القديم، وأنه بابك ونبيك أمرته أن يدعو إلى ذلك، ويزعم أن الصلاة والزكاة والحج والصوم كل ذلك معرفتك ومعرفة من كان في مثل حال ابن حسكة فيما يدعي من البابية والنبوة فهو مؤمن كامل سقط عنه الاستعباد بالصلاة والصوم والحج، وذكر جميع شرائع الدين أن معنى ذلك كله ما ثبت لك، ومال الناس إليه كثيراً، فإن رأيت أن تمنَّ على مواليك بجواب في ذلك تنجيهم من الهلكة . قال: فكتب عليه السلام: «كذب ابن حسكة عليه لعنة الله وبحسبك أني لا أعرفه في موالي ما له لعنة الله، فوالله ما بعث الله محمداً والأنبياء قبله إلا بالحنيفية والصلاة والزكاة والصيام والحج والولاية، وما دعى محمد صلى الله عليه وآله الا إلى الله وحده لا شريك له .وكذلك نحن الأوصياء من ولده عبيد الله لا نشرك به شيئا، إن أطعناه رحمنا، وإنْ عصيناه عذبنا، ما لنا على الله من حجة، بل الحجة لله عزَّ وجلَّ علينا وعلى جميع خلقه أبرء إلى الله ممن يقول ذلك وانتقي إلى الله من هذا القول، فاهجروهم لعنهم الله وألجؤوهم إلى ضيق الطريق فإن وجدت من أحد منهم خلوة فاشدخ رأسه بالصخر»[1].

لقد أورد الشيخ الطوسي عن الحسين بن الحسن بن بندار القمي، قال .حدثني سعد بن عبد الله بن أبي خلف القمي، قال: حدثني محمد بن عيسى بن عبيد، أن أبا الحسن العسكري عليه السلام أمر بقتل فارس بن حاتم القزويني وضمن لمن قتله الجنة فقتله جنيد . وكان فارس فتَّاناً يفتن الناس، ويدعو إلى البدعة، فخرج من أبي الحسن عليه السلام: «هذا فارس لعنه الله يعمل من قبلي فتاناً داعياً إلى البدعة ودمه هدر لكل من قتله، فمن هذا الذي يريحني منه ويقتله، وأنا ضامن له على الله الجنة»[2].

---

(١) الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ٢/ ٨٠٤، النوري، خاتمة مستدرك الوسائل، ٥ / ٢٤٤ .

(٢) الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ٢ / ٨٠٧ الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٢٨ / ٣١٩؛ البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ١٣ / ٢٣٣. نقل الحر العاملي: محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي في (كتاب الرجال) عن الحسين بن الحسن بن بندار، عن سعد بن عبد الله، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن أبا

الحكمة من إهدار دم هؤلاء ؟

أرىٰ أن الإمام الهادي عليه السلام قوله حجة، وافتاؤه مشروع، لأنه كان الوصي من الله علىٰ الناس بعد النبي وآله، ولأنه يلحظ مصلحة الأمة، ويقدم برنامج التضحية بواحد قبال المجموع، إذ أن الإمام وآبائه كانوا يرون ولايزالون يرون أن الإنسان إنْ هدىٰ شخصاً واحداً كان له خير مما طلعت عليه الشمس، ويرون بنفس الوقت قيمة الفرد الواحد بما له من قيمة عندما يحترم نفسه ويسري مع سريان المجموع ويكون مواطناً صالحاً وفرداً نافعاً وشخصاً محافظاً علىٰ نظام الأمة ونظام الملة ونظام المجموع، لكن إذا كان خلاف ذلك، بل وعُدّ إنساناً ضاراً وسلبياً علىٰ الأمة وعلىٰ المجموع وعلىٰ الملة وعلىٰ الدين وعلىٰ الدولة فإن الإمام ملزم[1] بقاعدة تقديم الأهم علىٰ المهم، وتطبيق قاعدة لاضرر ولاضرار في الإسلام، وقاعدة دفع الأفسد بالفاسد فإنه أمرَ بقتل مثل هكذا أشخاص، أي لحظ قاعدة التضحية بواحد قبال حفظ عقيدة المجموع[2]،

الحسن عليه السلام أهدر مقتل فارس بن حاتم وضمن لمن يقتله الجنة، فقتله جنيد، وكان فارس فتاناً يفتن الناس ويدعوهم إلىٰ البدعة، فخرج من أبي الحسن عليه السلام: «هذا فارس يعمل من قبلي فتاناً داعياً إلىٰ البدعة ودمه هدر لكل من قتله، فمن هو الذي يريحني منه ويقتله، وأنا ضامن له علىٰ الله الجنة».

(١) وهذا نفس دور الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام حيث واجه الخصوم الثلاث في معارك الجمل وصفين والخوارج، حيث إنه أفرغ كل الوسع في إقناعهم وإرجاعهم إلىٰ الحق وهو الإمام علي بن أبي طالب كما يعرفه الناس جميعاً ـ ومع هذا لم يقنعوا ولم يرجعوا إلىٰ الحق فاضطر إلىٰ مواجهتهم بل إلىٰ قتلهم وهو يبكي دماً لما يجري في الأمة لكن يبقىٰ مصلحة الإسلام فوق كل شيء، ومصلحة المجموع فوق كل شيء.

(٢) طبعاً هذا بلحاظ نوع القضية، إذ بعض القضايا المعصوم لايتخذ إجراءً مماثلاً كما اتخذه الإمام علي في حروبه أو الإمام الهادي في قتل بعض هؤلاء المغالين؛ وذلك لأن نفس تلك القضايا يلحظ فيها حق الرأي وحق الفئات القليلة وحقوق الأقليات التي لا تضر كل الضرر بمصالح الإسلام عند النظر إليها من بعيد، نعم: لا شك أنها ضرر، لكن قد تكون المواجهة المباشرة لها أشد ضرراً وأعمق جرحاً وأكثر ألماً علىٰ الإسلام والمسلمين ومصالحهما فيضطر الإمام إلىٰ مواجهتها تلك القضايا – عبر الفكر والصبر والزمن، لتصحيح المسار وتقويم الإعوجاج فيها، أفضل من مواجهتها بالمباشر .

لكن مع إفراغ الوسع في إصلاح هذا الفرد ولكنه لا يقبل النصح ولا الإرشاد وهذا هو شرط هذه القاعدة، وليس كما يسير عليها بعض من لا يفهموا هذه القاعدة، بأننا نضحي بالفرد لأجل المجموع وهو لم يحاول ولو لمرة معالجة هذا الفرد بأي صورة من صور الإصلاح، أو توجيهه بأي شكل من أشكال الإرشاد.كما هو حال بعض الجامعات العراقية للأسف ـ في توجيه بعض الإدارات بترسيب الطلبة من دون إفراغ الوسع معهم تطبيقا لهذه القاعدة.

خلاصة البحث بالعربي:

ضمن معطيات هذه الدراسة، التي توصل إليها البحث، نعرض لكم النتائج وفق الملخص الآتي:

١- اتضح من البحث أن الغلو شاع كثيراً في حياة الإمام الهادي عليه السلام .

٢- تبين من البحث أن الإمام الهادي عليه السلام كانت له أكثر من ردة فعل لهذه الظاهرة العقدية المنحرفة في زمانه .

٣- ظهر من البحث أن الإمام الهادي عليه السلام قدم أكثر من صورة معالجة لهذه الظاهرة في وقته عليه السلام.

٤- ظهر من البحث أن بعض الرواة اتسموا بأكثر من صفة من صفات فساد العقيدة، كمحمد بن الحسن بن شمون، أبو جعفر، أصله بصري .واقف، ثم غلا [١]، وغيره .

٥- تبين لنا أن أكثر رواة المذاهب والفرق الإسلامية هم الغلاة، إذ ربا عدد أفراد هذا المذهب على التسعين راوٍ تقريباً .

٦- يرشد البحث إلى أن الغلو هو من المواضيع التي شغلت حيزاً كبيراً من دراسات علماء الإمامية.

٧- ومن النتائج المهمة التي توصل لها البحث هي مسألة الردّ على من زعم أن الإمامية تعمل بأخبار الغلاة بلا ضابطة أو معيار.

---

(١) ينظر: ابن الغضائري، أحمد بن الحسين، رجال ابن الغضائري، ٩٥ .

خلاصة البحث باللغة الإنكليزية:

English Abstract :

Within the data of this study , which the research reached , we present the results according to the following summary :

1- It became clear from the research that the excesses are very common in the life of Imam Hadi (peace be upon him)

2- The research shows that the Imam Hadi (peace be upon him) was more than a reaction to this phenomenon deviant deviation in his time .

3- It emerged from the research that Imam Hadi (peace be upon him) provided more than a picture of the treatment of this phenomenon in his time (peace be upon him) .

4- It emerged from the research that the Imam tried to some of the narrators were characterized by more than one of the characteristics of the corruption of faith , such as Mohammed bin Hassan bin Shamoon , Abu Jaafar , the origin of visual Standing , then Gala( ) , and others

5- It is clear to us that most of the narrators of Islamic sects and sects are the most extreme , because the number of members of this sect is , about -- Rao .

6- The research teaches that hyperbole is one of the subjects that occupied a large part of the studies of the scholars of Imamiyah .

7- One of the important findings of the research is the question of responding to those who claim that the Imamiyah works with the news of the Almighty without an officer or a standard.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الألف

* الأشعري، أبو الحسن، علي بن إسماعيل (ت ٣٣٠).

١. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، المكتبة الشاملة الإلكترونية .

الأمين، السيد محسن الأمين (ت ١٣٧١هـ).

٢. أعيان الشيعة، تحقيق: تحقيق وتخريج: حسن الأمين، ط: ١، الناشر: دار التعارف للمطبوعات - بيروت - لبنان، د .ت .

الحاء

العلّامة الحلي، جمال الدين، الحسن بن يوسف بن علي المطهر الحلي (ت ٧٢٦هـ).

٣. خلاصة الأقوال، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط:١، المطبعة: مهر، قم، إيران، ١٤١٤ هـ .

الطاء

الطبسي ، نجم الدين (ت ١٣٣٤ هـ) .

٤. - الرجعة في أحاديث الفريقين، ط:١، مكتبة أهل البيت الإلكترونية، قم، إيران، (د . ت).

الطوسي، أبو جعفر، محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ) .

٥. اختيار معرفة الرجال، تحقيق: ميرداماد الأسترآبادي، والسيد مهدي الرجائي، المطبعة: بعثت، قم، إيران، ١٤٠٤ هـ .

٦. الفهرست، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، ط: ١، المطبعة: مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران، ١٤١٧ هـ .

٧. رجال الطوسي، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، ط: ١، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، إيران، ١٤١٥ هـ .

الياء

اليزدي، محمد كاظم الطباطبائي (ت ١٣٣٧د) .

٨. العروة الوثقىٰ، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، إيران، ١٤٣٣هـ .

الكاف

الكلباسي، الميرزا أبو المعالي، محمد بن محمد إبراهيم (ت ١٣١٥ هـ).

٩. الرسائل الرجالية، تحقيق: محمد حسين الدرايتي، ط: ١، سرور، قم، إيران، ١٤٢٢هـ .

الكشي، محمد بن عمرو بن عبد العزيز أبي عمرو (ت ٣٦٩ هـ) .

١٠. رجال الكشي، ط: ١، موقع كاسر الصنمين علىٰ الانترنيت، ٢٠٠٧ م .

الميم

المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي الأصبهاني (ت ١١١١) .

١١. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تحقيق: يحيىٰ العايدي الزنجاني، والسيد كاظم الموسوي الميانوي، ط: ٢، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ١٩٨٣ م .

الشيخ المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان البغدادي (ت ٤١٣ ه) .

١٢. تصحيح اعتقادات الإمامية، تحقيق: حسين دركاهي، ط: ٢، دار المفيد للطباعة، ببروت، لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣ م.

النوبختي، أبو محمد، الحسن بن موسىٰ بن الحسن بن محمد (ت ٣١٠ هـ) .

١٣. فرق الشيعة، تحقيق: عبد المنعم الحفني، ط: ١، دار الرشاد، القاهرة، مصر، ١٩٩٢م.

السبحاني، جعفر بن محمد حسين التبريزي .

١٤. بحوث في الملل والنحل، ط: ١، الحوزة العلمية، قم، إيران، ١٤٠٨هـ .

١٥. العقيدة الإسلامية علىٰ ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام، تحقيق: جعفر الهادي، ط: ١، المطبعة: اعتماد، قم، إيران، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١٦. ابن عساكر، علي بن الحسين ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت ٥٧١ م).

١٧. تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: علي شيري، المطبعة: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ .

الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب الشيرازي (ت ٨١٧ هـ) .

١٨. القاموس المحيط، ط: ١، دار العلم للجميع، بيروت، لبنان، ١٣٠٦هـ.

الصاد

الصدوق، أبو جعفر، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)

١٩. عيون أخبار الرضا، نص: حسين الأعلمي، ط: ١، مطابع مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ١٩٨٩ م .

الراغب الأصفهاني، أبي القاسم، الحسين بن محمد (ت ٥٠٢ هـ)

٢٠. المفردات في غريب القرآن، ط: ٢، دفتر نشر الكتاب، قم، إيران، ١٤٠٤ هـ

الشين

الشاهرودي، علي النمازي (ت١٤٠٥هـ)

٢١. مستدركات علم رجال الحديث، ط: ١، حيدري، طهران، إيران، ٤١٤ اه .

الشاكري، حسين.

٢٢. موسوعة المصطفى والعترة، ط: ١، المطبعة: ستاره، قم، إيران ١٩٧٠ .

الشهيد الثاني، زين الدين بن علي بن أحمد الجدعي العاملي (ت ٩٦٥هـ)

٢٣. الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية (اللمعة الدمشقية: لمحمد بن جمال الدين مكي العاملي المعروف بالشهيد الأول (٧٣٤ – ٧٨٦ هـ)، تحقيق: السيد محمد كلانتر، ط: ٢، جامعة النجف الدينية، العراق، ١٣٩٨ م .

الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت ٥٤٨ هـ) .

٢٤. الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ط: ١، دار المعرفة، بيروت ، لبنان، ١٩٦١م .

الخاء

الخوئي، أبو القاسم الموسوي (ت ١٤١١ هـ) .

٢٥. البيان في تفسير القرآن، ط: ٤، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٧٥ م .

الخميني، آقا روح الله الموسوي (ت ١٤١٠هـ).

٦٢. كتاب الطهارة، مطبعة مهر، قم، إيران، (د . ت) .

ابن الغضائري، أحمد بن الحسين الواسطي البغدادي (ت ق ٥هـ)

٢٧. رجال ابن الغضائري، تحقيق: السيد محمد رضا الجلالي، ط: ١، المطبعة:

سرور، قم، إيران، ١٤٢٢ هـ .

النون

النوري، ميرزا حسين الطبرسي (١٣٢٠هـ)

١- خاتمة مستدرك الوسائل، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة: الأولى، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم ـ إيران، المطبعة: ستاره ـ قم، سنة الطبع: ربيع الثاني ١٤١٦ هـ



البحث التاسع

ظاهرة الزيّارة وأثرها في التحصين العقائدي في زمن الإمام علي الهادي عليه السلام

م. هناء عيدان مهدي الجعيفري

جامعة بابل

كلية الدراسات القرآنية



الكلمات المفتاحية: – الإمام الهادي عليه السلام .
الزيارة الجامعة .
الزيارة الغديّرية.
التحصين العقائدي.

خلاصة البحث

تعد زيارة آل بيت النبوة عليهم السلام جمعاً أو آحاداً من الأئمة عليهم السلام كالزيارة المعروفة بالجامعة الكبيرة أو زيارة أمير المؤمنين عليه السلام من المصادر الفكرية ومن المعالم الأصيلة التي نستلّ منها ملامح الفكر السليم، بل اللبنة الأساس في مجال تعميق الوعي وترسيخ الولاء الصادق لأهل بيت الرسالة عليهم السلام وفي هذا التعميق الواعي والإنقياد الوجداني تحصين عقائدي واضح تميّز به الإمام الهادي عليه السلام .

من هنا أنبرىٰ البحث علىٰ لتوضيح أهم العبر والمفاهيم التي وردت في هذه الزيارات التي نلمس فيها وبوضوح هذا الخط العقائدي. وقد قسمت بحثي علىٰ مطلبين وتناول كلّ مطلب عدة مفاهيم خاصة بكل زيارة نحو أولاً: إصطفاء أهل البيت ثانياً: حركة أهل البيت ثالثاً: الأسس الفكرية للتشيع رابعاً: الموالون والمخلصون لأهل البيت. وقد قمت بتفصيل ذلك بالبحث .وتضمن البحث أيضاً أهم ما توصل إليه من نتائج مع ذكر قائمة بالمصادر والمراجع.

والحمد لله أولاً وآخراً

المقدمة:

إنّ الإمام أبا الحسن، علياً الهادي عليه السلام هو حلقة من حلقات السلسلة الذهبية الإلهية لآل البيت .. وخطوة من خطوات الإمامة الامتدادية لخط النبوة.

وقد تقلّد الإمامة وتولّى مسؤولياتها وهو في السنة التاسعة من عمره الشريف فتصدر مجالس الفقه والفتوى في زمانه وتفوق على مشايخ الفقهاء آنذاك، وبهر العقول بعلمه وفضله طيلة ثلاث وثلاثين سنة في عصر الظلم. ومنسجماً مع أوامر السماء محارباً مجالس أهل الباطل، جسد الإنسانية والمحمدية مؤثراً رضا الله على كل شيء.يكنى بأبي الحسن الثالث، ويلقَّب بالهادي، التقي، المرتضى، الفتاح، الناجح، المتوكل، الفقيه، الأمين، وغيرها كثير.

ويمكن تقسيم حياة الإمام الهادي عليه السلام إلى مرحلتين:

الأولى/ الحقبة الزمنية التي عاشها في ظِلال إمامة أبيه الجواد عليه السلام وهي بين (٢١٢هـ ـ ٢٢٥هـ) ويبلغ أقصاها ثماني سنوات تقريباً.

الثانية/ تمثلت في الفترة الزمنية بين توليه عليه السلام لمنصب الإمامة في نهاية (٢٢٠هـ) إلى حين إستشهاده عليه السلام في (٢٥٤هـ) وهي أربع وثلاثون سنة.

وعاصر في هاتين الحقبتين، من ملوك بني العباس المعتصم، الواثق، المتوكل، المنتصر، المستعين، المعتز.

فسلام عليه يوم ولد، ويوم تقلّد الإمامة وهو صبي لم يبلغ الحلم، ويوم استشهد، ويوم يبعث حيّاً .

المطلب الأول:- الزيارة الجامعة الكبيرة

تمثل التحصين العقائدي الذي مارسه الإمام الهادي عليه السلام في تبيان وشرح وتعميق المفاهيم العقائدية بشكل خاص والدينية بشكل عام، كما تمثل في دفع الشبهات والإثارات الفكرية التي كانت تتداولها المدارس الفكرية آنذاك.

عن موسى بن عمران النخعي قال: قلت لعلي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهادي عليه السلام:علمنيّ يا ابن رسول الله قولاً أقوله بليغاً كاملاً إذا زرت واحداً منكم فقال عليه السلام [1]: «قل: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، ومهبط الوحي، ومعدن الرسالة، وخزان العلم، ومنتهى الحلم، وأصول الكرم، وقادة الأمم، وأولياء النعم، وعناصر الأبرار، ودعائم الأخيار، وسادة العباد، وأركان البلاد، وأبواب الإيمان، وأمناء الرحمن، وسلالة النبيين، وصفوة المرسلين، وعترة خيرة رب العالمين، ورحمة الله وبركاته»[2].

وتعدُّ هذه الزيارة من المصادر الفكرية المهمة ومن الوثائق التي نستل منها ملامح التصور السليم. ولذا نشير إلى بعض ما جاء فيها من مفاهيم:

١/ اختيار آل البيت عليهم السلام:

في المقطع الأوّل الذي بدأت به الزيارة حدّد الإمام عليه السلام المعاني التالية:

أ/ إنّ الله أختص أهل البيت عليهم السلام بكرامته فجعلهم موضع الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي.

ب/ إنّ هذا الجعل الإلهي نابع من الصفات الكمالية التي يبلغون القمة فيها

---

(١) ينظر: الموسوعة الكبرى/ للشيخ مهدي خليل جعفر/ ١٨٠.

(٢) ينظر: أعلام الهداية (الإمام علي بن محمد الهادي)/ ١٦٧.

كالعلم والحلم والكرم والرحمة.

ج/ إنّ أهل البيت عليهم السلام هم موضع الرسالة؛ لأنّ الله قد اختارهم لمنصب القيادة العليا للبشرية فضلاً عن قيادة المسلمين.

٢/ منهج وحركة أهل البيت عليهم السلام:

قال الإمام الهادي عليه السلام: «السلام على أئمة الهدى، ومصابيح الدجى، وأعلام التقى، وذوي النهى، وأولي الحجى، وكهف الورى، وورثة الأنبياء، والمثل الأعلى، والدعوة الحسنى، وحجج الله على أهل الدنيا والآخرة والأولى ورحمة الله وبركاته».[1]

السلام على محالّ معرفة الله، ومساكن بركة الله، ومعادن حكمة الله، وحفظة سرّ الله، وحملة كتاب الله، وأوصياء نبي الله، وذرية رسول الله صلى الله عليه وآله ورحمة الله وبركاته.

السلام على الدعاة إلى الله، والأدلاء على مرضاة الله، والمفسرين في أمر الله، والتامّين في محبة الله والمخلصين في توحيد الله، والمظهرين لأمرِ الله ونهيه، وعباده المكرمين الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ورحمة الله وبركاته.

وقد دلّ هذا النصّ على ما يأتي:

أ: في المسيرة البشرية ينفرز خطان هما خط الهدى وخط الضلالة، ولكلّ من الخطين قيادته، وأئمة أهل البيت هم أئمة الهدى، أما غيرهم ممن يتصدى للإمامة مخالفاً لخط الهدى فهو من أئمة الضلال، فلذلك لا يكون التلقي إلا منهم ولا يكون نهج التحرّك إلّا نهجهم.

ب: أما واقع الأئمة فهم ذوو العقول التامّة وكهف الورى وورثة الأنبياء والمثل الأعلى والقدوة الحسنى التي يُحتذى بها.

---

(١) ينظر: أعلام الهداية/ ١٧٠-١٧١.

ج: إنّ حركة أهل البيت حركة إسلامية أصيلة ذات جذور ضاربة في الأعماق، وهي استمرار المسيرة النبوية الراشدة، وكل حركة تدّعي المنهج الديني أو الإصلاح الدنيوي ولا تسير على خطاهم فهي منحرفة. فأهل البيت عليهم السلام محلُّ معرفة الله، ومساكن بركته، ومعادن حكمته، وأوصياء نبيه.(١)

د: إنّ الدعاة مظاهر أصالة أهل البيت في المسيرة الإلهية ما يلي:(٢)

* إنهم الدعاة إلى الله والأدلاء على مرضاته.

* تميّزوا بالثبات على أمر الله.

* تميّزوا بالحب التام لله.

* الإخلاص في التوحيد.

* الإظهار لشعائر الله من أمره ونهيه.

* عدم سبق الله بقول، والعمل بأمره.

٣/ الأسس الفكرية للتشيع:

يمكن أن نحدد نقاطاً توضح الأسس الفكرية التي تقوم عليها دعوة أهل البيت والتي يجب أن تسير الحركة الشيعية عليها وتلتزم بحدودها من خلال قوله عليه السلام: «السلام على الأئمة الدعاة وعيبة علمه، وحجته وصراطه، ونوره وبرهانه ورحمة الله وبركاته.

أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له كما شهد الله لنفسه وشهدت له ملائكته وأولو العلم من خلقه لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المنتخب المرتضى أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره

(١) ينظر: أعلام الهداية / ١٧٠.

(٢) ينظر: الموسوعة الكبرى / ١٨٢.

المشركون. وأشهد أنكم الأئمة الراشدون المهديون المعصومون المكرمون المقربون المتقون الصادقون المصطفون المطيعون لله القوّامون بأمره العاملون بإرادته الفائزون بكرامته. أصطفاكم بعلمه وارتضاكم لغيبه واختاركم لسرّه واجتباكم بقدرته وأعزكم بهداه وخصكم ببرهانه وانتجبكم لنوره وأيّدكم بروحه ورضيكم خلفاء في أرضه وحججاً على بريته وأنصاراً لدينه وحفظة لسرّه وخزنة لعلمه ومستودعاً لحكمته وتراجمة لوحيه وأركاناً لتوحيده وشهداءاً على خلقه.

وأعلاماً لعباده ومناراً في بلاده وأدلاء على صراطه .عصمكم الله الزلل وآمنكم من الفتن وطهّركم من الدنس وأذهب عنكم الرجس وطهّركم تطهيراً.(١)

فعظّمتم جلاله وأكبرتم شأنه ومجدتم كرمه وأدمتم ذكره ووكدتم ميثاقه وأحكمتم عقد طاعته ونصحتم له في السرّ والعلانية ودعوتم إلى سبيله بالحكمة والموعظة وبذلتم أنفسكم في مرضاته وصبرتم على الأذى في جنبه وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر وجاهدتم في الله حق جهاده حتى أعلنتم دعوته وبيّنتم فرائضه وأقمتم حدوده ونشرتم شرايع أحكامه، وسننتم سنته وصرتم في ذلك منه إلى الرضا وسلمتم له القضاء وصدقتم من رسله من مضى»(٢)

إنّ العناصر الفكرية الأساسية للتشيع والتي تستفاد من هذا النص هي:

١/ الإيمان بالله وحده لا شريك له.

٢ / محمد عبده المنتخب ورسوله المرتضى.

٣ / الأئمة هم بشر راشدون مهديون معصومون مكرمون وقيمتهم نابعة من تكريم الله لهم.

---

(١) ينظر: أعلام الهداية/ ١٧١-١٧٢.

(٢) ينظر: الموسوعة الكبرى لأهل البيت (الإمام الهادي عليه السلام) / ١٨٤. واعلام الهداية / ١٧٢.

على أنّ الجانب العملي لحركة أئمة أهل البيت هو كما يأتي:

١- تعظيم الله إكبار شأنه وتمجيد كرمه.

٢- توكيد ميثاقه وإحكام عقد طاعته.

٣- النصح له بالسرّ والعلن.

٤- الدعوة له بالحكمة والموعظة الحسنة.

٥- التضحية المستمرة في سبيل الله ببذل النفس والصبر على المكروه.

٦- إقامة الصلاة ة وإيتاء الزكاة وممارسة باقي العبادات والحدود الإسلامية.

٧- الحفاظ على سلامة الشريعة من التحريف.

٨- التسليم بالقضاء والقدر.

٩- التأكيد على وحدة المسيرة النبوية وتصديق الرسل.

٤/ الموالون لأهل البيت عليهم السلام:

وبيّن الإمام أنّ هناك صنفين من الناس: قسم يوالي أهل البيت عليهم السلام فيسير في طريق الهدى، وآخر يوالي أعداءهم فيسير في طريق الضلال، قال عليه السلام:

«فالراغب عنكم مارق واللازم لكم لاحق والمقصر في حقكم زاهق. والحق معكم وفيكم ومنكم وإليكم وأنتم أهله ومعدنه وميراث النبوة عندكم وإياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم وفصل الخطاب عندكم وآيات الله لديكم وعزائمه فيكم ونوره وبرهانه عندكم وأمره اليكم.

من والاكم فقد والى الله ومن عادكم فقد عادى الله ومنّ أحبكم فقد أحب الله ومن أبغضكم فقد أبغض الله ومن اعتصم بكم فقد اعتصم بالله.

وأنتم الصراط الأقوم وشفعاء دار الفناء وشفعاء دار البقاء والرحمة الموصولة

والآية المخزونة والأمانة المحفوظة والباب المبتلى به الناس».[١]

من الحقائق التي تستشف من دعاء الزيارة:

الحقيقة الأولى: من أتاكم فقد نجا ومن لم يأتكم هلك. لذلك نجده يقول عليه السلام: « إلى الله تدعون وعليه تدلّون وبه تؤمنون وله تسلمون وبأمره تعملون والى سبيله ترشدون وبقوله تحكمون. سعد من والاكم وهلك من عاداكم وخاب من جحدكم وضلّ من فارقكم وفاز من تمسك بكم وأمن من لجأ إليكم وسلم من صدقكم وهدي من اعتصم بكم. من اتبعكم فالجنة مأواه ومن خالفكم فالنار مثواه ومن جحدكم كافر ومن حاربكم مشرك ومن ردّ عليكم في أسفل درك من الجحيم».

الحقيقة الثانية: إنّ الموالي لأهل البيت عليهم السلام يعلم قيمتهم الحقيقية عند الله لذلك نجده يقول عليه السلام: «أشهد أنّ هذا سابق لكم فيما مضى وجارٍ لكم فيما بقي وإنّ أرواحكم نوركم وطينتكم واحدة طابت وطهرت بعضها من بعض. خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرشه محدقين حتى منّ علينا بكم فجعلكم في بيوت أذن الله أنْ ترفع ويذكر فيها اسمه. وجعل صلواتنا عليكم وما خصنا به من ولايتكم طيباً لخلقنا وطهارة لأنفسنا وتزكية لنا وكفارة لذنوبنا فكنا عنده مسلمين بفضلكم ومعروفين بتصديقنا إياكم».[٢]

الحقيقة الثالثة: الرغبة في انتشار أمرهم وتشعشع فضلهم فلا يبقى خير إلّا وأضاءه نورهم الشريف. حيث قال عليه السلام:

«فبلغ الله بكم أشرف محلّ المكرمين وأعلى منازل المقربين وأرفع درجات المرسلين حيث لا يلحقه لاحق ولا يفوقه فائق ولا يسبقه سابق لا يطمع في إدراكه طامع حتى لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا صدّيق ولا شهيد ولا عالم ولا

---

(١) ينظر: أعلام الهداية / ١٧٣.

(٢) ينظر: منهاج التحرك عند الإمام علي الهادي عليه السلام / النجف/ ١١٣-١٢٠.

جاهل ولادنيّ ولا فاضل ولا مؤمن صالح ولا فاجر طالح ولا جبّار عنيد ولا شيطان مريد ولا خلق فيما بين ذلك شهيد إلا عرّفهم جلالة أمركم وعظم خطركم وكبر شأنكم وتمام نوركم وصدق مقاعدكم وثبات مقامكم وشرف محلّكم ومنزلتكم عنده وكرامتكم عليه وخاصتكم لديه وقرب منزلتكم».

الحقيقة الرابعة:- الإقرار الدائم بمعتقدات أهل البيت عليهم السلام والعمل بموجبها: «بأبي أنتم وأمي وأهلي ومالي وأسرتي أشهد الله وأُشهدكم أني مؤمن بكم وبما آمنتم به، كافر بعدوكم وبما كفرتم به، مستبصر بشأنكم وبضلالة من خالفكم، موالٍ لكم ولأوليائكم مبغض لأعدائكم ومعادٍ لهم، سلمٌ لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم، محقق لما أبطلتم، مطيع لكم عارف بحقكم، مقرٌّ بفضلكم محتمل لعلمكم».

بأبي أنتم وأمي ونفسي بكم أخرجنا الله من الذل وفرّج عنا غمرات الكروب وأنقذنا من شفا جرف الهلكات ومن النار، وإيماننا بكم عن وعي وإدراك لأنكم أهلٌ لذلك.[1]

(١) ينظر: منهاج التحرك عند الإمام الهادي/ النجف/ ١١٣-١٢٠.

المطلب الثاني: زيارة الغدير

من أهم زيارات الأئمة الطاهرين ـ عند الشيعة الإمامية ـ زيارة الغدير فقد اهتموا بها إهتماماً بالغاً، لأنها رمز لذلك اليوم الخالد في دنيا الإسلام، ذلك اليوم الذي قرّر فيه الرسول صلى الله عليه وآله المصير الحاسم لأمته، فنصب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام خليفة على المسلمين.

وقد زار الامام أبو الحسن الهادي عليه السلام جده أمير المؤمنين في السنة التي أشخصه فيها المعتصم من يثرب إلى سرّ من رأى.(١)

فقد تحدّث فيها عن فضائل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وما عاناه في عصره من المشاكل السياسية والاجتماعية .

وإليك بعض ما حفلت به هذه الزيارة التي هي من ملاحم أهل البيت:

١/ تحدّث الإمام أبو الحسن الهادي عليه السلام في زيارته (الغديرية) عن جده الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو أول من أسلم وآمن بالله واستجاب لدعوة نبيه. قال عليه السلام مخاطباً جدّه: « وأنت أول من آمن بالله وصلّى له، وجاهد، وأبدى صفحته في دار الشرك، والأرض مشحونة ضلالة والشيطان يعبد جهرة...»

لقد تضافرت الأخبار بأنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو أول من أذعن لرسالة خاتم النبين، واستجاب لنداء الله ودعا إلى دين الله بعد رسول الله.

فقد روى ابن إسحاق:- كان أول فتى ورجل آمن برسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وصلّى معه، وصدّق بما جاء من عند الله هو(الإمام عليّ بن أبي طالب) (كرم الله وجهه).(٢)

---

(١) ينظر: مفاتيح الجنان/ عباس القمي/ ٣٦٣.

(٢) ينظر: السيرة النبوية/ ابن إسحاق أبو الحسن النبوي / ١/ ٢٦٢.

وروىٰ الطبراني بسنده عن أبي ذرّ قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد عليّ عليه السلام فقال: «هذا أول من آمن بي وأول من يصافحني يوم القيامة»[١].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعائشة: «هذا علي بن أبي طالب أول الناس إيماناً».[٢]

٢ / وتحدّث الإمام عليه السلام في زيارته عن جهاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وبسالته وشجاعته وصموده في الحروب قائلاً: «ولك المواقف المشهودة والمقامات المشهورة والأيام المذكورة يوم بدر، ويوم الأحزاب: ﴿**وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا * وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا * وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا**﴾[٣].

وقال عزّ من قال ﴿**وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا**﴾[٤].

فقتلت عمرهم وهزمت جمعهم، وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً، وكفىٰ الله المؤمنين القتال، وكان الله قوياً عزيزاً، ويوم أحد إذ يصعدون ولا يلوون علىٰ أحد والرسول يدعوهم في أخراهم وأنت تذود بهم المشركين عن النبي صلى الله عليه وآله ذات اليمين وذات الشمال حين ردّهم الله تعالىٰ عنها خائفين ونصر بك الخاذلين.[٥]

---

(١) ينظر: فيض الغدير في شرح الجامع الصغير/ زين الدين محمد بن علي بن زين العابدين الحداوي المناوي / ٤/ ٣٥٨.

(٢) ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب/ الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي / ٢/ ٧٥٩.

(٣) سورة الأحزاب: ١٠ - ١٣.

(٤) سورة الأحزاب: ٢٢.

(٥) ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب / ٢ / ٧٥٩.

ويوم حنين على ما نطق به التنزيل ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

والمؤمنين أنت ومن يليك، وعمك العباس ينادي المنهزمين: يا أصحاب سورة البقرة، يا أهل بيعة الشجرة فاستجاب له قوم قد كفيتهم المؤونة وتكفلت دونهم المعونة فعادوا آيسين من المثوبة، راجين وعد الله تعالى بالتوبة وذلك قول الله عزَّ وجلَّ ذكره: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ﴾[2]. وأنت حائز درجة الصبر، فائز بعظيم الأجر.

ويوم خيبر إذ أظهر الله خور المنافقين، وقطع دابر الكافرين والحمد لله رب العالمين ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار، وكان عهد الله مسؤولاً».

وأضاف الإمام قائلاً: «وشهدت مع النبي صلى الله عليه وآله جميع حروبه ومغازيه، تحمل الراية أمامه، وتضرب بالسيف قدامه، ثم لحزمك المشهور وبصيرتك في الأمور أمّرك في المواطن، ولم يكن عليك أمير...»

٣ / وعرض الإمام في زيارته إلى مبيت الإمام على فراش النبي صلى الله عليه وآله، ووقايته له بنفسه حينما أجمعت قريش على قتله، فكان الإمام الفدائي الأول في الإسلام، يقول: «وأشبهت في البيات على الفراش الذبيح عليه السلام إذْ أجبت كما أجاب، وأطعت كما اطاع إسماعيل محتسباً صابراً إذْ قال: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾[3].

وكذلك أنت لما أباتك النبي صلى الله عليه وآله وأمرك أن تضطجع في مرقده واقياً له بنفسك

---

(١) سورة التوبة: ٢٥ - ٢٦.

(٢) سورة التوبة: ٢٧.

(٣) سورة الصافات: ١٠٢.

أسرعت إلى إجابته مطيعاً، ولنفسك على القتل موطناً فشكر الله تعالى طاعتك وأبان من جميل فعلك بقوله جلّ ذكره: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي**﴾[1] ابتغاء مرضاة الله[2].

الخاتمة

إنّ نّص الزيارة الجامعة الكبيرة صحيح السند والمتن للإمام عليّ الهادي عليه السلام فلغوية وعقلية وفخامة التراكيب لا يقدر على نظمها إلّا الإمام المعصوم عليه السلام.

وفي ختام البحث وجدت من الواجب أن أقف على جملة من النتائج والمفاهيم الواضحة في هذه الزيارات والتي نلمس بوضوح الخط العقائدي فيها:

١ / ضرورة الإيمان بإيابهم وقيام دولتهم.

٢ / أهمية زيارة قبورهم.

٣ / أهمية الايمان بالرجعة.

٤ / أهمية الإيمان بسرهم وعلانيتهم.

٥ / ضرورة الاستعداد لنصرة دولتهم لحدّ التمكين في الأرض.

٦ / ضرورة البراءة من أعدائهم.

٧ / فرح المؤمن بما رزقه الله على يد أهل البيت.

٨ / إنَّ وحدة المسلمين السليمة لا تتم إلّا تحت لوائهم عليهم السلام.

٩ / إنّ الإيمان بهم لا يكون عاطفياً بل عن وعي وإدراك وبحث وتمحيص.

---

(١) سورة البقرة: ٢٠٧.

(٢) ينظر: راجع حياة الإمام علي الهادي عليه السلام باقر شريف القرشي / ١٤٠-١٤٧.

قائمة بالمصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. أعلام الهداية / الإمام عليّ الهادي عليه السلام / المجمع العالمي لأهل البيت ج١٢/ قم المقدسة.

٢. أصول الكافي / الشيخ محمد بن يعقوب الكليني ت ٣٢٩ هـ/ منشورات الفجر/ بيروت ط١/ ١٤٣٨هـ-٢٠٠٧م.

٣. إثبات الوصية للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام / تأليف أبي الحسن علي بن الحسين الهذلي/ دار الأضواء للطباعة والنشر/ بيروت.

٤. الموسوعة الكبرىٰ لأهل البيت الإمام الهادي عليه السلام/ فضيلة الشيخ مهدي، مركز الشرق الأوسط الثقافي.

٥. الاستيعاب في معرفة الأصحاب/ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي٤٦٣/ تحقيق علي محمد البجاوي/ دار الجبل - بيروت.

٦. السيرة النبوية/ أبو الحسن النبوي/ نشر ١٩٧٩.

٧. الإمام عليّ الهادي عليه السلام / عليّ الكوراني/ مكتبة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله / قم المقدسة.

٨. بحار الأنوار/ الشيخ محمد باقر المجلسي/ نشر مؤسسة الأعلمي- بيروت ١٤٢٩-٢٠٠٨م.

٩. حياة الإمام عليّ الهاديّ/ دراسة وتحليل باقر شريف القرشي/ تحقيق مهدي باقر شريف / دار المعروف للنشر/ النجف/ ط١/ ١٤٢٤-٢٠١٣م.

١٠. رجال الكشي/ محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشّي ت٣٤٠/ تحقيق: السيد

أحمد الحسيني/ مؤسسة الأعلمي لبنان - بيروت.

١١. سند الزيارة الجامعة الكبيرة/ السيد ياس الموسىٰ/ حوزة أهل البيت عليهم السلام ط١/ ١٤١٩هـ -١٩٩٨م.

١٢. شرح الزيارة الجامعة/ الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي/ ط١/ بيروت ١٤٠٢هـ- ١٩٩٩م.

١٣. كتاب من لا يحضره الفقيه/ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه ت ٣٨١ أشرف علىٰ تصحيحه وطبعه الشيخ الأعلىٰ موسىٰ الأعلىٰ/ بيروت لبنان/ ط١/ ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

١٤. مروج الذهب ومعادن الجواهر/ أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ت ٩٥٦/ الطبعة المصرية / القاهرة ١٩٢٧م.

١٥. مفاتيح الجنان/ عباس القمي/ إيران.

١٦. منهاج التحرك عند الإمام علي الهادي عليه السلام/ جامعة أهل البيت عليهم السلام/ ط١ النجف/ المكتبة المركزية.

١٧. مناقب آل أبي طالب/ أبو عبدالله محمد بن علي المازندراني ابن شهر آشوب ت٥٨٨هـ/ المكتبة الحيد رية ١٣٧٦.

١٨. فيض الغدير شرح الجامع الصغير/ زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن علي بن زين العابدين الحداوي المناوي ت١٣١، القاهرة، تحقيق: محمد عبد السلام، ط١، ١٤١٥هـ.



البحث العاشر

الفكر الكلامي

عند الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام

التوحيد إنموذجا

م.م. دعاء شكر عباس هادي محمد حسين



المقدّمة:

الحمد لله الواحد الأحد، وصلّى على نبيه الصادق المؤيد وعلى آله معدن الشرف والسؤدد، وبعد:

إن من دواعي السرور والحبور أن نسوّد بعض الصفحات في مناقشة ودراسة فكر أهل البيت الذي يمثل تراثاً إنسانياً هائلاً حُفظت فيه ملامح الفكر الإسلامي الأصيل .

وإن فكر أهل البيت يمثل الخلاصة الطيبة التي انتهى إليها الفكر الإسلامي المعتدل، ولا نكاد نجد فيما وصل إلينا من تراثهم المبارك ما يشير إلى انحراف أو نقص في فهم شريعة السماء الحقة.

ومن هنا نجد لزاماً علينا أن نتفحص تراث أهل البيت الخالد في جميع المناحي العلمية ومنها الأفكار الكلامية، التي كانت محطّ أخذ وردّ بين المسلمين، وبذل الأئمة فيها جهداً طيّباً لحلّها وإماطة الغموض عنها، وبحثنا هذا واحدة من تلك الإضاءات التي نحاول من خلالها تسليط الضوء على بعض المسائل الكلامية.

وقد أنتظم البحث على ثلاثة محاور:

المحور الأول: شذرات من حياة الإمام الهادي عليه السلام.

المحور الثاني: خصائص المنهج الكلامي للإمام الهادي عليه السلام .

المحور الثالث: الشبهات المثارة حول التوحيد.

المحور الأول

شذرات من حياة الإمام الهادي عليه السلام

هو أبو الحسن علي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وهو العاشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام[١].

ولد في المدينة المنورة سنة ٢١٤ هـ في قرية صغيرة تسمّى (صريا).

وقد عاصر الإمام الهادي عليه السلام ستة من خلفاء بني العباس ابتداءً بالمعتصم (ت٢٢٧ هـ) وانتهاءً بالمعتز (ت٢٥٥ هـ)[٢].

وقد ابتدأ بوصول المعتصم إلى الحكم تفكك الإمبراطورية الإسلامية، ودار نزاع عنيف بين العرب والفرس والترك في سبيل السيطرة على مفاصل الدولة المترامية الأطراف، وكان الرابح الأكبر من ذلك النزاع العنصرَ التركي، فأغلب أمهات الخلفاء كانت من ذلك العنصر، وقد كانت لهن اليد الطولى في توجيه دفة الحكم واللعب على المتناقضات[٣]، فامتلأت الدولة بالغلمان والجنود والقوّاد الترك، حتى أضحى الخليفة العباسي مجرد لعبة بيدهم.

---

(١) ظ: الكليني، محمد بن يعقوب، أصول الكافي، ط٥، ١٣٦٣ هـ ش، طهران: دار الكتب الإسلامية. ج١ ص٢٩٨. ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب، ١٩٥٦م، النجف: المطبعة الحيدرية. ج٤ ص٤٣٣. الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ط٢، ١٩٨٥ م، بيروت: دار الأضواء. ج٣ ص١٦٦ و١٧٧. مجموعة مؤلّفين، أعلام الهداية، ط٢، ١٤٢٥ هـ، قم: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام. ج١٢ ص٣٩.

(٢) ظ: الطبرسي، الفضل بن الحسن، إعلام الورى ج٢ ص١١٠. المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الإرشاد ج٢ ص ٢٩٨.

(٣) ظ: حسن. د. حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي، ط١٤، ١٩٩٦ م، بيروت: دار الجيل. ج٢ ص٣٢١.

والنقطة البارزة في صراع الإمام الهادي مع هذه الدولة الظالمة تتمثل بإصدار المتوكل العباسي أوامره باستقدام الإمام الهادي إلى سامراء ليكون تحت نظره الدائم ولكي يضمن عدم خروج المسلمين بوجه دولتهم الظالمة، فأرسل قائد جيشه يحيى بن هرثمة سنة ٢٤٤ هـ ليأتيه بالإمام من مدينة جده وطنه التي كانت له فيها مكانة رفيعة ويحظى باحترام الجميع[١].

وقد بذل الإمام الهادي عليه السلام جهوداً كبيرة في مواجهة الإرهاب الجسدي الفكري، وقد اعتمد في جهوده تلك على نظام جديد له الفضل في تفعيله وهو نظام المكاتبات والوكلاء ـ وإن كان موجوداً قبله بدرجة أقل ـ ولم يقتصر في جهوده على مواجهة التهديدات الخارجية، بل قاوم بشدة بعض الانحرافات التي كادت أن تعصف بالمذهب الإمامي كالواقفية والغلو وبعض الطرق الصوفية[٢].

(١) ظ: سبط ابن الجوزي، يوسف بن فرغلي، تذكرة الخواص، قم مكتبة نينوى الحديثة. ص٢٠٣.

(٢) مجموعة مؤلّفين، أعلام الهداية، ج١٢ ص١٦٧ .

المحور الثاني

خصائص المنهج الكلامي للإمام الهادي عليه السلام

إنَّ وقفة قصيرة بين ما وصلنا من تراث الإمام الهادي عليه السلام تبين لنا بوضوح اعتماده على بعض الأصول التي حاول أن يجعلها قواعد عامة يلجأ إليها أصحابه ومحبيه حين الحاجة، ومن تلك الأصول:

١- إعطاء الأولوية للنص المنزل قرآناً كان أم رواية عن أجداده الطاهرين، فحديثه حديثهم بلا شك .

٢- تفسير القرآن بالقرآن وبالأخبار الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، في محاولة واضحة لجعل القرآن والسنة ثابتين لا محيص عنهما، وهذ ما نجده واضحاً في جوابه على أسئلة يحيى بن أكثم[١] .

٣- أفاد الإمام كثيراً من المنهج العقلي في نصرة المسائل العقلية التي يعالجها فتجده يعتمد القياسات العقلية والترديدات المنطقية ليوصل الطرف المقابل إلى قناعة تامة بما يريده، رسالته الكلامية إلى أهل الأحواز[٢] .

٤- أبطل الإمام الهادي عليه السلام التشبيه والتجسيم، وأحال رؤية الله، واعتنى كثيراً بمباحث التوحيد والإمامة، وذا ما يمثّل بمجمله أساسيات مذهب الإمامية .

٥- لقد كان حضور الإمام الهادي عليه السلام ـ لو قيّض له الاستمرارية ـ في الوسط الكلامي ومعالجته لكثير من قضاياه مؤذناً بتطور هائل في المنهج الكلامي، إذ كانت استدلالاته أكثر التزاماً بالنص، وعمد كثيراً إلى الإفادة من بعض الأقيسة العقلية

---

(١) ظ: المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الاختصاص، ص٩١-٩٢ .

(٢) ظ: الحرّاني، الحسن بن شعبة، تحف العقول، ص٤٥٨ .

واستخلاص الأحكام من المعاني المتضمنة في النصوص[١] .

ولو أردنا البسط لاكتشفنا الكثير من المزايا المنهجية التي أسس لها ونظّرها الإمام الهادي ع بإخلاص وتفان عاليين.

وفاته:

ولما اعتلى المعتز العرش في التاسعة عشرة من عمره، وقد فاق من سبقه في الانصياع لأوامر القادة الترك وتنفيذ مخططاتهم، استشهد الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام، متأثراً بالسمّ في الثالث من رجب سنة ٢٥٤ هـ، وعمره لم يتجاوز الواحدة والأربعين، ودفن في بيته في سامراء[٢] .

(١) ظ: الحرّاني، الحسن بن شعبة، تحف العقول، ص٤٥٨ .

(٢) ظ: ابن الصباغ المالكي، علي بن محمد، الفصول المهمة ص٢٨٣. المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الإرشاد ج٢ ص٣١١ .

المحور الثالث

الشبهات المثارة حول التوحيد

يمثل موضوع التوحيد عنصراً مهماً من عناصر العقيدة الحقّة، فهو الأصل الأول من أصول الدين عند الإمامية .

وقد أدلى الإمام الهادي عليه السلام بدلوه في سبيل توضيح وتحديد ملامح هذا الأصل بعد أن اختلفت آراء المذاهب الإسلامية في تحديد ملامح التوحيد، فأوضح الطريق الصواب بكل ما آتاه الله من قوة بيان وعلم راسخ، ودفع الشبهات وأسّس طريقاً واضحاً لا يشوبه نقص أو ثغرة، وسنبحث - فيما يأتي - عن التوحيد أولاً، ثمّ عن التجسيم ورؤية الله التي تعتبر من أهم الشبهات المثارة حول التوحيد.

التوحيد:

هو الأصل الأول وأساس معرفة الله وأول خطوة في طريق عبادته .

ونقصد بالتوحيد عبادة الله الواحد الأحد وانتفاء الشريك له، فهو واحدٌ في ذاته ووجوب وجوده، كما أشار إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿**لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ**﴾[1].

قال الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ): (اعلم أن اعتقادنا في التوحيد أن الله تعالى واحد أحد، ليس كمثله شيء قديم، لم يزل سميع بصير عليم حكيم حي قيوم عزيز قدوس قادر غني)[2].

وقال الطحاوي (ت ٣٢١ هـ): (إن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله ولا

---

(١) سورة النحل: ٥١ .

(٢) الصدوق، محمد بن علي بن بابويه، الاعتقادات في دين الإمامية، ص٢١-٢٢ .

شيء يعجزه ولا إله غيره)[١] .

ويعبّر عن هذا النوع من التوحيد بـ(توحيد الذات)[٢] .

وأما النوع الثاني فيعبّر عنه بـ(توحيد العبادة): (وهو الأصل المشترك والقاعدة المتفق عليها بين جميع الشرائع السماوية. وبكلمة واحدة: إن الهدف الأسمى من بعث الأنبياء والرسل الإلهيين هو التذكير بهذا الأصل كما يقول: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾[٣] إن جميع المسلمين يعترفون في صلواتهم اليومية بهذا الأصل ويقولون: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾وعلى هذا الأساس فإن وجوب عبادة الله وحده، والاجتناب عن عبادة غيره أمر مسلم لا كلام فيه، ولا يخالف أحد في هذه القاعدة الكلية أبداً)[٤].

والنوع الثالث من أنواع التوحيد هو (توحيد الصفات): (وذلك بالاعتقاد بأن صفاته عين ذاته، وبالاعتقاد بأنه لا شبيه له في صفاته الذاتية، فهو في العلم والقدرة لا نظير له وفي الخلق والرزق لا شريك له وفي كل كمال لا ند له)[٥]، فالذات الإلهية حاوية لجميع الكمالات على بساطتها ووحدانيتها .

وقد أثيرت بعض الشبهات في تفاصيل التوحيد، وأضاف بعض الجهلاء إلى الباري تعالى معالم وملامح لم تأتِ بها الشريعة الحقة ولم يصرّح به النبي وآله الكرام، مما استدعى تدخل الإمام الهادي عليه السلام ليحفظ أصول الدين الحقة ويحافظ على أصوله ومبادئه الحقيقية، وسنتعرّض في هذا المجال إلى ثلاث شبهات عرضت على أصل

(١) الحنفي، ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ط٤، ١٣٩١ هـ، بيروت: المكتب الإسلامي. ص٧٦ .

(٢) ظ: المظفر، محمد رضا، عقائد الإمامية، ص٣٧. ظ: سبحاني، الشيخ جعفر، العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت، ط١، ١٩٩٨ م، قم: مؤسسة الإمام الصادق. ص٤٥.

(٣) سورة النحل: ٣٦ .

(٤) سبحاني، الشيخ جعفر، العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت، ص٤٥ .

(٥) المظفر، محمد رضا، ص٣٧ .

التوحيد وهما:

أولاً: التجسيم:

من الشبهات التي ابتلي بها المجتمع المسلم مبكراً وصفُ واجب الوجود بالتجسيم، ويترتب على ذلك أن الله تعالى سيكون محدثاً مخلوقاً تطرأ عليه الحوادث ويحتويه مكان ما مثل أي جسم آخر .

وقد أشاع بعض المسلمين هذه الفكرة الخاطئة عن كنه وحقيقة الله تعالى نتيجة ابتعادهم عن المنبع الحقيقي للشريعة الإسلامية، وتوارد الأفكار والنظريات البعيدة عن المجتمع الإسلامي وتوجهاته، مضافاً إلى المحاولات المستمرة لسلاطين الجور لمنع أفكار آل البيت عليهم السلام وتحييدها، مع أنها تمثّل الامتداد الطبيعي لرسالة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله.

والمتتبع لمرويات الفريقين يجد فكرة التجسيم حقيقة ثابتة في كتب الصحاح والمسانيد، فقد روى أبو داود في مسنده: «أن عرشه على سماواته كهكذا، وقال بأصابعه مثل القبة عليه، وأنه ليئط به أطيط الرجل بالراكب»[1] .

وفي صحيح مسلم: «ينزل الله في آخر الليل إلى السماء الدنيا فيقول من يسألني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه... »[2] .

وتمادى بعض المحدّثين فنقل عن النبي صلى الله عليه وآله نسبة الأعضاء المعروفة للرب تعالى، حيث قال: «فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول قط قط فهنالك تمتلئ

---

(١) السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، ط١، ١٩٩٠ م، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. ج٢ ص٤١٩ ح٤٧٢٦ .

(٢) النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، (بدون تاريخ) بيروت: دار الفكر. ج٢ ص١٧٥ باب الترغيب في الدعاء .

ويزوى بعضها إلى بعض ..»[١].

وإن مجتمع الدولة الإسلامية بأسره كان أسير تلك الفكرة الخاطئة التي أودت بعنفوان الأمة الإسلامية وجعلتها ترزح تحت قيود التخلّف الفكري والجمود الحضاري.

ومن المعروف أن فكرة التجسيم قد تسرّبت إلى الدين الإسلامي عن طريق الديانة اليهودية والمسيحية، وكان أمثال كعب الأحبار ووهب بن منبه يبثّون في أوساط المسلمين حكايات التجسيم والتشبيه التي يقتبسونها من التوراة والأناجيل المحرفة بموافقة السلطات الحاكمة[٢].

وقد وقف آل البيت عليهم السلام في وجه تلك الأفكار الضالة، وفي مقدمتها فكرة التجسيم، وبذلوا جهداً لا يستهان به في سبيل بيان خطل تلك الفكرة وسذاجة مدّعيها.

دفع الإمام الهادي عليه السلام للشبهة:

تعرّض الإمام الهادي في كثير من أحاديثه لمشكلة التجسيم، مما يكشف عن مدى تغلغل تلك الفكرة وشيوعها بين عامة الناس بفعل الضغط الإعلامي الذي تقوم به السلطات الحاكمة آنذاك في محاولة منها للقضاء على ما تبقى من الشريعة الحقّة.

وقد سئل الإمام علي الهادي مراراً عن مواصفات وحدود الإله المعبود بعد أن

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ١٩٨١ م، بيروت: دار الفكر. ج٧ ص٢٢٥ كتاب الأيمان والنذور.

(٢) ظ: الشهرستاني، عبد الكريم، الملل والنحل، ج١ ص١١٧. سبحاني، الشيخ جعفر، رؤية الله في ضوء الكتاب والسنة، (بلا معلومات) ص١٧. اليافعي، عبد الفتاح قديش، التجسيم والمجسمة، ط١ ٢٠١٠ م، دمشق: مؤسسة الرسالة. ص٢٩٦-٢٩٧.

تبلبلت الأفكار وتاهت العقول، فقد روى حمزة بن محمد قال: «كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام: أسأله عن الجسم والصورة، فكتب عليه السلام: سبحان من ليس كمثله شيء لا جسم ولا صورة»[١].

وإن الإله الذي نعبده فوق أوصاف الواصفين، والإمام أعرف الناس بربه، وقد أجاب بما أجاب به من سبقه من الأئمة، فإن هذا المعنى قد جاء في مرويات جده الصادق عليه السلام حيث سئل عن جسمية الله فقال: «لا جسم ولا صورة وهو مجسم الأجسام ومصور الصور»[٢].

ويبدو أن شبهة التجسيم ضاربة في جذور المجتمع الإسلامي، وهناك تركيز على إشاعة هذه الفكرة، ولذا يتكرر سؤال المؤمنين لأئمة وقتهم عنها، وها هو سهل ابن زياد الآدمي يقول: «كتبت إلى أبي محمد عليه السلام سنة خمس وخمسين ومأتين: قد اختلف يا سيدي أصحابنا في التوحيد، منهم من يقول: هو جسم ومنهم من يقول:

هو صورة فإن رأيت يا سيدي أن تعلّمني من ذلك ما أقف عليه ولا أجوزه فعلت متطولاً على عبدك، فوقع بخطه عليه السلام: سألت عن التوحيد وهذا عنكم معزول، الله واحد، أحد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، خالق وليس بمخلوق يخلق تبارك وتعالى ما يشاء من الأجسام وغير ذلك وليس بجسم ويصور ما يشاء وليس بصورة جل ثناؤه وتقدست أسماؤه أن يكون له شبه، هو لا غيره، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير»[٣] .

وقد كاتب إبراهيم بن محمد الهمداني الإمام الهادي عليه السلام فقال: «كتبت إلى

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج١، ص١٠٤ ح٢. الصدوق، محمد بن الحسن، التوحيد، بلا تاريخ، ، قم: مؤسسة النشر الإسلامي. ص٩٧-٩٨ .

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج١ ص١٠٦ ح٦ .

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج١، ص١٠٣ ح١٠ .

الرجل عليه السلام[1]: إن من قبلنا من مواليك قد اختلفوا في التوحيد، فمنهم من يقول: جسم، ومنهم من يقول: صورة، فكتب عليه السلام بخطه: سبحان من لا يحد ولا يوصف، ليس كمثله شيء وهو السميع العليم ـ أو قال ـ: البصير».

لقد حاول الأئمة مراراً وتكراراً دفع شبهة التجسيم، فتراهم لا يتوانون عن تنزيه الله تعالى عما يحاول المغرضون زرعه في عقول عامة الناس.

والظاهر أن تلك الشبهة قد انطلت على بعض الموالين للإمام الهادي عليه السلام، ولكنه لم يتركهم سدىً، وما فتئ يثبّت في أذهانهم أن الباري لا تحدّه صورة أو رسم.

لقد واكب الإمام الهادي مرحلة مهمة من مراحل تركّز الشبهة، ولم يدع فرصة أو مناسبة إلا وأعلن فيها العقيدة الصائبة التي ينبغي التحلّي بها بعيداً عن التجسيم وما ينتج عنه من إشكالات لا تليق بالفرد المسلم .

ولأهمية الاعتقاد الصائب بإله لا يشبهه شيء، فقد أخذ بعض أصحاب الأئمة بعرض ما يدينون به في نظرهم إلى الإله الذي يعبدونه بلا شريك، آملين أن يقرّهم الإمام بما يعتقدون .

فعن «عبد العظيم بن عبد الله الحسنيّ قال: دخلت على سيّدي عليّ بن محمّد عليهما السلام، ... فقلت له: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، إنّي أُريد أن أعرض عليك ديني، ... إنّي أقول إنّ الله تبارك وتعالى واحد ليس كمثله شيء، خارج من الحدّين، حدّ الإبطال وحدّ التشبيه، وأنه ليس بجسم ولا صورة، ولا عرض ولا جوهر، بل هو مجسّم الأجسام، ومصوّر الصور، وخالق الأعراض والجواهر، وربّ كلّ شيء ومالكه، وجاعله ومحدثه، . . .

فقال عليّ بن محمّد عليهما السلام: يا أبا القاسم، هذا والله دين الله الذي ارتضاه

(١) المقصود به الإمام علي الهادي عليه السلام، فإن إبراهيم الهمداني من وكلاء الإمام الهادي عليه السلام. ظ: رجال الطوسي ص٣٨٣.

لعباده ...»[١].

وإن عرض السيد الحسني لاعتقاده على الإمام الهادي عليه السلام يكشف بما لا يقبل الشك عن تفشي ظاهرة التجسيم في المجتمع، ونهوض الإمام بمهمة تعريف المجتمع بمواصفات الرب الرحيم الذي ليس كمثله شيء.

والباحث يرى أن مرويات الإمام الهادي كانت شارحة ومبينة لما جاء في الكتاب العزيز من آيات محكمة أوضحت بما لا يقبل الشك بطلان نظرية التجسيم جملة وتفصيلاً، فقوله تعالى: ﴿**يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلما**﴾[٢] يدلّ بوضوح على أن لا أحد من الخلق يعرف ذات الله... وأن الله سبحانه فوق مستوى عقول البشر.. وكل من ادعى أن لله جسماً ويداً ووجهاً فهذا باطل لأنه ادعاء بالإحاطة والعلم بذات الله[٣]. وقال تعالى في آية أخرى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾[٤] وهي تشير بوضوح إلى أن كل من ادعى أن لله صفة من صفات المخلوقين فهو باطل[٥].

وقال تعالى في آية ثالثة ﴿**لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**﴾[٦] وعدم الإدراك في الآية مطلق، فهي تنفي صفة الجسمية والحدِّ والمكان والزمان عن الله تعالى في الدنيا والآخرة[٧].

---

(١) الصدوق، محمد بن علي بن بابويه، التوحيد، ص٨١-٨٢.

(٢) سورة طه: ١١٠.

(٣) ظ: الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ج٧ ص٢١٠. الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان، ج٧ ص٥٨.

(٤) سورة الشورى١١.

(٥) الطبرسي، الفضل بن الحسن، جمع الجوامع، ج٣ ص٢٧٩، مجمع البيان، ج٩ ص٤١. الآلوسي، شهاب الدين محمود، تفسير الآلوسي، بلا تاريخ، ج٣ ص٨٧.

(٦) سورة الأنعام: ١٠٣.

(٧) ظ: الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ج٤ ص٢٢٣. الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان، ج٤ ص١٢٧،

لقد دافع الإمام الهادي عن العقيدة الحقة التي ألفاها وتلقّاها عن جده صلى الله عليه وآله كابراً عن كابر، والتي تمثّل شريعة ربِّ السماوات والأرض، وكانت مروياته انعكاساً للأجواء النقية التي كان يحييها في كنف آبائه عليهم السلام فقد (استهدف أئمتنا عليهم السلام الحفاظ على تواتر النصوص عبر أجيال عديدة حتى تُصبح في مستوى الوضوح والاشتهار، تتحدّى كل مؤامرات الإخفاء والتحديد، وقد شكّل الأئمة عليهم السلام بمجموعهم وحدة مترابطة الأجزاء ليواصل كل جزء من تلك الوحدة الدور للجزء الآخر ويكمّله)[١].

ثانياً: التشبيه:

ونعني بالتشبيه: الاعتقاد بأن الله تعالى صورة تشبه صورة الإنسان[٢]، مع ما يستلزم ذلك من إثبات أجزاء تلك الصورة، فله يدٌ تشبه يد الإنسان، ورجل تشبه رجل الإنسان وهكذا، ونعني بالتجسيم: الاعتقاد بأن الله جسم[٣]، فعندما يقول الله تعالى: ﴿**يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾[٤] فإن المقصود كونه يمتلك يداً، وحين يقول: ﴿**وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا**﴾[٥]، فهو يقتضي وجود العين عنده، وهذه الإدّعاءات لا يمكن الإلتزام بها، وقد يطلق التجسيم ويراد به المعنيان معاً[٦].

وقد تسربَ هذا الفكر الضالّ إلى الشريعة المقدسة عن طريق الأساطير التوراتية التي كان يحدّث بها بعض اليهود الذين ادّعوا الإسلام، يقول الشهرستاني: (وضع كثير من اليهود الذين اعتنقوا الإسلام أحاديث متعددة في مسائل التجسيم

---

(١) الصدر، محمد باقر، أهل البيت عليهم السلام تنوع أدوار ووحدة هدف، بيروت: دار التعارف. ص١٤٢ .

(٢) الفضلي، د. عبد الهادي، خلاصة علم الكلام، ط٢، ١٩٩٣ م، بيروت: دار المؤرخ العربي، ص٢٠١ .

(٣) المصدر نفسه ص٢٠١ .

(٤) سورة الفتح: ٢٦ .

(٥) سورة هود: ٣٧ .

(٦) ظ: الفضلي، عبد الهادي، خلاصة علم الكلام، ص٢٠١ .

والتشبيه وكلها مستمدة من التوراة)[١]، ويأتي على رأس هؤلاء اليهود وهب بن منبه وكعب الأحبار.

وقد استغلَّ معاوية كعب الأحبار كثيراً وأفاد منه في بثّ الأباطيل والأساطير في شريعة المسلمين، ومن أباطيله التي عمل تركيزها في الأذهان الاعتقاد بالتجسيم وإمكانية رؤية الله تعالى[٢]. (فالبيت الأموي والمنتمون إليه من أهل الحديث كانوا من دعاة التجسيم والتشبيه والجبر وإثبات الجهة، والرؤية لله سبحانه، وأما الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وبيته الطاهر وشيعتهم فكانوا من دعاة التنزيه والاختيار، ومن الرافضين لهذه البدع المستوردة من اليهود بحماس.

وقد نجم في ظل العراك الفكري بين العلويين والأمويين منهجان كلٌّ منهما له شعاره، فشيعة الإمام وأهل بيته يحملون شعار التنزيه والاختيار، والأمويون وشيعتهم يحملون شعار التشبيه والجبر، وقد اشتهر منذ قرون، القول بأن: التنزيه والاختيار علويان، والتشبيه والجبر أمويان)[٣].

وقد سارت الحكومة العباسية على هذا المنوال في زمان حكم المتوكل الذي كان يميل إلى المذهب الأشعري، قد نقل لنا التاريخ أن الخليفة المتوكل قد استقدم المحدّثين والرواة إلى سامراء وطلب منهم رواية أحاديث الصفات والتجسيم، قال السيوطي: (في سنة أربع وثلاثين استقدم المحدّثين إلى سامرا وأجزل عطاياهم وأكرمهم وأمرهم بأن يحدّثوا بأحاديث الصفات والرؤية)[٤].

ومما ذكرنا يتبيّن أن فكرة التشبيه والتجسيم لم تكن فكرة علمية صرفة بقدر ما

---

(١) الشهرستاني، عبد الكريم، الملل والنحل، ج١ ص١١٧ .

(٢) ظ: سبحاني، الشيخ جعفر، رؤية الله في ضوء الكتاب والسنة والعقل، ط١، قم: دار مشعر، ص٢٢.

(٣) سبحاني، الشيخ جعفر، ص٢٢ .

(٤) السيوطي، جلال الدين، تاريخ الخلفاء، ص٣٧٣ .

كانت فكرة مدسوسة وأداة هدامة لتخريب الفكر الإسلامي الأصيل المتمثل بفكر أهل البيت عليهم السلام، ومن هنا نفهم سرّ تأييد الدولة الأموية وبعض خلفاء العباسيين لنشره وتبنّيه .

وقد وقف الإمام الهادي عليه السلام بكل قوة في وجه تيار التجسيم والتشبيه، فكانوا يتحيّنون الفرص على قلّتها ليبيّنوا للأمة الإسلامية الموقف السليم والرأي الصائب في تلك المسألة .

فعن بشر بن بشّار النيسابوريّ قال: «كتبت إلى الرجل عليه السلام: إنّ من قبلنا قد اختلفوا في التوحيد، فمنهم من يقول: (هو) جسم، ومنهم من يقول: (هو) صورة .

فكتب عليه السلام إليّ: سبحان من لا يحدّ ولا يوصف، ولا يشبهه شيء، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير»[1].

والمقصود بالرجل هنا الإمام الهادي عليه السلام.

ثالثاً: رؤية الله:

إن المتتبع لمراحل تطور العقائد الإسلامية يكتشف بسهولة أن بدايات طرح مسألة رؤية الله على بساط البحث والتنظير قد بدأ فعلياً في القرن الثاني للهجرة، حيث كانت الأحداث السياسية تدفع باتجاه صياغة العقائد الإسلامية وفق منظور خاص لا يتعارض مع السلطة السياسية[2].

وقد أخذت هذه المسألة مأخذها، وأرّقت بال علماء الجمهور، فلا يخلو كتاب من كتبهم العقائدية من الخوض فيها وبيان ما يعتقدونه.

وقد أوضح الأشعري (ت ٣٢٤ هـ) عقيدة السنة والجماعة بقوله: (وندين بأن

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج١ ص١٠٢ ح٩ .

(٢) ظ: سبحاني، الشيخ جعفر، رؤية الله في ضوء الكتاب والسنة والعقل الصريح، ص٢٥.

الله تعالىٰ يرىٰ في الآخرة بالأبصار كما يرىٰ القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون، كما جاءت الروايات عن رسول الله)[١].

ومن قبله أفصح الطبري (ت ٣١٠ هـ) عن ذلك الاتجاه في تفسيره لقوله تعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ فقال: (قالوا: فإن قال لنا قائل: وما أنكرتم أن يكون معنىٰ قوله: لا تدركه الأبصار لا تراه الأبصار؟ قلنا له: أنكرنا ذلك، لأن الله جل ثناؤه أخبر في كتابه أن وجوها في القيامة إليه ناظرة، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله أخبر أمته أنهم سيرون ربهم يوم القيامة كما يرىٰ القمر ليلة البدر وكما ترون الشمس ليس دونها سحاب)[٢].

والمقصود برؤية الله إدراكه تعالىٰ عن طريق حاسّة البصر التي وهبها لعباده، وهي التي وقع الخلاف والاختلاف في ثبوتها وحدودها، والحقيقة أن البحث عن رؤية الله يتساير مع المبحث المتعلّق بالتجسيم، فمن يرىٰ أن لله تعالىٰ جسماً، اتجه إلىٰ جواز رؤيته تعالىٰ.

ومن ينكر الجسمية وينزّه الباري عنها على قسمين:

القسم الأول: حكمَ باستحالة رؤية الله في الدنيا والآخرة، وهم الإمامية ومعهم المعتزلة[٣].

القسم الثاني: حكمَ بجواز رؤيته علىٰ تفصيل يأتي، وهم أهل السنة والجماعة[٤].

---

(١) الأشعري، أبو الحسن، الإبانة، ص٢١.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٩٩٥ م، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. ج٧ ص٣٩١.

(٣) ظ: المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، أوائل المقالات، ط٢، ١٩٩٣ م، بيروت: دار المفيد للطباعة والنشر. قول ٢٥، ص٥٧.

(٤) ظ: الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل، الإبانة، ط١، ١٣٩٧ هـ، القاهرة: دار الأنصار. باب في إبانة قول أهل الحق والسنة، ص١٧. ظ: الغزالي، أبو حامد، قواعد العقائد، ط٢، ١٩٨٥ م، بيروت:

ومن هنا كانت الاتجاهات الرئيسة في مسألة رؤية الله تعالى ثلاثة:

الاتجاه الأول: ويمثله المجسّمة، وهم يؤمنون بإمكان رؤية الله في الدنيا والآخرة تبعاً لمذهبهم الحسّي، ولا يرون حرجاً في ذلك، وهذا الاتجاه ساقط من الأساس ولا يقول به أحد أو يتبناه، لمخالفته لصريح القرآن والسنة والعقل، فهو في حكم المنقرض[١].

الاتجاه الثاني: ويمثّله أهل السنّة والجماعة من أتباع المذاهب الأربعة الذين اتخذوا مذهباً متوسطاً بين التجسيم والتنزيه المحض، فمنعوا الرؤية في الدنيا، واتفقوا على وقوع هذه الرؤية وتحققها في الآخرة، وأن جميع أهل الجنة سيرونه عياناً، مع إقرارهم بالجهل بكيفية رؤيته هناك[٢].

الاتجاه الثالث: ويمثله الإمامية والمعتزلة، وهم أهل التنزيه المحض الذين صرّحوا باستحالة رؤيته في الدنيا والآخرة [٣].

وينبغي الانتباه إلى أن ما يذكره العرفاء وأهل التصوف من رؤية الله في القلب والوجدان فهو خارج عن محل البحث، إذ لا شك في إمكانه ووقوعه وهو المراد مما ورد عن أمير المؤمنين: «ما رأيت شيئاً إلّا ورأيت الله قبله ومعه وفيه وبعده»[٤]، أو

عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع. ص١٦٩، ظ: الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، نهاية الإقدام في علم الكلام، ط١، ٢٠٠٩ م، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية. ص٣٩٦.

(١) ظ: الأشعري، أبو الحسن، مقالات الإسلاميين، ط٣، ١٩٨٠ م، الطبعة الألمانية (ريتر). ص٢١٣-٢١٧.

(٢) ظ: المصدر نفسه، ص٢١٣-٢١٧، ظ: رؤية الله في ضوء الكتاب والسنة والعقل الصريح، ص٢٥ .

(٣) ظ: كلمة حول الرؤية، عبد الحسين شرف الدين، تحقيق: حسين بني هاشمي، بيروت: دار المؤرخ العربي. ص١٤٧٨ (ج٤ ضمن المجموعة الكاملة)، سبحاني، الشيخ جعفر، الإلهيات، ط١، ١٩٨٩ م، بيروت: الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع. ص٤٦٩ .

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٧٠ ص٢٢ .

قول الإمام الحسين عليه السلام: في دعاء عرفة: «عميت عين لا تراك عليها رقيباً»[١].

فمحل النزاع ينحصر في جواز رؤية الله سبحانه وعدمه، وبعبارة أخرىٰ هو رؤية الله سبحانه بالأبصار التي هي نعمة من نعم الله سبحانه وطريق إلىٰ وقوف الإنسان علىٰ الخارج. يقول سبحانه: ﴿**وَاللهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[٢]، فالمثبت للرؤية والنافي لها يركز علىٰ موضوع واحد هو الرؤية بالأبصار)[٣].

أدلة القائلين بجواز الرؤية:

استدلّ القائلون بإمكان رؤية الله تعالىٰ بدليلين:

الأول: الدليل العقلي:

وأهم الأدلة العقلية التي استندوا إليها في ذلك أن واجب الوجود لا يخلو عن كونه موجوداً من الموجودات، وكل موجود يصحّ رؤيته، فيترتب علىٰ ذلك أن واجب الوجود يمكن رؤيته[٤].

وقد ردّوا عليه بأن وجود الباري لا يستلزم صحة رؤيته، فكم من موجود من قبيل العلم والإرادة والعقل والنفس، ولكنها لا ترىٰ بالعين الباصرة، بل يشترط توافر بعض الظروف الخاصة بالموجود حتىٰ يمكن رؤيته، كأن يكون جسماً مادياً

---

(١) القمي، الشيخ عباس، مفاتيح الجنان، ط٣، ٢٠٠٦هـ، قم: مكتبة العزيزي. ص٤٦٢ .

(٢) سورة النحل: ٧٨ .

(٣) سبحاني، الشيخ جعفر، رؤية الله في ضوء الكتاب والسنة والعقل الصريح، ص٢٦-٢٧ .

(٤) ظ: الأشعري، أبو الحسن، الإبانة عن أصول الديانة، ط١، ١٤١٤هـ، بيروت: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع. ص٢٦.

واقعاً في إطار ظروف خاصة[١].

الثاني: الدليل النقلي:

وأما الدليل النقلي، فقوامه بعض الآيات والأحاديث القابلة للتأويل .

أما الآيات فمن قبيل قوله تعالى: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾[٢]

وقوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي..**﴾[٣]

بتقريب أن سؤال موسى الرؤية من ربه كاشف عن عدم استحالتها، وإلا لما سأل موسى ذلك[٤].

وأما الأحاديث فمن قبيل ما ورد عن جرير بن عبد الله: «كنّا عند النبي صلى الله عليه وآله فنظر إلى القمر ليلةً ـ يعني البدر- فقال: إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر..»[٥].

ومن قبيل قوله صلى الله عليه وآله: «إنكم سترون ربكم عياناً»[٦].

والحقيقة أن هذه الأدلة يسهل الردّ عليها وتأويل مفادها، مع معارضتها بآيات وروايات واضحة الدلالة، قد حكمت باستحالة رؤية الله تعالى في الدنيا

---

(١) المحقق الحلي، جعفر بن الحسن، المسلك في أصول الدين، ط١، ١٤١٤ هـ، مشهد: مجمع البحوث الإسلامية. ص٦٩، العلّامة الحلي، الحسن بن يوسف، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، ط٩، ١٤٢٤ هـ، قم: مؤسسة النشر الإسلامي. ص٤١٣

(٢) سورة القيامة: ٢٢-٢٣ .

(٣) سورة الأعراف: ١٤٣.

(٤) ظ: الأشعري، أبو الحسن، الإبانة عن أصول الديانة، ص٢٣.

(٥) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج١ كتاب ٩ ح٥٥٤ ص١٣٨ كتاب مواقيت الصلاة، النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ج١ كتاب ٥ ح٢١١ ص٣٦٧ كتاب المساجد .

(٦) المصدر نفسه، ج٤ كتاب ٩٨ ح٧٤٣٥ ص٤٥٣ .

والآخرة[١].

دفع الإمام الهادي عليه السلام للشبهة:

لما كان عصر الإمام الهادي ملبّداً بغيوم الشبهات والأوهام فيما يتعلّق بأصول الدين ومعتقدات المسلمين، ناسب ذلك أن يقف الإمام موقفاً واضحاً وصريحاً بوجه تلك الشبهات والأوهام بوصفه من أمناء الشريعة وبقية آل البيت عليهم السلام.

ورؤية الله واحدة من تلك االشبهات التي انتشرت بين عامة الناس بفعل تشجيع الحكام الظالمين على إضعاف الدين والحط من أفكاره النيرة وأبجدياته الإنسانية .

ولما أطبقت كلمات الإمامية على استحالة رؤية الله تعالى، فقد ساق الإمام الهادي دليلاً عقلياً يفنّد به تلك الشبهة ويستدل به على استحالة الرؤية وعدم إمكانها علمياً، فالعين الباصرة البشرية إنما ترى الأشياء بواسطة الضوء الساقط على الأجسام المقابلة للعين، والفراغ أو الأثير الذي نتحرك فيه، وعن طريقه تنتقل انعكاسات الضوء من الأجسام المقابلة إلى العين الباصرة، وقد عبّر عنه الإمام بالهواء، فقال: «لا تجوز الرؤية ما لم يكن بين الرائيّ والمرئيّ هواء»[٢].

لقد بيّن الإمام فيزيائية الرؤية بما لا يدع مجالاً للشك حيث (إنَّ الهواء المتوسّط سبب للرُّؤية ولكون هذا رائياً من حيث إنّه راءٍ وذاك مرئياً من حيث إنّه مرئي فوجب اتّصاله بهما واتّصاله بهما سبب لكون كلٍّ واحد منهما واقعاً في حيّز، وفي طرف منه

---

(١) لمزيد الاطلاع على هذه الأدلة ينظر: المحقق الحلي، جعفر بن الحسن، المسلك في أصول الدين، ص٦٩-٧٠، العلّامة الحلي، كشف المراد في تجريد الاعتقاد، ص٤١٢-٤١٤، االشريف المرتضى، علي بن الحسين، الأمالي، ط١، ١٤٠٥ هـ، قم: مطبعة سيد الشهداء. ج١ ص٣٦ (المجلس الثالث)، الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ط١، ١٤٠٩ هـ، قم: مكتب الإعلام الإسلامي. ج٤ ص٥٣٦ .

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج١ ص١٠٢ ح٩ .

وموصوفاً بالجسميّة ولواحقها فهذه صفات الممكن وليس واجب الوجود)[١].

ثم قال الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام: «فإذا انقطع الهواء عن الرائيّ والمرئيّ لم تصحّ الرؤية»، والسرّ في ذلك أن عملية الرؤية قد فقدت ركناً أساسياً من أركان فيزيائية الرؤية، فعند فقدان المرئي وصف الجسمية تنتفي فائدة الأثير في انتقال الأشعة المنعكسة عن ذلك الجسم، ويفقد الرائي كذلك عملية الرؤية، إذ لا فراغ لينتقل فيه انعكاسات صورة المرئي للرائي (وهذا النوع من الاستدلال من الإمام عليه السلام غير معهود من علماء الشريعة من العامة في ذلك الزمان بل المعهود منهم الوقوف على مفاهيم الروايات... ولكن أئمتنا عليهم السلام فتحوا باب الاستدلال العقلي على الربوبيات)[٢].

ولو لاحظنا الروايات الواردة في هذا المجال عن الإمام الهادي عليه السلام لوجدنا:

١- شيوع القول برؤية الله ومحاولة تركيزه في أذهان عامة الناس، ويتضح ذلك من خلال نفس المكاتبة التي هي عبارة عن استفتاءات ترد إلى الإمام من أتباعه ومواليه، وتعكس ما يشغل الناس في ذلك الوقت، تقول الرواية: «... أحمد بن إسحاق، قال: كتبت إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام: أسأله عن الرؤية، وما اختلف فيه الناس ...»[٣]، وفي رواية أخرى: «... يعقوب بن إسحاق، قال: كتبت إلى أبي محمّد عليه السلام أسأله كيف يعبد العبد ربّه، وهو لا يراه؟ ...»[٤].

٢- إيكال الاستدلال على استحالة الرؤية إلى عامة الناس، وحثّهم على

---

(١) المازندراني، محمد صالح، شرح أصول الكافي، ط١، ٢٠٠٠ م، بيروت: دار إحياء التراث العربي. ج٣ ص١٧٨.

(٢) المصدر نفسه، ج٣ ص١٧٦ (حاشية الميرزا أبو الحسن الشعراني).

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج١ ص١٠٢ ح٩ .

(٤) المصدر نفسه، ج١ ص٩٥ ح١.

الاستدلال العلمي لإبطال تلك الشبهة وعدم إمكانها علمياً فإنّ (الجهاز البصري إنما يرىٰ من يساوي المرئي في خصائصه الإمكانية، فإذا انعدمت المساواة بينهما استحال النظر)[1].

الخاتمة:

وفي ختام البحث نقول: إن للإمام الهادي عليه السلام أثراً كبيراً في تقويم الاعوجاج الحاصل في خطّ الرسالة بعد رحيل النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله والأئمة من بعده عليهم السلام بسبب استيلاء بعض الحكام وتسلّطهم علىٰ رقاب المسلمين، كالذي حصل في حُكم بني العباس، إنّ للإمام الهادي عليه السلام جهوداً كثيرة، في دفع الشبهات وردِّها، وإزالة ما حصل في أفكار المسلمين من تشتت وانقسام، بسبب ظهور بعض الحركات في عصره.

(١) القرشي، باقر شريف، حياة الإمام علي الهادي عليه السلام، ص١٠٩ .

الفهرس

كلمة حجة الإسلام والمسلمين سماحة السيد محمد صادق الخرسان (دام عزه) ... ٥
كلمة المركز ٧

(المحور الأوّل: علوم القرآن والحديث)

المحور الأوّل: علوم القرآن والحديث ١٣
البحث الأوّل: المضامين والدلالات القرآنية في الزيارة الجامعة للإمام علي الهادي عليه السلام ١٧
البحث الثاني: الإمام علي الهادي عليه السلام في تفسير الآلوسي ٤٣
البحث الثالث: البعد القرآني في كلمات الإمام الهادي عليه السلام ٦٧
البحث الرابع: التوظيف القرآني في رسالة الإمام الهادي عليه السلام في الرد على أهل الجبر والتفويض ٨٩
البحث الخامس: مرويات الإمام علي الهادي عليه السلام في التفسير مرتبة حسب السور ١١٥
البحث السادس: منهج الإمام علي الهادي عليه السلام في تفسيره في ضوء مسنده.....١٧٩
البحث السابع: أهل القرآن الإمام علي الهادي عليه السلام أنموذجاً ٢١١
البحث الثامن: الاستشهاد بالنص القرآني في كلام الإمام الهادي عليه السلام ٢٦٩

(المحور الثاني: العقائد وعلم الكلام)

المحور الثاني: العقائد وعلم الكلام ٢٨٥
البحث الأوّل: الأُصُولُ العقَدِيَّةُ والقَواعِدُ الفِقْهيَّةُ عندَ الإمامِ عليّ الهادي عليه السلام ٢٨٩
البحث الثاني: موارد الفكر الديني في الزيارة الجامعة للإمام علي الهادي عليه السلام.. ٣٠٧
البحث الثالث: إسهام الإمام الهاديّ عليه السلام في التعامل مع الغلاة والشبهات العقدية ٣٤١
البحث الرابع: المضامين المعرفية في رسالة الإمام الهادي عليه السلام في الرد على أهل الجبر والتفويض ٣٧٧
البحث الخامس: المسائل العقائدية في فكر الإمام الهادي عليه السلام دراسة تحليلية ... ٤٢٣
البحث السادس: مناظرات واحتجاجات الإمام علي الهادي عليه السلام دراسة تحليلية ٤٧٧
البحث السابع: الدور الفكري للإمام علي الهادي عليه السلام الفرق الفكرية انموذجاً ٥٠٩
البحث الثامن: موقف أهل البيت عليهم السلام من الغلو ٥٤٩
البحث التاسع: ظاهرة الزيّارة وأثرها في التحصين العقائدي في زمن الإمام علي الهادي عليه السلام ٥٧٥
البحث العاشر: الفكر الكلامي عند الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام ـ التوحيد إنموذجا ٥٩٣